



مَوْسُوعَةُ الْأَعْمَالِ الْكَامِلَةِ  
لِسَمَاحَةِ الْإِمَامِ  
بُوْحَدَةِ الْقَرْضَابِيِّ

المجلد التاسع والثمانون





حقوق الطبع محفوظة للمؤلف

الطبعة الأولى

م ٢٠٢٢ - هـ ١٤٤٤

الدَّارُ الشَّامِيَّةُ

للطباعة والنشر والتوزيع



# مَوْسُوعَةُ الْأَعْمَالِ الْكَامِلَةِ

## لِسَمَاحَةِ الْإِمَامِ

### بُو سَيْفِ الْقِرَضَاوِيِّ



الْجَوْرُ لِخَادِي عَشْر

حَسْنَةُ الْجَمِيعِ

- ١٣ خطب الشيخ القرضاوي
- ١٤ خطب الشيخ القرضاوي





# مَوْسُوعَةُ الْأَعْمَالِ الْكَامِلَةِ

## لِسَمَاحَةِ الْإِمَامِ

### بُوسْفُ الْقَضَاوِيِّ

المحور الحادي عشر

خطب الجمعة

۱۷

خطب الشيخ القرضاوى

זט

## أعداد

## المكتب العلمي للشيخ

## من الدستور الإلهي للبشرية

﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُنْ مُعِيرًا تِعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَى قَوْمٍ حَتَّىٰ  
يُعِيرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلَيْهِمْ﴾ [الأنفال: ٥٣].

﴿يَتَأْمِنُهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ  
وَاحْصُوا الْعِدَّةَ وَاتَّقُوا اللَّهَ رَبَّكُمْ لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنْ  
بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخْرُجُنَّ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ بِفَحْشَةٍ مُبِينَةٍ وَتِلْكَ  
حُدُودُ اللَّهِ وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ لَا تَدْرِي  
لَعَلَّ اللَّهُ يُحَدِّثُ بَعْدَ ذَلِكَ أُمْرًا﴾ [الطلاق: ١].

﴿وَالْعَصْرِ ﴿إِنَّ الْإِنْسَنَ لَفِي خُسْرٍ ﴾ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا  
وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّابِرِ﴾

[العصر: ١ - ٣].



## من مشكاة النبوة الخاتمة

عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّدَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «المؤمن القوي، خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف، وفي كل خير، احرص على ما ينفعك، واستعن بالله ولا تعجز». رواه مسلم وأحمد.

عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّدَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «المؤمن مرآة المؤمن، والمؤمن أخو المؤمن، يكفُّ عليه ضيئته، ويحوطه من ورائه». رواه أبو داود والبخاري في الأدب المفرد.





## التربية الجسمية للإنسان المسلم

### الخطبة الأولى

أمّا بعد، فيا أيها الإخوة المسلمين:

الإسلام يهدف إلى إيجاد المسلم الصالح المصلح:

نتحدّث اليوم عن التربية، وأهميّة التربية في الحياة الإسلامية، وفي منهج الإسلام؛ فالإسلام يريد إنساناً قوياً في كلّ ناحية من النّواحي: في إيمانه، في أخلاقه، في فكره، في بدنـه، في كلّ أمر من أمور حياته.

الإسلام يريد الإنسان الصالح المصلح، الكامل في نفسه المكمّل لغيره، الذي يعيش بالحقّ ويعيش للحقّ، ويُجند نفسه للحقّ، الإنسان الذي ذكره الله تعالى في سورة العصر حينما قال: ﴿وَالْعَصْرِ إِنَّ الْإِنْسَنَ لَفِي خُسْرٍ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّابِرِ﴾ [العصر: ١ - ٣].

هذا الإنسان لا يأتي اعتبراً، ولا يأتي جزافاً، وإنما يأتي نتيجة تربية طويلة المدى، عميقـة الجذور، نتيجة توجيهه واعـ راشد مستنير، تتعاون عليه كلّ الجهات المؤثرة: البيت والمدرسة، والجامعة والجامعـ، والإذاعة

والتلفاز والصحافة، والبيئة الثقافية والاجتماعية، كلُّها يجب أن تتعاون في تكوين هذا الإنسان المنشود، ولا يجوز أن تبني جهة وتهدم أخرى. متى يبلغُ البُنيانُ يومًا تَمامًا إِذَا كُنْتَ تَبْنِيهِ وغَيْرُكَ يَهْدِمُ<sup>(١)</sup>؟

تحدّثنا عن التربية الإيمانية، التربية الربانية، التربية الروحية، التي تغرس في النّفس مخافة الله تعالى ومراقبته، وتُنَزَّكُ بالشّعائر والعبادات.

وتحدّثنا عن التربية الْخُلُقِيَّةِ الَّتِي تغرس في النّفس مكارم الأخلاق، تغرس فيها الفضائل، وتنزع منها الرذائل.

### الإسلام يهدف إلى تكوين الجسم القويّ:

وستتحدّث اليوم عن لون آخر من ألوان التربية يدخل ضمن التربية الإسلامية الواسعة؛ التربية الإسلامية ليست مجرد التربية الدينية؛ التربية الدينية نوع من بضعة عشر نوعاً من أنواع التربية.

التربية الجسمية نوع من التربية، تربية الجسم، والإسلام كما يسعى إلى تكوين الروح، إلى تكوين القلب النقى، والإرادة القوية، والخلق المستقيم، يسعى إلى تكوين الجسم القويّ، «المؤمنُ القويُّ خيرٌ وأحبُّ إلى الله تعالى من المؤمنِ الضعيف»<sup>(٢)</sup>.

لا بدّ من جسم قوي قادر على الحركة، قادر على القيام بأعبائه الدينية والدنيوية.

(١) من شعر صالح بن عبد القدس، كما في البيان والتبيين للجاحظ (٢٥٨/٣)، نشر دار الهلال، بيروت، ١٤٢٣هـ.

(٢) رواه مسلم في القدر (٢٦٦٤)، وأحمد (٨٧٩١)، عن أبي هريرة.



الإسلام فرض فروضًا، وألزم بواجبات، بعضها شعائری عبادي، وبعضها اجتماعي، وبعضها اقتصادي.

هذه الأعباء لا يستطيع أن يؤدّيها المريض والضعيف كما ينبغي، وكما ينشد الإسلام؛ إنّها تحتاج إلى جسم قوي.

هل يستطيع الإنسان أن يتحرّك إلى صلاة الفجر إذا كان ضعيف الجسم؟

هل يستطيع الإنسان أن يذهب إلى الحجّ ويطوف ويسعى إلّا إذا كان قادرًا؟

هل يستطيع الإنسان المسلم أن يقوم بأعباء الجهاد ويشارك في الدفاع عن دينه وأمّته وحرماته إذا لم يكن قوي الجسم؟

الجسم القوي إذن وسيلة لا بدّ منها، وقد قال العقلاء قديماً: العقل السليم في الجسم السليم، إنّ الإنسان لا يستطيع أن يفكّر تفكيراً سليماً إذا كان يشكو ويعاني من الأمراض.

### **نواحي التربية الجسمية:**

ولهذا فإنَّ التربية الإسلامية تُعنى بهذا الجسم، تُعنى به من نواحٍ أربع: من النَّاحية الصَّحيَّة أولاً؛ من ناحية النَّظافة والسلامة من الأمراض، ثمَّ من ناحية القوة والمرونة والقدرة على الحركة ثانِياً، ثمَّ من ناحية الخشونة والاحتمال ثالثاً، ثمَّ من ناحية الجمال والزينة رابعاً.

هذه النَّواحي يريد الإسلام أن تتوافر في جسم الإنسان المسلم.

## النَّاحِيَةُ الصَّحِيَّةُ:

ينبغي أن يحرص المسلم على أن يكون صحيح الجسم، وينبغي أن يحرص الأب على أن يكون ابنه صحيح الجسم، وأن تحرص الأم كذلك، وأن تحرص المدرسة كذلك، وأن تحرص الدولة كذلك على صحة أبنائها، وقاية وعلاجًا، والوقاية أولاً، ودرهم وقاية خير من قنطر علاج.

ومن هنا حرص الإسلام على النَّظافة، على الطَّهارة الَّتي هي أَوَّل باب يدرسه المسلم في فقه الإسلام، باب الطَّهارة، النَّظافة من الأحداث والأخبات، ومن هنا كان الغُسل، وكان الوضوء، وكان تطهير الثوب والبدن والمكان شرطًا لصحة الصَّلاة، فلا يقبل الله صلاة بغير طهارة، و«الظُّهُورُ شَطْرُ الإِيمَان»<sup>(١)</sup>.

إذا كانت هناك أديان أخرى تعتبر النَّظافة ممَّا يبعد الإنسان عن الله، فإن الإسلام يعتبر الطَّهارة شطر الإيمان، ويعتبرها شرطًا للعبادة.

كان الرهبان في أوربا في العصور الوسطى يتبعيدون الله بالقدار، كلما تركوا أجسامهم بلا اغتسال ولا استحمام زعموا أنَّهم أقرب إلى الله، وقد قال أحدهم يوماً: رحم الله القديس فلاناً؛ لقد عاش خمسين سنة ولم يقترف إثم غسل الرِّجلين.

وقال أحدهم: وأسفاه؛ لقد كان من قبلنا يعيشون أعمارهم لا ييلُ أطرافه بالماء، ولكننا - للأسف - أصبحنا في زمن يدخل فيه الناس الحمَّامات<sup>(٢)</sup>.

(١) رواه مسلم في الطَّهارة (٢٢٣)، وأحمد (٢٢٩٠٢)، عن أبي مالك الأشعري.

(٢) ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين للعلامة أبي الحسن الندوبي صـ ١٨٧، نشر إدارة إحياء التراث الإسلامي، قطر، ط ٢، ١٩٨٦م.



وإنما دخلوا الحمامات حينما أدخلها المسلمون إلى الأندلس، فشاعت في بعض بلاد أوربا<sup>(١)</sup>.

أين هذا من الإسلام الذي يقول: «غسل يوم الجمعة واجب على كل مُحتلِم»<sup>(٢)</sup>، ويقول: «حق على كل مسلم أن يغتسل في كل سبعة أيام يوماً يغسل فيه رأسه وجسده»<sup>(٣)</sup>؛ للأسباب الطبيعية التي تفرض على الإنسان أن يغتسل من جنابة أو احتلام أو حيض أو غير ذلك، وأسباب الأحداث طبيعية التي تجعله يتوضأ لكل صلاة إذا أحدث، وأسباب الأحداث طبيعية تتكرر كثيراً، ويكتفي أنه كلما نام يجب عليه أن يتوضأ للصلوة.

الإسلام يحرص على النظافة، نظافة البدن كله، ونظافة أجزاء معينة من البدن، نظافة الأسنان؛ كما قال النبي ﷺ: «السواك مطهرة للفم، مرضاة للرب»<sup>(٤)</sup>.

ونظافة الشعر: «من كان له شعر فليُغسل ماء»<sup>(٥)</sup>.

**نظافة الأطراف، نظافة البدن كله.**

(١) ذكر ذلك المقرئ التلمذاني في نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب (٥٤٠/١)، تحقيق د. إحسان عباس، نشر دار صادر، بيروت، وأكثر من هذا ما ذكره الخطيب في تاريخه: أن حمامات بغداد بلغت ستين ألف حمام (٤٣٩/١)، تحقيق د. بشار عواد، نشر دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط١، ١٤٢٢ـ٢٠٠٢م.

(٢) متفق عليه: رواه البخاري (٨٧٩)، ومسلم (٨٤٦)، كلاهما في الجمعة، عن أبي سعيد الخدري.

(٣) متفق عليه: رواه البخاري (٨٩٦، ٨٩٧)، ومسلم (٨٤٩)، كلاهما في الجمعة، عن أبي هريرة.

(٤) رواه أحمد (٢٤٢٠٣)، وقال مخرجوه: صحيح لغيره. والنسائي (٥)، وابن حبان (١٠٦٧)، كلاهما في الطهارة، وصححه الألباني في الصحيحة (٢٥١٧)، عن عائشة.

(٥) رواه أبو داود في الترجل (٤١٦٣)، والطحاوي في مشكل الآثار (٤٣٤/٨)، والطبراني في الأوسط (٨٤٨٥)، وحسن إسناده ابن حجر في فتح الباري (٣٦٨/١٠)، وصححه الألباني في الصحيحة (٥٠٠)، عن أبي هريرة.

ثُمَّ نِظَافَةُ الْبَيْتِ، وَنِظَافَةُ الطَّرِيقِ، «إِنَّ اللَّهَ طَيِّبٌ يُحِبُّ الْطَّيِّبَ»<sup>(١)</sup>، نَظِيفٌ يُحِبُّ النَّظِيفَةَ، كَرِيمٌ يُحِبُّ الْكَرَمَ، جَوَادٌ يُحِبُّ الْجُودَ، فَنَظَفُوا أَفْنِيَتُكُمْ وَلَا تَشَبَّهُوا بِالْيَهُودِ»<sup>(٢)</sup>.

كان اليهود مثلاً للقدارة في تلك الأونة، فقال: لا تتشبهوا بهم، نظفوا أفنية بيوتكم، الساحات والأبهاء، وهذه الأشياء.

وأمر بنظافة الشوارع، «وَتُمِيطُ الْأَذى عَنِ الْطَّرِيقِ صَدَقَةً»<sup>(٣)</sup>.

لا يجوز للإنسان أن يُلقي الأذى في الطريق.

ولعن النَّبِيِّ ﷺ من يبول في الطريق، أو يبول في الماء، أو يبول في الظلّ، هذه الأشياء سُمِّاها النَّبِيُّ ﷺ: الملاعن الثلاث<sup>(٤)</sup>، الَّتِي تجلب لعنة الله ولعنة الناس على من فعلها، وهي - أيضاً - مصادر للأمراض.

جاء الإسلام فتحث على النَّظِيفَةَ، نِظَافَةُ الْبَدْنِ، وَنِظَافَةُ الْبَيْتِ، وَنِظَافَةُ الْطَّرِيقِ؛ ليكون المسلم نظيفاً في ظاهره وباطنه.

هكذا علَّمنَا النَّبِيُّ ﷺ، وهكذا انتشر بين الناس تلك الحكمة الَّتِي لم تُعرف عند أي أمَّةٍ من الأمم الْدِينِيَّةِ، وهي أنَّ «النَّظِيفَةَ مِنَ الإِيمَانِ».

(١) قال ملا علي القاري: «يحب الطيب»: بكسر الطاء أي طيب الحال والقال أو الريح الطيب بمعنى أنه يحب استعماله من عباده ويرضى عنهم بهذا الفعل. انظر: مرقة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح (٢٨٤٦/٧) دار الفكر، بيروت، ط١، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م.

(٢) رواه الترمذى في الأدب (٢٧٩٩)، وقال: هذا حديث غريب، وخالفه بن إلیاس يضعف. والبزار (١١١٤)، وضعفه الألبانى في تخريج الحلال والحرام (١١٣)، عن سعد بن أبي وقاص.

(٣) متفق عليه: رواه البخاري في الجهاد والسيير (٢٩٨٩)، ومسلم في الزَّكَاةِ (١٠٥٩)، عن أبي هريرة.

(٤) رواه أبو داود (٢٦)، وابن ماجه (٣٢٨)، والحاكم (١٦٧/١)، وصحح إسناده، ووافقه الذهبي، والبيهقي (٩٧/١)، جميعهم في الطهارة، وحسنه الألبانى في صحيح أبي داود (٢١)، عن معاذ بن جبل.



## الوقاية خير من العلاج:

النّظافة وقاية، لا ينبغي للإنسان أن يعرض نفسه للمرض بحال من الأحوال، وقد قرر النبي ﷺ سُنَّة الله في العدوى، وقال: «فِرَّ مِنَ الْمَجْدُومِ فَرَارَكَ مِنَ الْأَسْدِ»<sup>(۱)</sup>.

وجاءه مجذوم يباعه، فباعه بالكلام وقال: «إِنَّا قد بَايْعَنَاكَ فَارْجِعْ»<sup>(۲)</sup>.

وقرر الحجر الصحي، العزل في عملية الوباء، فقال: «إِنَّ هَذَا الطَّاعُونَ رِجْزُ سُلْطَةٍ عَلَى مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ - أَوْ: عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ - فَإِذَا كَانَ بِأَرْضٍ فَلَا تَخْرُجُوا مِنْهَا فَرَارًا مِنْهُ، وَإِذَا كَانَ بِأَرْضٍ فَلَا تَدْخُلُوهَا»<sup>(۳)</sup>; لأنَّ من يخرج من أرض الوباء قد يكون حاملاً للعدوى فيسبب ضرراً لآخرين، وفي الإسلام: «لَا ضَرَرَ وَلَا ضَرَارَ»<sup>(۴)</sup>.

(۱) رواه أحمد (۹۷۲۲)، وقال مخرجوه: صحيح. والبخاري تعليقاً (۵۷۰۷) مجزوهما به، والبيهقي في النكاح (۱۳۵/۷)، وصححه الألباني في الصحيح (۷۸۳)، عن أبي هريرة.

(۲) رواه مسلم في السلام (۲۲۳۱)، وأحمد (۱۹۴۶۸)، عن الشريد بن سويد.

(۳) متفق عليه: رواه البخاري في أحاديث الأنبياء (۳۴۷۳)، ومسلم في السلام (۲۲۱۸)، عن سعد بن أبي وقاص.

(۴) رواه أحمد (۲۸۶۵)، وقال مخرجوه: حسن. وابن ماجه في الأحكام (۲۳۸۱)، عن ابن عباس، والدارقطني في البيوع (۷۷/۳)، عن أبي سعيد الخدري، وقال التنووي في الأربعين (الحديث الثاني والثلاثون): حديث حسن، رواه ابن ماجه والدارقطني وغيرهما مسنداً، ورواه مالك في الموطأ مرسلاً عن عمرو بن يحيى عن أبيه عن النبي ﷺ؛ فأسقط أبا سعيد، وله طرق يقوي بعضها بعضاً. وقال ابن الملقن في خلاصة البدر المنير (۴۳۸/۲)؛ وصححه إمامنا (أي: الشافعي) في حرملة. وقال ابن رجب في جامع العلوم والحكم في شرحه للحديث (۲۱۰/۲)؛ وقد استدل الإمام أحمد بهذا الحديث. وقال أبو عمرو بن الصلاح: هذا الحديث أسنده الدارقطني من وجوهه، ومعجمه يقوى الحديث ويحسن، وقد قبله جماهير أهل العلم، واحتجوا به، وقول أبي داود: إِنَّهُ مِنَ الْأَحَادِيثِ الَّتِي يَدُورُ الْفَقَهُ عَلَيْهَا يَشْعُرُ بِكُونِهِ غَيْرُ ضَعِيفٍ، والله أعلم.

## الوقاية من الأمراض

لا ينبغي للإنسان أن يعرض نفسه للمرض، ومن هنا يجب عليه أن يمتنع عن كلّ ما يضرُّ بالجسم، من تناول المسكرات والمخدرات وغيرها من تلك السموم التي يقتل النّاس بها أنفسهم ويشرونها بأموالهم.

تصوّروا أنَّ الإنسان يشتري ضرره بحرّ ماله، يذهب بتناول المسكر، أو يتناول المُخدّر، أو يتناول الدخان والسجائر، هذه الأشياء التي تضرُّ بالإنسان وتدمِّره تدميرًا بطيئًا، ينتحر انتحارًا بطيئًا وهو لا يدري، يشتريها بماله ليحطّم نفسه ويحطّم صحته.

الإسلام طلب الوقاية بتحريم هذه الأشياء، إما بتحريم صريح، أو بإدخالها تحت القواعد العامة: أنَّه يحلُّ الطيبات ويحرّم الخبائث؛ كُلُّ ما فيه خبث أو ضرر فالإسلام يحرّمه.

جاء الإسلام ليوفر للإنسان الصحة في بدنـه بالوقاية، حتّى إنَّ كلَّ شيء إن أكله الإنسان يعلم أنه يضرُّ به ينبغي أنْ يمتنع عنه، ولذلك ينبغي أن يتمثل للتوجيهات الصحيّة والتعليمات الطبيّة، التي تقول: إياك والطعام الفلاني، أو: الأطعمة الفلانية فاسدة.

ينبغي أن يطيع ذلك، وهذه الطاعة واجبة دينًا وشرعًا؛ لأنَّه لا يجوز للإنسان أن يتصرّف تصرّفًا يضرُّ به نفسه، ﴿وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى الْهَنْكَةِ﴾ [البقرة: ١٩٥]، ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا﴾ [النساء: ٢٩].

الجسم وديعة عندك، وأمانة لديك فلا ينبغي ولا يجوز أن تفرّط فيها وأن تضيعها، احرص عليها.



لا يجوز للإنسان أن يسهر سهراً طويلاً يضرُّ بجسمه، إِنَّ النَّبِيَّ ﷺ قال لبعض أصحابه لمن أسرف في الطاعة والعبادة لله؛ في صيام النَّهار وقيام الليل؛ يأمره بالوقوف عند حد الاعتدال: «فِإِنَّ لِجَسْدِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، وَإِنَّ لِعِينَكَ عَلَيْكَ حَقًّا، وَإِنَّ لِزَوْجِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، وَإِنَّ لِزَوْرِكَ عَلَيْكَ حَقًّا»<sup>(۱)</sup>.

أول مرّة يسمع الناس عن دين يقول للإنسان: لا تسرف في العبادة؛ إنَّه يدعو إلى التوازن والوسطية، يدعو إلى الاعتدال في كلِّ شيء، «إِنَّ لِبَدْنِكَ عَلَيْكَ حَقًّا».

أين هذا من الَّذين يسهرون إلى ما قبل الفجر، في أشياء لا معنى لها، إنَّهم يدمرون صحتهم وأنفسهم، وقد يدمرون بعد ذلك أخلاقهم وأسرهم، والبركة في البكور كما قال النبي ﷺ: «اللَّهُمَّ بارك لآمَّتِي في بكورها»<sup>(۲)</sup>.

لو حرص الناس على تعاليم الإسلام لرأينا أمَّةً قوية في كلِّ شيء، رأينا الإنسان الذي ينام مبكراً ويستيقظ مبكراً، ويقوم لعمله بنشاطٍ وقوَّة.

### صَحَّةُ الْأَبْدَانِ مُقْدَّمةٌ عَلَى صَحَّةِ الْأَدِيَانِ:

الإسلام راعى صحة البدن، حتى قال العلماء: إنَّ صحة الأبدان مقدمة على صحة الأديان، أي: إذا كان أداؤك بالعبادة سيضرُّ بك فإنَّ لك رخصة، إذا كان الوضوء أو الغسل بالماء يضرُّ ببدنك لك أن تدعه وتتَّيمِّم، كما فعل عمرو بن العاص رضي الله عنه<sup>(۳)</sup>.

(۱) متفق عليه: رواه البخاري (۱۹۷۵)، ومسلم (۱۱۵۹)، كلاماً في الصيام، عن عبد الله بن عمرو.

(۲) رواه أحمد (۱۵۴۴۳)، وقال محرر جوه: حسن لغيره. وأبو داود في الجهد (۲۶۰۶)، والترمذني في البيوع (۱۲۱۲)، وقال: حسن. وابن ماجه في التجارات (۲۲۳۶)، وصححه الألباني في صحيح أبي داود (۲۳۴۵)، عن صخر الغامدي.

(۳) رواه أحمد (۱۷۸۱۲)، وقال محرر جوه: صحيح. وأبو داود في الطهارة (۳۳۴)، وصححه =

إذا كانت الصلاة وأنت قائم تضرُّك فصلٌ قاعداً، أو صلٌّ مستلقياً على ظهرك، أو مضطجعاً على جنبك، إذا كان الصوم يضرُّك فلك أن تفطر. في هذا محافظة على البدن.

ثم إنك إذا مرضت فعليك أن تعالج، وأن تتداوي، شرع الإسلام لك التداوي، الذي حرّمته بعض الأديان الأخرى، واعتبروا أنَّ المرض بقدر الله فلا ينبغي أن يُرْفض القدر أو يُدفع.

وقد سأله الصحابة النبِي ﷺ: يا رسول الله، أرأيت أدوية نتداوي بها، ورقى نسترقى بها، وتقي نتقيها، هل تردد من قدر الله شيئاً؟ قال: «هي من قدر الله»<sup>(١)</sup>.

انظروا إلى هذا الجواب النبوي، «هي من قدر الله»، أي: كما أنَّ الله قدر المرض قدر الشفاء بهذا الدواء، فهو كما قدر المسببات قدر أسبابها، كما قدر النتائج قدر مقدماتها، فالمرض بقدر الله والدواء بقدر الله، هي من قدر الله.

هكذا علمنا الإسلام أن نتداوي؛ قالت الأعراب: يا رسول الله، ألا نتداوي؟ قال: «نعم، يا عباد الله تداووا؛ فإنَّ الله لم يضع داءً إلَّا وضع له شفاءً - أو قال: دواءً - إلَّا داءً واحداً».

= الألباني في صحيح أبي داود (٣٦١)، عن عمرو بن العاص أنَّه قال: لما بعثه رسول الله ﷺ عام ذات السلاسل، قال: فاحتلمت في ليلة باردة شديدة البرد... الحديث.

(١) رواه أحمد (١٥٤٧٢)، وقال مخرّجوه: إسناده ضعيف على خطأ فيه. والترمذى (٢٠٦٥)، وقال: حسن. وابن ماجه (٣٤٣٧)، كلاماً في الطب، وحسنه الألباني في تحرير مشكلة الفقر (١١)، عن أبي خزامة.



قالوا: يا رسول الله، وما هو؟

قال: «الهرم»<sup>(١)</sup>.

وهذا يعطي كلَّ باحث وكلَّ طبيب أملًا بأنَّه ليس هناك مرضٌ مستعصٍ على العلاج، ولكن علِمه من علِمه، وجهله من جهله، فعلينا أن نبحث عن الأدوية للأمراض التي تبدو مستعصية، لا بدَّ أن لها دواء، وأنَّ لها علاجاً، هذه سُنَّة الله.

### النَّاحيَةُ الرِّياضِيَّةُ:

يجب أن نعمل على صحة البدن، البدن الصحيح النظيف.

ثمَّ من ناحية أخرى، لا بدَّ أن يكون هذا البدن قويًّا على الحركة، مرنًا متحرًّكاً، لا يكفي أن تسلم من الأمراض فقط، ولكن لا بدَّ أن تمرن بدنك، الإسلام يريد الجسم القوي المرن، ومن هنا شرع الصلاة، الصلاة (مشروع حركة)، رياضة مستمرة، مَنْ أَدَّها كما ينبغي يشعر بمرونة في الجسم وحركته.

بعض الناس يقول: لا أستطيع أن أرکع مستوى الظهر، كما هو ثابت من ذلك في الفقه، كان رسول الله ﷺ إذا رکع استوى، فلو صبَّ على ظهره الماء لاستقرَّ<sup>(٢)</sup>.

والقيام من الرکوع والسجود يكون بنشاط، ويسن في الجلوس بين السجدتين الافتخار والتورُّك.

(١) رواه أحمد (١٨٤٥٤)، وقال مخرجوه: إسناده صحيح. وأبو داود (٣٨٥٥)، والترمذى وصححه (٢٠٣٨)، وابن ماجه (٣٤٣٦)، ثلاثتهم في الطب، عن أسامة بن شريك.

(٢) رواه أبو يعلى (٢٤٤٧)، والطبرانى (١٦٧/١٢)، وأبو نعيم في حلية الأولياء (١٠١/٣)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٢٧٣٧): رجاله موثقون. عن ابن عباس.

بعض الناس يقول: لا أستطيع.

ما هكذا شأن المسلم، لو رُبِّي من الصغر على هذه الحركات وعلى أداء السنن كما ينبغي لسهلت عليه.

الإسلام يريد الجسم القوي المتحرك، النبي ﷺ كان من أقوى الناس جسماً، لم يكن مترهلاً، لم يكن عاجزاً، بل كان يسبق أصحابه، كان يعدو، وكان يركب الفرس معروراً<sup>(١)</sup> ليس عليه سرج ولا شيء.

وجاءه رجل قويٌّ مصارع معروف اسمه رُكَانة، قال: يا محمد، أدعوك للمصارعة، فإنْ غلبتني فأنت رسول الله، وإنْ غلبتك فلست رسول الله.

ودخل معه النبي ﷺ في مصارعة، فصرعه النبي ﷺ وغلبه، وكان رُكَانة لا يُغلب من قبل، فشهد أنْ لا إله إلا الله وأنَّ محمداً رسول الله<sup>(٢)</sup>.

وكان الصحابة فيهم الأقوياء والمصارعون والعداؤون، وقد ظهر ذلك في الحروب والغزوات، غزا النبي ﷺ سبعاً وعشرين غزواً في عدة سنوات.

سبعين وعشرون معركة حضرها النبي ﷺ، بعضها سافر إليها سفراً طويلاً؛ مثل: غزوة تبوك، غزوة العُسرة في شدة الحرّ.

هذه كلُّها تحتاج إلى جسم قويٍّ.

لا بدَّ من جسم قويٍّ، ومن هنا ينبغي للمسلم أن يتعلّم بعض التدريبات الرياضية التي تساعده على الحركة والقوّة، ما لا يتمُّ الواجب

(١) اعرورى الرجل الفرس: ركبها عريأاً، لا سرج لها.

(٢) رواه أبو داود (٤٠٧٨)، والترمذى (١٧٨٤)، وقال: غريب، وليس إسناده بالقائم. كلامهما في اللباس، وحسنه الألباني في غایة المرام (٣٧٨)، عن محمد بن رکانة.



إلا به فهو واجب، عصرنا اخترع أشياء لقوّة الجسم ومرونته فلنستفده منها، ينبغي أن نستفيد منها، وأن يتربّى الشباب عليها.

### موقف الإسلام من كرة القدم:

فهم بعض النّاس من حملتي على لعبة الكرة أَنَّني أُكره الرياضة أو ضد الرياضة!

لا، الّذى أنكرته هو أن تصبح الكرة وثناً يعبده النّاس، أمّا الرياضة في حد ذاتها فهذا شيء مطلوب.

وللأسف لعبة الكرة يلعبها فريقان وبقية النّاس مُتَفَرّجون، هذه ليست رياضة للجميع، هي رياضة للفُرْجة، وينقسم النّاس بين مؤيد وعارض، وهذا أمر وراءه ما وراءه.

إنّما أريد من النّاس أن يستغلوا بالرياضة فعلاً، أن يُروضوا أجسامهم وأن يُدربوها، وأن يُدربوا أبناءهم وأن يتاحوا لهم الفرصة ليكونوا أقوياء، والرياضة ليست هدفاً، إنّها وسيلة، ما قيمة الإنسان يدرب جسمه ويُقوّيه ويُروضه ولكنه لا يؤدي مهمّة للمجتمع ولا خدمة للحياة؟

ما قيمة إنسان يتميّز بجمال الأجسام ويفوز في المسابقات بالجوائز ولا يخدم مجتمعه؟

أنا أريد أن يكون هذا الإنسان بقوّته قادرًا على خدمة مجتمعه، وإذا دعا داعي الجهاد لبي، وكان في أوائل الصفوف.

أمّا أن تصبح الرياضة غاية في ذاتها فهذا ليس بشيء، ولا قيمة له في الإسلام.

**القوّة والقدرة على الحركة هي الناحية الثانية في ناحية التربة الجسمية كما يريد لها الإسلام.**

### **الخشونة وتحمل المشقات:**

يريد الإسلام كذلك من ناحية أخرى الخشونة، والقدرة على الاحتمال والصبر، الجسم الذي يتحمل الشظف، يصبر على الجوع، يصبر على العطش، يصبر على ملاقة الصعب، هذا هو الذي يريد له الإسلام.

لا يريد الإسلام الإنسان الطاعم الناعم الكاسي، كما قال الشاعر:

**دعِ المَكَارِمَ لَا ترْحُلْ لِبُغْيَتِهَا      واقعْدْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الطَّاعِمُ الْكَاسِي<sup>(١)</sup>**

لا نريد لهذا الإنسان الطاعم الناعم، إنما نريد الإنسان القادر على التحمل، الذي يألف الخشونة ويتعود لها ولا يضيق بها، فإذا طلب يوماً للجهاد كان عند الظن به، لبى النداء وأجاب الدعاء.

فرض الإسلام الصلوات ليتعود الإنسان القيام مبكراً، وفرض الصوم في عام ليتعود الجوع والعطش، ومن حكمة الإسلام أن صيام الفريضة بالشهر القمري؛ ليصوم حيناً في الصيف، وحياناً في الشتاء، وحياناً في الخريف.

ومثل ذلك الحج، يحجُّ الإنسان ويتحمل المشقة.

الإسلام يريد المسلم الذي يتحمل المشقة، وخصوصاً للرجال، لماذا حرم الإسلام على الرجال التحلّي بالذهب ولبس الحرير؟ لماذا؟

(١) من شعر الحطيئة، في هجاء الزبرقان بن بدر، كما في طبقات فحول الشعراء لابن سلام الجمحي (١١٦/١)، تحقيق محمود محمد شاكر، نشر دار المدنى، جدة، وهو شاهد نحوى معروف، انظر: شرح المفصل لابن يعيش (٤٨٢/٣) نشر دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ٢٠٠١ هـ - ١٤٢٢ م.



لأنه يريد أن يبقى الرجل رجلاً له خشونته وطبيعته الراجولية، وألا يتتشبه بالأنثى، «لعن رسول الله ﷺ المُتَشَبِّهِنَ من الرجال بالنساء، والمُتَشَبِّهاتَ من النساء بالرجال»<sup>(١)</sup>.

لا نريد ذلك الرجل الذي لا تكاد تفرق بينه وبين الأنثى، حتى في لبسه، حتى في زيه.

أراد الإسلام أن يبقى للرجل معنى الخشونة، ومن هنا أمرنا الإسلام أن نعلم أبناءنا الفروسيّة وركوب الخيل؛ فقال ﷺ: «من علم الرّمي ثم تركه، فليس منا» أو «قد عصى»<sup>(٢)</sup>.

وكتب عمر إلى أهل الشام أن علّموا أولادكم السباحة والرمي والفروسيّة<sup>(٣)</sup>.

وقال رضي الله عنه : تَمَعَّدُوا<sup>(٤)</sup> واحْسُنُوا<sup>(٥)</sup> ، واقطعوا الرَّكْب<sup>(٦)</sup> ، وثبُوا على الخيل وَثُبَّا<sup>(٧)</sup> .

ينبغي أن يتعود الجسم احتمال المشقات، وركوب الأهوال؛ فالحياة لا يكفيها الإنسان كما يشهي؛ الإنسان يلاقي في الحياة العسر واليسر،

(١) رواه البخاري في اللباس (٥٨٨٥)، عن ابن عباس.

(٢) رواه مسلم في الإمارة (١٩١٩)، عن عقبة بن عامر.

(٣) رواه أبو يعقوب القراب في فضائل الرمي في سبيل الله (١٥).

(٤) يقال: هو من الغلظ، ومنه قيل للغلام إذا شب وغلظ: قد تمعدد. وقيل في معناها: تشبهوا بعيش معده، وكانوا أهل تقشف وغلظ في المعاش.

(٥) الركب: ما يضع راكب البعير رجله فيه ويعتمد به عليه عند ركوبه، أراد مِنْهُمْ ألا يعتادوا الاعتماد على الركب؛ لأنّه قد يكون الأمر أ更快 من ذلك.

(٦) تفسير القرطبي (٣٦/٤)، تحقيق أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، نشر دار الكتب المصرية، ط ٢، ١٣٨٤ هـ - ١٩٦٤ م.

والرخاء والشدة، والنعماء والبأساء، قد تصيبه أهوال في حياته، فإذا لم يكن جسمه مُتَعَوِّداً أن ينام على الأرض دون فراش وثير، وأن ينام على الخشب، وأن ينام على (البرش)، وأن ينام حيث اتفق، فمثل هذا لا يستطيع أن يتحمل، ولا يستطيع أن يصبر، الإنسان الذي قال فيه الشاعر:

**قطراتُ النَّدَى تَجْرُحُ خَدَّيْهِ هُولَمُسُ الْحَرِيرِ يُدْمِي بَنَانَهُ<sup>(١)</sup>**

هذا الإنسان لا يعرفه الإسلام ولا يريده، ولا يصلح للحياة الإسلامية، ولا للتکاليف الإسلامية.

### التجمُّل والتزيُّن:

ثمَّ هناك عنصر رابع في التربية الجسمانية، هذا العنصر هو: التجمُّل والزينة، ربما يظن الناس أنَّ الإسلام لا يريد الإنسان الذي يكون حسن المظهر حسن الشياب جميل الهنadam طيب الرائحة!

بالعكس؛ الإسلام يدعو بأن يظهر الإنسان أمام الناس مُتَجَمِّلاً مُتَزَيِّناً، ولهذا لما قال النبي ﷺ: «لا يدخلُ الجنةَ من كان في قلبه مثقالُ ذرةٍ من كِبْرٍ». قال رجل: إنَّ الرجل يحبُّ أن يكون ثوبه حسناً ونعله حسنة.

قال: «إِنَّ اللَّهَ جَمِيلٌ يُحِبُّ الْجَمَالَ، الْكِبْرُ بَطَرُ الْحَقِّ وَغَمْطُ النَّاسِ»<sup>(٢)</sup>.

الكِبْرُ: أن تُرُدَّ الحقَّ استخفافاً به، أو تزدرى النَّاسَ وتحتقرهم.

أمَّا أنْ تتجمل فإنَّ الله جميلٌ يحبُّ الجمال، ولهذا جاء في القرآن: ﴿يَبْنِي إِادَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾ [الأعراف: ٣١].

(١) من شعر شهاب الدين الإعزازي، كما في نفح الأزهار في منتخبات الأشعار لشاكر بن مغامس البتلوني صـ٩، تحقيق إبراهيم الياجي، نشر المطبعة الأدبية، بيروت، ط٣، ١٨٨٦م.

(٢) رواه مسلم في الإيمان (٩١)، وأحمد (٣٧٨٩)، عن ابن مسعود.



وكان الحسن رضي الله عنه إذا ذهب إلى المسجد تجمّل وتزيّن، فقيل له:  
ما هذا الذي تفعله؟

فقال: أتزين لربِّي؛ أمّا قرأتُم قوله تعالى: ﴿يَنبِيِّ إِدَمْ حُذُوا زِينَتُكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾؟

هذه هي التربية **الجِسمَيَّةُ** التي يريدها الإسلام، يريد الإسلام أناسًا في أجسامهم أقوياء أصحاء سالمين.

هذا هو الذي ينشده الإسلام، وما تسعى إليه التربية الإسلامية،  
وما ينبغي أن نحرض عليه في تربية أبنائنا وبناتنا منذ نعومة الأظفار.

ينبغي للمسلمين أن يحرصوا على هذه النواحي، لو حرصوا عليها ما رأينا أنفسنا - للأسف - في مؤخرة بلاد العالم، حيث النظافة والصحة والقوّة.

ما رأينا أنفسنا في هذا الدرك؛ لأنّنا لم نفهم الإسلام.

أكثر البلاد تعرضاً للأمراض هي بلادنا؛ نتيجة هذا التخلف الذي ربما حسبه بعض الناس من الإسلام، وربما ظنوا أن هذا من طبيعة الإسلام، وأن أبناء العالم الثالث معظمهم مسلمون، أن ما هم فيه هو من طبيعة دينهم، ودينهم براء مما هم فيه، دينهم يدعوهם إلى التقدّم في كل شيء، ومن ذلك التقدّم في الناحية **الصَّحِّيَّةُ والجِسمَيَّةُ**.

\* \* \*



## التربية العقلية للإنسان المسلم

### الخطبة الأولى

أمّا بعد، فيا أيها الإخوة المسلمين:

#### مُقَوّماتُ الْمُسْلِمِ الصَّالِحِ:

حدينا اليوم عن التربية الإسلامية، التربية التي يريد لها الإسلام للإنسان المسلم، بحيث تتكامل جوانب شخصيته، فيكون إنساناً صالحاً لنفسه، مصلحاً لغيره، مهتماً إلى الحقّ، محاولاً أن يهدي غيره إليه، كاملاً في نفسه، أو ناشداً للكمال، مجتهداً أن يكمل غيره كذلك.

هذا الإنسان المنشود لا بدّ أن تكون له مقومات الإنسان المسلم الصالح، من الناحية الربانية الإيمانية - أو ما نسميه: التربية الدينية، من الناحية الأخلاقية، وقد بعث النبي ﷺ ليتّمّ مكارم الأخلاق<sup>(١)</sup>، وإنما الأمم الأخلاق، وإنما تقوم المجتمعات بالأخلاق والفضائل، والتربية

(١) إشارة إلى حديث: «إِنَّمَا بُعِثْتُ لِأَتَمِّمَ مَكَارِمَ الْأَخْلَاقِ». رواه أحمد (٨٩٥٢)، وقال محرّجوه: صحيح. والبخاري في الأدب المفرد (٢٧٣)، والحاكم في تاريخ المتقدين (٦١٣/٢)، وقال على شرط مسلم. ووافقه الذهبي، وصحّحه الألباني في السلسلة الصحيحة (٤٥)، عن أبي هريرة.



الجِسْمَيَّةُ، تربية الإنسان القوي، السليم البدن، الخالي من الأمراض، قادر على الحركة، الذي يستطيع أن يقوم بأعبائه الدينية والدنيوية، الفردية والأسرية والاجتماعية، بجسم قوي خشن، قادر على التحمل، و«المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف»<sup>(١)</sup>.

والى يوم نتحدث عن جانب مُهمٍ من جوانب التربية الإسلامية، هو الجانب العقلي، التربية العقلية للإنسان المسلم.

الإسلام يريد إنساناً عاقلاً مفكراً، لا يريده آلة صماء، ولا بهيمة عجماء، تُقاد فتقاد، يُسحب من أذنيه، لا يدرى إلى أين يسير.

ليس هذا هو الإنسان الذي يريد الإسلام، الإسلام يريد إنساناً يُفكّر برأسه، لا يُفكّر برأس غيره، يريد إنساناً عاقلاً.

الإنسان إنما تميّز عن الحيوانات العجماء بهذه اللطيفة الربانية، به يخاطب، وبه يُثاب ويُعاقب، وعلى أساسه يكُلّف؛ فالعقل الذي هو أساس التكليف، وعلى أساسه قامت سوق الجنة والنار، الإسلام يريد هذا الإنسان العاقل المفكّر.

إذا كانت هناك أديان تضيق بالعقل، ولا ترحب بالفكرة، وتبني الإيمان على التسليم الأعمى، الذي لا يرى للعقل مجالاً، ولا للفكر متسعًا، شعارهم: اعتقد وأنت أعمى. أغمض عينيك ثم اتبعوني.

هكذا يقول الكاهن أو القسيس لأتباعه: أغمض عينيك ثم اتبعوني، لا تسأل ولا تناقش، الجهة ألم التقوى، آمن ثم اعلم بعد ذلك.

هذه هي شعاراتهم، وهذه منطلقاتهم، الإسلام يرفض ذلك تماماً.

(١) رواه مسلم في القدر (٢٦٦٤)، عن أبي هريرة.

## مقوّمات العقيدة الإسلامية:

الإسلام يقيم العقائد على أساس من البصيرة: ﴿ قُلْ هَذِهِ سَيِّلِي أَدْعُوكُمْ إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي ﴾ [يوسف: ١٠٨].

يريد أن يكون الإيمان على بيته: ﴿ أَفَمَنْ كَانَ عَلَى بَيْنَةٍ مِّنْ رَّبِّهِ ﴾ [هود: ١٧]، على نور: ﴿ أَفَمَنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِإِلَاسْلَمٍ فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِّنْ رَّبِّهِ ﴾ [آل الرّمز: ٢٢]، على يقينٍ.

لا يريد أن يتسلّم المسلم الإسلام ميراثاً من والديه، ومن بيته الجغرافية، فإذا قيل له: لماذا أنت مسلم؟

قال: لأنّي وجدت أبي وأمي مسلمين؛ لأنّي ولدت في أرض إسلامية.

لا، هذا هو إيمان المقلّد، الذي رفضه المحققون من علمائنا<sup>(١)</sup>، ولو كان التقليد كافياً لكتفى أولئك المشركين واليهود والنصارى، الذين قالوا: ﴿ إِنَّا وَجَدْنَا إِبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ إِثْرِهِمْ مُّقْتَدُونَ ﴾ [آل الزّخرف: ٢٣]، ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ أَتَيْعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَفْيَانَا عَلَيْهِ إِبَاءَنَا أَوْلَوْ كَانَ إِبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئاً وَلَا يَهْتَدُونَ ﴾ [آل البقرة: ١٧٠].

يريد الإسلام للMuslim أن يبني إيمانه على البرهان والحجّة، ولهذا خاطب الله أصحاب الأديان والعقائد من قبل بهذه العبارة القوية: ﴿ قُلْ هَاتُوا بُرْهَنَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ [آل البقرة: ١١١]، هاتوا ببرهانكم على ما تعتقدون، على ما تقولون، أ عندكم برهان؟

(١) قال الإمام ابن الجوزي: «إن المقلّد على غير ثقة فيما قلد فيه، وفي التقليد إبطال منفعة العقل، وقبح من أعطي شمعةً أن يُطْفِئها ويمشي في الظلمة! انظر: تلبيس إبليس صـ٧٤، نشر دار الفكر، بيروت، ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م».



﴿لَوْلَا يَأْتُونَ عَلَيْهِمْ سُلْطَنٌ بَيْنِ﴾، كما قال فتیة أهل الكھف: ﴿هَتَوْلَاءٌ قَوْمًا أَخْذَوْا مِنْ دُونِهِ إِلَهًا لَوْلَا يَأْتُونَ عَلَيْهِمْ سُلْطَنٌ بَيْنِ﴾ [الکھف: ١٥]، ببرھان واضح.

### إیمان المُقلّد لا یُقبل:

التقلید ليس حجۃ، ولھذا رفض الإسلام التقلید، وحمل القرآن حملته القویۃ على أولئک المُقلّدین، الّذین یفکرُون بعقول غیرهم، والذین سلموا زمام أمرھم للاباء حيناً، وللسادة الكبراء أحیاناً، فقالوا: «رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبُرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلَ» [الأحزاب: ٦٧]، ويوم القيامة يأتي هؤلاء المتبوعون والأتباع، السادة الرؤوس والأذناب، يتبرأ بعضھم من بعض، ويحاول كلّ منهم أن یلقى الوزر على الآخر، ولكن الله تعالى یحملھم جمیعاً الأوزار، كلّ على قدر مسؤولیته، «قَالَ لِكُلِّ ضَعْفٍ وَلَكِنْ لَا يَعْلَمُونَ» [الأعراف: ٣٨]، «إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ أَتَيْعُوا مِنَ الَّذِينَ أَتَبَعُوا وَرَأَوْا الْعَذَابَ وَتَقْطَعَتْ بِهِمْ الْأَسْبَابُ» \* وَقَالَ الَّذِينَ أَتَبَعُوا لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأُ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّءُوا مِنْنَا كَذَلِكَ يُرِيهِمُ اللَّهُ أَعْمَلَهُمْ حَسَرَاتٍ عَلَيْهِمْ وَمَا هُمْ بِخَرِيجِينَ مِنَ النَّارِ» [البقرة: ١٦٧].

لا بد للمسلم أن یبني عقائده على الحجۃ، على البرھان القويّ، ولو كان هذا البرھان إجمالیاً، ولو لم یستطع أن یعبر عنه تعبیراً منطقیاً مرتبّاً، ولكن إذا سُئل: لماذا آمنت بالله؟

يقول: كيف لا أؤمن بالله؟! من الّذی خلق هذا الكون؟ ومن الّذی خلقني؟ ومن الّذی نظم هذا الكون کله؟

هذا معناه أنه یستدل بالصنعة على الصانع، بالأثر على المؤثر، بالكون على المكوّن، إنّه یستدل بقانون فلسفی معروف هو: «قانون العلیّة، أو السبیّبة»، أنّ لکلّ معلولٍ علة، ولکلّ مُسبّب سبباً.

وهذا ما عَبَرَ عنه الأَعْرَابِيُّ قَدِيمًا حِينَما قَالَ: الْبَعْرَةُ تَدْلُّ عَلَى الْبَعْيرِ، وَأَثْرُ السَّيْرِ يَدْلُّ عَلَى الْمَسِيرِ، فَسَمَاءُ ذَاتِ أَبْرَاجِ، وَأَرْضُ ذَاتِ فَجَاجِ، وَبَحَارُ ذَاتِ أَمْوَاجِ، أَفَلَا يَدْلُّ ذَلِكَ عَلَى الْعَلِيِّ الْقَدِيرِ؟<sup>(١)</sup>؟

إِذَا سُئِلَ: لِمَاذَا آمَنْتَ بِالإِسْلَامِ؟ لِمَاذَا آمَنْتَ بِمُحَمَّدٍ ﷺ؟

يَقُولُ: كَيْفَ لَا أُوْمِنُ بِهِ، وَقَدْ جَاءَنَا بِهِذَا الْقُرْآنَ الَّذِي أَعْجَزَ الْعَرَبَ أَنْ يَأْتُوا بِمَثْلِهِ؟! كَيْفَ لَا أُوْمِنُ بِهِ، وَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ عَلَى أَعْدَائِهِ وَكَانَ أَقْلَى عَدَدًا وَأَضَعَفَ عَدَدًا؟! كَيْفَ لَا أُوْمِنُ بِهِ؟!

هَذِهِ هِيَ الْأَدَلَّةُ الْإِجمَالِيَّةُ، إِنَّهُ مُؤْقِنٌ فِي نَفْسِهِ بِأَنَّ هَنَاكَ أَمْوَارًا وَأَسْبَابًا تَجْعَلُهُ يُؤْمِنُ بِأَنَّ هَذَا الْقُرْآنَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولَ اللَّهِ، وَلَا يَسِّرُ أَنَّ أَبَاهُ مُسْلِمٌ، أَوْ جَدُّهُ مُسْلِمٌ.

لَا، إِلَّا سُلْطَانٌ يُرْحِبُ بِهِذَا التَّفْكِيرِ الْعُقْلَىِ.

### التربية على السؤال والمحاورة:

لِهَذَا نَرِيدُ مِنَ الْمُسْلِمِ أَنْ يَتَرَبَّى عَلَى هَذَا الْأَسَاسِ مِنْ صَغْرِهِ، مِنْ نِعْوَمَةِ أَظْفَارِهِ، فَلْنُرْبِّهِ عَلَى أَنْ يَسْأَلَ، وَيَنْاقِشَ، وَيَحَاوِرَ.

بعض الآباء لا يقبلون من أبنائهم أن يسألوهم سؤالاً، يكمّمون أفواههم، ويُخْرِسُونَ أَسْتِهْمَ، فلا يستطيع الولد الصغير أن يسأل أباً، وترى أن الأطفال يُكثرون الأسئلة، ويحبّون أن يعرفوا؛ فالإنسان طّلعة بطبيعته، حبُّ المعرفة وحبُّ الاستطلاع دافع فطريٌّ أصيل في الإنسان، الإنسان يحبُّ أن يعرف، والطفل يسأل، فلا بدّ أن تجبيه، بل

(١) ذكره الإيجي في المواقف في علم الكلام (١٥١/١)، تحقيق د. عبد الرحمن عميرة، نشر دار الجيل، بيروت، ط١، ١٩٩٧ م.



شَجَّعَهُ عَلَى أَنْ يَسْأَلُ، وَحَاوَلَ أَنْ تَقْنِعَهُ، وَأَنْ تَخَاطِبَهُ عَلَى قَدْرِ عَقْلِهِ،  
بَسِّطَ لَهُ الْمَسَائِلَ، وَلَا تَكْذِبَ عَلَيْهِ، وَلَا تُضَلِّلَهُ، وَلَا تُجْبِهِ إِجَابَةً غَيْرَ  
صَحِيحَةَ، فَسِيَكْتَشِفُ ذَلِكَ مِنْ بَعْدِ، وَيَعْرُفُ أَنَّكَ كُنْتَ تَكْذِبُ عَلَيْهِ،  
وَتَسْقُطُ مِنْ عَيْنِهِ، وَلَا يُثْقِّبُكَ بَعْدَ ذَلِكَ، حَاوَلَ أَنْ تَشْجِعَ طَفْلَكَ عَلَى  
أَنْ يَسْأَلَ وَيَحَاوِرُ.

وَكَذَلِكَ الْأَسْتَاذُ فِي مَدْرَسَتِهِ، الْمُعَلِّمُ يَنْبَغِي أَنْ يُرَحِّبَ بِأَسْئَلَةِ تَلَامِيذهِ،  
وَلَا يَضِيقَ بِهِمْ.

بعض الْمُعَلِّمِينَ لَا يَحْبُّ لِأَحَدٍ أَنْ يَسْأَلُ، وَيُخْرِسُ تَلَامِيذهِ، وَيَعْتَبِرُ  
الْطَّالِبُ الَّذِي يَسْأَلُ قَلِيلًاً الْأَدْبَرَ، أَوْ خَارِجًاً عَنِ النَّظَامِ.

وَهَذِهِ لَيْسَتْ بِتَرْبِيَةٍ.

التَّرْبِيَةُ أَنْ تُشَجِّعَهُ عَلَى أَنْ يَتَحَدَّى، عَلَى أَنْ يُفْضِيَ إِلَيْكَ بِمَا فِي  
نَفْسِهِ، عَلَى أَنْ يَسْأَلَ وَيَحَاوِرُ.

هَذِهِ هِيَ التَّرْبِيَةُ الصَّحِيحَةُ.

مُجَرَّدُ التَّلْقِينِ الَّذِي انتَشَرَ فِي مَدَارِسَنَا التَّعْلِيمِيَّةِ، وَفِي أَنْظَمَتِنَا  
التَّعْلِيمِيَّةِ كُلُّهَا أَنَّ الْوَلَدَ يَصُمُّ الْكِتَابَ صَمًّا، وَيَحْفَظُ الْمَقْرَرَ حَفْظًا، دُونَ  
أَنْ يَفْهَمَ فِيهِ شَيْئًا.

هَذِهِ التَّرْبِيَةُ - إِذَا جَازَ أَنْ نُسَمِّيَهَا تَرْبِيَةً - لَا تُخْرِجُ إِنْسَانًا يُفَكِّرُ، تُخْرِجُ  
آلاتَ صَمَّاءً، نَرِيدُ الْمُتَعَلِّمَ الَّذِي يَسْتَطِعُ أَنْ يُفَكِّرَ.

الْعَالَمُ فِي الْمَسْجَدِ يَنْبَغِي أَنْ يَفْتَحَ صَدْرَهُ لِمَنْ يَسْأَلُهُ فِيمَا شَاءَ مِنْ  
أَسْئَلَةٍ، وَلَا يَضِيقَ بِهَا.

## النَّبِيُّ يُرَبِّي أَصْحَابَهُ عَلَى الْمُحَاوِرَةِ وَالسُّؤَالِ:

وقد سأله الصحابة النَّبِيُّ ﷺ، وسجل القرآن ذلك: «يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهْلَةِ» [البقرة: ١٨٩]، «يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنِفِقُونَ» [البقرة: ٢١٥]، «يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ» [البقرة: ٢١٧]، «يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ» [البقرة: ٢١٩]، «وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَىٰ» [البقرة: ٢٢٠]، «وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ» [البقرة: ٢٢٢]. إلى آخر هذه الأسئلة.

بل سأله عن الله ﷺ: أقرب ربنا فنناجيه، أم بعيد فنناديه؟

وفي ذلك نزل قول الله تعالى: «وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ» [البقرة: ١٨٦]<sup>(١)</sup>.

وأحياناً يبيّنون للنبي ﷺ أنَّ ما اجتهد فيه ليس هو الصواب؛ نعرف في غزوة بدر أنَّ الحباب بن المنذر قال للنبي ﷺ: يا رسول الله، هذا المنزل الذي نزلته بوحىٍ أو حاه الله إليك، أم هو الرأي وال Herb والمكيدة؟ إنْ كان وحىً، فليس لنا أن نتقدّم عنه ولا أن نتأخر.

قال: «بل هو الرأي وال Herb والمكيدة».

قال: فليس هذا بمنزلٍ يا رسول الله، امض بالناس حتّى نأتي أدنى ماء من القوم، فنعسكر فيه، ثم نغور ما وراءه من الآبار، ثم نبني عليه حوضاً فنمليه ماء، ثم نقاتل القوم، فنشرب ولا يشربون.

(١) رواه الطبرى في تفسيره (٤٨٠/٣)، تحقيق محمود وأحمد شاكر، نشر دار التربية والترااث، مكة المكرمة.

فقال النبی ﷺ: «الرأی ما أشار به الحبّاب، لقد أشرت بالرأی»، ثم أمر بإنفاذہ<sup>(۱)</sup>.

ولما بعث أبا هريرة بنعليه، باعتبارهما علامة، يُبَشِّر النّاس أن «من قال: لا إله إلّا الله دخل الجنة». وقابلہ عمر في الطريق ووجده ينادي في النّاس: «من قال: لا إله إلّا الله دخل الجنة»، فأمسك به وجاء إلى النبی ﷺ وقال: أنت بعثت بهذا أبا هريرة، يا رسول الله؟

قال: «نعم».

قال: فلا تفعل؛ فإني أخشى أن يتتكل النّاس عليها، فخلّهم يعملون.

قال رسول الله ﷺ: «خلّهم»<sup>(۲)</sup>.

وهذا يعني أن النبی ﷺ نزل على رأي عمر أن هذه البشارة ربّما تُثبّط بعض النّاس، ويفهمونها خطأً: أنه يكفيه من الإسلام أن يقول: لا إله إلّا الله، وإن ضيّع الفرائض واقترف الموبقات، فقال: اسكت عن هذا - يا أبا هريرة - وخلّ النّاس يعملون.

هكذا نزل النبی ﷺ عن رأيه إلى رأي عمر، لم ير في ذلك حرجاً.

بعض النّاس لا يقبلون أن يناقشهم أحد، ولا أن يعترض عليهم أحد، مع أنَّ الهدى قال لسليمان: ﴿أَحَاطْتُ بِمَا لَمْ تُحْطِ بِهِ، وَجِئْتُكَ مِنْ سَيِّئِمْ بَنِيَّ يَقِينِ﴾ [التّمل: ۲۲]، عرفتُ من الأخبار ما لم تعرفه.

ينبغي أن نشجّع أبناءنا وتلاميذنا على السؤال، وعلى الحوار.

(۱) سیرة ابن هشام (٦٢٠/١)، تحقیق مصطفی السقا وآخرين، نشر مصطفی البابی الحلی بمصر، ط ٢، ١٣٧٥ھ - ١٩٥٥م.

(۲) رواه مسلم في الإيمان (٣١).

## الأنبياء يحاورون ربهم:

لقد وجدنا من الأنبياء الكرام من يسأل ربه ويحاوره ويراجعه، الخليل إبراهيم أبو الأنبياء عليه السلام يقول: «رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحِي الْمَوْتَى قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِنْ قَالَ بَلَى وَلَكِنْ لَيَطْمِئِنَ قَلْبِي قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَ إِلَيْكَ ثُمَّ أَجْعَلْ عَلَى كُلِّ جَبَلٍ مِنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَ يَا تَبَّانَكَ سَعِيًّا وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ» [البقرة: ٢٦٠]. أريد أن أرى كيف تحيي الموتى، رؤية معاينة، فقال له الله: «أَوَلَمْ تُؤْمِنْ قَالَ بَلَى وَلَكِنْ لَيَطْمِئِنَ قَلْبِي». أريد أن أزداد اطمئناناً، أن أنتقل من علم اليقين إلى عين اليقين وحق اليقين، «قَالَ بَلَى وَلَكِنْ لَيَطْمِئِنَ قَلْبِي».

لم ير في ذلك حرجاً، وأقرَّه الله، وأحيا له الموتى أمامه، «قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَ إِلَيْكَ ثُمَّ أَجْعَلْ عَلَى كُلِّ جَبَلٍ مِنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَ يَا تَبَّانَكَ سَعِيًّا».

وموسى عليه السلام يقول: «رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَنْ تَرَنِي وَلَكِنْ أُنْظِرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنَّ أَسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَنِي فَلَمَّا تَجَلَّ رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكَّاً وَحَرَّ مُوسَى صَعِيقًا فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ» [الأعراف: ١٤٣].

والنبي عليه السلام راجع ربَّه ليلة الإسراء، حينما فرض عليه الصلاة خمسين، فظلَّ يراجعته ويراجعه، حتى جعلها الله تخفيفاً على هذه الأمة في العمل خمساً وفي الأجر خمسين<sup>(١)</sup>.

## سلْ عَمَّا يشغِلْ تفكيرك:

بعض الصحابة قال للنبي عليه السلام: يا رسول الله، إنَّا نجد في أنفسنا ما يتعاظم أحدهما أن يتكلَّم به - أي: بعض الأحيان تعترفهم وساوس

(١) متَّفق عليه: رواه البخاري في الصلاة (٣٤٩)، ومسلم في الإيمان (١٦٣)، عن أبي ذر.



وهواجس تتعلق بالألوهية - فلأن نحترق حتى نصير حمما - أى: فحمًا أسود - أهون من أن نتكلّم به. لا نستطيع أن نعبر عن هذا، يخجلون من الكلام في هذا الأمر.

ربّما لو قيل ذلك لأحد مشايخ الدين في عصرنا لقال: له كفرت، أيها الكافر الجاحد تشکُّ في الله!

ولكن النّبی ﷺ قال لهم: «وقد وجدتموه؟».

قالوا: نعم.

قال: «ذاك صریح الإیمان»<sup>(۱)</sup>.

إنكم لم تأخذوا الأمر تقليداً أعمى، وإنما تفكرون، وما دمتم غير مستريحين إلى هذه الوساوس، فمعنى ذلك أنَّ اليقين هو الأصل، وأنَّ الإیمان ثابت، وأنَّ هذه عوارض طارئة لا تلبث أن تزول. «ذاك صریح الإیمان»، هكذا علِّمهم النّبی ﷺ.

نحن في حاجة إلى أن نرّبّي أبناءنا وتلاميذنا وشبابنا ورجالنا تربية عقلية سليمة، إنَّما نجح المستبدُون والطغاة في قيادة شعوبنا كالبهائم العجماء وراءها؛ لأنَّا - للأسف - منذ الصغر لم نرّبّهم تربية مستقلة، ربيناهم على أن يكونوا إمَّعات، ذيولاً، يقول أحدهم: أنا مع النّاس، إن أحسنوا أحسنتُ، وإن أسوأوا أساءتُ.

وليس هذا شأن الإنسان المؤمن، الإنسان المؤمن ليس إمَّعة، «لا تكونوا إمَّعة، تقولون: إنَّ أحسن النّاس أحسنَا، وإن ظلموا ظلمنا، ولكن وطنوا أنفسكم، إنَّ أحسن النّاسُ أَنْ تُحسنوا، وإن أسوأوا فلا ظلموا»<sup>(۲)</sup>.

(۱) رواه مسلم في الإیمان (۱۳۲)، وأحمد (۹۶۹۴)، عن أبي هريرة.

(۲) رواه الترمذی في البر والصلة (۲۰۰۷)، وقال: هذا حديث حسن غريب. والبزار (۲۸۰۲)، عن حذيفة.

## خصائص العقلية العلمية:

إنَّ من أعظم ما جاء به القرآن الكريم هو: إنشاء العقلية العلمية، العقلية الوعية في مقابل العقلية العاميَّة، الخرافية الَّتي تصدق بكلِّ شيء، وتقبل كلَّ دعوى.

لا، الإسلام يُكَوِّن العقلية العلمية، ولهذه العقلية خصائص:

### أولاً: لا تقبل دعوى بغير دليل:

لا تقبل شيئاً بغير دليل، في الأمور العقلية لا بدَّ من برهان عقلي، **﴿قُلْ هَاتُوا بُرْهَنَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾** [البقرة: ١١١].

وفي الأمور الحسيَّة لا بدَّ من مشاهدة أو تجربة، **﴿وَجَعَلُوا الْمَلَئِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَدُ الرَّحْمَنِ إِنَّا أَشَهِدُهُمْ خَلْقَهُمْ﴾** [الزخرف: ١٩]، **﴿مَا أَشَدَّ تُهْمَ حَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَا خَلَقَ أَنْفُسِهِمْ﴾** [الكهف: ٥١].

وفي الأمور النَّقْلية لا بدَّ من صحة النَّقل وتوثيقه، **﴿أَئْتُونِي بِكِتَابٍ مِّنْ قَبْلِ هَذَا أَوْ أَثْرَةً مِّنْ عِلْمٍ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾** [الأحقاف: ٤]، الاحتكام إلى العلم في كلِّ الأمور، **﴿نَبَّعُونِي بِعِلْمٍ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾** [الأنعام: ١٤٣]، **﴿قُلْ هَلْ عِنْدَكُمْ مِّنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا﴾** [الأنعام: ١٤٨].

### ثانياً: رفض الظنَّ في موضع اليقين:

من ناحية ثانية: يرفض القرآن الظنَّ في موضع اليقين، حينما نريد أن نؤسِّس العقائد، وأن نبني الحقائق، لا بدَّ أن نبنيها على اليقين الَّذي لا يعترى به شُكٌّ بحال، ولهذا عاب القرآن على المشركين اتّباعهم للظنون

في موضع اليقين فقال: ﴿وَمَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنُّ وَإِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا﴾ [النَّجْم: ٢٨]، وقال عن النَّصارَى في اعتقادهم صلب المسيح: ﴿مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعُ الظَّنِّ وَمَا قَاتَلُوهُ يَقِينًا﴾ [النَّسَاء: ١٥٧]، الظنوں مرفوضة في موضع اليقين.

### ثالثاً: تحكيم الحقائق لا الأهواء:

ثم بعد ذلك: الأهواء مرفوضة، لا يجوز أن تتبع العواطف والاعتبارات الشخصية وأهواء النُّفوس في الأمور الموضوعية، أن يكون الإنسان موضوعياً يحكم الحقائق الموضوعية وحدها، ومن هنا حذر القرآن من اتّباع الأهواء، أهواء النفس أو أهواء الغير، قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَانَهُ بِغَيْرِ هُدَىٰ مِنْ كَلْبَ اللَّهِ﴾ [القصص: ٥٠]، ﴿يَدَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُمْ بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعْ الْهَوَى فَيُضِلُّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [ص: ٢٦]، ويقول عن المشركين: ﴿إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنْفُسُ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنْ رَبِّهِمْ هُدَىٰ﴾ [النَّجْم: ٢٣].

### رابعاً: التحرر من التأثير بالعقل الجمعي:

حمل الإسلام على الجمود والتقليد للأباء والكبارء كما قلنا، ثم بعد ذلك دعا الإسلام الإنسان المسلم إلى أن يفكّر في الحقائق الكبرى، يفكّر بعيداً عن تأثير العقل الجماعي، وحده، أو مع صاحب له، يقول القرآن الكريم: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَعِظُكُمْ بِوَحْدَةٍ أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ مَثْنَىٰ وَفُرَادَىٰ ثُمَّ تَفَكَّرُوْا﴾ [سبأ: ٤٦]، مثنى وفرادي، أنت مع صديق لك، أو أنت وحدك، بعيداً عن تأثير الجماهير من حولك؛ فإن التفكير الجماعي هذا أحياناً لا يصل إلى الصواب، تحكمه الأهواء والعواطف واعتبارات

كثيرة. ﴿أَن تَقُومُوا لِلّهِ﴾، أي: مخلصين في طلب الحقيقة، ﴿مَشْنَعَ وَفِرَادَى ثُمَّ نَفَّكَرُوا﴾، هذا ما دعا إليه القرآن المشركين وغيرهم، ﴿أَعِظُّكُم بِوَاحِدَةٍ﴾.

ولهذا قال العقاد: التفكير فريضة إسلامية؛ لأنَّ الَّذِي أَمْرَ بالصَّلاة والزَّكَاة هُوَ الَّذِي أَمْرَنَا أَن نَفَّكَرَ وَنَتَدَبَّرَ وَنَتَأْمَلَ.

### مجالات التفكُّر المطلوب:

ومجال التفكُّر والنظر والتدبُّر واسع، هناك التفكُّر والتأمُّل في النَّفْس، ﴿وَفِي أَنفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ [الذاريات: ٢١]، انظر في نفسك، كيف كنت جنيناً، حتَّى صرتَ بشراً عاقلاً، انظر إلى هذا الشيء الصغير وهو الحيوان المنوي، الَّذِي اخْتَلَطَ بِبُوَيْضَة، فأصبحت كائناً حيَاً يتکاثر، إلى أن صرتَ هذا الإنسان الَّذِي يمشي على الأرض، ويتطاول كأنه يدُكُّ الأرض، أو يبلغ الجبال طولاً.

تأمَّل في نفسك، وتأمَّل في العالم من حولك، في أرضه وسمائه، ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَآخِلَافِ الْلَّيلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولَئِكَ الْأَلَّابِ﴾، الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيمَةً وَقُوَّدًا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَنِطِلًا سُبْحَنَكَ فَقِنَا عَدَابَ النَّارِ﴾ [آل عمران: ١٩٠، ١٩١]، هذا العالم الواسع، من الذرة إلى المجرة هو مجال نظرك، ومسرح تفكيرك إن كنت من أولي الألباب، أي: من أصحاب العقول.

لم يوجد كتابٌ دينيٌّ يُنَوِّه بأولي الألباب، وأولي النُّهى، أي: أصحاب العقول، إِلَّا القرآن الكريم، جاء يخاطب النَّاسَ، وَيُذَكِّرُهُمْ بِهَذِهِ الْمَعْانِي؛ فهو آياتٌ لقومٍ يعقلون، ولقومٍ يتفكرون، ولقومٍ يعلمون.

## الكون مسرح لتفكيرك.

التاريخ كله، وسنتن الله في قيام الأمم وسقوطها مسرح لتفكيرك ونظرك، ﴿قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ سُنَّةٌ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٧]، ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ أَعْذَانٍ﴾ يسمعون بها فإنها لا تعمي الأبصار ولكن تعمي القلوب التي في الصدور﴾ [الحج: ٤٦].

القرآن مسرح لتفكيرك، ﴿رَكِبْتُ أَنْزَلَنِهِ إِلَيْكَ مُبَرِّكٌ لِيَدَبَّرُوا مَا يَنْتَهِ﴾ وليستذكر أولئك الذين ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْءَانَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوْجَدُوا فِيهِ أَخْيَلَفًا كَثِيرًا﴾ [النساء: ٨٢]، ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾ [محمد: ٢٤].

الشريعة الإسلامية بأحكامها وقواعدها مسرح لتفكيرك؛ فإن الله سبحانه وتعالى ما شرع شيئاً إلا لحكمة، وإنما لمصلحة، ولهذا علل القرآن الأحكام في آيات كثيرة، وعلل النبي ﷺ الأوامر والنواهي في أحاديث شتى، قال ابن القييم: «والقرآن وسنته رسول الله مملوءان من تعليم الأحكام بالحكم والمصالح وتعليق الخلق بهما، والتنبيه على وجوه الحكم التي لأجلها شرع تلك الأحكام، ولأجلها خلق تلك الأعيان، ولو كان هذا في القرآن والسنة في نحو مائة موضع أو مائتين لسكنها، ولكن يزيد على ألف موضع بطرق متنوعة»<sup>(١)</sup>.

انظر إلى القرآن حين يقول: ﴿كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةٌ بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ﴾ [الحشر: ٧]، لتقسيم الفيء على الفئات الضعيفة دون الفئات القادرة والغنية في المجتمع.

(١) مفتاح دار السعادة (٢٢/٢)، نشر دار الكتب العلمية، بيروت.

ويقول عن القصاص: ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَأْوِي إِلَّا لِنَبِّئَ لَعَلَّكُمْ تَتَّقَوْنَ﴾ [البقرة: ١٧٩].

ويقول عن القتال في سبيل الله: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ وَعَسَى أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَى أَن تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ﴾ [البقرة: ٢١٦].

يعمل الأحكام.

وهناك أناس في عصرنا - للأسف - ينظرون للأحكام الإسلامية والنصوص الإسلامية نظرة ظاهريّة جامدة، لا يربطون الأحكام بحكمها ولا بعللها.

أقول قولي هذا، وأستغفر لله تعالى لي ولكلّكم، فاستغفروه؛ إنه هو الغفور الرحيم، وادعوه يستجب لكم.

\* \* \*





## مقوّمات التربية الاجتماعية الدّعوة إلى الله

### الخطبة الأولى

أمّا بعد، فيا أيُّها الإِخْرَوَةُ الْمُسْلِمُونَ:

ما زال حديثنا موصولاً حول التربية الإسلامية، التربية الإسلامية بمعناها الواسع العميق، الّذِي يشمل جوانب الحياة كلّها.

تحدّثنا عن أنواع منها، وما زلنا مع التربية الاجتماعية، التي تعني: تربية الإنسان المسلم ليعيش في المجتمع عضواً نافعاً عاملاً، يعطي أكثر مما يأخذ، ويضحي أكثر مما يستفيد.

وهذه نظرة الإسلام إلى الإنسان في مجتمعه؛ فهو ينبوع يفيض بالخير لكلّ من حوله، وما حوله، يتدفق بالبركة، يحبّه من حوله، يألف الناس ويألفونه، يحبّهم ويحبّونه.

وهذا هو الإنسان المسلم.

**ما استحقّ أن يولد من عاش لنفسه فقط:**

تحدّثنا عن مُقوّمات التربية الاجتماعية، عن عدد من هذه المقوّمات، وبقي منها: أنّ الإسلام يريد للإنسان في مجتمعه أن يكون هادياً داعياً ناصحاً

أمّا بالمعروف ناهيًّا عن المنكر، أي: إنَّ الإِنْسَانُ الْمُسْلِمُ لَا يَعِيشُ لِنَفْسِهِ، لَا يَحْصُرُ الْهَدِيَ الَّذِي هَدَاهُ اللَّهُ إِلَيْهِ فِي دَائِرَتِهِ الْخَاصَّةِ، وَيَدْعُ النَّاسَ فِي ضَلَالٍ وَعُمَى، بَلْ إِنَّهُ كَمَا اهْتَدَى يَحْاولُ أَنْ يَهْدِي، وَكَمَا اسْتَنَارَ يَرِيدُ أَنْ يَنْيرَ.

إِنَّهُ كَمَا لَا يَقْبِلُ أَنْ يَشْبَعَ وَالنَّاسُ مِنْ حَوْلِهِ جَائِعُونَ، لَا يَقْبِلُ كَذَلِكَ أَنْ يَكُونَ مَهْتَدِيًّا وَالنَّاسُ مِنْ حَوْلِهِ ضَالُّونَ، لَا يَقْبِلُ أَنْ يَعِيشَ فِي نُورِ وَالنَّاسُ فِي ظُلْمَاتٍ يَتَخَبَّطُونَ.

لِهَذَا يَسْعىُ الْمُسْلِمُ أَنْ يُشَعِّعَ عَلَى مَنْ حَوْلِهِ، وَأَنْ يَمْدُدَ النُّورَ الَّذِي هَدَاهُ اللَّهُ إِلَيْهِ، إِلَى كُلِّ النَّاسِ إِنْ أَسْتَطَاعَ.

### أنذر عشيرتك الأقربين:

فيبدأ بأقرب الناس إليه، يبدأ بأهله، بزوجته، «وَأَمْرُ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَأَصْطَرَ عَلَيْهَا لَا نَسْأَلُكَ رِزْقًا تَحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعِقَبَةُ لِلثَّقَوَى» [طه: ١٣٢].

يبدأ بأبيه، وأمه، وأولاده، وبناته، بكلٍّ مِنْ حَوْلِهِ، وبخاصة أولاده، ذريته، فهو مسؤول عنهم، كما قال تعالى: «يَتَأْمَلُهَا الَّذِينَ أَمْنَوْا فَوْ أَنْفَسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُوْدُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ» [التحريم: ٦]، يدعوهُمْ، يعلّمُهُمْ، ينصحُ لَهُمْ، يعظُهُمْ، يذكرُهُمْ، يرغّبُهُمْ في الخير، ينفرُهُمْ من الشرّ، يعوّدهُم على خصال الخير، وعلى طاعة الله منذ نعومة الأظفار، كما جاء في الحديث: «مُرُوا أَبْنَاءَكُمْ بِالصَّلَاةِ لِسَبْعِ سَنِينَ، وَاضْرِبُوهُمْ عَلَيْهَا لِعَشْرِ سَنِينَ»<sup>(١)</sup>.

(١) رواه أحمد (٦٧٥٦)، وقال محرّجوه: إسناده حسن. وأبو داود في الصلاة (٤٩٥)، وحسنه التّووي في رياض الصالحين (٣٠١)، وقال الألباني في صحيح أبي داود (٥٠٩): إسناده حسن صحيح. عن عبد الله بن عمرو.



حينما يُتَمِّمُ الغلام أو البنت سبع سنين من العمر، عليك أن تعلّمه الصلاة، وتأمره بالصلاحة، فإذا بلغ العاشرة فعليك أن تؤدّبه إذا لم يستجب لأمرك بالصلاحة؛ فالإسلام أعطاك فرصة ثلاثة سنوات تأمر وتنهى، وتُرغّب وتحبّب، فإذا مضت هذه الثلاث ولم يبقَ إلّا الشدة فلتتّشتّد، كما قيل:

قَسَا لِيَزْدَجِرُوا وَمَنْ يَكُ حَازِمًا فَلِيقْسُ أَحْيَانًا عَلَى مَنْ يَرْحُمُ<sup>(١)</sup>  
يبدأ المسلم بالدعوة والنصيحة لأقرب الناس إليه، ثم يمتد إلى من وراء ذلك، إلى الأقارب، الجيران، المجتمع كله.

هذا هو شأن الإنسان المسلم، كلّ مسلم داعية، يدعو إلى الخير، إلى الحقّ، إلى المعروف، إلى الإسلام، بحسب استطاعته.

هناك من يدعون بتأليف كتاب، وهناك من يدعون بإلقاء محاضرة أو خطبة، وهناك من يدعون بتدريس كتاب، وهناك من يدعون بالكلمة الطيبة، بالقدوة الحسنة، بالصحبة الصالحة، بالمعايشة الكريمة.

وكلّ هذه من وسائل الدعوة إلى الله، ﴿وَمَنْ أَحَسَنْ قَوْلًا مِّمَّنْ دَعَ إِلَىٰ اللَّهِ وَعَمِلَ صَلِحًا وَقَالَ إِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ [فصلت: ٣٣].

### كلّ مسلم مطالب بالدعوة:

كلّ مسلم داعية بقدر من الأقدار، كما قال تعالى مخاطبًا نبيه محمدًا: ﴿قُلْ هَذِهِ سَيِّلَى أَدْعُوكُ إِلَى اللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَّا وَمَنِ اتَّبَعَنِي﴾ [يوسف: ١٠٨].

فكُلّ من اتَّبع رسول الله ﷺ، فهو داعية إلى الله، وداعية على بصيرة.

(١) دیوان أبي تمام بشرح الخطیب التبریزی (٩٩/٢)، بلطف مشابه، تحقيق راجي الأسمر، نشر دار الكتاب العربي، بيروت، ط٢، ١٩٩٤م.

وكل مسلم مخاطب بقوله تعالى: ﴿أَدْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ﴾ [النحل: ١٢٥].

المسلم داعية إلى الخير، وليس هناك من خير أعظم من الإسلام، هو الخير كل الخير، الإسلام بعقائده، بعباداته، بأخلاقه، بآدابه، بتشريعاته وأحكامه، الإسلام كله خير، فادع إلى الإسلام، إلى ما تعرف منه، حتى لو رأيت شيئاً قليلاً تعرف أنه خير فعلمه غيرك.

إذا رأيتَ مَنْ أَخْطَأَ فَصَوَّبَ خَطَأَهُ، إِذَا رَأَيْتَهُ يَصْلِي صَلَةً غَيْرَ صَحِيحَةَ فَعَلَّمْهُ الصَّلَاةَ السَّلِيمَةَ.. وَهَذَا.

### مُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهُ عَنِ الْمُنْكَرِ:

مُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهُ عَنِ الْمُنْكَرِ، فهذا ممّا فضل الله به هذه الأمة وأعطتها منزلة الخيرية على سائر الأمم، ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجْتُ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَاوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتَعْمَلُونَ بِاللَّهِ﴾ [آل عمران: ١١٠]، فهذا سبب خيريتها، أنها أمة تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر، وأنك فرد من هذه الأمة، فعليك أن تأمر وتنهى في دائرك.

لقد وصف الله المؤمنين بقوله: ﴿الْتَّسَبِّبُورُكَ الْعَكِيدُورُكَ الْحَمِيدُورُكَ السَّكِيْحُورُكَ الْرَّكِيْعُورُكَ الْسَّاجِدُورُكَ الْأَمِرُورُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالْأَنْهَاوُرُونَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَالْمُحَفِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ﴾ [التوبة: ١١٢]، فكما أنهم تائدون عابدون حامدون وراكعون ساجدون، هم كذلك آمرؤن بالمعروف ناهون عن المنكر، فهي فريضة من الفرائض.

وقد لعن من قبلنا من الأمم؛ لأنهم فرّطوا في هذه الفريضة، قال تعالى: ﴿لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاؤِدَ وَعِيسَى أَبْنَيْ مَرِيمَ﴾، ولماذا لعنوا على لسان هؤلاء الأنبياء العظام؟! يقول تعالى:



﴿ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴿كَانُوا لَا يَتَنَاهُونَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوْهُ لِبَئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ [المائدة: ٧٨، ٧٩].

﴿كَانُوا لَا يَتَنَاهُونَ﴾، أي: لا ينهى بعضهم بعضًا عن المنكر، يرى أحدهم المنكر فيسكط عليه، «يسدُّ أذنًا من طين، وأذنًا من عجين»، كما يقولون، والساكت عن الحق شيطان آخر س.

لا ينبغي للإنسان أن يسكت على باطل أو منكر يراه، وإنما عليه أن يأمر في حدود استطاعته، يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر.

وقد بيّن لنا النبي ﷺ فيما يعتبر شرحاً لهذه الآية: «إِنَّ أَوَّلَ مَا دخلَ النَّقْصُ عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّ أَحَدَهُمْ كَانَ يَلْقَى أَخَاهُ وَهُوَ عَلَى الْمُنْكَرِ، فَيَقُولُ لَهُ: اتَّقِ اللَّهَ وَدُعْ مَا تَصْنَعُ. ثُمَّ لَا يَمْنَعُهُ ذَلِكَ مِنَ الْغَدِ أَنْ يَكُونَ أَكِيلَهُ وَشَرِيكَهُ وَجَلِيْسَهُ». <sup>(١)</sup>

يقول له كلمة باللسان، ولكنه يؤكله ويشاربه ويجالسه، ويُصابحه ويُماسيه.

«فَلَمَّا فَعَلُوا ذَلِكَ ضَرَبَ اللَّهُ قُلُوبَ بَعْضِهِمْ بَعْضًا، وَلَعَنَهُمْ عَلَى لِسَانِ دَاوِدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمْ». <sup>(٢)</sup>

ويقول النبي ﷺ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لِتَأْمُرُنَّ بِالْمَعْرُوفِ، وَلِتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ، وَلِتَأْطِرُنَّهُمْ عَلَى الْحَقِّ أَطْرَاءً، أَوْ لِيُعَاجِلَنَّكُمُ اللَّهُ بِعِقَابٍ مِّنْ عَنْدِهِ». <sup>(٣)</sup>

تأطرون أهل المنكر، أي: تحملونهم على الحق حملًا.

(١) رواه أحمد (٣٧١٣)، وقال محرّجوه: إسناده ضعيف. وأبو داود في الملاحم (٤٣٣٦)، والترمذني في التفسير (٣٠٤٧)، وقال: حسن غريب. وابن ماجه في الفتنة (٤٠٠٦)، عن ابن مسعود.

## عقوبة المنكر تصيب المجتمع بأسره:

وفي الحديث: «إِنَّ النَّاسَ إِذَا رَأُوا الْمُنْكَرَ فَلَمْ يُغَيِّرُوهُ، أَوْ شَكَ أَنْ يَعْمَمُهُمُ اللَّهُ بِعِقَابِهِ»<sup>(١)</sup>.

﴿وَاتَّقُواْ فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنْكُمْ خَاصَّةً وَاعْلَمُواْ أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ [الأنفال: ٢٥].

المنكر كالحريق إذا لم يبادر الناس إلى إخماده وإطفائه بكل ما يستطيعون، فسرعان ما يتطاير شرره، ويتفاقم ضرره، ويتضاعف خطره، من هنا إلى هناك، حتى يلتهم الأخضر واليابس، ويلتهم الشخص الذي سكت عليه من قبل، وقال: ما لي وللمنكر، ما دمت لا أفعل المنكر فلا يهمني.

لا! إنَّ المنكر حريق، إذا لم تطعنه سيصل لهبه إليك، ستتصطلي بظاهه، سينتشر وينتشر.

ولهذا إذا سكتَ على فساد، على انحلال فاحذر؛ لأنَّ هذا المنكر إذا ترك سيقوى عوده ويشتدُّ، وينتشر ويمتدُّ، حتى يصل إلى بيتك، وسيدخل على نسائك، على بناتك، على أبنائك، بل يدخل عليك أنت، تتأثر به وأنت لا تدرِّي؛ فإنَّ السوء يُعدي، كما يُعدي الأجرب السليم.

## المجتمع المسلم قائم على التناصح:

ولهذا ربَّ الإسلامُ المسلمَ على أن يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر في حدود ما يستطيع، وجعل ذلك فريضة من فرائض الدين،

(١) رواه أحمد (١)، وقال مخرّجوه: إسناده صحيح على شرط الشيفين. وأبو داود في الملاحم (٤٣٣٨)، والترمذى في الفتن (٣٠٥٧)، وقال: حسن صحيح. وابن ماجه في الفتن (٤٠٠٥)، وصحّحه الألبانى في الصحيحه (١٥٦٤)، عن أبي بكر الصديق.



وعَبَرَ عَنْهَا بِالْأَمْرِ وَالنَّهْيِ، وَالدُّعْوَةِ، كَمَا عَبَرَ عَنْهَا بِالنَّصِيحَةِ، كَمَا فِي حَدِيثِ تَمِيمِ الدَّارِيِّ، يَقُولُ النَّبِيُّ ﷺ: «الدِّينُ النَّصِيحَةُ». لُبُ الدِّينُ هُوَ النَّصِيحَةُ.

قالوا: لَمَنْ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟

قال: «اللَّهُ وَلِكُتَابِهِ وَلِرَسُولِهِ وَلِأَئَمَّةِ الْمُسْلِمِينَ وَعَامَّتِهِمْ»<sup>(۱)</sup>.

بَذْلُ النَّصِيحَةِ لِلخَاصَّةِ وَالْعَامَّةِ، لِلحاَكَمِ وَالْمُحْكُومِينَ، لِلْكَبَارِ وَالصَّغَارِ، تَنْصِحُ لِلْجَمِيعِ، وَتُخْلِصُ لَهُمُ النَّصِيحَةَ، تَقُولُ لَهُمُ النَّصِيحَةَ، وَلَا تَخْشَى فِي اللَّهِ لَوْمَةَ لَائِمَّ، وَمَنْ لَمْ يَصْبِحْ نَاصِحًا لِلَّهِ وَرَسُولِهِ وَلِأَئَمَّةِ الْمُسْلِمِينَ وَعَامَّتِهِمْ فَلَيْسَ مِنْهُمْ؛ فَالْمُؤْمِنُونَ قَوْمٌ نَّصَحةٌ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ، وَالْمُنَافِقُونَ قَوْمٌ غَشَّةٌ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ.

وَقَدْ وَصَفَ اللَّهُ تَعَالَى مجَمِعَ الْمُؤْمِنِينَ فَقَالَ: «وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمُ أُولَئِكَ بَعْضٌ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ» [التَّوْبَة: ۷۱].

وَوَصَفَ الْمُنَافِقِينَ بِقَوْلِهِ: «الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَفِّقَاتُ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمُنْكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ» [التَّوْبَة: ۶۷].

وَهَذَا شَرُّ مَا يُصَابُ بِهِ مجَمِعٌ، كَمَا حَذَرَ مِنْ ذَلِكَ النَّبِيُّ ﷺ فَقَالَ: «كَيْفَ بِكُمْ إِذَا فَسَقَ شَبَابُكُمْ وَطَغَى نِسَاءُكُمْ؟».

قالوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ ذَلِكَ لِكَائِنٌ؟

قال: «وَشَرُّ مِنْ ذَلِكَ سَيْكُونُ؛ كَيْفَ بِكُمْ إِذَا رَأَيْتُمُ الْمَعْرُوفَ مُنْكَرًا وَالْمُنْكَرَ مَعْرُوفًا؟»<sup>(۲)</sup>.

(۱) رواه مسلم في الإيمان (۵۵)، وأحمد (۱۶۹۴۰)، عن تميم الداري.

(۲) رواه ابن أبي الدنيا (۳۲)، وعبد الغني المقدسي (۵۶)، كلاهما في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وقال العراقي في تحرير الإحياء ص: ۷۸۴، إسناده ضعيف. عن أبي أمامة الباهلي.

## شُرُّ ما تصاب به الأُمَّةِ انقلاب الموازين:

إذا فسدت الحاسة الدينية، الحاسة الأخلاقية عميت عين البصيرة، واحتلّت الموازين، فأصبح المعروف منكراً والمنكر معروفاً، أصبحت التقاليد السّيّئة والعادات المُستَوْرَدة تُعبّر عن الرّقي والحضارة، وأصبحت التقاليد الإسلامية تُعبّر عن التخلّف والرّجعية، أصبح الإنسان الذي لا يقف عند حدود الله، ويُقلّد الغرب شبراً بشبر وذراعاً بذراع، إنساناً متحضرّاً، إنساناً مُتمدّناً، والإنسان الذي يؤدّي فرائض ربّه، ويلتزم أوامره ونواهيه، هذا الإِنْسَانُ يُضْحِي إِنْسَانًا رجعيًا متخلّفاً.

وشرّ من ذلك ممّا يمكن أن تصاب به الأُمَّة: أن تأمر بالمنكر وتنهى عن المعروف، أن تأمر بما ينكّره الله ورسوله والمؤمنون، بما ينكّره الشرع، وأن تنهى عن المعروف الذي تعرفه الفطر السليمة والعقول الرشيدة، وهو ما جاء به الشرع الشريف.

وهذه صفة المنافقين، وفي هذا يقول الله تعالى: ﴿الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمُنْكَرِ وَيَنْهَا عَنِ الْمَعْرُوفِ﴾ [التوبة: ٦٧].

## المؤمن من مرآة أخيه:

أمّا المؤمنون، فيقول الله تعالى عنهم: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أُولَئِكَ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَا عَنِ الْمُنْكَرِ﴾ [التوبة: ٧١].

وكما جاء في الحديث: «المؤمن من مرآة أخيه، إذا رأى فيها عيباً أصلحه»<sup>(١)</sup>.

(١) رواه أبو داود في الأدب (٤٩١٨)، والبخاري في الأدب المفرد (٢٣٨)، والبيهقي في قتال أهل البغي (١٦٧/٨)، وحسن إسناده الحافظ في بلوغ المرام (٣٠٩/١)، وحسن إسناده الألباني في الأدب المفرد (١٧٧)، عن أبي هريرة.

فَكُمَا يَرِى إِلَّا نَسَانٌ عَيْبٌ فِي الْمَرْأَةِ، يَرِى عَيْبٌ نَفْسِهِ عَنْدَ أَخِيهِ، فَيَقُولُ  
لَهُ: أَنْتَ أَخْطَأْتَ فِي كَذَا وَكَذَا، وَعَلَيْكَ أَنْ تَفْعُلْ كَذَا وَكَذَا، وَعَلَى  
الْمَنْصُوحِ أَنْ يَتَقَبَّلَ النَّصِيحَةَ مِنْ أَخِيهِ إِنْ كَانَ مُسْلِمًا صَالِحًا، كَمَا كَانَ  
عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَقُولُ عَلَى الْمِنْبَرِ: أَئِهَا النَّاسُ، رَحْمَ اللَّهِ امْرَأً أَهْدَى إِلَيْهِ عَيْوبِي<sup>(١)</sup>:  
وَكَمَا قَالَ أَبُو بَكْرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: إِنْ أَحْسَنْتُ فَأَعْيُنُونِي، وَإِنْ أَسَأْتُ فَقَوْمُونِي<sup>(٢)</sup>.

وَلَمَّا قَالَ رَجُلٌ لِعُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَتَقُولُ اللَّهُ يَا عُمَرَ بْنَ الْخَطَابِ، وَأَرَادَ بَعْضُ  
جَلْسَاءِ عُمَرَ أَنْ يَؤْذِيهِ، وَقَالُوا لَهُ: لَقَدْ أَسَأْتَ إِلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ. قَالَ عُمَرُ:  
دُعْوَهُ يَقُلُّهَا، لَا خَيْرٌ فِيْكُمْ إِذَا لَمْ تَقُولُوهَا، وَلَا خَيْرٌ فِيْنَا إِذَا لَمْ نَسْمَعْهَا<sup>(٣)</sup>.

### التواصي بالحق شرط النجاة من الخسران:

لَا بَدَّ مِنْ دُعْوَةِ وَأَمْرِ وَنَهْيِ وَنَصِيحَةِ، وَهَذَا مَا عَبَرَ عَنْهُ الْقُرْآنُ بِتَعْبِيرِ  
آخِرٍ، هُوَ التَّوَاصِيُّ بِالْحَقِّ وَالْتَّوَاصِيُّ بِالصَّبْرِ، فَلَا يَنْجُو إِلَّا مَنْ  
خَسَرَانَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ إِلَّا إِذَا وَصَّى بِالْحَقِّ، وَوَصَّى بِالصَّبْرِ، وَقَبْلَ  
الْوَصِيَّةِ مِنْ غَيْرِهِ بِالْحَقِّ، وَقَبْلَ الْوَصِيَّةِ مِنْ غَيْرِهِ بِالصَّبْرِ.

لَا بَدَّ مِنْ الْأَمْرِيْنِ مَعًا، يُوصِي غَيْرَهُ، وَيُسْمَعُ الْوَصِيَّةُ مِنْ غَيْرِهِ، فَكُمَا  
أَنْ مِنْ حَقِّهِ أَنْ يَنْصُحَ، فَمِنْ وَاجِبِهِ - أَيْضًا - أَنْ يَسْمَعُ النَّصِيحَةَ، وَلَيْسَ  
هُنَاكَ أَحَدٌ أَصْغَرُ مِنْ أَنْ يَنْصُحَ، وَلَا إِنْسَانٌ أَكْبَرُ مِنْ أَنْ يُنْصَحَ.

(١) إِحْيَاء عِلُومِ الدِّين (٦٤/٣)، نَشْرُ دَارِ الْمَعْرِفَةِ، بَيْرُوتُ.

(٢) روایہ الطبری فی تاریخه (٢١٠/٣)، نَشْرُ دَارِ التَّرَاثِ، ط٢، ٢٠١٣٨٧هـ، وَذُکْرُهُ ابْنُ كَثِيرٍ فی الْبَدَائِيْةِ  
وَالنَّهَايَةِ (٤١٥/٩)، وَصَحْقَرَ إِسْنَادَهُ، عَنْ أَنْسٍ. تَحْقِيقُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ الْمُحْسِنِ التَّرْكِيِّ، نَشْرُ  
دَارِ هَجْرٍ، ط١، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م.

(٣) روایہ ابْنِ شَبَّةَ فی تاریخِ المَدِینَةِ (٧٧٣/٢)، تَحْقِيقُ فَهِیْمَ مُحَمَّدَ شَلَّوتَ، طَبعَ عَلَى نَفْقَةِ السَّيِّدِ  
حَبِيبِ مُحَمَّدِ أَحْمَدَ، جَدَّهُ، ١٣٩٩هـ.

كل إنسان ناصح ومنصوح له، موصى وموصى، وهذا معنى قوله:  
**﴿وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ﴾** [العصر: ٣].

والتواصي صيغة تدل على تفاعل من الجانبين، وهذا شرط من شروط النجاة من الخسر؛ قال تعالى: **﴿وَالْعَصْرِ \* إِنَّ الْإِنْسَنَ لَفِي خُسْرٍ \* إِلَّا \* الَّذِينَ أَمْنَوْا وَعَمِلُوا الصَّلِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبَرِ﴾** [سورة العصر].

لا يكفي أن تقول: أنا مؤمن أعمل الصالحات، أنا أصوم وأصلي وأؤدي الزكوة وأحج وأعتمر، فما لي وللناس؟ ما لي ولفساد الناس؟ ماذا علي إذا ضاع الإسلام أو بقي؟ ماذا علي إذا هجم اليهود على فلسطين، أو هجم الشيوعيون على أفغانستان، أو هزم المسلمون ضدَّ الصليبيين في الفلبين؟ ما لي ولهؤلاء؟!

لا بد أن يكون لكل مسلم دور؛ فهو جزء من الأمة المسلمة، لا بد أن ينصح للMuslimين؛ أئمتهم وعامتهم، لا بد أن يكون لكل مسلم دور مع هذه الأمة، و«من لم يهتم بأمر المسلمين فليس منهم»<sup>(١)</sup>.

## أيسلُّ المسلم عن الدعوة وينشط الآخرون؟

ليس بمؤمن من عاش في حدود نفسه فقط ناسيًا هموم الأمة الإسلامية، ناسيًا أعباءه باعتباره مسلمًا يعيش في هذا المجتمع، وهذه الأمة كبيرة، فأنت مسؤول إذا كان الإسلام مضيئًا فإنما ضيئه أهله، وأنت منهم.

إذا كانت الشريعة معطلة، فإنما عطلها المسلمون، وأنت منهم.

(١) رواه الطبراني في الأوسط (٧٤٧٣)، والصغرى (٩٠٧)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٢٩٤): رواه الطبراني في الأوسط والصغرى، وفيه عبد الله بن أبي جعفر الرازى، ضعفه محمد بن حميد، ووثقه أبو حاتم وأبو زرعة وابن حبان. عن حذيفة.



إذا شاع المنكر والفساد في بلد، فإنّما شاع بسكت أهل الخير،  
وأنت منهم.

إذا ضاعت الفرائض وعطلت الأحكام، فذلك بسبب تخاذل المسلمين، بسبب أن كلّ واحد يقول: نفسي نفسي، ما لي وللنّاس؟ ما لي وللإسلام؟ ما لي وللمسلمين؟ ما لي وللشريعة؟ ما لي وللخلافة؟ إلى آخر ذلك. وإذا قال كلّ إنسان: ما لي، فمن للإسلام؟

لقد وجدت اليهوديَّة مَن ينصرها، ويُدافع عنها، ويُقيِّم لها دولة، تُحيي ما مات من آلاف السنين، وتُسمّى دولتها باسم ديني، اسم إسرائيل.

تُقيم اليهوديَّة دولة في قلب ديارنا العربيَّة والإسلاميَّة، وتغتصب مسجدنا الأقصى، وتعبث في أرض المقدَّسات والنبوات، وتنتهك الْحُرُمات، وتسفك الدماء، وتُزهق الأرواح، هذه اليهوديَّة وجدت مَن يعمل لها.

كما وجدت النَّصراویَّة مَن ي العمل لها، هناك جيوش جرّارة من المُبَشِّرين والمُبَشَّرات يغزوون العالم بهذه العقيدة الباطلة، التي تؤلّه البشر، تجسّد الألوهية في بشر، هذه العقيدة وجدت هناك مَن ينشرها، وينصرها، حتَّى في بلاد المسلمين، يعملون على تنصير المسلمين.

فقد وجدت النَّصراویَّة مَن يرصد لها ألف مليون دولار لتنصير المسلمين في العالم.

بل وجد مذهب الشيوعيَّة الباطل مَن ينشره، ويُشيعه في الناس، حتَّى في قلب ديارنا الإسلاميَّة، هناك من يدعو إلى الشيوعيَّة ويقيِّم المبادئ الشيوعيَّة، في قلب ديارنا العربيَّة والإسلاميَّة نفسها، هناك مَن يدخل السجون من أجل الشيوعيَّة.

بل حتّى الوثنية، حتّى الذين يعبدون الأصنام، ويعبدون البقر،  
يعملون من أجل دينهم، ويذبحون المسلمين ويسفكون دماءهم من أجل  
هذه الوثنية الباطلة.

هل يمكن أن يبقى الإسلام وحده، دون أن يجد رجالاً يدافعون عنه،  
ويدعون إليه ويعيشون بهمومه؟!  
هذا لا ينبغي أبداً.

### **التواصي بالصبر بعد التواصي بالحقّ:**

الإسلام لا يقبل من المسلم أن يعيش في دائرة الخاصة، فإذا كان  
المسلم يريد النّجاة من الخُسر، من خُسر الدُّنيا والآخرة، من الهلاك  
والبوار والضياع، فليكن ممّن يتواصون بالحقّ، ويتوافقون بالصبر.

وإنّما كان التواصي بالصبر بعد التواصي بالحقّ؛ لأنّ طريق الحقّ  
طويل، طريق محفوف بالمخاطر، كما قال ﷺ: «حُفِّتُ الجَنَّةَ بِالْمَكَارِ»<sup>(١)</sup>.

طريق مليء بالأشواك، مضرّج بالدماء، طريق النّبيين والمرسلين  
والمصلحين، إنّه طريق مُتعب، طريق كما قال فيه ابن القيّم: «طريق تعب  
فيه آدم، وناح لأجله نوح، ورمي في النار الخليل، وأضجع للذبح  
إسماعيل، وبيع يوسف بثمن بخس، ولبث في السجن بضع سنين، ونشر  
بالمنشار زكريا، وذبح السيد الحصور يحيى، وقاسي الضُّرّأَيُّوب، وزاد  
على المقدار بكاء داود، وسار مع الوحش عيسى، وعالج الفقر وأنواع  
الأذى محمد»<sup>(٢)</sup>.

(١) رواه مسلم في صفة الجنة (٢٨٢٢)، عن أنس بن مالك.

(٢) الفوائد صـ٤٢، نشر دار الكتب العلمية، طـ٢، ١٣٩٣هـ - ١٩٧٣م.

ومن أجل هذا كان لا بد من الصبر، كما قال لقمان لابنه وهو يعظه: ﴿يَبْنِي أَقِيمُ الصَّلَاةَ وَأَمْرُ بِالْمَعْرُوفِ وَإِنَّهُ عَنِ الْمُنْكَرِ وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ﴾ [لقمان: ١٧]، ما دمت تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر، ما دمت جندت نفسك للدعوة إلى الله والنصح للناس، فوطّن نفسك على احتمال المكاره منهم، وطن نفسك على الصبر، ﴿وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأَمُورِ﴾.

### ما دخل الرفق في شيء إلا زانه:

المسلم - بحكم رسالته - داعية، أمر، ناہ، ناصح، موصى بالحق، ولكن عليه أن تكون دعوته بالحكمة والموعظة الحسنة، وأن يجادل بالتي هي أحسن، أن يستخدم الرفق في علاقاته، وفي دعوته، أن لا يكون فظاظاً غليظ القلب، وقد قال الله تعالى لنبيه، وهو المؤيد المعصوم: ﴿فِيمَا رَحَمَهُ مِنَ اللَّهِ لِنَتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًا غَلِيلًا أَقْلِبْ لَا نَفَضُوا مِنْ حَوْلِكَ﴾ [آل عمران: ١٥٩]، ولهذا لا بد من الرفق، فـ«إن الله يحب الرفق في الأمر كلّه»<sup>(١)</sup>، وما دخل الرفق في شيء إلا زانه، ولا نزع من شيء إلا شانه<sup>(٢)</sup>.

استعمل الرفق، الحِكْمة، الكلمة الطيبة، جادل بالتي هي أحسن، لا بالتي هي أخشن، انظروا إلى إبراهيم عليه السلام حين كان يدعو أباه وهو مشرك يعبد الأصنام، ﴿يَأَبَتِ لِمَ تَبْعُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبَصِّرُ وَلَا يُغْنِي عَنَكَ شَيْئًا يَأَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعِنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا يَأَبَتِ لَا تَبْعُدِ الْشَّيْطَنَ إِنَّ الشَّيْطَنَ كَانَ لِرَحْمَنِ عَصِيًّا يَأَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَمْسَكَ عَذَابًا مِنَ الرَّحْمَنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَنِ وَلِيًّا﴾ [مريم: ٤٢ - ٤٥]، بهذا الأسلوب الحسن الجميل، دعا إبراهيم أباه إلى الله، بدأ بنداء الأبوة حتى يرقق قلبه.

(١) متفق عليه: رواه البخاري في الأدب (٦٠٢٤)، ومسلم في الآداب (٢١٦٥)، عن عائشة.

(٢) رواه مسلم في البر والصلة (٢٥٩٤)، وأحمد (٢٤٣٠٧)، عن عائشة.

كمارأينا في مؤمن آل فرعون، وهو يتحدث مع قومه، فرعون ومن معه: ﴿يَقَوْمِ لَكُمُ الْمُلْكُ الْيَوْمَ ظَاهِرِينَ فِي الْأَرْضِ فَمَنْ يَنْصُرُنَا مِنْ بَأْسِ اللَّهِ إِنْ جَاءَنَا﴾ [غافر: ٢٩]، قال لهم بلسان الجماعة (من ينصرنا)، لم يقل لهم: من ينصركم؛ لأنَّه يعُذُّ نفسه واحداً منهم، هم قومه وليس غريباً عنهم، فلذلك ينسب نفسه إليهم، ويقول: ﴿يَقَوْمِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ مِثْلَ يَوْمِ الْأَحْزَابِ﴾ [غافر: ٣٠]، ﴿وَيَقَوْمِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ الْثَّنَادِ﴾ [غافر: ٣٢]، ﴿يَقَوْمِ أَتَّبِعُونِي أَهْدِكُمْ سَبِيلَ الرَّشَادِ﴾ [غافر: ٣٨].

لم يفعل كهؤلاء الشباب الذين يعتبرون أنفسهم أعلى من قومهم، ويعتبرون قومهم ليسوا منهم، مع أنَّهم مسلمون مثلهم، وهذا مؤمن آل فرعون يناديهم (يا قوم)، مع أنَّهم كفار؛ ليجذبهم إليه، ويقرِّبهم منه.

### مَنْ أَمْرَ بِمَعْرُوفٍ فَلَيْكَنْ أَمْرُهُ بِمَعْرُوفٍ:

دخل رجل على هارون الرشيد ليعظه ويأمره وينهيه فأغلظ عليه، وكان هارون رجلاً حكيماً، وعلى علم بكثير من الفقه، فقال له: يا هذا ارفق؛ فإنَّ الله بعث منك إلى من هو شرّ مني، وأمره بالرفق.

قال: مَنْ؟!

قال: إنَّ الله بعث موسى وهارون، وهم خير منك، إلى فرعون وهو شرّ مني، وقال لهما: ﴿أَذْهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لِّئَنَّا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ﴾ [طه: ٤٣، ٤٤]<sup>(١)</sup>.

(١) رواه ابن عساكر في تاريخ دمشق (٣٠١/٧٣)، تحقيق عمرو بن غرامه العمروي، نشر دار الفكر، ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م.



هذه وصیة الله تعالیٰ لموسى وہارون علیہما السّلام، وقد عملاً بها، فلما ذهب موسى إلى فرعون، ناداه بهذا النداء الرقيق: ﴿هَلْ لَكَ إِلَى أَنْ تَزَكَّى \* وَأَهْدِيَكَ إِلَى رَبِّكَ فَتَخْشَى﴾ [النّازعات: ١٨، ١٩]، قال له: ﴿هَلْ لَكَ﴾ أسلوب استفهام.

ينبغي للإنسان أن يتسلل إلى قلب المدعّوين بالعبارات الحسنة، بالكلام الجميل، بالملائفة، ولا يستفز الناس بالخشونة، فيجعلهم أعداء له، فمن أمر بمعرفٍ ليُكنْ أمرُه بمعرفٍ.

الدعوة بالحكمة والموعظة الحسنة هو ما نوصي به كل مسلم، وخصوصاً من نصب نفسه لدعوة الناس وهدایتهم؛ حتى تؤتي الدعوة أكلها.

إذا وقفنا مستعلين على الناس، ننظر إلى الناس من علوٍ، نحن في القمة وهم في القاع، نحن المهتدون وهم الضاللون، فهذا شعور سيئ؛ لأن المؤمن يشعر دائماً بأنه مقصّر ومفرط، ولعل الله يتوب على هذا الإنسان الذي تستحقه وانت تدعوه، فيكون أفضل منك.

هذا ما ينبغي أن نربّي عليه المؤمن، هذا ما ينبغي أن نُكوّن عليه الإنسان المسلم الصالح، الإنسان الناجي في سورة العصر.

أقول قولي هذا، وأستغفر الله لي ولكم، فاستغفروه؛ إنه هو الغفور الرحيم، وادعوه يستجب لكم.

\* \* \*

## الخطبة الثانية

أمّا بعد، فيا أيها الإخوة المسلمين:

### فضل التبكير إلى الجمعة:

ما زلت أرى كثيراً من المصليين يأتون متأخرین، وبهذا يُضيّعون على أنفسهم مثوبة عظيمة؛ فقد جاءت الأحاديث الصالحة تبيّن أنَّ النَّاسَ فِي قدوتهم إِلَى الْجَمْعَةِ، وَإِلَى مَسْجِدِ الْجَمْعَةِ درجات ومراتب، هناك من يفوز بأجر مَنْ قَدَّم «بدنة»، أي: قَرَب ناقة، ذبحها اللَّهُ عَزَّوجَلَّ؛ ففي الحديث: «مَنْ اغْتَسَلَ يَوْمَ الْجَمْعَةِ غُسْلَ الْجَنَابَةِ ثُمَّ رَاحَ، فَكَانَنَّمَا قَرَبَ بَدْنَةً، وَمَنْ رَاحَ فِي السَّاعَةِ الثَّانِيَةِ فَكَانَنَّمَا قَرَبَ بَقْرَةً، وَمَنْ رَاحَ فِي السَّاعَةِ الْثَّالِثَةِ فَكَانَنَّمَا قَرَبَ دَجَاجَةً، وَمَنْ رَاحَ فِي السَّاعَةِ الْخَامِسَةِ فَكَانَنَّمَا قَرَبَ بَيْضَةً، فَإِذَا خَرَجَ الْإِمَامُ حَضَرَتِ الْمَلَائِكَةَ يَسْتَمْعُونَ إِلَيْهِ»<sup>(١)</sup>.

والساعة هنا ليست الساعة الفلكية، سُتُّين دقيقة، وإنما الساعة: فترة من الزمن، إذا اعتبرنا النَّاسَ أَفواجاً، فالفوج الأوَّل يُقدَّم بـ«بدنة»، والفوج الثاني يُقدَّم بـ«بقرة».. وهكذا.

حتَّى إذا صَعِدَ الْإِمَامُ عَلَى الْمِنْبَرِ، طُوِّيَتِ الصُّحُفُ، طُويَ السِّجْلُ، وهذا كمَنْ يَأْتِي متأخراً للعمل (للدوام)، فيعتبر متأخراً، ويُكتب من المتأخرين.

وبهذا يُحرِّمُ الْإِنْسَانُ مِنْ ثَوَابِ التَّبْكِيرِ، وَلَا أَدْرِي لِمَاذَا يَتَأَخَّرُ النَّاسُ

(١) متفق عليه: رواه البخاري في (٨٨١)، ومسلم في الجمعة (٨٥٠)، عن أبي هريرة.



حتى يصعد الخطيب على المنبر، حتى إنّ منهم من يدخل في الخطبة الثانية، بل في آخرها أيضًا؟

لماذا يحرم الإنسان نفسه عن مثوبية التبکير، ومثوبية صلاة رکعتي تحيۃ المسجد، وهي سُنة مؤكدة، تؤدی حتی لو كان الإمام يخطب؟

لماذا ينتظر الإنسان حتی نهاية الوقت ليذهب إلى الجمعة، مع أنّ حضوره مبكرًا فيه مثوبة عظيمة، وجلوسه في المسجد لون من الاعتكاف، فلا يزال الرجل يعتبر مصلّياً ما بقي في المسجد ينتظر الصلاة، كما قال ﷺ .<sup>(١)</sup>

أرجو أن نراجع أنفسنا في مثل هذه العادات التي تعودناها، ولا معنى لها، وأن نحرص على مثوبة الله تبارك وتعالى حيثما كنا.

اللهم إنا نسألك العفو والعافية في الدين الدنيا والآخرة.

اللهم أصلح لنا ديننا الذي هو عصمة أمرنا، وأصلح لنا دنيانا التي فيها معاشنا، وأصلح لنا آخرتنا التي إليها معادنا، واجعل الحياة زيادة لنا في كل خير، والموت راحة لنا من كل شر.

اللهم اجعل يومنا خيراً من أمسنا، واجعل غدنا خيراً من يومنا، وأحسن عاقبتنا في الأمور كلّها، وأجرنا من خزي الدنيا وعذاب الآخرة.

﴿رَبَّنَا أَغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْرَنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا أَغْلَاءَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [الحشر: ١٠].

(١) إشارة إلى الحديث المتفق عليه: «لا يزال العبد في صلاة ما كان في المسجد ينتظر الصلاة ما لم يحدث». رواه البخاري في الوضوء (١٧٦)، ومسلم في المساجد (٦٤٩)، عن أبي هريرة.



عباد الله، ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلِّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَتَأَمَّلُهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا صَلَوَاتٍ عَلَيْهِ وَسَلَّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٦].

اللهم صلّ وسلّم وبارك على عبدك ونبيك محمد، وعلى آله وصحبه، والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين.

﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَاتِ وَيَنْهَا عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [التحليل: ٩٠].

\* \* \*





## مُقَوِّماتُ التَّرْبِيَةِ الاجْتِمَاعِيَّةِ لِلْفَرَدِ الْمُسْلِمِ (الزَّوْاج)

### الخطبة الأولى

أمّا بعد، أيها الإخوة المسلمين:

فقد تحدّثنا فيما مضى عن التربية الإسلامية، التربية كما ينشدها الإسلام، التربية للإنسان المسلم في مجتمع مسلم.

تحدّثنا عن أنواع من التربية، ومنها: التربية الاجتماعية، تربية الإنسان المسلم ليتكيف مع مجتمع مسلم.

والاليوم نتحدّث عن شيء مهمٌ يتعلق بال التربية الاجتماعية بالإنسان في المجتمع المسلم، كما يريد له الإسلام، ذلك هو ما يتعلق بالزواج.

#### الزواج في المجتمع المسلم:

يربي الإسلام أبناءه على عدّة مبادئ تتعلق بهذا الأمر الحيوي، أول هذه المبادئ:

**المبدأ الأول: الزواج خير لا بد منه:**

يدّعى بعض الغربيين أنَّ الزواج شرٌ لا بد منه، والحقُّ أنَّ الزواج ليس شرًّا، بل هو خير، وفيه فوائد كثيرة لدين المرء ولدنياه.

## الزواج أساس بقاء النوع الإنساني:

إنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ وَضَعُفَ فِي الْكَوْنِ سُنَّتَا، وَرَبَطَ الْحَيَاةَ بِشَبَكَةٍ مِّنَ الْأَسْبَابِ، وَالْمُسَبَّبَاتِ، فَلَوْلَا زَوْجَ إِلَيْهِ مَا بَقِيَ إِلَيْهِ، لَوْلَا زَوْجَ إِلَيْهِ مَا بَقِيَتْ هَذِهِ الْحَيَاةَ، مَا اسْتَمَرَّ هَذَا النَّوْعُ إِلَيْهِ كَمَا شَاءَ اللَّهُ لَهُ؛ قَالَ تَعَالَى: ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ أَزْوَاجِكُمْ بَنِينَ وَحَافِدَةً﴾ [النَّحْل: ٧٢]، بِهَذَا التَّنَاسُلِ يَبْقَى هَذَا الْكَوْنُ.

إِنَّ اللَّهَ زَوَّدَ هَذَا إِلَيْهِ بِغَرَائِزٍ، بِدَوَافِعٍ أَصْلِيهَ، لَمْ يَغْرِزْهَا فِي إِلَيْهِ عَبَّاً، إِنَّمَا غَرَسَهَا فِيهِ لِحُكْمَةٍ، وَمِنْ ذَلِكَ هَذِهِ الْغَرِيزَةُ الَّتِي يُسْمُّونَهَا: «الْغَرِيزَةُ الْجَنْسِيَّةُ».

وَالْغَرِيزَةُ: سَاقِيُّهُ، وَسَاقِيُّهُ فَطَرِيٌّ؛ لِيَبْحَثَ إِلَيْهِ عَنْ شَرِيكٍ لَهُ، وَتَبْحَثُ الْمَرْأَةُ عَنْ شَرِيكٍ لَهَا، وَبِهَذَا تُصْرَفُ هَذِهِ الطَّاقَةُ الْفَطَرِيَّةُ فِي الْحَلَالِ.

هُنَاكَ فَلْسُوفَاتُ وَأَدِيَانٌ وَمَذَاهِبٌ قَامَتْ عَلَى مَصَادِرِ الْغَرِيزَةِ، وَالنَّظَرُ إِلَيْهَا عَلَى أَنَّهَا رَجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ، وَأَنَّهَا قَذَارَةٌ وَانْحَاطَاطٌ لَا يَلِيقُ بِإِلَيْهِ.

وَلَكِنَّ إِلَيْهِ لَمْ يَنْظُرْ إِلَيْهَا هَذِهِ النَّظَرَةُ، إِنَّمَا نَظَرُ إِلَيْهَا عَلَى أَنَّهَا شَرٌّ إِذَا اسْتُخْدِمَتْ فِي غَيْرِ الْحَلَالِ، وَأَنَّهَا خَيْرٌ إِذَا اسْتُخْدِمَتْ فِي دَائِرَةِ الْحَلَالِ، وَلَهُذَا سَدَّ أَبْوَابَ الْحَرَامِ، وَفَتَحَ أَبْوَابَ الْحَلَالِ؛ لِيُصْرَفَ إِلَيْهِ طَاقَتِهِ عَنْ طَرِيقِ الزَّوْجِ، «يَا مَعْشَرَ الشَّبَابِ، مَنْ اسْتَطَاعَ مِنْكُمُ الْبَاءَةَ فَلْيَتَرْوَجْ؛ فَإِنَّهُ أَغْضَنْ لِلْبَصَرِ، وَأَحْسَنْ لِلْفَرْجِ»<sup>(١)</sup>.

(١) مَتَّقَ عَلَيْهِ: رواه البخاري (٥٠٦٥)، ومسلم (١٤٠٠)، كلاهما في النكاح، عن ابن مسعود.

## الزواج تصريف مباح للغریزة:

في الزواج تحصين للإنسان من طغيان الغریزة، وهي غریزة عاتية طاغية، حتى إنَّ يوْسُف الصَّدِيق عليه السلام قال: «قَالَ رَبِّ السِّجْنِ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونِي إِلَيْهِ وَإِلَّا تَصْرِفُ عَنِّي كَيْدُهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُنْ مِّنَ الْجَنَّهِلِينَ» [يوسف: ۳۳].

فلم يشرع للإنسان الرهانیة؛ ليتخلص من غریزته، كما فعلت الرهانیة النَّصْرانیة، فلا رهانیة في الإسلام، ولما سُئل بعض الصحابة النَّبِيَّ صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن يأذن لهم في الاختلاء؛ من أجل أن يجِبُوا شهوتهم، ويستأصلوها من جذورها، ويستريحوا من هذا العناء.

فلم يأذن لهم النَّبِيَّ صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ لأنَّ في هذا مصادرة في الفطرة، وتغييرًا لخلق الله، وفي هذا يقول سعد بن أبي وقاص: رَدَّ رَسُولُ اللهِ صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عثمان بن مظعون التَّبَّلَ، ولو أذن له لاختصينا<sup>(۱)</sup>.

ولما أراد بعض الصحابة أن يسيراً سيرة الرهبان، ولم يفهم ما كان يفعل النَّبِيَّ صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من الصيام حيناً، والفتر حيناً، والقيام حيناً، والنوم حيناً، وتزوج النساء، وقال مَنْ قالَ مِنْهُمْ: أَمَا أَنَا فِإِنِّي أَصْلِي اللَّيلَ أَبَدًا، وقال آخر: أنا أصوم الدهر ولا أفتر، وقال آخر: أنا اعتزل النساء فلا أتزوج أبداً.

قال لهم النَّبِيَّ صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مصَحَّحاً لهم المفاهيم، ومبيناً لهم الحقَّ: «أَمَا وَاللهِ إِنِّي لَا خَاكِمٌ لِّلَّهِ وَأَتَقَاكِمْ لَهُ، لَكُنِّي أَصُومُ وَأَفْطِرُ، وَأَصَلِّي وَأَرْقُدُ، وَأَتَزَوَّجُ النِّسَاءَ؛ فَمَنْ رَغَبَ عَنْ سُنْنَتِي فَلَيْسَ مِنِّي»<sup>(۲)</sup>.

(۱) متفق عليه: رواه البخاري (۵۰۷۳)، ومسلم (۱۴۰۲)، كلاهما في النكاح.

(۲) متفق عليه: رواه البخاري (۵۰۶۳)، ومسلم (۱۴۰۱) كلاهما في النكاح، عن أنس.

## خير متع الدُّنيا الزوجة الصالحة:

فالزواج ليس كما يقولون: شر لا بد منه، بل الزواج خير، وخاصة إذا مشى على طريقة الإسلام، فأحسن المرأة فيه الاختيار، ووفق الرجل إلى المرأة الصالحة، وفاقت المرأة إلى الرجل الصالح، هنالك تكون الأسرة عشاً للهباء، ووكرًا للسعادة، ودارًا للصلاح والخير، يتعاون فيها الطرفان على تقوى الله تعالى وطاعته، وفي هذا جاء الحديث: «ما استفاد المؤمن بعد تقوى الله خيرا له من زوجة صالحة، إن أمرها أطاعته، وإن نظر إليها سررتها، وإن أقسم عليها أبرتها، وإن غاب عنها نصحته في نفسها ومالي»<sup>(١)</sup>.

وقال عليه السلام فيما رواه مسلم: «الدُّنيا متع، وخير متعها المرأة الصالحة»<sup>(٢)</sup>.

وجاء في حديث آخر: «من رزقه الله امرأة صالحة، فقد أعانه على شطر دينه، فليتّقِ الله في الشّطر الباقي»<sup>(٣)</sup>.

فالزواج ليس شرًا، بل له فوائد كثيرة.

(١) رواه ابن ماجه في النكاح (١٨٥٧)، والطبراني (٢٢٢/٨)، وضعف سنته العجلوني في كشف الخفاء (١٨١/٢)، وقال: له شواهد تدل على أن له أصلًا. عن أبي أمامة.

(٢) رواه مسلم في الرضاع (١٤٦٧)، وأحمد (٦٥٦٧)، عن عبد الله بن عمرو.

(٣) رواه الطبراني في الأوسط (٩٧٢)، والحاكم في النكاح (١٦١/٢)، وصحح إسناده، ووافقه الذهبي، وضعف إسناده ابن حجر في التلخيص الحبير (٢٥١/٣)، وقال الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (١٩١٦): حسن لغيره. عن أنس.

وقال الحافظ في فتح الباري (١١١/٩) بعد أن ذكره مع عدة أحاديث: وهذه الأحاديث وإن كان في الكثير منها ضعف فمجموعها يدل على أن لما يحصل به المقصود من الترغيب في التزويج أصلًا؛ لكن في حق من يتأنى منه النسل.



## الكون قائم على الزوجية:

ومن فوائده أیضاً: أنه ليس هناك في الوجود شيء يعيش وحده، والله سبحانه هو الواحد، وما عداه فكله أزواج، ﴿وَخَلَقْنَاكُمْ أَزْوَاجًا﴾ [النَّبَأُ: ٨]، ﴿وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [الذاريات: ٤٩].

وهذه حقيقة قرآنية سبق الإسلام وسبق القرآن بها العلم الحديث، كل شيء في الكون له زوج، ليس الإنسان فقط، ولا الحيوان فقط، ولا بعض النبات فقط كالنخيل، كما كان يتصور الناس قديماً، وإنما النباتات كلها ذكر وأنثى، بل تجد ذلك في الجمادات؛ فالكهرباء فيها الموجب والسلب، والذرّة - التي هي أساس هذا الكون المادي - مكونة من شحنات كهربائية موجبة، وشحنات كهربائية سالبة، كما يقولون: إلكترون ونيترون.

الكون كله قائم على أساس الأزدواج، وصدق الله العظيم إذ يقول: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ وَمِنْ أَنفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ﴾ [يس: ٣٦].

ولذلك فإن الإنسان لا يشذ عن هذا النظام الكوني، ويعيش فرداً؛ فالانفراد عقوبة، يعاقب بها الناس في السجون، وهي عقوبة بالغة، مؤذية؛ لأن الإنسان خلق اجتماعياً، كما قال القدماء: الإنسان مدني بالطبع، وكما يقول المحدثون: الإنسان اجتماعي بالفطرة.

## مقوّمات الزواج في الإسلام:

الإنسان اجتماعي لا يستطيع أن يعيش وحده، ولهذا لمّا خلق الله أبا البشر آدم، لم يدعه وحده، ولو أنه كان في الجنة، وفيها كل شيء،

يستطيع أن يعيش فيها، ويأكل منها رغداً، ولكنَّه سبحانه لم يدعه وحده، خلق منه زوجه ليسكن إليها، خلق له حواء منه، أي: من جنسه، تلائمه ويلائمها، تؤنسه ويؤنسها، ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ أَتَقْوًا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَحْدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً﴾ [النساء: ١]، فلا معنى للجنة إذا عاش فيها آدم وحده، ولهذا خلق له من نفسه حواء، وقال له: ﴿أَسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغْدًا حَيْثُ شِئْتُمَا﴾ [البقرة: ٣٥].

## ١ - من أنفسكم أزواجاً:

وهذا هو الوضع الطبيعي للإنسان؛ فالزواج تكملة للإنسان؛ فالإنسان لا يستطيع أن يعيش وحده، إنما لا بد له من شريك، الرجل في حاجة إلى شريكة حياته، والمرأة في حاجة إلى شريك حياتها، والحياة بينهما مشتركة، والله تعالى يصور العلاقة بين الطرفين تصویراً كريماً بليغاً، فيقول سبحانه: ﴿هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسُ لَهُنَّ﴾ [البقرة: ١٨٧]، المرأة من الرجل، والرجل من المرأة بمنزلة اللباس، من حيث اللصوق والزينة والستر والدفع، إنها مهمة كل من الزوجين لآخر، أن يكون بمنزلة اللباس الذي يلبسه الإنسان، يستره، ويقيه، ويحميه، ويدفعه، ويجمله، ويتلاصق به.

وهذه هي الزوجية.

إنَّ اللهَ صَوَرَ الحياة الزوجية، فاعتبر هذه الحياة آية من آياته مثل خلق السماوات والأرض؛ فيقول الله تعالى: ﴿وَمَنْ ءَايَتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [آل روم: ٢١].

﴿وَمِنْ أَيَّتِهِ﴾، فالزواج آية من آيات الله، ﴿أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنفُسِكُمْ﴾، أي: من جنسكم؛ فالمرأة من جنس الرجل، والرجل من جنس المرأة، كما قال في آية أخرى: ﴿بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ﴾ [آل عمران: ١٩٥]، كلاماً مكملاً لصاحبها، ليس الرجل عدواً للمرأة، ولا المرأة عدو للرجل، ليسا في معركة يحاول كلّ منهما أن يكسبها ضدّ الآخر، فهذا تصور رديء للعلاقة بين الجنسين.

﴿خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا﴾، وكلمة زوج في القرآن تطلق على الرجل وتطلق على المرأة؛ فالرجل زوج، والمرأة زوج، والأصل في الكلمة زوج أنها للاثنين، ولكن كلّ واحد من الزوجين وإن كان فرداً في العدد، هو زوج من حيث إنّه يحمل هموم الآخر، ويشاركه، ويعبر عنه، فهو وإن كان فرداً هو زوج، وكلّ منهما زوج.

## ٢ - السكن النفسي:

﴿لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا﴾ السكون النفسي الفطري، أن يسكن الرجل إلى امرأته، والمرأة تسكن إلى رجلها، كما خلق الله حواء من أول الأمر لآدم؛ ليسكن إليها؛ فالإنسان بحاجة إلى سكنين:

سكنٌ مادي يسكن فيه، وهو البيت والمنزل والشقة.

وسكنٌ إنساني، ليس من الطوب والحجارة، وإنما إنسان يسكن إليه.

## ٣ - المودّة:

﴿وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً﴾، هذه أركان الحياة الزوجية، كما يصوّرها القرآن، سكون نفسي، استراحة كل طرف إلى صاحبه، بحيث يزول القلق والاضطراب، ثم المودّة، فكلّ منهما يودُ الآخر، وعبر القرآن عن

هذه العلاقة بالمودة، لم يعبر عنها بالحب، الذي يرد على ألسنة كثير من الناس، ويتصورونه علاقة غرامية متاجحة مشتعلة، ليس هذا هو المقصود، فكما قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه : فإنَّ أَقْلَ الْبَيْوْتِ الَّذِي يُبْنِي عَلَى الْحُبِّ، وَلَكِنَ النَّاسُ يَتَعَاشِرُونَ بِالْإِسْلَامِ وَالْإِحْسَانِ<sup>(١)</sup> ، ليس كلُّ رجل وامرأته قيساً وليلي، إنَّما تقوم البيوت على المودة والألفة، أن يودَ كُلُّ منها صاحبه، أن يكون هناك قدر من الوُد المتبادل، وهذا هو الذي ينبغي أن يكون، الوُدُ الهادئ العميق، الذي تقوم عليه الأسرة.

#### ٤ - الرحمة:

﴿وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً﴾، هناك ركن ثالث إلى جانب السكون والمودة، هو الرحمة، الحنان، الشفقة، هذه العاطفة الطيبة، أن يُحسَن كلُّ من الطرفين أنَّه مسؤول عن الطرف الآخر، يُشفق عليه، ويهتمُ به، ويرحمه، ويعذره إن أخطأ.

فالحياة الزوجية لا تقوم على القسوة، ولا على العنف، وإنَّما تقوم على الرحمة.

والرحمة شعار المجتمع المسلم، بل الرحمة شعار الرسالة الإسلامية، إذا أردتَ عنواناً لهذه الرسالة، فهي رسالة الرحمة العامة، وصدق الله العظيم إذ يقول: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٧]، وقال عليه السلام عن نفسه: «إنَّما أنا رحمة مُهداة»<sup>(٢)</sup>.

(١) رواه الخرائطي في مساوى الأخلاق (١٧٨)، تحقيق مصطفى أبو النصر الشلبي، نشر مكتبة السوادي للتوزيع، جدة، ط١، ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م.

(٢) رواه الحاكم في الإيمان (٣٥/١)، وصححه على شرطهما، ووافقه الذهبي، وصححه الألباني في الصحيحة (٤٩٠)، عن أبي هريرة.

والمجتمع الإسلامي مجتمع متراحم، كلُّ واحد فيه يرحم صاحبه، لا يقسو عليه، ولا يؤذيه.

مجتمع متراحم، ليس مجتمعًا أنانِيًّا فردِيًّا، **﴿أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحْمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾** [الفتح: ٢٩].

وقال ﷺ : «لا تدخلوا الجنة حتى تراحموا».

قالوا: يا رسول الله، كُلُّنا رحيم.

قال: «إِنَّه لِيُس بِر حَمَة أَحَدِكُمْ خَاصَّتِهِ، وَلَكُنْ رَحْمَةُ الْعَامَّة»<sup>(١)</sup>.

رحمة كل الناس، رحمة الكبير والصغير، والقوى والضعف، والرجل والمرأة، بل للإنسان والحيوان.

وهذا هو المجتمع المسلم.

إِنَّمَا لِيُسَا خَصْمِينَ فِي مَعْرِكَةٍ، إِنَّمَا زوجان تَحْتَ سَقْفٍ وَاحِدٍ.  
فَإِذَا نَظَرْنَا إِلَى الْمَجَمِعِ الصَّغِيرِ دَاخِلَ الأُسْرَةِ، يَنْبَغِي أَنْ تَكُونَ الرَّحْمَةُ فِيْهِ أَوْلَى وَأَعْمَقُ وَأَشْمَلُ مِنْ أَيِّ مَكَانٍ آخَرَ، فَلَيْكَنِ الْبَيْتُ بَيْتُ تَرَاحِمٍ، كُلُّ وَاحِدٍ مِنَ الظَّرْفَيْنِ يَكُونُ لِصَاحِبِهِ كَأَنَّهُ نَفْسُهُ، يَرْحَمُهُ، وَلَا يَقْسُوُ عَلَيْهِ،

وَتَلِكَ هِيَ دَعَائِمُ الْحَيَاةِ الْزَوْجِيَّةِ كَمَا يُصَوِّرُهَا الْقُرْآنُ.

## ٥ - الترابط المجتمعي:

الزواج إذن ليس شرًا، الزواج خير، فيه فوائد كثيرة، ومن هذه الفوائد أنه يوسع دائرة العشيرة؛ الإنسان بالزواج يكسب عشيرة جديدة، وعائلة جديدة، يضمها إلى عشيرته، فهناك رابطتان جعلهما الله في هذا الوجود:

(١) رواه النسائي في الكبرى (٥٩٢٨)، والحاكم في البر والصلة (٤/١٦٧)، وصحح إسناده، ووافقه الذهبي، عن أبي موسى الأشعري.

رابطة النسب، ورابطة الصهر، الروابط الطبيعية بين الناس غير الروابط العقدية وغيرها.

والله تعالى يقول: «وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُ نَسَبًا وَصِهْرًا» [الفرقان: ٥٤]، ومن هنا كان الصهر بجوار النسب، فيكون صهرك مثل ابن عمك، وأقاربك الذين هم من العصبة. أضفت أصهارك إلى أبناء عمومتك، وإلى أبناء عائلتك، أصبح هؤلاء أخواً لأولادك وخالات، أو أجداداً وجدات.

وهكذا يكسب الإنسان عشيره جديدة.

### اغتربوا لا تضروا:

ومن هنا استحبَّ فقهاء الإسلام أن يتزوج الإنسان من غير عائلته القرية، من غير أبناء العمومة، وقال عمر رضي الله عنه: يا بني السائب! إنكم قد أضويتم؛ فانکحوا في النزاع<sup>(١)</sup>.

أي: لا تتزوجوا من بنات العم القربيات؛ حتى لا يضوى نسلكم، أي: لا يضعف، فإن تكرار الزواج من أبناء العمومة جيلاً بعد جيل، يرث العيوب الوراثية فيهم، ويؤدي إلى ألوان من ضعف النسل، فضلاً عن فقدان هذه الفائدة العظيمة من فوائد الزواج، أنَّ الناس يكسبون أسرًا جديدة.

فإذا ظَلَّ الرجل يتزوج بنت عمِّه، والبنت تتزوج ابن عمِّها، سيظلُّ الناس محصورين في دائرة ضيقَة، لا يخرجون عنها، وإنما يريد الله بالزواج أن تَتَسَعَ الدائرة، دائرة المودَّة، ودائرة الصلة الإنسانية، كثير من

(١) رواه الدينوري في المجالسة وجواهر العلم (١٤٣٧)، تحقيق مشهور بن حسن آل سلمان، نشر دار ابن حزم، بيروت، ١٤١٩هـ.



النّاس وخاصّة في قبائل العرب، يكادون يُحرّمون أن يزورّجوا البنت من غير ابن عمّها، وما أنزل الله بهذا من سلطان، إنّما ينبغي أن تتزوج البنت من الكفاء الصالحة.

في بعض البلاد في صعيد مصر، لا يزوجون إلّا من القبيلة، وإذا جاء رجل من خارج القبيلة ولعله يكون معه أعلى الشهادات، ويكون من أفضّل النّاس أخلاقياً وعلمًا وعملاً وصلاحًا، يقولون عنه: فلاّح، وشعارهم هذا المثل الشائع بينهم: «يأكلها تمساح ولا يأخذها فلاّح».

إنّها تقاليد جاهليّة ما أنزل بها من سلطان.

### أخطاء شنيعة في تطبيق الزواج:

إنّ الإسلام يريد من الزواج أن يقيم أسرة صالحة، والأسرة الصالحة هي نواة المجتمع الصالح، ولكننا - نحن المسلمين - نقع في أخطاء شنيعة، يجعل من الزواج غير ما يريد الإِسلام؛ هنالك أخطاء قبل الزواج، وأخطاء بعد الزواج، أخطاء في مقاييس الاختيار نفسه، مَن هو الذي اختاره زوجاً، ومن التي اختارها زوجة، ما المقاييس؟

لقد اضطربت المقاييس، وفسدت المعايير، واختلت الموازين، هنالك أخطاء في الاختيار، أخطاء في إجبار الفتاة على أن تتزوج من لا تُريد، وهذا خطأ كبير لا يرضي به كتاب ولا سُنة.

هنالك أخطاء في الخطبة بين المُفرطين والمُفَرطين.

هنالك أخطاء في الولائم، في المهر، في التأثيث، في غير ذلك.  
وبالجملة: هنالك أخطاء قبل الزواج، وأخطاء بعد الزواج.



لا بد أن نعود إليها مرّة أخرى في لقاءات أخرى؛ لنتحدّث عن هذا الأمر، الذي يشغل كلّ بيت، وكلّ شاب، وكلّ شابة، كلّ أب وكلّ أم، إذا كانا حريصين على أبنائهما وبناتها، فإن بعض الآباء لا يبالي وإن ظلت ابنته عانسًا في البيت، أو ظلّ ابنه (حبله على غاربه) - كما يقولون، يفعل ما يشاء، صلح أم فسد، استقام أم انحرف.

بعض الآباء لا يبالي، بعض الناس لا يهتمُّ، وهو أمر خطير، أرجو أن نعود إليه، ونتحدّث عنه في ضوء الإسلام، ومعايير الإسلام، وهدي الإسلام.

اللهم وفقنا لما تحبُّ وترضى، واهب لنا من أمرنا رشداً.

أقول قولي هذا، وأستغفر لله لي ولكم، فاستغفروه؛ إنه هو الغفور الرحيم، وادعوه يستجب لكم.

\* \* \*



## الخطبة الثانية

أَمَّا بَعْدُ، فِي أَيُّهَا الْإِلَحْوَةِ الْمُسْلِمُونَ:

وَرَدَ أَنَّ فِي يَوْمِ الْجُمُعَةِ سَاعَةً إِجَابَةً لَا يَصَادِفُهَا عَبْدٌ مُسْلِمٌ يَدْعُ اللَّهَ بِخَيْرٍ إِلَّا اسْتَجَابَ لَهُ<sup>(۱)</sup>، وَنَرَجُو أَنْ تَكُونَ هَذِهِ السَّاعَةُ.

اللَّهُمَّ أَصْلِحْ لَنَا دِينَنَا الَّذِي هُوَ عَصْمَةُ أَمْرِنَا، وَأَصْلِحْ لَنَا دُنْيَانَا الَّتِي فِيهَا مَعَاشُنَا، وَأَصْلِحْ لَنَا آخِرَتَنَا الَّتِي إِلَيْهَا مَعَادُنَا، وَاجْعَلْ الْحَيَاةَ زِيَادَةَ لَنَا فِي كُلِّ خَيْرٍ، وَالْمَوْتَ رَاحَةَ لَنَا مِنْ كُلِّ شَرٍّ.

اللَّهُمَّ اجْعَلْ يَوْمَنَا خَيْرًا مِنْ أَمْسَنَا، وَاجْعَلْ غَدَنَا خَيْرًا مِنْ يَوْمَنَا، وَأَحْسِنْ عَاقِبَتَنَا فِي الْأَمْوَارِ كُلَّهَا، وَأَجْرُنَا مِنْ خَزِيِ الدُّنْيَا وَعَذَابِ الْآخِرَةِ.

اللَّهُمَّ اغْفِرْ لَنَا مَا مَضَى، وَأَصْلِحْ لَنَا مَا بَقِيَ.

اللَّهُمَّ اجْمِعْ كُلَّمَةِ الْمُسْلِمِينَ عَلَى الْهُدَىِ، وَقُلُوبَهُمْ عَلَى التَّقْوَىِ، وَأَنْفُسَهُمْ عَلَى الْحُبِّ فِيهِ، وَعَزَائِمُهُمْ عَلَى عَمَلِ الْخَيْرِ وَخَيْرِ الْعَمَلِ.

اللَّهُمَّ أَيْدِ إِخْوَانَنَا الْمُجَاهِدِينَ فِي سَبِيلِكَ فِي كُلِّ أَرْضِ إِسْلَامِيَّةِ، وَثَبِّتْ إِخْوَانَنَا الْمُضْطَهَدِينَ وَالْمُمْتَحَنِينَ، وَاجْعَلْ لَهُمْ مِنْ عَسْرِهِمْ يَسِيرًا، وَمِنْ ضَيْقِهِمْ فَرْجًا.

اللَّهُمَّ هَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشِيدًا، وَلَا تَكُلْنَا إِلَى أَنْفُسَنَا طَرْفَةَ عَيْنٍ، وَلَا أَقْلَّ مِنْ ذَلِكَ.

(۱) كما في الحديث المتفق عليه، أن رسول الله ﷺ ذكر يوم الجمعة فقال: «إِنَّ فِي الْجُمُعَةِ لِسَاعَةً، لَا يَوْافِقُهَا مُسْلِمٌ، قَائِمٌ يَصْلِي، يَسْأَلُ اللَّهَ خَيْرًا، إِلَّا أُعْطَاهُ إِيمَانًا». وأشار بيده يقللها. رواه البخاري (٩٣٥)، ومسلم (٨٥٢)، كلاهما في الجمعة، عن أبي هُرَيْرَةَ.

﴿رَبَّنَا أَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبَّتْ أَقْدَامَنَا وَأَنْصَرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٧].

﴿رَبَّنَا أَغْفِرْ لَنَا وَلِلْخَوَنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غَلَّا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [الحشر: ١٠].

عباد الله:

يقول الله تعالى : ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلِّوْنَ عَلَى النَّبِيِّ يَتَأَمَّلُهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا صَلَوْا عَلَيْهِ وَسَلَّمُوا تَسْلِيماً﴾ [الأحزاب: ٥٦].

اللهم صلّ وسلّم وبارك على عبدك ونبيك محمد، وعلى آله وصحبه، والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين.

وأقم الصلاة.

\* \* \*

## أخطاء المجتمع في أمر الزواج

### الخطبة الأولى

أمّا بعد، فيا أيها الإخوة المسلمين:

انحرفنا بالزواج عن تعاليم الإسلام:

لا يزال حديثنا موصولاً عن التربية الاجتماعية، عن المجتمع كما ينشده الإسلام، والأسرة نواة المجتمع، والزواج هو أساس الأسرة، ولهذا علينا أن نصحح مفاهيمنا، ونصحح سلوكنا في موضوع الزواج.

نحن خالفنا عن أمر الله تعالى وأمر رسوله في أمور الزواج، فانحرفنا عن النهج السليم، وعن الصراط المستقيم.

شرع الله الزواج سهلاً فصعبناه، يسيرًا فعسرناه، بسيطاً فعقدناه، وضعنا ألف عقبة وعقبة في سبيل الحلال، ولكن للأسف في جوار هذا فتحنا الأبواب للحرام؛ فالمحغرات للحرام كثيرة، والحوافر عليه شتى، والذي يؤجج النار في جوانح الشباب والشابات شيء كثير، تتعاون عليه أجهزة شتى.

ومع هذا في شأن الحلال نُعوق أمر الحلال، نغلق الأبواب أمام الفتيان والفتيات، وينسبون ذلك أو بعضه إلى شرع الله، وما هو - والله - من شرع الله، بل إننا لا نطبق شرع الله تعالى.

والعجب من النّاس أَنَّهُم يطالبون الحُكَّام بتطبيق الشّريعة، وهم لا يطبقون الشّريعة فيما يتيسّر لهم من شؤون حياتهم، كأنَّ الشّريعة واجب تطبيقها على الحُكَّام وحدهم، أمّا الشعوب، أمّا المجتمعات، أمّا أنا وأنت، وهو وهي، وهم وهنّ؛ فكأنَّا لسنا مطالبين بتطبيق شريعة الله.

يجب أن نقف عند أوامر الله تعالى، يجب أن نبحث عما يجب علينا تجاه أنفسنا وأبنائنا وبناتنا؛ لنقيم البيت المسلم الّذِي هو الدّاعمة الأولى لتكوين المجتمع المسلم، يجب أن نعمل لإقامة زواج شرعي، كما أراد الله تبارك وتعالى.

### جمعنا أسوأ الموروث وأسوأ الوافد:

إننا نعسر أمر الزواج بالطلبات الكثيرة، كما قلنا من قبل، بالحفلات، والولائم، وغلاء المهر، وغير ذلك مما ورثناه من قديم، ومما وفد إلينا من حديث.

جمعنا بين السوئين، أشياء موروثة من قديم ما أنزل الله بها من سلطان، ولا قام عليها من الشرع برهان، وأشياء وافدة علينا، قدّمت علينا، مثل أن يقيم النّاس أحفالاً في الفنادق الكبرى، ينفقون فيه ما ينفقون، ومثل أن يتغالي النّاس في تأسيس البيوت مما لا حاجة إليه، أو مما لا يتّفق وطاقاتهم وقدراتهم المالية.

لقد دخلت علينا أشياء لم تكن من قبل، وهناك أشياء ورثناها من قبل، وجمعنا بين السوئين، وكلُّ هذا يُعوق أمر الزواج، ويؤخّره، وهذا مخالف لسنة الإسلام في الأمر بالتبشير بالزواج، وتيسيره.



كان المسلمون قديماً وطوال عصورهم لا يعرفون إلا الزواج المبكر، فكانوا يسارعون إلى تزويج أبنائهم وبناتهم؛ سترًا لهم وتحصيناً لهم من نزغات الشيطان، ويقيمون الأسرة المسلمة بأبسط ما يكون.

كان المسلمون كثيراً ما يزوجون أولادهم في بيوتهم، و يجعلون لكل ابنٍ من أبنائهم حجرة واحدة، ولكن الناس الآن توسعوا وتوسّعوا، وقالوا: لا بدّ من بيت مستقلّ، أو شقة مستقلّة، لا بدّ من عدّة حجرات.

وقد دخلتُ بعض البيوت في إحدى زياراتي لليابان، فوجدتها صغيرة محدودة، وفيها كلُّ شيء، ولكن الحجرة الواحدة يمكن أن تستعمل للجلوس، وعند الغداء يأتون بمائدة متحركة يمكن أن تُطوى، تُفرد عند الطعام، وتُطوى بعده، ويمكن بعد الطعام أن تستغلَّ الحجرة للضيف.

وهذا ما كان عليه المسلمون قديماً، تستعمل الحجرة الواحدة في عدّة أغراض.

أمّا الآن، فقد فرضت علينا عادات استهلاكية، جعلتنا نسير وراء الغرب، وهو يمددُ الحال لنا لنشاري من مصنوعاته، ومن منتجاته ما لا حاجة لنا إليه، وما يمكن الاستغناء عنه، من أجل أن نضيع أموالنا، ونُبذّرها؛ فمصانعهم تنتج، وتريد أن تستمرّ، ويريدون مثّا أن نشتري، ونحن نشتري من أجل إعلاناتهم المغربية، ونقع أسري هذا كله.

وقد شكا لي موظف كبير مرموق عن ضيقه بتجهيزات العرس، وكثرة طلبات بناته، وخصوصاً في شأن الأزياء.

فقلتُ: سبحان الله! إذا كان هذا الرجل - وهو موظف كبير وصاحب دخل كبير - يشكو ذلك، فماذا يفعل الإنسان العادي؟!

لقد دخلت علينا عادات استهلاكية، وألزمناها للأسف، وأصبحنا عبيداً لها، وأصبحت تفرض علينا أن نطيعها، وكثير منا لا يطيقها، فتكون النتيجة أن يتأخر الزواج، فيبلغ الفتى من الخامسة عشرة من عمره، ويستمر إلى العشرين، وإلى الخامسة والعشرين، وربما إلى الثلاثين، ولما يتزوج؛ لأنَّه لا يدرِّي كيف يأتي بُكلفة الزواج، ونفقات الزواج الهائلة، فلا بدَّ أن ينتظر.

ومعنى الانتظار: أن سنوات من عمره تضيع، وسنوات أخرى من عمر فتاة مماثلة له تضيع - أيضاً - في الحرمان.

وربما تمضي هذه السنوات في أشياء أخرى غير الحرمان، فمن تعسر عليه طريق الحال ربما فَكَرَ في الحرام؛ فالناس ليسوا ملائكة، والشياطين كثُرٌ؛ شياطين الإنس وشياطين الجن.

### **التبشير بالزواج هو المطلوب:**

لا بدَّ أن نعمل على التبشير بالزواج، فمن أخطائنا التي أصبحت كأنَّها سُنَّة متَّبعة في أيامنا هذه، هي تأخير الزواج، وحين يتتأخر الفتى تتأخر معه فتاة، وأكثر من ذلك، لأنَّه قد يبحث عن فتاة أخرى من مجتمع غير مجتمعه الذي نشأ فيه، فمعنى هذا أنَّه يُعطل فتاة عن الزواج؛ لأنَّ هناك توازنًا بين عدد الرجال والنساء، الذكور والإإناث، وهو توازن كوني من تدبير الله تبارك وتعالى، فإذا لم يتزوج الفتى فتاة من مجتمعه، فهذا يعني أنَّها بقيت بلا زوج، وخاصة أنَّ عدد الصالحات للزواج من الإناث دائمًا أكثر من عدد القادرين على الزواج من الشباب.

### **من الأخطاء في الزواج:**

**وأخطأونا في الزواج كثيرة منها:**



## ١- إهمال رضا الفتاة وحرية اختيارها:

إننا لا نقيم للرضا وللاختيار وزنه الشرعي؛ فالشرع يريد ألا يتم الزواج إلا على أساس اختيار كامل؛ حتى تقوم الحياة الزوجية على المودة والسكنية والرحمة والمحبة، ومن هنا شرع الإسلام أن تُستأمر وتُستأذن الفتاة، سواء أكانت ثيئاً أم بكرًا<sup>(١)</sup>.

فالثيب تُستأمر في نفسها، يستأذنها ولثيئها، ولا بد أن تقول بتصريح العبرة ما يدل على الموافقة.

أمّا البكر فتُستأذن - أيضاً، ولكن جعل الشرع إذنها أن تصمت؛ فالسکوت هنا علامه الرضا.

أمّا إذا قالت: لا، فليس من حق أحد أن يجبرها أن تتزوج من لا تريد؛ فالزواج شأنها هي، وليس شأن أبيها أو أخيها أو ولديها أيّاً ما كان.

إنَّ الشرع لم يُجز لولي المرأة أن يبيع شيئاً مما تملكه من سلعة، إلا بإذنها، فكيف يجوز له أن يتصرف فيها، في مصيرها، في مستقبلها، في حياتها، بغير إذنها ورضاهَا؟!

لهذا لا بد من أن تُستأذن، لا بد من أن يؤخذ رأيها، لا بد من أن ترضى عنمن تتزوج به.

إنَّ كثيراً من الآباء يجبرون بناتهُم على ما يريدون، على الرغم من إباء الفتاة، وعلى الرغم من بكائهما، على الرغم من أنَّ الأب يعلم أنها

(١) إشارة إلى الحديث المتفق عليه: «لا تنكح الأئم حتى تُستأمر، ولا تُنكح البكر حتى تُستأذن». قالوا: يا رسول الله، وكيف إذنها؟ قال: «أن تسكت». رواه البخاري (٥١٣٦)، ومسلم (١٤١٩)، كلامهما في النكاح، عن أبي هريرة.

لا ترضى، بأيّ شرع هذا؟! وكيف يجوز لأب أن يجبر ابنته وفلذة كبده على أن تعيش مع إنسان لا ترضاه، ولا تطمئن إلية؟!  
وهذا - للأسف - ما يقع فيه كثيرون.

أرسلت إلي فتاة رسالة من خمس صفحات تقريباً، تشكو فيها أنّ أباها - وهو رجل صالح يصلي ويصوم ويحج ويغسل الخير كما تقول - يريد أن يزوجها من ابن أخيه، وهي غير راضية، وهي تعلم أن ابن عمها لا يريدها، وقلبه معلق بفتاة أخرى، وهو أخبرها بذلك، ولكنّه مضطّر أن يسمع للعائلة - أيضاً. فتنزوج المرأة من لا تريده، ولا يريدها، بأيّ شرع هذا، أن يُزوج اثنان، ولا رغبة لأحدهما في الآخر؟!

**إِنَّ الْزَوْاجَ سَكَنٌ وَمَوْدَةٌ وَرَحْمَةٌ، ﴿أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوْدَةً وَرَحْمَةً﴾ [الروم: ٢١].**

لماذا يجبر الأب ابنته على أن تنزوج من لا تريده؟

هذا لا يتفق مع الشرع، ولا مع العقل، ولا مع المصلحة، ومثل هذا الزواج مصيره الإخفاق، لا بد أن ينتهي نهاية مؤلمة.

إن الإسلام يريد أن يتم الزواج بتراضي كل الأطراف، وأول هذه الأطراف: الفتى والفتاة؛ فهما الطرفان الأساسيان في الموضوع، هما أصحاب هذه الشركة المقدسة.

### ليس للأباء من أمر الزواج شيء:

ولقد تزوجت امرأة على عهد النبي ﷺ بغير رضاها، وهي خنساء بنت خدام، فرد النبي نكاحها، وأبطل زواجها<sup>(١)</sup>.

(١) رواه أحمد (٢٤٦٩)، وقال مخرجوه: إسناده صحيح على شرط البخاري. وأبو داود (٢٠٩٦)، =



وروى النّسائي وغيره، أن فتاة دخلت على عائشة رضي الله عنها، فقالت: إنَّ أبِي زَوْجِنِي ابْنَ أخِيهِ لِيُرْفَعَ بِي خُسِيسِتِهِ وَأَنَا كارهَةٌ.

قالت: اجلسِي حَتَّى يَأْتِي النَّبِيُّ ﷺ، فجاء رسول الله ﷺ، فأخبرَتُهُ، فأرسلَ إلَى أبِيهَا فدعاَهُ، فجعلَ الْأَمْرَ إلَيْهَا، فقالت: يا رسولَ اللهِ، قد أجزَتُ مَا صنعَ أبِي، ولَكُنْ أرْدَثُ أَنْ تَعْلَمَ النِّسَاءَ أَنَّ لِلْآباءِ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ<sup>(١)</sup>.

أجازت الفتاة ما صنع أبوها، ولكنها بذكائها ونور بصيرتها، أرادت أن تُعلّم وتُعلم النساء: ألهنَ حَقٌّ في أنفسهنَّ، أم أنهنَّ أسيرات الآباء، فأعلمها النبي ﷺ أنَّ الآباء ليس لهم حَقٌّ في هذا الأمر، إلَّا بِإذْنِ الْبَنَاتِ ورضا الفتيات.

يجب أن نعلم أنه ليس للأب أن يجبر ابنته، وليس هذا من المصلحة في شيء، ولا من الدين في شيء.

## ٢ - لا بدَّ من رضا الولي:

كما يجب أن يتمَ الزواج برضاء الآباء، أو الأولياء، ومن هنا اشترط جمهور الفقهاء من المالكية والشافعية والحنابلة: رضا الولي في الزواج.

= وابن ماجه (١٨٧٥)، كلاهما في النكاح، ورجح أبو داود إرساله، وصححه ابن القطان في بيان الوهم والإيمام (٢٥٠/٢)، وقال الحافظ في الفتح (١٩٦/٩): الطعن في الحديث لا معنى له، فإن طرقه يقوى بعضها ببعض. ودافع الصناعي في سبل السلام (٢٥٩/٣) عن سنته دفاعاً جيداً. عن ابن عباس.

(١) رواه أحمد (٢٥٠٤٣)، وقال مخرجوه: صحيح. والنّسائي في النكاح (٣٢٦٩).

لَا بَدَّ مِنْ رِضَا الْوَلِيِّ وَإِذْنِهِ، وَجَاءَ فِي هَذَا بَعْضُ الْأَحَادِيثِ: «لَا نِكَاحٌ إِلَّا بِوَلِيٍّ»<sup>(١)</sup>; حَتَّى لَا تُزَوِّجَ الْفَتَاهُ نَفْسَهَا، بِغَيْرِ رِضَا أَهْلِهَا، وَيَكُونُ أَهْلُهَا خُصْمَاءً لَهَا، بَدْلًا أَنْ يَكُونُوا خُصْمَاءً عَنْهَا.

فَإِذَا سَاءَتِ الْعَلَاقَةُ يَوْمًا بَيْنَهَا وَبَيْنَ زَوْجِهَا، فَمَنْ يَحْمِي عَنْهَا؟! وَمَنْ يَقْفِي بِجَوارِهَا؟ مِنَ الَّذِي يَفْتَحُ لَهَا صَدْرَهُ، إِذَا تَزَوَّجَتْ بِغَيْرِ رِضَا هُنْمَانِهِمْ؟

لَهُذَا يَنْبَغِي أَنْ يَرْضَى الْأَبُ، أَوْ يَرْضَى الْوَلِيُّ إِذَا لَمْ يَكُنْ الْأَبُ مُوجُودًا.

### ٣ - لَا بَدَّ مِنْ رِضَا الْأُمِّ:

وَالْأُمُّ - أَيْضًا - يَنْبَغِي أَنْ تَكُونَ راضِيَةً عَنِ الزَّوْاجِ، وَلَهُذَا يَقُولُ النَّبِيُّ ﷺ: «آمِرُوا النِّسَاءَ فِي بَنَاتِهِنَّ»<sup>(٢)</sup>، أَيْ: شَاوِرُوهُنَّ، اسْمَعُوهُنَّ رأِيهِنَّ وَمُشَوِّرِتِهِنَّ، حِينَما تَرِيدُوهُنَّ زَوْاجَ بَنَاتِهِنَّ؛ وَذَلِكَ لِأَنَّ الْأُمَّ أَعْرَفُ بِبَنَاتِهَا مِنْ أَبِيهِا؛ فَكَثِيرًا مَا تُخْفِي الْبَنْتُ أَمْرَهَا عَنِ أَبِيهَا، لَا تَجِرُؤُ أَنْ تَصَارِحَهُ بِمَا عِنْدَهَا، وَلَكِنَّهَا تَصَارِحُ أَمْرَهَا كَثِيرًا؛ فَالْأُمُّ أَقْرَبُ إِلَيْهَا، وَالْأُمُّ أَنْثى، وَهِيَ أَعْرَفُ بِالْأَنْثى مِنَ الرَّجُلِ، وَلَهُذَا يَقُولُ النَّبِيُّ ﷺ: «آمِرُوا النِّسَاءَ فِي بَنَاتِهِنَّ»، لَا يَفْاجِئُ الرَّجُلُ الْأَسْرَةَ بِأَنَّهُ زَوْجُ ابْنِهِ مِنْ فَلانَ بْنَ فَلانَ، الْأَبُ لَا يَعْلَمُ هُلْ لَهُذِهِ الْبَنْتِ ارْتِبَاطَاتٍ؟ هُلْ يَمْيِلُ قَلْبُهَا إِلَى إِنْسَانٍ آخَرَ؟ أَوْ لَعْلَ.. أَوْ لَعْلَ.. لَا بَدَّ مِنْ رِعَايَةِ هَذِهِ الْأَمْوَارِ كُلُّهَا.

(١) رواهُ أَحْمَدُ (١٩٥١٨)، وَقَالَ مُخْرِجُوهُ: حَدِيثٌ صَحِيحٌ. وَأَبُو دَاوُدَ (٢٠٨٥)، وَالْتَّرْمِذِيُّ (١١٠١)، (١١٠٢)، وَقَالَ: الْعَمَلُ عَلَى هَذَا عِنْدَ أَهْلِ الْعِلْمِ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ وَغَيْرِهِمْ. وَابْنُ مَاجَهَ (١٨٨١)، ثَلَاثَتُهُمْ فِي النِّكَاحِ، عَنْ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ.

(٢) رواهُ أَحْمَدُ (٤٩٠٥)، وَقَالَ مُخْرِجُوهُ: حَدِيثٌ حَسْنٌ. وَأَبُو دَاوُدَ (٢٠٩٥)، عَنْ ابْنِ عُمَرَ.

## مرااعة تغیر العصر:

إنَّ الحياة قد تغيَّرت، والدُّنيا قد تطَوَّرت، وإذا كان بعض الفقهاء قد يمِّا أجازوا للأب أن يجبر ابنته البُكْر، فأعتقد أنَّ هؤلاء لو حضروا عصراً الآن، وعاشوا ما نعيش، ورأوا المرأة تتعلَّم وتتثقَّف، وتخرج إلى الحياة؛ لغيَّروا اجتهاداتهم، كما غيَّروها في كثير من الأمور؛ فالإمام الشافعي كان له مذهب في العراق، يقال له: القديم، وله مذهب في مصر يقال له: الجديد؛ فإنَّه لمَّا انتقل إلى مصر، غيرَ كثيراً من آرائه واجتهاداته؛ فقد رأى ما لم يكن قد رأى، وسمع ما لم يكن قد سمع.

إننا في عصر أصبحت الفتاة المتعلمة مثقفة ذات رأي وفكرة، أصبح منها الطيبة والمتعلمة والاجتماعية والمربيَّة والأديبة والكاتبة، فلا بدَّ أن نعرف رأيها، لم تُعد الفتاة تلك الدمية في البيت، لم تعد كأنَّها قطعة من أثاث البيت.

لا! أصبحت إنساناً يفكِّر ويرى، ولذلك لا بدَّ أن نأخذ رأيها، ورأيَّها.

## ٤ - عدم التزام حدود الشرع في الخطبة:

ومن الأشياء التي يقع الخطأ فيها: مسألة الخطبة، فإننا لا نقف فيها عند حدود الشرع، نحن ما بين مُفرطين ومُفَرّطين.

فهناك أناس إلى يومنا هذا، لا يسمحون للخاطب أن يرى مخطوبته، والشرع أمرنا بالرؤيه، ولما جاء رجل إلى النَّبِيَّ ﷺ، وقال: خطبتُ امرأة يا رسول الله، قال: «هل نظرت إليها؟». قال: لا.

قال: «اذهب فانظر إليها؛ فإنَّه أحرى أن يؤدم بينكمَا»<sup>(١)</sup>، أي: يكون بينكمَا ائتلافٌ واتفاقٌ؛ فالعين رسول القلب، لعلَّك تقع من قلبها موقعًا، وتقع من قلبك، فيكون هذا وسيلة من وسائل إرساء المودة من أول يوم.

وقال لآخر: «انظر إليها؛ فإنَّ في أعين الأنصار شيئاً»<sup>(٢)</sup>، لعلَّ عينيها لا تُعجبك؛ لأنَّ في أعين الأنصار طبيعة معينة متوارثة في العين.

فهناك مَن ي يريد امرأة ذات عين واسعة، أو عين زرقاء، أو عين سوداء، وكلُّ واحد له ذوق معين، والفتاة - أيضًا، لها فارس أحلام كما يقولون، تتخيله.

فمن حق المرأة أن ترى خاطبها، ومن حقه أن يراها، وهذا ما أمرنا به الشرع، وجاء في الحديث: «إذا خطب أحدكم المرأة، فإن استطاع أن ينظر منها إلى ما يدعوه إلى نكاحها، فليفعل»<sup>(٣)</sup>.

ينظر منها إلى ما يدعوه إلى الزواج منها، وهذا يعني: أنه ينظر إلى الوجه والكففين، بل هناك مَن قال: ينظر إلى شعرها، إلى ذراعها، إلى ساقها.

وقد رواه أنَّ عمر بن الخطاب حين أراد أن يتزوج أمَّ كلثوم بنت علي بن أبي طالب، وكانت صغيرة، فذكر له صغرها، فقال له علي: أبعث بها إليك، فإن رضيت فهي امرأتك.

(١) رواه أحمد (١٨١٥٤)، وقال مخرجوه: صحيح. والترمذى (١٠٨٧)، وحسنه، والنسائي (٣٢٣٥)، وابن ماجه (١٨٦٥)، ثلاثتهم في النكاح، عن المغيرة بن شعبة.

(٢) رواه مسلم في النكاح (١٤٢٤)، وأحمد (٧٨٤٢)، عن أبي هريرة.

(٣) رواه أحمد (١٤٥٨٦)، وقال مخرجوه: حديث حسن. وأبو داود (٢٠٨٢)، والحاكم (١٦٥/٢)، كلاهما في النكاح، وصححه على شرط مسلم، ووافقه الذهبي، ووثق رجاله ابن حجر في بلوغ المرام (٩٨١)، عن جابر بن عبد الله.



فأرسل بها إليه، فكشف عن ساقيهما، فقالت: لو لا أَنْكَ أمير المؤمنين لصَكَكتُ عينك<sup>(١)</sup>.

وإنَّما أراد أن ينظر إليها؛ لأنَّه خاطب.

ويمكن للخاطب أن يراها بإذنها، وإذن أهلها، أو بدون إذنها في غفلة منها، كما في حديث جابر رضي الله عنه ، قال: فخطبتُ جارية فكنتُ أتخبأً لها، حتَّى رأيتُ منها ما دعاني إلى نكاحها<sup>(٢)</sup>.

يمكن للخاطب أن يدبر أمر رؤيتها بواسطة الأهل، أو بعض أصدقاء العائلة، بحيث يراها وهي خارجة من محلٍّ أو غير ذلك، خشية ألا تعجبه، فيجرح إحساسها؛ فمن المشكلات أن يرى الخاطب المرأة أو الفتاة فلا تعجبه، فإذا تركها جرح شعورها، فإذا كان ذلك بغير علمها في أول الأمر، كان هذا أفضل، على أنَّه ينبغي بعد ذلك رؤية مشتركة؛ لأنَّ الرؤية حقٌّ له ولها - أيضًا.

### رؤية الخاطب بين الغلو والتغريط:

ومع هذه الأحاديث النبوية الواضحة، والآثار البينية عن الصحابة، وعمل السلف من المسلمين، طوال عصور الإسلام الأولى، يوم كان الإسلام إسلاماً، وكان المسلمون مسلمين - فإنَّ المسلمين في بعض الأقطار، وفي بعض العصور الأخيرة، توارثوا أشياء ليس عليها دليل من الشرع أثبتة.

(١) رواه عبد الرزاق في النكاح (١٠٣٥٢، ١٠٣٥٣).

(٢) الحديث قبل السابق.

توارث الناس أنَّ الرجل إذا خطب لا يرى خطيبته إلَّا ليلة زفافها،  
ليلة البناء بها، فيدخل على امرأة لم تره ولم يرها.

والعجب أن يظلَّ هذا التقليد إلى اليوم، الفتاة تذهب إلى المدرسة،  
وتحصل على الإعدادية، والثانوية، وتدخل الجامعة، ويدرس لها أساتذة  
ومدرسون، وتذهب لتحصل على الماجستير وربما الدكتوراه، وتسافر  
إلى بلاد شتَّى، وترى ألواناً وأنواعاً من الرجال، ولكن رجلاً واحداً هو  
الذِّي يحرُّم عليه أن يراها أو تراه، هذا الرجل هو خاطبها، حتَّى إن عقد  
عليها العقد.

وهذا ما يحدث إلى اليوم هنا في قطر، أنَّ الخاطب لا يرى مخطوبته،  
بل العاقد لا يرى المعقود عليها إلَّا ليلة الزفاف، بأيِّ شرع هذا؟  
هذا أمر ليس له في الشرع دليل ولا شبه دليل.

وبعكس هذا نجد أنساً آخرين، «عصريين» «تقدُّميين»، أولئك الذين  
يدعون للفتاة الحبل على الغارب، يطلقون لهما العنان، بمجرد  
الخطبة، يذهب هو وهي إلى السينما، إلى المتنزهات، إلى الخلوات،  
وهو لم يعقد عليها بعد، ولا رقيب عليهما ولا حسيب.

نحن ما بين الإفراط والتفرط، وليس هذا من الإسلام في شيء،  
ولا ذاك؛ فالإسلام هو المنهج الوسط للأمة الوسط.

الذي يخطب ينبغي أن يرى مخطوبته، ويمكن أن يجلس معها بعد  
الخطبة في غير خلوة ولا تبرج، أي: يزور أهلها، فإذا جاءت وجلست  
محشمة معهم، في جلسة تضمُّ العائلة، يسمع منها كيف تفكَّر، وكيف  
تتصرَّف، فهذا لا بأس به.



وإنما المحرّم هو الخلوة، والمحرّم هو التبرّج، والمحرّم أن يتأبّط ذراعها ويصحبها، ويماس جسدها جسده، قبل أن تصبح زوجة.

إننا - أيها الإخوة المسلمين - نقع في أخطاء كثيرة في أمر الزواج، ولهذا نشكوا - للأسف - من كثرة ما يقع من الفساد، وكثرة ما يقع بعد الزواج من الطلاق، وكثرة ما يحدث من الحوادث التي تشقّق الأسر، وتهدم بنيانها من القواعد، ولو حكمنا شريعة الله، ووقفنا عند حدوده، لكان الخير كلّ الخير من وراء ذلك.

إن القرآن يذكر أمرين دائمًا يحوطان أمر الزواج: حدود الله، والمعروف.

وحدود الله: أوامر ونواهيه، قال تعالى: ﴿تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا وَمَن يَعْدَ حُدُودَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [آل عمران: ٢٢٩].

والمعروف: ما يتعارفه أهل الدين والفضل والفقه في سُنن الله وأحكامه، ﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾ [آل عمران: ٢٢٨].

وهذا ما ينبغي أن يحوط أمر الزواج في حياتنا، أسأل الله تبارك وتعالى أن يفقّهنا في ديننا، وأن يعلّمنا ما ينفعنا.

أقول قولي هذا، وأستغفر لله لي ولكم فاستغفروه؛ إنّه هو الغفور الرحيم، وادعوه يستجب لكم.

\* \* \*

## الخطبة الثانية

أمّا بعد، فيا أيُّها الإخوة المسلمين:

### حصار المخيّمات الفلسطينية في لبنان:

لا يستطيع إنسان يعيش في هذا العصر، دون أن يمرّ على تلك الأحداث، التي تنخر في أمّتنا، وتعمل عملها، كما تعمل السكين في اللحم!

وإن من أشدّ الأحداث التي مرّت بنا في هذه الأيام، ما قرأناه في الصحف، في تلك الأيام الفاتحة، ولا يزال مستمراً إلى اليوم، إنّه حصار المخيّمات الفلسطينية في لبنان.

أسمعتم بهذا الصراخ؟ أسمعتم بصيحات الجائعين؟ أسمعتم بكاء الأطفال وأنين الأمهات؟ أسمعتم بما يحدث؟ أسمعتم بذلك الاستفتاء الذي هو وصمة عار على هذه الأمة؟ أسمعتم بالذين أرسلوا إلى شيخ المسلمين وعلمائهم يستفتوهم في أكل لحوم الموتى؟

أرسلوا يستفتو: هل يحلُّ للإنسان أن يأكل لحم أخيه ميتاً؟

لقد أجهزوا على لحوم القطط والكلاب والحيوانات الصغيرة، أجهزوا على كلّ هذه الحيوانات، حين لم تبقَ لقمة خبز، حين لم يبقَ شيء يأكله ذو كبد رطبة، هنالك قالوا: يا ناس أفتونا، هل يجوز لنا أكل لحم موتانا؟ وما أكثر موتانا!

إنّ الموتى كثيرون، منهم الذين يُطلق عليهم الرصاص، ومنهم الذين يخرون صرعي من رصاص آخر هو الجوع، أيجوز لهم أن يأكلوا هؤلاء



الأموات؟ أیجوز للإنسان أن يضع لحم أخيه على النار يشويه؟! هل  
يجوز له أن يأكل لحم أخيه، هذا الذي كان يعاشه بالأمس؟ أم يترك  
نفسه ليموت هو - أيضاً - من الجوع؟!

إنَّه استفتاء وكارثة، أن يحدث هذا في دنيا المسلمين، أين  
المسلمون؟ أين العرب؟ أين مؤتمرات القمم؟ أين الناس؟

يحدث هذا على مرأى وسمع من الجميع، ولا يتحرك أحد، كأنَّما  
ينادون قبوراً صامتة.

لقد أسمعتَ لو ناديتَ حيَاً ولكن لا حياة لمن تنادي<sup>(١)</sup>  
إنَّ القرآن حينما أراد أن يصوّر لنا شناعة الغيبة، أن يتناول الإنسان  
عرض أخيه في غيبته، ويتكلّم عنه بما يكره، ويتحدث عنه بالسوء، وهو  
لا يستطيع أن يدافع عن نفسه، قال: ﴿وَلَا يَغْتَبَ بَعْضُكُمْ بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ  
أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهُتُمُوهُ﴾ [الحجرات: ١٢].

يصوّر القرآن أمر الغيبة، بصورة غريبة لا تحدث، ولكن هذا ما يريد  
الناس أن يحدث، أن يأكل الإنسان لحم أخيه ميتاً، أن يُحاصر حتى  
لا يجد أمامه إلَّا أكل لحوم الموتى، أين العرب؟ أين المسلمين؟ أين  
هؤلاء وهؤلاء؟ أين أولئك الذين يحمون هؤلاء، ويمدوّنهم بكل  
ما يستطيعون من سلاحٍ ومال؟ أين؟ وأين؟ وأين؟

يا أيُّها الإخوة المسلمين، إنَّها مصيبة، إنَّها كارثة، كُنَّا من قبل نشكوا  
من إسرائيل، وإسرائيل لم تفعل مثل هذا، دعونا نتكلّم بصراحة، إسرائيل

(١) من شعر عبد الرحمن بن الحكم، انظر: الأخبار الموقيات للزبير بن بكار صـ ٩٥، تحقيق سامي مكي العاني، نشر عالم الكتب، بيروت، ط٢، ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م.

فعلت ما فعلت في دير ياسين وغيرها، ولكنها كانت أكثر إنسانية من هؤلاء، لم تحاصر النّاس حتّى يأكلوا الفئران والقطط والكلاب، لم تحاصر النّاس حتّى يطلبوا فتوى بأكل لحم الموتى، فمن هؤلاء؟ أهؤلاء مسلمون؟ أهؤلاء عرب؟ أهؤلاء بشر؟ أهؤلاء كائنات حيّة؟ ماذا نسمّي هؤلاء؟

اللهم إليك المستكى وانت المستعان، وعليك التّكلان، ولا حول ولا قوّة إلّا بك.

اللهم عليك بالظالمين، اللهم عليك بالظالمين، اللهم عليك بالظالمين.

اللهم عليك بالطغاة المستكبرين.

اللهم عليك بأعدائك أعداء الإسلام، اللهم ردّ عَنّا كيدهم، وفلح حُدّهم، وأذهب عن أرضك سلطانهم، ولا تدع لهم سبيلاً على أحد من عبادك المسلمين.

اللهم اجعل كلمة الإسلام هي العليا، وكلمة أعداء الإسلام هي السُفلى.

اللهم كن لإخواننا المضطهددين والمحاصرين والممتحنين في كل مكان.

﴿رَبَّنَا أَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرَنَا وَثَبَّتْ أَقْدَامَنَا وَأَنْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٧].



﴿رَبَّنَا أَغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْرَجْنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غَلَّا  
لِلَّذِينَ ءَامَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [الحشر: ۱۰].

اللهم آمين، اللهم آمين، اللهم آمين.

﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ ۖ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ  
اللَّهِ أَكْبَرُ ۚ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾ [العنکبوت: ۴۵].

\* \* \*





## من هدي الإسلام في الزواج



### الخطبة الأولى

أمّا بعد، فيا أيها الإخوة المسلمين:

لا زال حديثنا موصولاً عن الزواج الذي هو أساس لتكوين البيت المسلم، ولتكوين الأسرة الصالحة، التي هي نواة المجتمع الصالح الذي ينشده الإسلام.

تحدثنا عن هذا الزواج، عن الزوجة كيف نختارها؟ وعن الزوج كيف نختاره؟ وعما نصنع إذا أردنا الزواج؟ أن نستخير ونستشير، نستغفّر الله، ونستشير الآخيار من الناس، وأن ينظر المرء إلى من يريد أن يتزوجها، وأن تنظر هي إليه أيضاً، وأن يتعرف كل منهما على شخصية صاحبه، وأن يتم الزواج بتراضي الأطراف كلها: عائلة الرجل، وعائلة المرأة؛ حتى تتحقق السكينة والمودة والرحمة، التي هي أركان الحياة الزوجية؛ كما أشار إلى ذلك القرآن: ﴿وَمَنْ ءَايَتْهُهُ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَ كُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً﴾ [الروم: ٢١].

### إعلان الزواج وإشهاره:

إذا تم هذا الزواج ينبغي أن يعلن عنه، وأن يُشهر في الناس، فالزواج



ليس سرّاً؛ بل هو أمر تترتب عليه آثاره، وأن تُعرَف أن هذه زوجة فلان، وأن هذا زوج فلانة، وأن أولادها من هذا الرجل أبناء له، فلا بد أن يعرف الزواج وأن يُشهر، وأقل هذا الأمر هو شاهدان، مع رضا الولي وإذنه، كما ذكرنا قبل ذلك.

### اللهو والترويج في الأعراس:

وأعلن النبي ﷺ: أنَّه ينبغي أن يصبح هذا الزواج شيء من الله، فينبغي أن يكون في الأعراس لهو وترويج، وترفيه عن الأنفس، فهذه فرصة ليخرج الناس عن روتين الحياة المألوفة، ولذلك عندما سُئل عائشة عن يتيمة كانت عندها، قالت: تزوجت يا رسول الله. قال: «هلا كان معهم لهو؟ هلا أتيتم من تغنى وتقول: أتيناكم أتيناكم، فحيونا بحيكم، ولو لا الحنطة السمراء ما سمنت عذاريكم»<sup>(١)</sup>. إلى آخره، بعض أشياء كان يغنوون بها في الجاهلية.

ومعنى هذا أن تكون الأغاني من أغاني الأعراس وليس موعظ، كما حضرت بعض الأعراس لبعض الشباب المسلم؛ فوجدتهم يغنوون أناشيد حماسة إسلامية، ووجدت النساء يغنين أناشيد موعظ إسلامية، يقلن: يا عروسة، وتحجين بيت الله!

قلت لهم: غنو لها: (يا عروستنا يا لوز مقشر تعالى). قولوا الأغاني التي يقولها الناس. هكذا علمنا النبي ﷺ، «أتيناكم أتيناكم، فحيونا بحيكم». هكذا أراد النبي ﷺ: أن تكون هذه الأعراس فرصة للترويج

(١) رواه الطبراني في الأوسط (٣٢٦٥)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٧٥٣٧): فيه روايَة بن الجراح، وثقة أحمد وابن معين وابن حبان، وفيه ضعف. عن عائشة.

والترفيه عن الناس، وقال: «فصل ما بين الحلال والحرام: الدف والصوت في النكاح»<sup>(١)</sup>. لا بد أن يكون في النكاح طبل وصوت وغناء، فهذا هو الذي شرعه الإسلام.

### الإسلام يراعي الفطرة ولا يعرف التزmet:

ليس الإسلام متزmetاً كما يصوره بعض المسلمين، الإسلام دين سماحة ويسر، ويقدر للطبائع الإنسانية قدرها، وهذا هو الذي ينبغي أن نراعيه حينما نريد أن نتزوج، حينما تزوجت امرأة من الأنصار قال النبي ﷺ: «هلا كان معهم لهو؟ فإن الأنصار يعجبهم اللهو»<sup>(٢)</sup>. أي ينبغي أن تراعى طبائع الأقوام وعاداتهم. إذا كانت قريش لا تهتم بهذا الأمر؛ لأنها تأخذ الأمور مأخذ الجد أكثر، فإن الأنصار عندهم لون من (البحبة) وحب المرح والفرح، فلا بد أن تُراعي هذه الفطرة عندهم وهذه العادة، «فإن الأنصار يعجبهم اللهو»، هذا ما شرعه الإسلام.

### الإسلام لا يريد الإسراف في اللهو:

وفي مقابل هؤلاء الذين يتزمتون، ولا يجيزون الأغانى العادية، ولا يجيزون ضرب الدف، هناك آخرون يسرفون في هذه القضية؛ فيأتون بالفرق التي لا تلتزم بحلال ولا بحرام، ويأتون بالراقصات والمطربات العاريات، وينفقون ما ينفقون، ويحسبون كل ذلك على أعباء الزواج، وما كلف الله الناس هذا!

(١) رواه أحمد (١٥٤٥١)، وقال مخرجوه: إسناده حسن. والترمذى (١٠٨٨)، وحسنه، والنمسائى (٣٣٧٠)، وابن ماجه (١٨٩٦)، والحاكم (١٨٤/٢)، وصحح إسناده، ووافقه الذهبي، جميعهم في النكاح. عن محمد بن حاطب الجمحي.

(٢) رواه البخارى في النكاح (٥١٦٢)، عن عائشة.



الإسلام يريد للناس أن يرحو عن أنفسهم بأنفسهم، ليس من الضروري أن يأتي الناس بفرق تستأجر، بل يعني الناس بعضهم لبعض، هكذا كنا في الريف، أهل العروس وأقاربها وجاراتها يغنين لها، وأهل العريس أو (المعرس) يفعلون ذلك، ولا يتكلفون شيئاً.

ولكن الناس كلفوا أنفسهم ما لا يطيقون؛ فجعلوا من نفقات العرس هذه الفرق المحرمة، التي لا يجوز أن تدخل بيت مسلم، ولا يجوز أن يروجه مسلم؛ لأنّها تروج الحرام الصرف، الذي لا يجوز لمسلم أن يسمعه، ولا يجوز لمسلم أن يحضره، ولا يجوز لمسلم أن يروجه.

### الوليمة عند الزواج:

كما أنَّ الإسلام أمر بالوليمة عند الزواج، فحينما جاء عبد الرحمن بن عوف إلى النبي ﷺ، ووجد عليه أثراً من طيب الرائحة فقال له: «مهيم» أي: ما الذي حدث؟ قال: تزوجت يا رسول الله. قال: «على كم تزوجت؟» قال: على وزن نواة من ذهب. حوالي خمسة دراهم، قال: «هل أولمت؟» قال: لا. قال: «أولم ولو بشاة»<sup>(١)</sup>. أي: اذبح ذبيحة وادع الناس إليها.

وليس من الضروري أن تكون الوليمة بشاة أو شيء يُذبح، كل إنسان يولم على قدر طاقته، «لِيُنْفِقَ ذُو سَعَةً مِنْ سَعْتِهِ» [الطلاق: ٧]، «عَلَى الْمُؤْسِعِ قَدَرُهُ وَعَلَى الْمُقْتَرِ قَدَرُهُ» [البقرة: ٢٣٦]. وقد أولم النبي ﷺ على بعض نسائه بسوقه وتمر<sup>(٢)</sup>، بل جاء في بعض الروايات أنه أولم على مدين من طعام<sup>(٣)</sup>، أي

(١) متفق عليه: رواه البخاري في مناقب الأنصار (٣٧٨١)، ومسلم في النكاح (١٤٢٧)، عن أنس.

(٢) رواه أحمد (١٢٠٧٨)، وقال مخرّجوه: إسناده صحيح على شرط الشيفين. وأبو داود في الأطعمة

(٣) والترمذى (١٠٩٥)، وقال: حديث غريب. وابن ماجه (١٩٠٩)، كلاهما في النكاح، عن أنس.

(٤) رواه البخاري في النكاح (٥١٧٢)، عن صفية بنت شيبة.

أكثر من كيلو جرام بقليل، هذا ما كان يقدر عليه، فقد كانوا في شظف من العيش، وكانوا في عسر من الحياة، فيكفي أن يولم على تمر أو سويق أو طعام، ليس من الضروري أن يذبح.

### حرمة الإسراف في الوليمة:

ولكنا نرى الناس يتتوسعون في هذه القضية، ويدبحون الذبائح الكثيرة، التي لا يكاد يُؤكل عُشرها، هكذا حضرت كثيراً من الولائم، فلا يكاد يُؤكل عُشر الذبائح، ولا أدرى ما الذي يحدث بعد ذلك، كثيراً ما تلقى هذه البقايا - وهي شيء كثير جداً - في سلال المهملات! ثُرمى وهناك أناس يحتاجون إلى اللقمة، هناك أناس يئنون من الجوع أئين الممسوّع، في عالمنا الإسلامي هناك جياع البطون، الذين لا يجدون ما يمسك الرمق، أو يطفئ الحرق!

حرام علينا أن نتوسع هذا التوسيع، ونسرف هذا الإسراف، لا بد أن تكون الأمور في حد الوسط، وخير الأمور الوسط، وقد وصف الله عباد الرحمن بقوله: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا مِمْمَا يُسِرِّفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَاماً﴾ [الفرقان: ٦٧].

### إجابة دعوة الوليمة:

الدعوة إلى الوليمة سنة، والإجابة إليها واجب عند جمهور العلماء، وبعضهم قال: سنة. وبعضهم قال: فرض كفاية. إذا حضر بعض الناس سقط الإثم عن الباقيين، ولكن الأحوط للمسلم إذا دُعيَ أن يجيء، فليس من المعقول أن يولم الرجل ويذبح، ويتكلف ويدعو الناس، ثم لا يذهب إليه أحد، أو يذهب إليه القليل، أو الأقل من القليل؛ ماذا يصنع بهذا الطعام؟!

لها كانت هذه المشاركة سنة أو واجباً، وذلك لأنَّ الإسلام يريد من أبنائه أن يتكافلوا ويتضامنوا: في الأفراح والأتراح، في المسرات والأحزان، وأن يكون كل منهم عضداً لأخيه، وعوناً له، وقريباً منه، فلا ينبغي أن يعيش كل منهم لنفسه، ويقول: نفسي نفسي! لا، شارك أخاك في فرحة، وشارك أخاك في حزنه، فالMuslim للمسلم كالبنيان يشد بعضه بعضًا.

وقد جاء في الحديث: «شر الطعام الوليمة؛ يُدعى إليها الأغنياء دون الفقراء»<sup>(١)</sup>. ولها ينبغي لصاحب العرس أن يجعل للفقراء نصيباً إما أن يدعوه، وإما أن يعطيهم بعض ما أو لم به، يرسل إليهم في أماكنهم أو نحو ذلك، والأولى أن يدعوه.

### الدعاء للعروسين:

ومما شرعه الإسلام بعد الزواج الدعاء، أن يدعو الناس للعروسين بالبركة والتوفيق وصلاح الذرية، وكان النبي ﷺ إذا هنأ إنساناً تزوج يقول له: «بارك الله لك، وبارك عليك، وجمع بينكما في خير»<sup>(٢)</sup>. وكان هذا بديلاً عما كان يقوله أهل الجاهلية، كانوا إذا هنأ بعضهم بعضاً يقولون: بالرفاء والبنيين.

والرفاء: الالتئام والالتصاق، أمّا البنين؛ فقد كانوا لا يحبون البنات، يريدون للناس أن يلدوا البنين، ولا يمكن أن تتم الحياة إلا بالبنين

(١) متفق عليه: رواه البخاري (٥١٧٧)، ومسلم (١٤٣٢)، كلاماً في النكاح، عن أبي هريرة.

(٢) رواه أحمد (٨٩٥٧)، وقال مخرجوه: إسناده قوي. وأبو داود (٢١٣٠)، والترمذى (١٠٩١)، وقال: حسن صحيح. وابن ماجه (١٩٠٥)، ثلاثتهم في النكاح، عن أبي هريرة.

والبنات معاً، ولذلك ألغى النبي ﷺ هذا الكلام الجاهلي، وقال هذا الدعاء: «بارك الله لك، وبارك عليك، وجمع بينكم في خير أو في الخير». ولا زال بعض الناس يستعملون التهنة الجاهلية، ويتركون التهنة الإسلامية، لا، هكذا ينبغي أن يقول النساء للمرأة العروس، وهكذا ينبغي أن يقول الرجال للرجل العروس، فكل منهما عروس، ينبغي أن يدعوا الناس لهما.

### بداية الحياة الزوجية بالطاعة:

حينما يدخل المسلم بالمسلمة، فتُزف إليه امرأته، وبيني بها، ينبغي أن تبدأ الحياة بينهما بالعبادة، بطاعة الله ﷺ، ينبغي أن يمسك الرجل بناصية امرأته ويقول: «اللهم إني أسألك خيرها، وخير ما جبتها عليه، وأعوذ بك من شرها، وشر ما جبتها عليه»<sup>(١)</sup>. ومن حقها أن تفعل ذلك أيضاً، تقول عن زوجها: اللهم إني أسألك خيره وخير ما جبته عليه، وأعوذ بك من شره وشر ما جبته عليه. ويصليان ركعتين خفيفتين شكرًا لله تعالى على هذه النعمة، وطلبًا منه أن يجعل حياتهما حياة موفقة، وحياة صالحة، ويدعون الله ﷺ بما دعا به عباد الرحمن، ﴿وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجٍ نَا وَذُرِّيَّتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾ [الفرقان: ٧٤]، فهذا يمكن أن يدعو به الرجل، وأن تدعوه به المرأة، لأن كلاً منهما زوج. فالأزواج يمكن أن تكون للنساء، ويمكن أن تكون للرجال، ﴿هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجٍ نَا وَذُرِّيَّتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾.

(١) رواه أبو داود في النكاح (٢١٦٠)، وابن ماجه في التجارات (٢٢٥٢)، وحسنه الألباني في صحيح أبي داود (١٨٧٦)، عن عبد الله بن عمرو.

## عدم الإسراف في تأثيث البيت:

حينما يدخل الرجل بامرأته ينبغي ألا يصرف الرجل في تأثيث بيته، فمن الآفات التي ابتلي بها الناس في عصرنا، ودخل فيها الرياء الاجتماعي، ودخل فيها حب المباهاة، وحب المفاخرة، فصار كل إنسان يريد أن ياهي بنفسه، وببيته وبأثاثه؛ فأصبحوا يتکلفون الكثير والكثير في تأثيث البيوت، مما لا حاجة إليه، وكل هذا تکليف للإنسان بما هو فوق طاقته، وخصوصاً الشاب في أول سلم حياته. ما کلف الله الناس هذا، دخل النبي ﷺ بأم سلمة، وكان الأثاث الذي دخلت عليه بعض الأشياء المعروفة في ذلك الزمان: رحى، وسقاء، وجرة، ونحو ذلك<sup>(١)</sup>.

وهكذا حينما دخل علي بن أبي طالب على سيدة نساء العالمين: فاطمة الزهراء بنت رسول الله ﷺ، ماذا كان أثاثها؟ كان وسادة من أدم حشوها ليف: وسادة من جلد محسنة بليف النخل، وكان رحين لطحن الشعير، وسقاء، وجرتين<sup>(٢)</sup>، هذا هو الأثاث الذي دخلت عليه فاطمة الزهراء رضي الله عنها.

## الأثاث في العصر الحديث:

ونحن لا نريد للناس أن يدخلوا بمثل هذا الآن؛ فقد تغيرت الحياة، وتطورت المجتمعات، وتحولت مطالب الناس، ولكن كل شيء إذا زاد عن حده انعكس إلى ضده، حب التناهي شطط، وخير الأمور الوسط كما تقول العرب، ينبغي أن نقف عند حد الوسط، فقد جعل الله هذه الأمة وسطاً ومدحها بذلك في كتابه، ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ﴾ [البقرة: ١٤٣]

(١) السيرة النبوية لابن هشام (٦٤٤/٢).

(٢) رواه أحمد (٨١٩)، وقال مخرجوه: إسناده قويٌّ. عن عليٍّ بن أبي طالب.

وقال علي بن أبي طالب: عليكم بالنمط الأوسط<sup>(١)</sup>. التوسط والاعتدال هو المطلوب في كل هذه الأمور.

إذا دخل الرجل بزوجته فالهم أن يعيشَا في وئام على أقل ما يكون من الأثاث والفراش، ما قيمة أن يمتلىء بيتك أثاثاً وفراشاً، ولست سعيداً في بيتك؟ يمكن أن تنام على الحصير أو على الأرض إذا كنت سعيداً مع زوج تسرك إذا نظرت، وتطيعك إذا أمرت، وتحفظك إذا غبت، وتبر قسمك إذا أقسمت، المهم هو السعادة، والسعادة ليست في الماديات، السعادة هاهنا تنبع من النفوس، لا تستورد من الخارج، لوا تشتري بمال، فاحرص أيها الأخ المسلم أن تكون سعيداً مع زوجتك.

### مراجعة حقوق الله:

وأول ما يسعدكما أن تكونا في طاعة الله، وأن تحرضا على إرضاء الله، أول ما ينبغي أن يكون عليه الزوج الصالح أن يرعى حق الله، فإذا رعى حق الله لم يخش عليه أن يُضيّع حق زوجته. أمّا إذا كان إنساناً لا يبالى بحق ربّه عليه: يضيّع الصلوات، ويتبّع الشهوات، ويتناول المسكرات، ويعيش مع أصدقاءسوء، ويسيّر إلى ما شاء الله أن يسّر، لا يعرف لزوجته حقاً، ولا لبيته واجباً عليه، فهذا هو الإنسان الضائع، هذا هو الإنسان غير المؤمن على أهله.

ولذلك قلنا: إن أول ما ينبغي أن يُشترط في الزوج أن يكون ذا دين وذا خلق، «إذا أتاكم من ترضون دينه وخلقـه؛ فزوجوه»<sup>(٢)</sup>، حق الله هو

(١) رواه ابن أبي شيبة في الزهد (٣٥٦٣٩).

(٢) رواه الترمذى (١٠٨٤) موصولاً ومرسلاً - وإنما يعني بقوله: مرسلانقطاع ما بين ابن عجلان =

أول كل شيء، لا ينبغي للمسلمة أن تفرط في هذا وترضى برجل لا دين له، يشرب أم الخبائث، أو لا يبالي في حق الله في الصلاة، وتقول: كل الناس هكذا. لا، هناك الأخيار والأشرار، هناك المتقون والفجار، هناك الصالحون والطالحون، وما خلت الأرض يوماً من الصالحين.

### رعاية حق الزوجة:

أول الحقوق إذن هو رعاية حق الله، ثم رعاية حقوق المرأة، وأول حق للمرأة هو المهر: الصداق، لا بد أن تؤتى صداقها كما قال الله تعالى: ﴿وَءَاتُوا النِّسَاءَ صَدْقَهُنَّ نِحْلَةً﴾ [النساء: ٤]. نحلة: أي عطية وهدية، على سبيل المودة، يشير القرآن إلى أن المهر ليس ثمناً للمرأة، ولا أجراً لها، ولكن نحلة، أي: عطية وهبة، بهذا المهر يعبر الرجل عن حبه للمرأة، وطلبها لها، وحرصه عليها، ورغبتها فيها.

المرأة في بعض المذاهب والأديان والأمم هي التي تدفع للرجل، ولكن الإسلام جعل المرأة مطلوبة لا طالبة، ليست هي التي تدفع للرجل، إنما الرجل هو الذي يدفع لها، وإن كان بعض بلاد المسلمين للأسف قد غير هذه القاعدة الشرعية الإسلامية؛ فأصبحت المرأة أو أهلها يدفعون أكثر مما يدفع الرجل، فقلعوا الوضع، وأصبح الأب يحمل هم زواج بنته، لأن البنت تكلفه أكثر مما يكلفه ابن الذكر، وهذا موجود في مصر، موجود أكثر وأكثر في باكستان والهند وبنجلاديش. وهذه البلاد: المرأة هي التي تدفع للرجل، وكثيراً ما يشترط الرجل على المرأة حسب غنى أبيها، فقد يشترط أن تدفع له

= وأبي هريرة - وقد رجح البخاري المقطوع على المتصل. وابن ماجه (١٩٦٧)، كلامهما في النكاح، وحسنه الألباني في الصحيحة (١٠٢٢)، عن أبي هريرة.

ثمن سيارة، أو تأتي له بفيلاً يسكنها، أو شيء من هذا، فأصبح آباء البنات يتتكلفون ويتكلفون!

حتى إنَّ الرئيس السابق ضياء الحق رحمه الله قال لنا مرة - ونحن نزور باكستان في هيئة عليا للفتوى - : هل يجوز لنا أن نأخذ من الزكاة لتعطى آباء البنات هؤلاء ليدفعوا لبناتهن حتى يزوجوهن؟ فقلت له: إن هذا خطأ في نظر الإسلام، لا ينبغي أن نقر هذا الخطأ، ويصبح قاعدة مقررة بإعطاء الزكاة من أجله، ينبغي أن نصحح هذا الخطأ وتُرد الأمور إلى نصابها.

### المهر حق خالص للمرأة:

المهر إذن حق خالص للمرأة، ﴿وَإِنَّ أُولَئِنَّسَاءَ صَدُقَتْهُنَّ بِخِلَّةٍ فَإِنْ طَبَنَ لَكُمْ عَنْ شَيْءٍ مِّنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ هَنِيَّعًا﴾ [النساء: ٤]، وقد رأينا المسلمين كما هو العهد بهم بين طرفي الإفراط والتفريط، هناك من يتكلفون الرجل أن يدفع ما لا يطيق؛ فيستدين أو يعيش سنين من عمره وهو مكبل، ومحمل بأغلال هذا المهر، الذي استدان به من هنا وهناك، وكيف نفسه فوق طاقته، وذلك من غلاء المهر، وهناك الآخرون الذين يتكلفون أبا المرأة وليس الرجل المتزوج، والخير في الوقوف عند حد الشرع.

ثم هناك بعد ذلك إذا دخل الرجل بالمرأة فينبعي أن يؤدي إليها المهر المعجل كاملاً، فإذا لم يدخل بها؛ فمن حقها نصف المهر، كما قال تعالى: ﴿وَإِنْ طَلَقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمْسُوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً فِي نِصْفٍ مَا فَرَضْتُمْ إِلَّا أَنْ يَعْفُونَ أَوْ يَعْفُوا الَّذِي يَدِيهِ عُقْدَةُ النِّكَاحِ وَأَنْ تَعْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَلَا تَنْسُوا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [آل عمران: ٢٣٧]. أي في حالة الخلاف وانتهاء عقدة الزوجية بين الطرفين لا تنسوا الفضل بينكم، ﴿فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَنٍ﴾ [آل عمران: ٢٢٩]، بعض الأزواج إذا



حصل بينهما فراق أساء كل منهما إلى صاحبه وجّره، وقال فيه ما قال مالك في الخمر، هذا ما لا ينبغي، ﴿وَلَا تَنْسُوا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾.

### نفقة الرجل على زوجته بالمعروف:

ومن حق المرأة على الرجل النفقة؛ فالرجل هو المسؤول عن الأسرة، وهو المكلف بقوامة الأسرة كما قال الله تعالى: ﴿أَلِرَجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ﴾ [النساء: ٣٤]. فقد جعل الله للرجل القوامة على الأسرة لسبعين:

سبب فطري: وهو أنَّ الله فضل الرجل على المرأة في أنَّه أكثر بصراً بالعواقب، وأكثر تحكماً في عواطفه من المرأة، فربما لو جعل الأمر بيد المرأة وغضبت على الرجل غضبة طلقته، ولكن الرجل أكثر تحكماً في عواطفه.

ومن حسن تعبير القرآن أنَّه لم يقل: بما فضل الله الرجال على النساء. ولكن قال: ﴿بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾. أي إنَّ الرجل مفضل على المرأة في جانب، والمرأة مفضلة عليه في جانب، المرأة مفضلة على الرجل في جانب العاطفة، وفي جانب الحنان، وفي جانب تدفق المشاعر، وذلك أنَّ الله هيأ المرأة لتكون أمًا؛ فجهزها بهذا الجهاز العاطفي الدفّاق؛ حتى تصبر على متاعب الأمومة في الحمل إذا حملت، وفي الطلاق إذا طلقت، وفي الوضع إذا وضعت، وفي الرضاع إذا أرضعت، وفي التربية إذا ربَّت، ومن أجل ذلك كانت المرأة مفضلة في جانب، والرجل مفضلاً في جانب، ولكن الجانب الذي فُضِّل فيه الرجل يجعله أكثر أهليةً من المرأة للقوامة على الأسرة.

فالأسرة شركة مقدسة، وكل شركة أو مؤسسة لا بد أن يكون لها رئيس، لا يُسمح فيها بسلطتين متكافئتين، فالمركب التي فيها رئيسيان تغرق كما يقول الناس، ولكن لا بد من رئاسة واحدة، لمن تكون هذه الرئاسة؟ للمرأة أم للرجل؟ لا شك أنَّ الرجل هو الأقدر على تحمل المسؤولية بهذا السبب الفطري.

وبسبب كسبه آخر: أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمْ جعل الرجل هو المنفق على الأسرة، هو الذي يدفع الصداق أولاً، وهو الذي يؤثر البيت ثانياً، وهو الذي يتولى النفقة على الأسرة ثالثاً، فلو هدم هذه الأسرة لأدنى سبب لهدمت على أم رأسه، سيتكلف من جديد تأسيس أسرة جديدة، وسيغرس في النفقة عليها مثلما غرس في النفقة على بناء تلك الأسرة، ولذلك لا بد أن يفكر مرة ومرة ومرة قبل أن ينهي هذه العلاقة، ويهدم هذه المؤسسة المباركة، ﴿أَلِرِجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ﴾.

الرجل هو الذي يُنفق على الأسرة، ليست المرأة مطالبة بالإنفاق عليها، ولو كانت من أغنى الغنيات، ولو كان عندها مال قارون؛ إلَّا من باب مكارم الأخلاق؛ إذا أرادت أن تساعد زوجها، أو تأتي بشيء لأبنائها وبناتها، فهي مشكورة ومأجورة على هذا، ولكن المكلف بالإنفاق هو الرجل، حتى وإن كان معسراً وهي موسرة ليست مكلفة بالإنفاق على الأسرة في مذاهب العلماء كافة؛ إلَّا فيما رأه ابن حزم الذي قال: إِنَّ الْمَرْأَةَ الْمَوْسِرَةَ يَنْبَغِي أَنْ تَنْفَقَ عَلَى الرَّجُلِ الْمَعْسَرِ؛ فَإِنْ كُلَّ حَقٍ يَقْبَلُهُ وَاجِبٌ، وَاللَّهُ تَعَالَى قَالَ: ﴿وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ لَا تُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَا تُضْكَارَ وَلَدَهُ مِنْ بَوْلَدِهَا وَلَا مَوْلُودٌ لَهُ بَوْلَدٍ وَعَلَى الْأُوْرَاثِ مِثْلُ ذَلِكَ﴾ [البقرة: ٢٣٣]<sup>(١)</sup>. المولود له هو الأب

(١) المحتوى لابن حزم (٢٥٤/٩)، مسألة (١٩٢٦)، نشر دار الفكر، بيروت.



عليه رزق المولود وكسوته بالمعروف، «وَعَلَى الْوَارِثِ مِثْلُ ذَلِكَ»، والمرأة ترث الرجل، فقال ابن حزم: فعليها مثل ما عليه.

ولكن العلماء كافة قالوا: ليس على المرأة أن تنفق على البيت إلّا إذا تبرعت بذلك.

### على الرجل النفقة بالمعروف:

على الرجل أن ينفق على بيته، وينفق بحسب حاله، كما قال الله تعالى: «عَلَى الْمُؤْسِعِ قَدْرُهُ وَعَلَى الْمُقْتَرِ قَدْرُهُ» [البقرة: ٢٣٦]، «لِيُنْفِقُ ذُو سَعَةٍ مِّنْ سَعْتِهِ وَمَنْ قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ» أي من ضيق عليه رزقه وقُتل عليه في رزقه، «فَلَيُنْفِقُ مِمَّا أَتَاهُ اللَّهُ لَا يُكْلِفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَا أَتَاهَا سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا» [الطلاق: ٧]، كل إنسان ينفق على قدر ما آتاه الله، لا ينبغي أن يضيق على نفسه، ولا أن يشتري الأشياء بالدين، فالدين هم بالليل، ومذلة بالنهار، وقد استعاد النبي ﷺ من ضلع الدين، وغلبة الرجال<sup>(١)</sup>، وكان يقول: «اللهم إني أعوذ بك من المأثم والمغرم». أي: الاستدانة. قيل: ما أكثر ما تستعيذ من المغرم يا رسول الله؟ قال: «إنَّ الرَّجُلَ إِذَا غَرَمَ - أَيْ إِذَا استدان - حَدَّثَ فَكَذَبَ، وَوَعَدَ فَأَخْلَفَ»<sup>(٢)</sup>.

### لا تبذير ولا تقتير:

فلا ينبغي للإنسان المؤمن أن يلتجئ نفسه إلى هذه المضايق، ويحمل نفسه ما لا يطيق، كما في الحديث: «لا يحل لمسلم أن يذل نفسه». قالوا:

(١) رواه البخاري في الدعوات (٢٨٩٣)، عن أنس.

(٢) متყق عليه: رواه البخاري في الأذان (٨٣٢)، ومسلم في المساجد (٥٨٩)، عن عائشة.

يا رسول الله، كيف يذل نفسه؟ قال: «يتعرض من البلاء ما لا يطيق»<sup>(١)</sup>.  
 (على قدر لحافك مُدّ رجليك) كما يقولون في الأمثال.

ولكن هناك أنساً عندهم القدرة والاستطاعة واليسار، ولكنهم يقترون على أزواجهم وعلى أولادهم، وهذا لا يجوز، لا يجوز أن يقترب الإنسان على زوجته وولده، وبعض هؤلاء الناس ينفق على نفسه بسخاء، وينفق على أصدقائه بسعة، وينفق في الحرام بغير حساب، ولكنَّه إذا أنفق على بيته ضيق وقَتَرَ، وهذا ينبغي لإنسان عاقل أو إنسان مؤمن؟!

وماذا تصنع زوجتك أمام مطالب الحياة، وأنت القادر على أن تنفق، وأنت المسؤول أن تصرف، وأنت رب البيت، وأنت الذي جعل الله لك القوامة على الأسرة؟ أين هي قواستك إذا كنت لا تنفق على أهل بيتك؟ النبي ﷺ يقول: «كلكم راعٍ، وكلكم مسؤول عن رعيته، والرجل راعٍ في أهل بيته ومسؤول عن رعيته»<sup>(٢)</sup>. ويقول: «كفى بالمرء إثماً ما يحبس عمن يملك قوته»<sup>(٣)</sup>. ويقول: «إِنَّ اللَّهَ سَائِلٌ كُلَّ رَاعٍ عَمَّا اسْتَرْعَاهُ؛ أَحْفَظْ أَمْ ضَيْعَ؟»<sup>(٤)</sup>. فهل حفظت أسرتك وأنفقت عليها بالمعروف، أم ضيعت وقتَرَت؟!

(١) رواه أحمد (٢٣٤٤)، وقال مخرجوه: إسناده ضعيف. والترمذى (٢٢٥٤)، وقال: حسن غريب. وابن ماجه (٤٠١٦)، كلامها في الفتنة، وحسنه الألبانى في صحيح ابن ماجه (٣٢٤٣)، عن حذيفة.

(٢) متقد علىه: رواه البخاري في العنق (٢٥٥٨)، ومسلم في الإمارة (١٨٢٩)، عن ابن عمر.

(٣) رواه مسلم في الزكاة (٩٩٦)، عن عبد الله بن عمرو.

(٤) رواه النسائي في الكبرى في عشرة النساء (٩١٢٩)، وأبو عوانة في الحدود (٧٠٣٦)، وابن حبان في السير (٤٤٩٢)، وقال الأرناؤوط: إسناده صحيح على شرطهما. وصحح إسناده الحافظ في الفتح (١١٣/١٣)، وصححه الألبانى في غایة المرام (٢٧١)، عن أنس بن مالك.

إِنَّ الشَّحَّ مِنَ الْمُهَلَّكَاتِ كَمَا جَاءَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ: «ثَلَاثٌ مُهَلَّكَاتٌ: شَحٌّ مَطَاعٌ، وَهُوَ مُتَبَعٌ، وَإِعْجَابُ الْمَرءِ بِرَأْيِهِ»<sup>(١)</sup>. الشَّحُ الَّذِي يُطِيعُهُ الْإِنْسَانُ فَيُجْعَلُ عَلَى أَقْرَبِ النَّاسِ إِلَيْهِ، وَأَعْزَزُ النَّاسَ عَلَيْهِ: زَوْجَتَهُ، وَأَوْلَادَهُ، يُبَخِّلُ عَلَى هُؤُلَاءِ مَعَ أَنْ إِنْفَاقَ الرَّجُلِ عَلَى أَهْلِ بَيْتِهِ مِنْ أَعْظَمِ الصَّدَقَاتِ، وَمِنْ أَوْلِ الْوَاجِبَاتِ، ابْدَأْ بِنَفْسِكَ ثُمَّ بِمَنْ تَعُولُ؛ كَمَا جَاءَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ: «دِينَارٌ أَنْفَقْتَهُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَدِينَارٌ أَنْفَقْتَهُ فِي رِقَبَةِ، وَدِينَارٌ تَصَدَّقْتُ بِهِ عَلَى مَسْكِينٍ، وَدِينَارٌ أَنْفَقْتَهُ عَلَى أَهْلِكَ، أَعْظَمُهَا أَجْرًا الَّذِي أَنْفَقْتَهُ عَلَى أَهْلِكَ»<sup>(٢)</sup>. مَا دَمْتَ تَنْفَقُهُ بِالْمَعْرُوفِ، فَهَذَا هُوَ وَاجِبُ النَّفَقَةِ.

### الإنفاق بالمعروف:

لَمْ يُحدِّدِ الْإِسْلَامُ النَّفَقَةَ بِشَيْءٍ مُعَيْنٍ، لَأَنَّ هَذِهِ النَّفَقَةَ تَخْتَلِفُ بِالْخَتْلَافِ الْبَيْنَاتِ وَالْأَعْرَافِ وَالْعَصُورِ، مَا كَانَ مَطْلُوبًا فِي الزَّمْنِ الْمَاضِي تَغْيِيرُ الْآَنِ، الْمَهْمَمُ هُوَ النَّفَقَةُ بِالْمَعْرُوفِ، لَهُنَّ عَلَيْكُمْ رِزْقُهُنَّ وَكَسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ، وَالْمَعْرُوفُ هُوَ مَا تَعْرَفُهُ الْفَطْرُ السَّلِيمَةُ، وَالْعُقُولُ الرَّشِيدَةُ، وَمَا يَعْرَفُهُ أَهْلُ الْفَضْلِ وَالْخَيْرِ مِنَ النَّاسِ، إِذَا قَالُوا: هَذَا أَمْرٌ مَعْرُوفٌ غَيْرُ مُنْكَرٍ، هَذَا لَا يَقُولُ بِفَلَانٍ فِي مَسْتَوَاهُ وَفِي مَثَلِ مَعِيشَتِهِ، وَلَا يَقُولُ بِزَوْجَتِهِ، وَلَا يَقُولُ بِأَوْلَادِهِ. إِذَا حَكِمَ أَهْلُ الْفَضْلِ بِهَذَا فَحُكْمُهُمْ ماضٍ، لَهُنَّ رِزْقُهُنَّ وَكَسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ.

(١) رواه البزار (٦٤٩١)، والطبراني في الأوسط (٥٤٥٢)، وقال المنذري في الترغيب والترهيب (٦٥٤): هو مروي عن جماعة من الصحابة، وأسانيد وإن كان لا يسلم شيء منها من مقال فهو بمجموعها حسن إن شاء الله تعالى. وحسنه الألباني في صحيح الجامع الصغير (٣٠٣٩)، عن أنس بن مالك.

(٢) رواه مسلم في الزكاة (٩٩٥)، وأحمد (١٠١١٩)، عن أبي هريرة.

وهذا ما أوصى به النبي ﷺ للنساء في حجة الوداع؛ فقال: «إنكمأخذتموهن بأمان الله، واستحللتم فروجهن بكلمة الله، ولكم عليهن أن لا يوطئن فرشكم أحداً تكرهونه، فإن فعلن ذلك فاضربوهن ضرباً غير مبرح، ولهم عليكم رزقهن وكسوتهن بالمعروف»<sup>(١)</sup>. فهذا من حقوق الزوجة على الزوج، ولا يكون الزوج زوجاً صالحًا، مرضيًّا عند الله، ومحموداً عند الناس ما لم يؤدّ هذه الحقوق.

أسأل الله تبارك وتعالى أن يفقهنا في ديننا، وأن يعلمنا ما ينفعنا، وأن ينفعنا بما علمنا؛ إنَّه سميع قريب.

أقول قولي هذا، وأستغفر الله تعالى لي ولكم فاستغفروه؛ إنَّه هو الغفور الرحيم، وادعوه يستجب لكم.

\* \* \*

(١) رواه مسلم في الحج (١٢١٨)، وأحمد (٢٠٦٩٥)، عن جابر.



## أهداف الزواج

### الخطبة الأولى

أمّا بعد، فيا أيها الإخوة المسلمين:

#### من أهداف الزواج:

تحدّثنا في الجمعة الماضية عن أمرٍ من أهمّ أمور المجتمع، ينبغي أن نراعيه في تربيتنا وتجيئنا، ذلك هو أمر الزواج وما يتعلّق به؛ فقد شرع الله الزواج لأهداف كبيرة، تتعلّق بالفرد، وتتعلّق بالأسرة، وتتعلّق بالمجتمع، فلو أننا أقمنا الزواج ونفّذناه كما شرع الله تبارك وتعالى لكان فيه الخير كلّ الخير لنا ولأبنائنا ولبناتنا، ولكن - للأسف - لم ننفّذ الزواج كما شرعه الله تبارك وتعالى.

شرع الله الزواج لأهداف كبيرة؛ حتّى يبقى هذا النوع الإنساني يعمر هذه الأرض، ويقوم بخلافة الله تعالى فيها، ويؤدي حقّ عبادته، وهي المهمة الأولى التي خلق لأجلها الناس، ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّةِ وَالْإِنْسَانَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦].

شرع الله الزواج لكي تقوم تلك الحياة الطيبة، الحياة الأسرية على السكينة والمودة والرحمة، وهي بعض آيات الله تعالى في هذا الوجود،

﴿وَمَنْ ءَايَتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَنْفَكِرُونَ﴾ [الرُّوم: ٢١].

شرع الله الزواج لكي يكون رابطة جديدة تضاف إلى رابطة النسب والدم، ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُ نَسَبًا وَصِهْرًا وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا﴾ [الفرقان: ٥٤].

شرع الله الزواج ليحسن الإنسان نفسه من وساوس الشر، ومن مداخل الشيطان، ومن ضغط الغريزة العاتية، «يا معاشر الشباب، من استطاع منكم الباءة فليتزوج؛ فإنه أغض للبصر، وأحسن للفرج»<sup>(١)</sup>.

شرع الله الزواج حتى يوجد ذلك البيت الذي يجد فيه الإنسان الهدوء والطمأنينة والتدبر، كما قال الشاعر قدیماً:

إذا لم تكن في منزل المرء حرة تدبّره ضاعت مصالح داره<sup>(٢)</sup>

### حسن الاختيار في الزواج:

شرع الله الزواج لهذه الأهداف ولغيرها، ولكننا لم نحسن أن نتزوج، ولم نحسن أن نزوج أبناءنا وبناتنا على شرع الله تبارك وتعالى، فكسرت سوق الزواج، وبارت البنات في البيوت، وبقي الشباب لا يجدون الزوجة الصالحة التي تححسنهم في دينهم أو تسعدهم في دنياهم.

### ما الذي حدث؟

إننا أساءنا فهم ديننا، لم نتعمق في فهم أسرار هذا الدين، وحكمتنا تقاليد بالية عتيقة لا معنى لها ولا وزن، وفدت علينا تقاليد جديدة، وورثنا تقاليد قديمة، فضينا بين القديم والجديد.

(١) سبق تخرجه ص ٥٨.

(٢) من شعر أبي منصور الشعالي، انظر: مرآة المروءات ص ٥٧، تحقيق محمد خير رمضان، نشر دار ابن حزم، بيروت، ط ١، ٢٠٠٤م.



لقد شرع الإسلام الزواج على أن يتم وفق ما يحب الله تعالى ويرضاه، وفق ما أمر الله تعالى به ورسوله ﷺ.

ويبدأ الزواج حين يبدأ بحسن الاختيار، أن يحسن الرجل اختيار شريكة حياته، وأن تحسن الفتاة اختيار شريك حياتها، ويحسن أهلها معها اختيار الإنسان المناسب لها.

ولكن فسدت عندنا المقاييس، واختلت الموازين، فأصبحنا لا نقيس الناس بالدين والخلق، إنما نقيس الناس بكل شيء إلا الدين والخلق، النبي ﷺ يقول: «إذا أتاكم من ترضون خلقه ودينه فرّوّجوه، إلا تفعلوا تكون فتنة في الأرض وفساد عريض»<sup>(١)</sup>.

فهل فعلنا ذلك؟

كان السلف الصالح إذا أتاهم من يخطب ابنته سأله عنده: ما دينه؟ ما صلاته؟ ما إقباله على ربّه؟ ما مقدار أدائه لفرائضه؟ ما مدى إحلاله للحلال، وتحريمته للحرام؟ هل ينتهي عمّا نهى الله عنه؟ هل يأتمن بأمر الله تبارك وتعالى؟ هل ينفذ أحكام دين الله في نفسه وفي أهله ومن حوله؟ يسألونه عن الدين والخلق قبل كل شيء.

ولكننا نسأل عن الإنسان: ماذا يملك؟ هل وراءه عمارات وبنيات؟ كم له رصيد في البنوك؟ ماذا يكسب من المال؟ ماذا؟ وماذا؟

نسأل عن النسب وعن الحسب وعن كل شيء إلا الدين والخلق، فيتزوج القادر الذي يملك المال، ويحرّم من الزواج من لا يملك المال، والمال ليس كل شيء.

(١) سبق تخرّجه ص ٩٦.

ما قيمة المال لدى إنسان لا يعرف الله ولا يخشى، لا يرعى حقَّ ابنته إذا تزوجها، لا يعطيها حقَّها، ولا يؤدِّي واجبه نحوها؟

ما قيمة المال عند ذلك السُّكْرِيَّ الذي يدخل إلى البيت وهو فاقد عقله ووعيه، إذا تزوج لا يعرف حقَّ الزوجة، وإذا أنجب لا يعرف حقَّ ابن ولا بنت، يأتي إلى البيت آخر الليل، ويخرج أبناءه وبناته إلى المدارس وهو نائم، ما قيمة هذا الإنسان؟

### إذا أتاكم من ترضون حُلْقَه ودينه فزُوّجوه:

زُوّج ابنته كما قال السلف: إذا زوجت ابنته فزوّجها ذا دين، إن أحبها أكرها، وإن أبغضها لم يظلمها، بل ربما نفر منها، ولكنه يضغط على نفسه، ولا يتبع هواه وعاطفته، بل يسمع قول الله تعالى: ﴿فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَى أَن تَكْرَهُوْا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ [النّساء: ١٩].

زُوّج ابنته صاحب الدين والخلق، كما قال رسول الله ﷺ.

### مقاييس خاطئة:

لماذا لا نبحث عن الدين والخلق؟

النبي ﷺ علَّمنا أن نقيس الناس بما يعمر هذه القلوب من إيمان وإخلاص، وبما يدفع إليه هذا الإيمان من عمل صالح.

مرَّ رجل على رسول الله ﷺ فقال لأصحابه ومن معه: «ما تقولون في هذا؟»

قالوا: حرٌّ إن خطب أن ينكح، وإن شفع أن يُشفع، وإن قال أنْ

يُستَمِّعُ.



قال: ثُمَّ سَكَتْ، فَمِنْ رَجُلٍ مِّنْ قُرَاءِ الْمُسْلِمِينَ، فَقَالَ: «مَا تَقُولُونَ فِي هَذَا؟».

قَالُوا: حَرَىٰ إِنْ خَطَبَ أَلَا يُنكِحُ، وَإِنْ شَفَعَ أَلَا يُشَفَّعُ، وَإِنْ قَالَ أَلَا يُسْتَمِعُ.

فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «هَذَا خَيْرٌ مِّنْ مَلِءِ الْأَرْضِ مِثْلَ هَذَا»<sup>(١)</sup>.

النَّاسُ لَا تَقَاسُ بِالْمَالِ وَلَا بِالْجَاهِ وَلَا بِالْسُّلْطَانِ، وَلَا بِالْطُّولِ وَلَا بِالْعَرْضِ، يَقُولُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّهُ لَيَأْتِي الرَّجُلُ الْعَظِيمُ السَّمِينُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، لَا يَزِنُ عِنْدَ اللَّهِ جَنَاحُ بَعْوضَةٍ، اقْرُؤُوا: ﴿فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمًا أَلْقِيمَةً وَرَبَّا﴾ [الْكَهْفُ: ١٠٥]»<sup>(٢)</sup>.

هذا الطويل العريض لا قيمة له، بينما عبد الله بن مسعود هذا الرجل النحيف الهزيل الجسم يصعد على شجرة ليجتنبي لأصحابه منها، فتهب الريح وتكشف عن ساقيه - وهم نحيفتان ضعيفتان - فضحكتوا، فقال رسول الله ﷺ: «مَا يُضْحِكُكُمْ مِّنْ دَقَّةٍ سَاقِيهِ؟ وَالَّذِي نُفْسِي بِيَدِهِ إِنَّهُمَا أَثْقَلُ فِي الْمِيزَانِ مِنْ أُحْدٍ»<sup>(٣)</sup>.

الرجال تقاس بالإيمان والأخلاق، بالفضائل قبل كل شيء، ليس معنى هذا أن تزوج ابنتك ممن لا يستطيع أن يعيشها العيشة المناسبة،

(١) رواه البخاري في الرقاق (٦٤٤٧)، عن سهل بن سعد الساعدي.

(٢) متطرق عليه: رواه البخاري في التفسير (٤٧٢٩)، ومسلم في صفات المتفاقفين (٢٧٨٥)، عن أبي هريرة.

(٣) رواه أحمد (٣٩٩١)، وقال مخرجوه: صحيح لغيره. والطبراني (٩٥٥)، والبزار (٣٣٠٥)، وابن حبان في مناقب الصحابة (٧٠٦٩)، وقال الأرناؤوط: إسناده حسن. وحسنه الألباني في غایة المرام (٤٦)، عن ابن مسعود.

ولكن ابحث قبل كلّ شيء عن الدين، عن الأخلاق، عن الفضائل الإنسانية التي صار بها الإنسان إنساناً.

إنَّ ابتك ليست سلعة تباع وتُشتري، ليست بقرة أو ناقة من يدفع فيها أكثر يشتريها، إنَّها إنسان قبل كلّ شيء، ولذلك لا تؤخِّر زواجهما إذا وجد الإنسان الصالح وليس عنده ما يدفعه.

لا، ابحث عن الإنسان الصالح؛ فالإنسان الصالح غنية، وهو كنز، المال ليس كلَّ شيء، كم من بنات تزوجن أناساً أغنياء فعاشوا في الشقاء والبؤس، وتمنين أن لو تزوجن إنساناً فقيراً صالحاً.

### موقف رأي سيد التابعين :

سعيد بن المسيب سيد التابعين، وفقيه الفقهاء، وأعلم علماء أهل المدينة، كانت له ابنة خطبها إليه عبد الملك بن مروان الخليفة الأموي لابنه الوليد، ولبي العهد، أراد أن يقوّي نفسه بالإصهار إلى رجل فقيه كبير مثل سعيد بن المسيب، ولكنَّ سعيداً رفض، لم يقبل ابن الخليفة وخليفة المستقبل زوجاً لابنته، لم يُرد أن يدخل في ظلم، أو أن يشارك في ظلم، فرفض ابن الخليفة، ولكن أتدرون من زوج سعيد ابنته؟

لقد زوجها طالب علم من طلابه.

جلس سعيد بن المسيب يوماً في الدرس فتفقد أحد طلابه، اسمه: كثير بن أبي وداعة، فتى قرشي سهيمي، من فقراء الطلاب، فلما حضر ابن أبي وداعة سأله: لقد غبت عنَّا أياماً فأين كنت؟

قال: لقد توفيت امرأتي فاشتغلت بها.



قال: ألا أخبرتنا فشهادنا جنازتها والصلوة عليها، ثم قال له سعيد: هل تزوجت؟ هل استحدثت امرأة؟

قال: ومن أين لي؟ ومن يُرِّجِّنِي وما أملك إلَّا درهماً؟

قال: أنا أزوجك.

قال وقد علم أَنَّه رفض ابن الخليفة: وتفعل؟

قال: إِنَّمَا أَفْعُلُ، وزوْجِه ابنته على درهماً.

ذهب ابن أبي وداعة إلى بيته وهو يقول في نفسه: ما كدت أملك نفسي من الفرح، عاد إلى داره وهو يفكّر ممَّن يستدلين حتى يهبيء البيت لاستقبال العروس، وكان صائماً فأحضر الخبز والزيت ليفطر، وبينما هو كذلك إذ بالباب يُقرِعُ، فقال: من الطارق؟

قال: سعيد.

يقول ابن أبي وداعة: فخطر في بالي كلُّ سعيد في الدُّنيا إلَّا سعيد بن المسيب؛ فإنَّ له أربعين سنة لا يُرى إلَّا بين بيته والمسجد، لا يزور أحداً لا كبيراً ولا صغيراً، فلما فتحت الباب فإذا هو سعيد بن المسيب، فقلت: لعلَّه بدا له!

ظنَّ أَنَّ ابن المسيب رجع عن هذا الزواج وغير رأيه.

فقال لسعيد: يا أبا محمد، رحمك الله، هلا أرسلت إليَّ فاتيك؟

قال سعيد: لقد علمتُ أنَّك امرؤ عزب، فكرهتُ أن تبيَّنَ وحدك هذه الليلة، وإذا بابنته خلفه، قال: هاهي امرأتك قد أحضرتُها إليك. ودفعها إلى داره ورد الباب وانصرف.

هنا تحرّر ابن أبي وداعة في أمره، ماذا يقدّم لزوجته وليس عنده إلّا الخبز والزيت، حتّى أَنَّه وارى عنها طعامه حتّى لا تراه، ثمَّ صعد إلى سطح منزله وجعل ينادي جيرانه، يا أبا فلان، يا أم فلان إلّا سعيد بن المسيب زوجي ابنته، وليس في داري شيء إلّا الخبز والزيت، فجعل هذا يأتي بالتمر، وهذا يأتي باللبن، وهذا يأتي بكلّ ذرة.

وجاءت أمُّه فقالت له: وجهي من وجهك حرام إنْ أفضيتَ إليها قبل ثلاث حتّى أصلحها لك كما يصنع نساء قريش.

ترى أنْ تهيئها له، فقد جاءت الزوجة بملابسها العادية.

وبقي ابن أبي وداعة ثلاثة أيام لم يقترب من زوجته، ثمَّ دخل بها بعد ذلك، قال: فلما دخلتُ بها فإذا هي - والله - من أجمل النّاس، وأعلمهم بكتاب الله تعالى، وأحفظهم لسُنة النّبي، فعشتُ معها أفضل ما يكون الأزواج مع زوجاتهنّ.

ثمَّ بعد مدة ذهب ابن أبي وداعة إلى سعيد بن المسيب فقال له: كيف حال ذلك الإنسان عندك؟

قال: على خير حال يرضاهما الصديق ويكرهها العدو.

بعث إليه بهدية من عدة آلاف من الدرّاهم، وكان سعيد من أهل اليسار<sup>(١)</sup>.

انظروا كيف يتم مثل هذا الزواج، إن سعيد بن المسيب أحد علماء الدُّنْيَا ورجالها الذين كان الخلفاء يحاولون القرب منه فيأبى، سعيد بن المسيب يرفض الوليد بن عبد الملك ويزوج ابن أبي وداعة.

هكذا كان السلف رضوان الله عليهم، كانوا يختارون الرجال.

(١) رواه أبو نعيم في حلية الأولياء (١٦٧/٢ - ١٦٩)، نشر دار السعادة، مصر، ١٣٩٤هـ - ١٩٧٤م.



اختر لابنتك الرجل الصالح، ذا الدين والخلق، هكذا علّمنا الإسلام  
أن نختار حينما نزّوج بناتنا.

### صلاح المرأة ينفع زوجها:

كذلك علّمنا الإسلام إذا تزوجنا أو زوجنا أبناءنا أن نختار المرأة الصالحة، البنت الصالحة، أن نتخير لنطفينا، إنَّ الخير يورث، والشر يورث، على معنى أنَّ البيئة الصالحة تؤثِّر في أبنائهما وبناتها.

هذا أمر معروف بالعادة، فيجب على الإنسان أن يبحث عن البيئة الصالحة، عن التربة الصالحة، عن الفتاة الصالحة، ذات الدين، ابحث عن ذات الدين؛ «تُنكح المرأة لأربع: لمالها، ولحسِّها، وجمالها، ولدينها، فاظفر بذات الدين تَرِبَّتْ يداك»<sup>(١)</sup>.

اظفر بذات الدين التي تُعيِّنك على أمر دينك، إنَّها كنز عظيم، إنَّها تساعدك على طاعة الله، وتُحذِّرك من معصية الله.

هكذا كانت المرأة الصالحة في العصور الأولى، تقول لزوجها إذا خرج يضرب في الأرض يتغيَّر من فضل الله: يا أبا فلان، إياكَ والماءُ الحرام، إياكَ والكسبُ الحرام؛ فإنَّا نصبر على الجوع والطُّوى، ولا نصبر على حَرُّ النَّار وغضبُ الجبار<sup>(٢)</sup>.

وهكذا كانت المرأة الصالحة عونًا لزوجها على تقوى الله، المرأة الصالحة تحفظ له شَطْرَ دينه، ولذلك ينبغي أن تبحث عنها، وأن تعرضَ عليها بالنواجد.

(١) متفق عليه: رواه البخاري في النكاح (٥٠٩٠)، ومسلم في الرضاع (١٤٦٦)، عن أبي هريرة.

(٢) إحياء علوم الدين (٥٨/٢).

## عن الله للناكح يريد العفاف:

ابحث عن المرأة الصالحة، وللصلاح علامات وأمارات، والكتاب يقرأ من عنوانه، ابحث عن المرأة الصالحة، هكذا ينبغي أن نبحث إذا بحثنا عن ذات الدين، أمّا نحن فعَمَّ نبحث؟

الناس يبحثون أكثر ما يبحثون عن ذوات المال، عن العائلة الكبيرة التي تقف وراءه، وتشد أزره، وتسند ظهره، اعتمد قبل كل شيء على الله تبارك وتعالى، لا تتوكل على الناس، بل توكل على الله، ﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بِلِغَ أَمْرِهِ﴾ [الطلاق: ٣]، ﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَيْ اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [الأفال: ٤٩].

ابحث عن المرأة الصالحة، وتوكل على الله تبارك وتعالى، لا تخف؛ فإنَّ الله تعالى إذا علم منك صدق نيتك فتح لك الأبواب المغلقة، ويُسر لك السبل المعقدة، جاء في الحديث الذي رواه أحمد وغيره عن النبي ﷺ: «ثلاثة حق على الله عنهم: المجاهد في سبيل الله، والمكاتب الذي يريد الأداء، والناكح الذي يريد العفاف»<sup>(١)</sup>.

إنَّ علينا أن نُصَحِّح المقاييس في الاختيار، هذه واحدة.

وعلينا بعد ذلك أن نُسَهِّل أمر الزواج، الإسلام شرع الزواج سهلاً فصعبناه، يسيراً فعسرناه، بسيطاً فعقدناه، لم هذا كله؟ لماذا هذا التعسir؟

إذا أراد الإنسان أن يتزوج طلب منه مهر يقصم الظهر، مغالاة في الصدقات، وهذا الصداق أو الصدقة أو المهر ليس ثمناً يقابل قيمة

(١) رواه أحمد (٧٤١٦)، وقال مخرجوه: إسناده قوي. والترمذى في (١٦٥٥)، وحسنه، والنسائي (٣١٢٠)، كلامها في الجهاد، وابن ماجه في العتق (٢٥١٨)، وحسنه الألبانى في صحيح ابن ماجه (٢٠٤١)، عن أبي هريرة.



المُرَأَةُ، بِلْ هُوَ شَيْءٌ رَمْزِيٌّ، هُوَ هَدِيَّةٌ وَعَطِيَّةٌ، ﴿وَإِنَّمَا الْمُسَاءَ صَدُقَتِهِنَّ بِنِحْلَةً﴾ [النِّسَاءٌ: ٤].

هذا هو المراد، ولكنَّه ليس ثمناً حتَّى نُكثِّرهُ ونُغَالِي فِيهِ.

لَا وَاللهُ، النَّبِيُّ ﷺ يَقُولُ: «خَيْرُ النِّكَاحِ أَيْسُرُهُ»<sup>(١)</sup>، «إِنَّ أَعْظَمَ النِّكَاحِ بِرَكَةً أَيْسَرُهُ مَؤْوِنَةً»<sup>(٢)</sup>، أَيْ: مَا كَانَ قَلِيلَ التَّكَالِيفِ، وَقَالَ ﷺ: «إِنَّمَا يُمِنُّ الْمُرَأَةَ: تَيْسِيرُ خِطْبَتِهَا، وَتَيْسِيرُ صِدَاقَهَا، وَتَيْسِيرُ رَحْمَهَا»<sup>(٣)</sup>.

### عواقب تأخير الزواج:

ولهذا نرى السلف كانوا يتزوجون على ما يُتيسَّر، لماذا تكسرهن قلوب الفقراء؟ لم هذا الرياء الاجتماعي؟ لماذا لا يدخل العروس بعروسه بعيداً عن هذه المظاهر الزائفة؟ لماذا تُعَقِّدون ما جعله الله بسيطاً؟ لماذا تُعَسِّرون ما يُسَّرُ الشرع؟

هذه البيوت التي تؤثُّثُ الأثاث الفاخر، لماذا المكاثرة في هذا الأثاث؟ لماذا كلُّ هذا؟ لماذا فعل النَّاسُ بِأَنفُسِهِمْ هذا كُلَّهُ؟ ومن أين يأتي الشاب وهو في أَوَّلِ الطَّرِيقِ، وفي أَوَّلِ درجاتِ السُّلْمِ الوظيفيِّ، من أين يأتي بهذا؟

أنجبره على أن يستدين، والدُّينُ هُم بالليل ومذلة بالنَّهار؟

(١) رواه أبو داود (٢١١٧)، وابن حبان (٤٠٧٢)، وقال الأرناؤوط: إسناده صحيح. كلاهما في النِّكَاح، وصحَّحه الألباني في الصَّحِيحَةِ (١٨٤٢)، عن عقبة بن عامر.

(٢) رواه أحمد (٢٤٥٢٩)، وقال مخرِّجوه: إسناده ضعيف. وأبو داود الطيالسي (١٥٣٠)، والمسائي في الكبير في عشرة النِّسَاءِ (٩٢٢٩)، عن عائشة.

(٣) رواه أحمد (٢٤٤٧٨)، وقال مخرِّجوه: إسناده حسن. وابن حبان في الصِّدَاقِ (٤٠٩٥)، والحاكم في النِّكَاحِ (١٨١/٢)، وصحَّحه على شرط مسلم، ووافقه الذهبي، عن عائشة.

وقد يستدين بالفوائد الربوية فيدخل في حرب الله ورسوله من أول يوم، لماذا؟

وهل يرضي الإنسان أن يصبح زوج ابنته من أول يوم يُصهر إليه مديناً مرهقاً؟

لماذا هذا التكليف وقد نهينا عن التكليف؟ «وَمَا أَنَا بِمُتَكَلِّفٍ» [ص: ٨٦].

إن هناك أشياء كثيرة يرتكبها الناس تكون في الحقيقة سبباً في تعذر أمر الزواج، وما النتيجة بعد هذا كله؟

النتيجة أن تبقى بناتنا في البيوت بلا زواج، أن تكثر أعداد العوانس، وأن تحرم بناتنا من عاطفة الزوجية وحق الأمومة.

### هل يكره الآباء بناتهن؟

ليس هناك أب يكره بنته، ولكنه سوء الفهم، خلل في العقل، اضطراب في المعايير، يجب أن نصحح مفاهيمنا، يجب أن يكون هناك شجعان من الناس يثورون على هذه التقاليد، يتحررون من هذه العادات، يقفون عند حدود الله عجل.

### لا تؤخرزوا زواج بناتكم:

أعرف رجلاً كبيراً في اليمن، كان قاضياً كبيراً، وكان عضواً في مجلس الجمهوري، زوج بعض بناته وبنات أقاربه ممن له يد عليهن على ريال واحد، ريال يمني، لماذا؟

أراد أن يثبت القاعدة، وأن يكسر هذا الجمود، وهذه الحواجز التي يقف الناس وراءها ويدفنون أنفسهم فيها طوعاً و اختياراً، نحن في حاجة



إلى شجعان حتى لا يتسبّب الأمر في أن يبحث الإنسان عن زوجة خارج بلده، يذهب إلى الهند أو إلى بلد آخر، ويترك البنات من أبناء بلده.

والله طالما رأيت البنات وأنا أدرس للطلابات في الجامعة، أسأل إحداهن: هل أنت متزوجة؟ فلا أكاد أجد متزوجة، أو مخطوبة، وهن من خيرة البنات حسباً وعلقاً وأدباً وجمالاً، وقد أوتين كلَّ شيء، لماذا لا تتزوج هؤلاء؟ مَن الَّذِي يُؤخِّر زواجهن؟

حرام يا قوم، حرام عليكم أن تؤخِّروا زواج بناتكم، والأئم من لا زوج لها بكرًا كانت أو ثيبياً، إذا حضر كفؤها فلا تؤخِّرها.

حرام علينا أن نحرم بناتنا ونحرم أبناءنا من الزواج؛ لئلا يتزوجوا من الخارج، أو يقعوا فريسة لشياطين الجن والإنس، وما أكثرهم في عصرنا! ما أكثر سماسرة الشهوات الَّذِين يتاجرون بالغرائز! ينتظرون هذا الشباب عند المطارات يعرضون عليهم الشقق المفروشة، ويعرضون عليهم اللحوم الآدمية الرخيصة، فيقع هؤلاء الشبان الأغرار في حبائدهم، فيستلبون أموالهم، ويستلبون أخلاقهم، ويستلبون صحتهم، ويستلبون كلَّ شيء فيهم، يدمرون علينا شبابنا.

إنَّ أحداً لا يجهل تلك الرحلات الَّتي تذهب إلى هنا وهناك، في أوربا وفي الشرق الأقصى، وفي بانكوك، وفي عواصم العالم العربي، يذهب الشاب مستقيماً ويعود منحرفاً، مَن الَّذِي تسبّب في انحرافه؟

### إنه تأخير الزواج:

عليينا أن نسهل أمر الزواج كما شرع الله تبارك وتعالى، علينا أن نيسّر ولا نعسر، فليس هذا من الدين في شيء.

عليها - أيها الإخوة المسلمين - أن نتفقَّه في ديننا، وأن نقف عند حدود الله تبارك وتعالى ولا نتجاوزها، ﴿وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُم الظَّالِمُونَ﴾ [البقرة: ٢٢٩].

نسأل الله تبارك وتعالى أن يهدينا للتي هي أقوم، وأن يجعلنا من ﴿الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَبَعُونَ أَحْسَنَهُ، أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُم أُولُوا الْأَلْبَابِ﴾ [الزمر: ١٨].

أقول قولي هذا، وأستغفر لله تعالى لي ولكم، فاستغفروه؛ إنه هو الغفور الرحيم، وادعوه يستجب لكم.

\* \* \*



## من أحكام الخطبة في الإسلام<sup>(١)</sup>

### الخطبة الأولى

أمّا بعد، فيا أيها الإخوة المسلمين:

لا زلتنا نتحدث عن الزواج باعتباره أساساً لتكوين الأسرة المسلمة، والبيت المسلم الذي هو أساس المجتمع الصالح، والأمة الصالحة.

### الاستخاراة:

عندما يشرح الله صدر إنسان للزواج؛ فأول ما ينبغي أن يفعله أن يستخير الله تعالى.

إذا اشرح صدره لفلانة بنت فلان فعلية أمران: أن يستخير، وأن يستشير، يستشير الخالق، ويستشير الخلق؛ فلا خاب من استخار، ولا ندم من استشار.

والاستخاراة معروفة علّمها النبي ﷺ لأصحابه كما كان يعلّمهم السورة من القرآن، أن يصلّي الإنسان ركعتين كأي ركعتين، وبعد أن يسلّم منهما

(١) ألقيت في الدوحة، بتاريخ ٢٤ نوفمبر ١٩٩٥ م.

يدعو الله بهذا الدعاء: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْتَخِرُكَ بِعِلْمِكَ، وَأَسْتَقْدِرُكَ بِقَدْرِكَ، وَأَسْأَلُكَ مِنْ فَضْلِكَ الْعَظِيمِ؛ فَإِنَّكَ تَقْدِرُ وَلَا أَقْدِرُ، وَتَعْلَمُ وَلَا أَعْلَمُ، وَأَنْتَ عَلَامُ الْغَيْوَبِ، اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنَّ هَذَا الْأَمْرُ خَيْرٌ لِي فِي دِينِي، وَمَعَاشِي، وَعَاقِبَةِ أُمْرِي - أَوْ قَالَ: عَاجِلٌ أُمْرِي وَآجِلِهِ - فَاقْدُرْهُ لِي وَيُسِّرْهُ لِي، ثُمَّ بَارِكْ لِي فِيهِ، اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنَّ هَذَا الْأَمْرُ شَرًّا لِي فِي دِينِي وَمَعَاشِي وَعَاقِبَةِ أُمْرِي - أَوْ قَالَ: فِي عَاجِلٍ أُمْرِي وَآجِلِهِ - فَاصْرِفْهُ عَنِّي، وَاصْرِفْنِي عَنْهُ، وَاقْدُرْ لِي الْخَيْرَ حِيثُ كَانَ، ثُمَّ رَضِّنِي بِهِ». قَالَ: «وَيُسَمِّي حاجَتَهُ<sup>(١)</sup>. هَذَا أَوَّلُ مَا يَنْبَغِي أَنْ يَفْعَلَهُ الْمُسْلِمُ إِذَا تَوَجَّهَ قَلْبُهُ إِلَى امْرَأَةٍ لِيَتَزَوَّجَهَا - وَكَذَلِكَ إِذَا عُرِضَ عَلَى الْمَرْأَةِ فَلَمْ لَتَتَزَوَّجْهُ - أَنْ يَسْتَخِرَ اللَّهَ.

### معنى الاستخاراة:

وَمَعْنَى الْاسْتِخَارَةِ: طَلْبُ الْخَيْرِ، وَيَفْعُلُهَا الْإِنْسَانُ فِي كُلِّ مَا يَتَرَدَّدُ فِيهِ الْإِنْسَانُ بَيْنَ أَمْرَيْنِ أَوْ جَمْلَةِ أَمْرَيْنِ؛ أَيُّهَا خَيْرُ لَهُ؟ فَهُوَ كَائِنًا يَسْتَشِيرُ رَبَّهُ فِي هَذَا، فَيَقُولُ: يَا رَبِّ اهْدِنِي إِلَى خَيْرِ الْأَمْرَيْنِ، فَالْاسْتِخَارَةُ مَجْرِدُ دُعَاءٍ.

وَلَيْسَ مِنَ الضروري أَنْ يَرَى رَؤْيَا، كَمَا يَظْنُ بَعْضُ النَّاسِ، هُوَ يَقُولُ: إِذَا كَانَ هَذَا الْأَمْرُ خَيْرٌ لِي فَاقْدُرْهُ لِي، وَبَارِكْ لِي فِيهِ. فَإِنْ وَجَدَ الْأَمْرُ مُيَسِّرًا وَمُسْهَلًا فَهُذَا دَلِيلُ الْإِذْنِ وَالْقَبُولِ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى، وَإِنْ وَجَدَ فِيهِ عَقَبَاتٍ وَعَقِيبَاتٍ فَهُذَا دَلِيلُ عَلَى أَنَّ اللَّهَ لَا يَرِيدُ لَهُ هَذَا الْأَمْرُ، هَذِهِ هِيَ الْاسْتِخَارَةُ.

### الاستشارة:

كَمَا أَنَّ عَلَيْهِ أَنْ يَسْتَشِيرَ الْعُقَلَاءَ وَالْخَيْرِيْنَ مِنَ النَّاسِ، مَمَّنْ يَحْبُّونَ لَهُ الْخَيْرَ، وَيَوْدُونَ لَهُ النَّجَاحَ وَالتَّوْفِيقَ، لَا يَسْتَشِيرُ مَنْ يَحْسُدُهُ، وَلَا مَنْ يَكُنْ

(١) رواه البخاري في الدعوات (٦٣٨٢)، عن جابر بن عبد الله.



له بُغضًا، ولا مَنْ لا يريد له الخير، ولا يستشير إنسانًا طائشًا، ولا إنسانًا لا رأي له ولا عقل، إنَّما يستشير العُقلاءُ الأُخيارُ، الَّذِينَ يحبون له الخير كلَّ الخير، فالاستشارةُ أمرٌ من أمورِ الإسلام في كلِّ شؤونِ الحياة، وقد وصفَ الله تعالى المجتمعَ المسلمَ بقوله: ﴿وَالَّذِينَ أَسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُفْعِلُونَ﴾ [الشورى: ٣٨]. فإذا وجد قلبه منشرحًا ذهب إلى المرأة ليخطبها.

### من أحكام الخطبة:

والخطبة مقدمة للزواج، ليست عقدًا للزواج، وإنَّما هي تمهيد له، طلب المرأة من أهلها، أنَّه يريد فلانة زوجة له، عليه أن يتحسَّس قبل الخطبة: هل يقبل أو لا يقبل؟ أن يوسع بعض الناس ليتكلموا مع أهلها، ثم يُقدم على هذه الخطبة.

### رؤية المخطوبة:

ويحسن - قبل أن يقدم على ذلك - أن يرى المرأة، يمكن أن يراها رسميًّا بإذن أهلها، وفي بيته، ويمكن أن يراها دون أن تعلم، لماذا؟ لأنَّه ربما رأها فلم تعجبه فأعرض عنها، فكان ذلك جرحاً لشعورها، وإساءةً إليها، ولذلك رأى بعض الصحابة المرأة دون أن تعلم، وربما كان هذا هو الأوسط.

روى جابر بن عبد الله أنَّ رسولَ الله ﷺ قال: «إذا خطب أحدكم المرأة فإن استطاع أن ينظر إلى ما يدعوه إلى نكاحها فليفعل». قال جابر: خطبت جارية فكنت أتخبأ لها حتَّى رأيت منها ما دعاني إلى نكاحها وترَوْجِها فتزوجتها<sup>(١)</sup>.

(١) سبق تخرجه ص ٨٠.

وكذلك فعل محمد بن مسلمة، قال: خطبت امرأة، فجعلت أتخبأ لها، حتى نظرت إليها في نخل لها، فقيل له: أفعل هذا وأنت صاحب رسول الله ﷺ؟ فقال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إذا ألقى الله في قلب امرئ خطبة امرأة؛ فلا بأس أن ينظر إليها»<sup>(١)</sup>.

وجاء المغيرة بن شعبة يقول: يا رسول الله خطبت امرأة. قال: «اذهب فانظر إليها؛ فإنه أحرى أن يؤدم بينكما»<sup>(٢)</sup>. هذا أجدر أن يجعل بينكما ألفة وائتماماً واتفاقاً، فالعين رسول القلب، وكذلك جاء رجل إلى رسول الله يقول: خطبت امرأة من الأنصار. فقال: «أنظرت إليها؟» قال: لا. قال: «انظر إليها فإن في أعين الأنصار شيئاً»<sup>(٣)</sup>. لعله لا يعجبك منظر عيون نساء الأنصار، وهكذا ينبغي أن ينظر الإنسان إلى من يخطبها.

### ماذا ينظر في مخطوبته؟

بعض العلماء ضيقوا، وبعض العلماء وسعوا توسيعة شديدة في مسألة ما يباح النظر إليه من المخطوبة، فمن العلماء من قال: له أن ينظر إلى وجهها وكفيها. ولكن هذا هو ما ينظره في النساء العاديات، يمكن أن ينظر إلى وجه كل امرأة وكفيها.

وقال بعض العلماء: يمكن أن ينظر إلى ما عدا وجهها وكفيها، فينظر إلى شيء من ذراعيها، وشيء من ساقيها، وشيء من شعرها<sup>(٤)</sup>.

(١) رواه أحمد (١٧٩٧٦)، وقال مخرّجوه: إسناده ضعيف. وابن ماجه في النكاح (١٨٦٤).

(٢) رواه أحمد (١٨١٣٧)، وقال مخرّجوه: صحيح. والترمذى (١٠٨٧)، وحسنه، والنمسائي (٣٢٣٥)، وابن ماجه (١٨٦٥)، ثلاثة في النكاح، وصحّحه ابن الملقن في البدر المنير (٥٠٣/٧).

(٣) رواه مسلم في النكاح (١٤٢٤)، وأحمد (٧٨٤٢)، والنمسائي في النكاح (٣٢٤٧)، عن أبي هريرة.

(٤) انظر المجموع للنووى (١٣٣/١٦)، نشر دار الفكر، والمغني لابن قدامة (٩٧/٧)، نشر مكتبة القاهرة، والمحللى لابن حزم (١٦١/٩).



وقد ورد أن عمر بن الخطاب خطب أم كلثوم بنت عليٍّ بن أبي طالب، فقال له أبوها: إنَّها صغيرة. فانصرف، فقال له بعض الناس: إنَّه ردَّك بهذا فعاود الكلام معه. فذهب إلى عليٍّ فقال له: إنِّي أريد أم كلثوم. وكان ي يريد بهذا أن يكون بينه وبين رسول الله ﷺ نسب، فأم كلثوم بنت عليٍّ هي بنت فاطمة الزهراء، جدها رسول الله ﷺ، فقال له: سأبعث إليك بها لترتها. كانت صغيرة، فبعث إليه بها، فنظر إليها وكشف عن ساقيها، فقالت له: أرسل، فوالله لو لا أئْكَ أمير المؤمنين للطمت الذي فيه عيناك<sup>(١)</sup>. هي لا تعرف أنَّه يخطبها، ولذلك تعجبت أن ينظر إلى ساقيها، فهذا يدل على أنَّه يجوز للخاطب أن يرى ساق المرأة، أو ذراعيها، أو شيئاً من شعرها.

### التشدد في أمر الرؤية:

ويتفاوت المسلمون في عصرنا أشدَّ التفاوت في هذا القضية، فمنهم من لا يجيز رؤية المخطوبة بأي حال من الأحوال، ولا زال هذا سائداً في بلاد الخليج، وهو ضد الشرع، فالشرع يأمر بالنظر، والنبي ﷺ حينما جاءته امرأة تهب له نفسها صعد فيها النظر وصوبه، ثم صمت وأعرض عنها، فمن حقِّ الخاطب أن يرى من يخطبها.

ولكن الناس هنا في الخليج لا يجيزون للخاطب أن يرى مخطوبته، بل يعقد عليها ولا يراها بعد العقد، وإنَّما يراها ليلة البناء بها، ليلة الزفاف، مع أنَّها تذهب إلى المدرسة، وتذهب إلى الجامعة، وتسافر إلى البلاد العربية، والبلاد الأوربية، ويراها كل الناس إلَّا هذا المسكين خاطبها أو زوجها.

(١) رواه عبد الرزاق في النكاح (١٠٣٥٢)، وسعيد بن منصور في سننه (٥٢١).

وهذا ليس من الشرع في شيء، فالشرع يبيح الرؤية، بل هو يتطلب الرؤية، وهذه الرؤية من حق الرجل، ومن حق المرأة، ولذلك قال الإمام أبو إسحاق الشيرازي: يجوز للمرأة أن تنظر إلى خاطبها؛ لأنّها يعجبها من الرجل ما يعجب الرجل منها. وهذا ليس بجائز لها فقط، بل ينبغي عليها أن تنظر.

### **الجلوس إلى المخطوبة والحديث معها:**

والواقع أنَّ مجرد الرؤية لا تكفي، بل لا بدَّ من الحديث؛ لعلَّ عندها عيًّا في نطق الكلام، ثمَّ إنَّه يريد أن يتعرف على عقليتها، وعلى شخصيتها العامة، والإنسان ليس بصورته ومظاهره فحسب، فالرؤبة يتعرَّف على وجهها ويديها وصورتها الظاهرة، ولكنَّه لا يعرف: أهي عاقلة أم غير عاقلة؟ أهي إنسانة ذكية أم غبية؟ أهي سليمة اللسان أم غير سليمة؟ وهذا إنَّما يُعرف بالمحادثة.

ولهذا ينبغي لأهل المرأة أن يسمحوا بأن يجلس إليها وتجلس إليه، ويكلم كلَّ منهما الآخر ويتعرَّف على السمات العامة لشخصيته، فقد تكون المرأة مقبولة في صورتها غير مقبولة في عقليتها، وقد يكون الرجل كذلك، فمن حق الحياة الزوجية أن نحتاط لها، فهذا ما أمر به الشرع.

أمَّا منع الرؤية، ومنع الجلوس، ومنع اللقاء والحديث فكثيرًا ما يتربَّط عليه إخفاق الحياة الزوجية، وفشل بقاء الزوجين معًا، ومن هنا كثرت نسبة الطلاق في بلاد الخليج نتيجة لذلك، لا بدَّ من أن يفتح الخاطب عينيه واسمعين قبل الزواج، وينظر ويرى ويتأمل، وهذا حقُّ الرجل والمرأة.



وإذا كان بعض الناس يتشددون في رؤية الخاطب لمخطوبته فهناك آخرون يطلقون العنان، ويدعون الحبل على الغارب، ويتركون الفتى يتآبّط ذراع الفتاة، ويذهب معها إلى النزهات والخلوات والسينمات ليتعرّف عليها عن كثب.

وهذا لا يجوز، نحن نقع بين الإفراط والتفرط، جماعة مُفرطون، وجماعة مُفرطون، وإنما ضاعت الأمة بين الغلاة المُفرطين والمُقصرين المُفرطين، والخير كل الخير في الوسط، فينبغي النظر إلى المخطوبة والتعرف عليها في إطار معتدل.

### خطبة المرأة على خطبة أخيه:

ولا يجوز أن يخطب الإنسان امرأة خطبها غيره، فالنبي ﷺ قال: «لا يحل لمسلم أن يبيع على بيع أخيه، ولا أن يخطب على خطبة أخيه، إلا أن يترك الخاطب قبله أو يأذن له»<sup>(١)</sup>. إذا ترك مخطوبته فأنت في حل للتقدم إليها، أو أذن لك لأنّه لا زال متربّداً! وبغير هذا لا يحل لإنسان أن يخطب على خطبة أخيه.

### خطبة المرأة في العدة:

كما لا يجوز أن يخطب امرأة وهي لا تزال في العدة، سواء كانت عدة الطلاق الرجعي؛ إذ يجوز لزوجها أن يراجعها في أي وقت: ﴿وَبِعُولَهُنَّ أَحَقُّ بِرَدَهُنَّ فِي ذَلِكَ إِنَّ أَرَادُوا إِصْلَاحًا﴾ [البقرة: ٢٢٨]، كذلك لا يجوز له أن يخطبها خطبة صريحة وهي في عدة الوفاة.

(١) متفق عليه: رواه البخاري (٥١٤٢)، ومسلم (١٤١٢)، كلاماً في النكاح، عن ابن عمر.

## التعریض بالخطبة:

ولكن يجوز أن يعرض بالخطبة، فيقول مثلاً: إني في حاجة إلى امرأة صالحة، إني في حاجة إلى امرأة صفتها كذا وكذا. وهذه الصفات تنطبق عليها، إياك أعني وأسمعي يا جارة، هكذا يقول القرآن: ﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَضْتُمْ بِهِ مِنْ خُطْبَةِ النِّسَاءِ أَوْ أَكْنَنْتُمْ فِي أَنفُسِكُمْ عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ سَتَذَكُّرُونَهُنَّ وَلَنْكُنْ لَا تُؤَاخِدُوهُنَّ سِرًا إِلَّا أَنْ تَقُولُوا قَوْلًا مَعْرُوفًا﴾ [البقرة: ٢٣٥].

## موافقة المرأة ووليها:

ولا بد من موافقة المرأة، وموافقة وليها، لا بد أن تستاذن المرأة إذا أريد الزواج منها، بعض الآباء يجعلون من أنفسهم قيمين على بناتهم، ويزوجون المرأة ممن يشاوونهم، لا من تشاء هي، لا، فالإسلام يفرض أن يؤخذ رأيها، ولا بد من موافقتها صراحة، أو على الأقل بالصمت والسكوت، وهو دلالة الرضا.

ولذلك قال النبي ﷺ: «الثَّيْبُ أَحَقُّ بِنَفْسِهَا، وَالبَّكْرُ تُسْتَأْذَنُ». قيل: يا رسول الله؛ إنَّ الْبَكْرَ تُسْتَحِي. فقال: «إِذْنَهَا صِمَاتُهَا»<sup>(١)</sup>. إذا سكتت فهذا دلالة الرضا، أمَّا إذا بكَتْ أو نفرَتْ، أو قالتْ: لا. فلا يجوز لأب أن يزوجها رغم أنفها، وإلا كان هذا افتياً على الشرع، وعلى المرأة، وعلى الإسلام.

وقد ردَّ النبي ﷺ نكاح امرأة زُوِّجتْ بغير رضاها، وكانت بكرًا<sup>(٢)</sup>، وجاءته إحدى البنات الأبكار تستشيره، تقول: يا رسول الله؛ إنَّ أَبِي يُرِيدُ أَنْ يَزُوْجَنِي مِنْ أَبْنَائِهِ، وَأَنَا لَهُ كَارِهَةٌ. فقال لها:

(١) متفق عليه: رواه البخاري في الحيل (٦٩٧١)، ومسلم في النكاح (١٤٢٠)، عن عائشة.

(٢) سبق تخرجه ص ٧٦.

«أجیزی ما صنع أبوک». قالت: يا رسول الله؛ إِنِّی لَه کارھہ. قال لها: «أجیزی ما صنع أبوک». ثلاٹ مرات وهي تقول له: لا. فقال: «إذن الأمر إليک». أنت صاحبة الشأن في هذا الأمر، فقالت: يا رسول الله؛ أجزت ما صنع أبي، ولكن أردت أن يعلم الآباء أنَّهم ليس لهم من أمر بناتهم شيء<sup>(١)</sup>. أرادت أن تحسم المبدأ لبنات جنسها، أنَّ الأب لا يجوز أن يجبر ابنته على مَنْ لا تريده؛ بل ينبغي على الأب الرفيق الرحيم الحاني أن يتَحسَّس رغبات ابنته، ويعرف ماذا عندها.

### مشاورة الأم:

ولذلك قال النبي ﷺ: «أمروا النساء في بناتهن»<sup>(٢)</sup>. يعني: شاوروا الأمهات في بناتهن، عندما تريد أن تُزوج ابنتك، أو إذا تقدَّم لها خاطب شاور أمَّها، لماذا؟ لأنَّ الأم طرف في هذه القضية، ولو زُوِّجت ابنتها بغير رضاها ممَّن لا تحبه فستُنگد عليه عيشه، وتجعل حياته جحيمًا.

ثم من ناحية أخرى: لأنَّ الأم أدرى بابنته من أبيها، البت أقرب إلى أمَّها، وتُفضي إليها بالأسرار ما لا تفضي بها إلى الأب، ولعلها متعلقة برجل آخر، ولا تريد أن تبوح بذلك لأبيها، فعلى الأب أن يسأل امرأته ويشاورها، وأن يقول لها: جاء فلان فما رأيكم؟ فهذا أمر مهم.

وقد ذهب النبي ﷺ إلى جماعة من الأنصار يخطب ابنتهm إلى جُليبيب رضي الله عنه، فقال للرجل: «أريد ابنتك لجليبيب». فقال له: حتى أشاور أمَّها. فقال: «نعم». فاستشار أمَّها، فقالت له: نرد فلاناً وفلاناً وفلاناً ثم

(١) سبق تخریجه ص ٧٧.

(٢) رواه أحمد (٤٩٠٥)، وقال مخرِّجوه: حديث حسن. وأبو داود في النكاح (٢٠٩٥)، عن ابن عمر.

نزوّجها لجليبيب، هذا الفقير المسكين! فسمعت الفتاة من وراء الخباء هذا الكلام فقالت: أتريدون أن تردوّا على رسول الله ﷺ أمره؟ إن كان قد رضيّه لكم فأناكم حواه. فلم يسمع أبوها إلّا أن يقبلوا بهذا الأمر<sup>(١)</sup>. فلا بد من استشارة الأم، لا بدّ أن يكون الزواج برضاء كل الأطراف، وللهذا اشترط رضا الولي، وإذن الولي، وحضور الولي، كما هو مذهب الأئمّة الثلاثة: مالك، والشافعي، وأحمد.

### التكافؤ بين المخطوبين:

وأجاز الإمام أبو حنيفة أن تُزَوِّج الفتاة البالغة الرشيدة نفسها من كفءٍ، فإذا لم يكن الزوج كفأً فمن حقّ أوليائها أن يعترضوا<sup>(٢)</sup>. وهذه الكفاءة مطلوبة في الزواج، لا بدّ من التكافؤ بين الزوجين، والتكافؤ في الدين أهم مراتب التكافؤ وأنواعه: أن يكون الرجل دينًا يخشى الله في المرأة، وقد قال الشعبي رحمه الله: مَنْ زَوَّجَ ابنته من فاسق فقد قطع رحمها<sup>(٣)</sup>.

وذكر الإمام البخاري الكفاءة في النكاح، وجاء بهذا الحديث عن سهل بن سعد الساعدي، أنه قال: مَرَّ رجل على رسول الله ﷺ، فقال لأصحابه: «ما تقولون في هذا؟» فقالوا: رجل من أشراف الناس، هذا والله حَرِيٌّ إن خطب أن يُنكح، وإن شَفَعَ أن يُشَفَّعَ. قال: فسكت رسول الله ﷺ، ثم مَرَّ رجل آخر، فقال رسول الله ﷺ: «ما تقولون في هذا؟» فقالوا: يا رسول الله، هذا رجل من فقراء المسلمين، هذا حَرِيٌّ إن

(١) رواه أحمد (١٢٣٩٣)، وقال محرّجوه: إسناده صحيح على شرط الشيختين. وابن حبان في النكاح (٤٠٥٩)، عن أنس.

(٢) المبسط للسرخي (١٢/٥)، نشر دار المعرفة، بيروت.

(٣) رواه أبو نعيم في حلية الأولياء (٤/٣١٤).



خطب أن لا يُنكح، وإن شفع أن لا يشفع، وإن قال أن لا يسمع لقوله. فقال رسول الله ﷺ: «هذا خيرٌ من ملء الأرض مثل هذا»<sup>(١)</sup>. فالناس لا يقاسون بالمال ولا بالجاه ولا بالشهرة، وإنما يقاسون بالإيمان والأخلاق والعمل الصالح، فهذه هي الكفاءة الأولى كفاءة الدين.

ثم هناك كفاءات أخرى، مثل الكفاءة في الثقافة، لا ينبغي لأمّي أن يتقدّم ليخطب جامعية، فالفرق بينهما بعيد، لا يستطيع أن يفهمها ولا أن تفهمه.

ولا بد أن يكون هناك تكافؤ في السن أيضًا، صحيح أنَّ النبي ﷺ تزوج خديجة رضي الله عنها، وكانت تكبره بخمسة عشر عاماً، ولكن ليست كل النساء خديجة، وتزوج عائشة رضي الله عنها، وكانت تصغره بأكثر من أربعين عاماً، ولكن ليست كل النساء عائشة، وليس كل الأزواج محمداً ﷺ، لا بد أن نراعي التقارب والتكافؤ.

تقدّم أبو بكر رضي الله عنه ليخطب فاطمة بنت رسول الله ﷺ، فاعتذر له بأنها صغيرة، وتقّدم عمر رضي الله عنه ليخطبها فاعتذر له بأنها صغيرة، فتقّدم لخطبتها ابن عمها علي بن أبي طالب رضي الله عنه فزوجها رسول الله ﷺ منه، فالتقرب في السن أمر مطلوب.

### **التَّأْنِي فِي الْبَحْث قَبْلَ الْمُوافَقَةِ:**

ومن هنا إذا أردنا أن يكون الزواج زواجاً ناجحاً غير متعرض للهَزَّات لا بد أن يبحث الرجل، وتبحث المرأة، ويبحث أهلها فيمن يتقدّم إليها: هل هو مناسب لها أو غير مناسب؟ قد يكون رجلاً طيباً وفاضلاً، ولكن طباعه غير موافقة لطبعها، إذا كان رجلاً حادّ المزاج، عصبيّ السلوك،

(١) رواه البخاري في النكاح (٥٠٩١)، عن سهل بن سعد.

وهي نفس الشيء حادة عصبية إذن ستكون حياتهما ناراً مشتعلة باستمرار، ينبغي للرجل العصبي أن يتزوج امرأة هادئة الطباع، فليس كل رجل صالحًا لكل امرأة.

لابد من التأني والترىث عند الإقدام على الزواج، لا ينبغي أن يتقدم الإنسان بعاطفة هو جاء، أو تقدم الفتاة لتقبل كل من يأتي إليها، أو كل من قال لها بعض الكلمات المسئولة، كبعض فتياتنا اللائي ينخدعن بمثل هذا الكلام، الذي يقال في الهواتف من شباب لا يخشون الله تعالى ولا يراقبونه، لا بد من التريث والتأني.

### العواطف الإنسانية:

وليس معنى هذا أن نلقي العواطف الإنسانية في سلة المهملات، لا فقد روى ابن عباس رضي الله عنهما: أن جماعة قالوا: يا رسول الله: إن عندنا ابنة تقدم لها رجل موسر، وتقديم لها رجل معدم، وهي تهوى المعدم، ونحن نهوى الموسر. فقال النبي ﷺ: «لم يُرَ لِلمتَّحَابِينَ مِثْلُ الزَّوْاجِ»<sup>(١)</sup>. أفضل طريقة لطرفين متاحبين أن تُوفق بينهما على سنة الله ورسوله، أن تجمع بينهما في الحال، «لم يُرَ لِلمتَّحَابِينَ مِثْلُ الزَّوْاجِ».

لم يكن العرب في الجاهلية وفي صدر الإسلام يرون تزويج الفتاة ممن يحبها، وخصوصاً إذا كان شاعراً، وقال فيها شعراً، ونحن نعلم قصة قيس بن الملوح وليلي، وكيف حرم منها، وهذا لا يقره الإسلام، «لم يُرَ لِلمتَّحَابِينَ مِثْلُ الزَّوْاجِ».

(١) رواه ابن ماجه (١٨٤٦)، والحاكم (٢١٦٠)، وصححه، كلاهما في النكاح، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٥٢٠٠)، عن ابن عباس، بدون ذكر القصة. والقصة رواها ابن منده في الأمالي، كما في الصحيحة للألباني (٦٢٤).



ويروي ابن عباس أنَّ النَّبِيَّ ﷺ بعث سريَّة فغمموا وفيهم رجل، فقال لهم: إِنِّي لست منهم؛ عشقت امرأة فلحقتها؛ فدعوني أنظر إليها، ثم أصنعوا ما بدا لكم. فإذا امرأة طوله أدماء، فقال لها: اسلمي حبيش قبل نفاد العيش.

**أرأيتِ لو تِعْتُكُمْ فَلَحِقْتُكُمْ  
بِحَلِيَّةِ أَوْ أَدْرِكْتُكُمْ بِالْخَوَانِقِ  
أَمَّا كَانَ حَقًّا أَنْ يُنَوَّلْ عَاشِقُ  
تَكَلَّفْ إِدْلَاجِ السُّرِّيِّ وَالْوَدَائِقِ**

أي: سرى بالليل وتتكلف المشقات حتى وصل إلى هنا. فقالت له المرأة: نعم فديتك. فأخذ الرجل وضربت عنقه، فجاءت المرأة ورمت نفسها عليه فشهقت شهقة، أو شهقتين، ثم ماتت، فلما قدموا على رسول الله ﷺ أخبروه الخبر، فقال رسول الله ﷺ: «أَمَّا كَانَ فِيكُمْ رَجُلٌ رَحِيمٌ؟»<sup>(١)</sup>.

هكذا أبدى تعاطفه ﷺ مع هذين المحبين، فليس كل الحب مرفوضاً، وليس كل الحب حراماً، الحب الحلال حلال، والحب الحرام حرام، هناك حب يأتي من غير أن يسعى إليه الإنسان، الحب من أول نظرة، الحب الذي يأتي فجأة ويهاجم على القلب وما سعى الإنسان إليه، ولا حرص عليه، ثم إنَّه أحب امرأة مناسبة له في دينها، وفي خلقها، وفي كل ما يحتاجه إليه منها، فإذا كان الحب مثل هذا فهو مشروع، وينبغي ألا نقف في سبيله.

إذا كان الزواج بهذه الصورة فلا حرج فيه، وينبغي أن نتممه، بعد أن تُستشار البنت، وتُستشار أمها، ويأخذن ولیها، وهي مستوفية للصفات التي

(١) رواه النسائي في الكبرى في السير (٨٦١٠)، والطبراني في الأوسط (١٦٩٧)، وفي الكبير (٣٦٩/١١)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٠٣٥٥): إسناده حسن. عن ابن عباس.

ذكرناها في الخطبة السابقة، هنالك يقدم الخاطب على الزواج وهو مطمئن القلب، وراضٍ بما يسّر الله له، ويدفع المهر المطلوب كما تيسّر، دون أن يبالغ.

### التيسير في المهر:

وليس في الإسلام حدٌ لأقل المهر، ولا لأكثره، وفي حياة النبي ﷺ رأيناً يقول للرجل الذي أراد أن يتزوج المرأة: «التمس ولو خاتماً من حديد». فلم يجد خاتماً من حديد، فقال له: «أمعك شيء من القرآن؟» قال: نعم عندي سورة كذا، وسورة كذا، وسورة كذا. قال: «أتقرؤها عن ظهر قلب؟» قال: نعم يا رسول الله. قال: «زوجتكها بما معك من القرآن»<sup>(١)</sup>. يعني علّمها هذه السور.

وتزوج عبد الرحمن بن عوف بنوأة من ذهب، وتزوج النبي ﷺ أمّهات المؤمنين - كما قالت عائشة - على اثنتي عشرة أوقية، ونصف الأوقية (خمسمائة درهم) وتزوج أم حبيبة بنت أبي سفيان وهي في الحبشة، والذّي زوجها له، وأعطاه مهرها نجاشي الحبشة، أعطاها أربعة آلاف درهم، وجهزها وأرسلها إليه مع شرحبيل بن حسنة<sup>(٢)</sup>، فالمهر تفاوت في عهد النبي ﷺ.

تقىد أبو طلحة الأنصاري إلى أم سليم أم أنس بن مالك ليخطبها، فقالت له: يا أبا طلحة، مثلك لا يُرد، ولكنك امرؤ كافر وأنا امرأة مسلمة،

(١) متفق عليه: رواه البخاري في فضائل القرآن (٥٠٣٠)، ومسلم في النكاح (١٤٢٥)، عن سهل بن سعد.

(٢) رواه أحمد (٢٧٤٠٨)، وقال مخرجوه: رجاله ثقات. وأبو داود (٢١٠٧)، والنسائي (٣٣٥٠)، والحاكم (١٨١/٢)، ثلاثتهم في النكاح، وصحّحه على شرط الشيخين، ووافقه الذهبي.



و لا يحلُّ لِي أَنْ أَتْزُو جَكَ، فَإِنْ أَسْلَمْتَ فَذَلِكَ مَهْرِيٌّ، لَا أَسْأَلُكَ غَيْرَهُ.  
فَقَالَ: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنَّ مُحَمَّداً رَسُولَ اللَّهِ. قَالَ ثَابِتُ رَاوِيُّ  
الْحَدِيثِ: فَمَا رَأَيْتَ امْرَأَةً أَكْرَمَ مَهْرًا وَأَغْلَى مَهْرًا مِنْ أُمَّ سَلِيمَ؟ كَانَ مَهْرُهَا  
إِسْلَامُ زَوْجِهَا.

هَكُذا يَنْبَغِي أَنْ نُيْسَرَ فِي الْأَمْرِ، وَقَدْ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «خَيْرُ النِّكَاحِ  
أَيْسَرُهُ»<sup>(١)</sup>. وَقَالَ أَيْضًا: «خَيْرُ الصَّدَاقِ أَيْسَرُهُ»<sup>(٢)</sup>. وَكَذَلِكَ قَالَ ﷺ: «إِنَّ مِنْ  
يَمِنِ الْمَرْأَةِ - أَيُّ مِنْ بَرَكَتِهَا - تِيسِيرُ خَطْبَتِهَا، وَتِيسِيرُ صَدَاقَهَا، وَتِيسِيرُ  
رَحْمَهَا»<sup>(٣)</sup>. أَيُّ: وَلَادَتْهَا، هَذَا مِنْ بَرَكَةِ الْمَرْأَةِ، فَإِذَا أَرَادَ الرَّجُلُ الزَّوْجَ  
فَلِيَتَقْدُّمَ وَيُعْطِيَ الْمَرْأَةَ مَهْرَهَا، ﴿وَإِنَّوْا إِنْسَاءَ صَدُقَتِنَّ بِخَلْهَةً فَإِنْ طَبِّنَ لَكُمْ عَنْ  
شَيْءٍ مِّنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ هَنِيئًا مَّرِيئًا﴾ [النِّسَاءُ: ٤].

أَسْأَلُ اللَّهَ تَعَالَى أَنْ يَفْقَهَنَا فِي دِينِنَا، وَأَنْ يَبْصُرَنَا بِأَمْرِ دِينِنَا، وَأَنْ  
يُهِبِّنَا لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رِشْدًا.

أَقُولُ قَوْلِي هَذَا، وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ لِي وَلَكُمْ فَاسْتَغْفِرُوهُ؛ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ  
الرَّحِيمُ، وَادْعُوهُ يَسْتَجِبُ لَكُمْ.

\* \* \*

(١) رواه أبو داود (٢١١٧)، وابن حبان (٤٠٧٢)، وقال الأرناؤوط: إسناده صحيح. كلاهما في النِّكَاحِ، وصحَّحَهُ الألباني في الصحيحَةِ (١٨٤٢)، عن عقبة بن عامر.

(٢) رواه الحاكم في النِّكَاحِ (١٨١/٢)، وصحَّحَهُ على شرط الشِّيخِيْنِ، ووافقه الذَّهَبِيُّ، وصحَّحَهُ الألباني في صحيحِ الجامِعِ (٣٢٧٩)، عن عقبة بن عامر.

(٣) رواه أحمد (٢٤٤٧٨)، وقال مخْرِجُوهُ: إسناده حسن. وابن حبان في الصَّدَاقِ (٤٠٩٥)، والحاكم في النِّكَاحِ (١٨١/٢)، وصحَّحَهُ على شرطِ مُسْلِمٍ، ووافقه الذَّهَبِيُّ، عن عائشة.

## الخطبة الثانية

أماماً بعد، فيها أيها الإخوة المسلمين:

### تفجير السفارة المصرية في باكستان:

فكلاً حادث حادث من حوادث العنف التي نقرأ عنها، ونشاهد آثارها الآن أمسكت قلبي بيدي، وأصبحت تعترني مشاعر متباعدة، مشاعر الخوف والإشراق، ومشاعر الحزن والكمد، ومشاعر الغضب والغىظ، وذلك لأن هذه الحوادث تتسبّب في قتل أناس أبرياء، لا ذنب لهم ولا جريمة.

### إنكار الإسلام لجرائم العنف:

ما ذنب الذين يُقتلون من الأطفال والنساء، والشيخ والمدنيين العزّل في مثل هذه الأحداث؛ ودمهم دم مصون ومعصوم، وحرمتهم عند الله عظيمة؟

ما ذنب هؤلاء؛ والنبي ﷺ يقول: «لزوال الدنيا أهون على الله من قتل امرئ مسلم بغير حق»<sup>(١)</sup>. وذكر القرآن أن التشريعات السماوية من قديم تقرر: «إِنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَانَمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَانَمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا» [المائدة: ٣٢].

إن الإسلام لم يُبح حتى في الحروب الشرعية والعلنية أن يُقتل إنسان

(١) رواه الترمذى في الديات (١٣٩٥) مرفوعاً، وموقوفاً، ورجح الموقف، والنسائي في تحريم الدم (٣٩٨٧)، والبيهقي في النفقات (٢٢/٨)، وصححه السيوطي في الصغير (٧٢٣٦)، والألبانى في غایة المرام (٤٣٩)، عن عبد الله بن عمرو.



غير مقاتل، حينما رأى النبي ﷺ امرأة في إحدى الغزوات مقتولة غضب ﷺ وقال: «ما كانت هذه لتقاتل»<sup>(١)</sup>.

وكذلك كان الخلفاء الراشدون يوصون قوادهم العسكريين: ألا يقتلوا شيخاً، ولا امرأة، ولا صبياً، ولا راهباً في صومعة، ولا الفلاحين في مزارعهم، وألا يقطعوا شجراً، وألا يهدموا بناءً<sup>(٢)</sup>.

لهذا كانت الحرب الإسلامية حرب رحمة وسماحة، ولم تكن حرب عنف وإبادة.

جيء لأبي بكر الصديق رضي الله عنه بصرة، بعث إليه بها قائداً ممن يحاربون في الجبهة الفارسية، ففتحت الصرّة فوجد فيها رأس إنسان مقتول، فغضب أبو بكر، وقال: ما هذا؟ قالوا: يا خليفة رسول الله هم يفعلون ذلك بقادتنا، ويبعثون برؤوسهم إلى أباطرتهم وملوكيهم. فقال أبو بكر: أستنان بفارس والروم؟ أنجعلهم قدوة لنا ونستنّ بهم؟ أهُم شيوخنا وأساتذتنا الَّذِين نقتدي بهم؟ والله لا يُحمل إلَيَّ رأسٌ بعد اليوم<sup>(٣)</sup>.

هذا هو الإسلام دين الرحمة، رحمة الله للعالمين، إذا قُدر له أن يقاتل في أضيق الحدود، لا يقتل مدنياً، ولا يقتل مَنْ لا يُقاتل، ولكن هذه الحوادث تأخذ البريء بال المسيء، وتأخذ أنساناً شتى، وهذا أمر لا يجوز.

(١) رواه أحمد (١٥٩٩٢)، وقال مخرّجوه: صحيح لغيرة. وأبو داود في الجهاد (٢٦٦٩)، عن رباح بن ربيع.

(٢) رواه مالك في الجهاد (١٦٢٧)، تحقيق الأعظمي، والبيهقي في السير (٨٩/٩)، وانظر: الكامل في التاريخ لابن الأثير (١٩٦/٢)، تحقيق عمر عبد السلام تدمري، نشر دار الكتاب العربي، بيروت، ط١، ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م.

(٣) رواه سعيد بن منصور (٢٦٤٩)، وابن أبي شيبة في السير (٣٤٣٠٣)، عن عقبة بن عامر.

وهذا أحد الأسباب التي تجعلني أمسك قلبي بيدي، كلما حدثت هذه الحوادث، وآخرها هذه الحادثة التي حدثت في إسلام آباد، تفجير السفارة المصرية هناك، ما ذنب هؤلاء الذين قتلوا وهم يراجعون السفارة من الباكستانيين المساكين، أو غيرهم من الجنسيات؟ ما ذنب أولئك الذين قتلوا من الموظفين، وليسوا هم الذين يعملون بالسياسة، ويضعون الخطط للأمة، ما ذنب هؤلاء؟

ثم ما الذي تؤديه هذه الحوادث؟ ماذا تنتج للأمة؟ ماذا حققت حوادث العنف إلى اليوم؟ لم تتحقق شيئاً، هذا الذي فجر السفارة هل حقق حلمًا للأمة؟ هل أزال منكراً من المنكرات؟ هل أزال ظلماً من المظالم؟ لا والله لم يحدث شيء من ذلك، لهذا ندعوا العقلاة من المسلمين إلى الدعوة بالحكمة والموعظة الحسنة.

ومع هذا للأسف فإنَّ كثيراً من الحكومات، ومن رجال الأمن يتعمدون الخلط في هذه الأمور، يخلطون الحابل بالنابل، ويلبسون الحق بالباطل، ويسيرون بين البريء والمسيء، ويقولون: كل الجماعات الإسلامية سواء.

وهذا ظلم بيِّن، لا ينبغي أن نقابل الظلم بظلم مثله، ولا أن نقابل العنف بعنف مضاد، فإنَّ هذا بمنزلة مَنْ يصبُّ الزيت على النار، كمن يُطفئ النار بالخشب أو بالبترول، إنَّها لا تزداد إلَّا اشتعالاً وتوهجاً.

### **براءة الإسلام من جرائم العنف:**

في ينبغي أن نعالج هذه الأمور - إذا أردنا أن نعالجها - بالحكمة والموعظة الحسنة، لا أن نتهم الناس جملة بالزُّور والبهتان، كما سمعنا



في باكستان منْ يَتَّهِمُ الجامعة الإسلامية العالمية، وأنا عضو مجلس أمناء هذه الجامعة، وبعض الكبار هنا في قطر والخليج أعضاء في مجلس أمنائها، وهي جامعة تُنكر هذا العنف، وتقف ضد دعاة العنف.

ولكن هناك من رجالات الأمن مَنْ يريدون أن ينتهزوها فرصة ليخلطوا الأوراق ببعضها البعض، ويضربوا المسلمين جميعاً، والإسلاميين طرراً؛ بل أكثر من ذلك هناك من ينتهز هذه الفرصة ليصدق هذه الأفعال بالإسلام ذاته، يريدون أن يقولوا: الإسلام هو دين العنف والإرهاب.

وكنت أقرأ منذ أيام بحثاً لأستاذ جامعي أمريكي يقول للمسؤولين في أمريكا: إياكم أن تقولوا: إنَّ بين المسلمين معتدلين ومتطرفين. فكلهم متطرفون، لا تصدّقوا أنَّ فيهم معتدلين، إنَّهم يعتذرون اليوم، ويتطرفون غداً، لا بدَّ أنْ يُحاربوا جميعاً، لا بدَّ أنْ نقف في وجههم جميعاً. هذا ما يقولونه بصراحة، يريدون أن يلتصقوا الحادث بالإسلام.

### العنف ظاهرة عالمية:

وليس الإسلام وحده هو الذي تصدر من أبنائه مثل هذه الأحداث، هذه الأحداث رأيناها في أمريكا نفسها، رأيناها في حوادث لوس أنجلوس التي قام بها الأمريكيان السود من عدة سنوات.

ورأيناها في حادث أوكلاهوما الذي فُجِّر فيه المبني الحكومي الكبير، وكان من ضحاياه العشرات والمئات، قام بذلك الأمريكيان البيض، وليس الأمريكيان السود، دون أن يقع عليهم ظلم، لم تُضع حقوقهم الإنسانية، لم يُسجّنوا، لم يُظلموا، لم يثأروا.

أمّا ما يحدث في بعض البلاد الإسلامية فهو نوع من الثأر، ولن يستدّع دينيّة حقيقة، يشارون للعرض المهاجرون، وللدم المسفوّك، ولكن يُنسب هذا إلى الإسلام، والإسلام بريء من هذا كله.

رأينا العنف في أمريكا، ورأينا العنف في أوروبا في قتل الأجانب والمتّجنسين من جنسيات أخرى في تلك البلاد، ورأينا العنف في الهند، تلك العصابات التي تقتل المسلمين وتذبحهم، تحرّم قتل الفئران والحيوانات، وتسبيح قتل المسلمين، ورأينا العنف في اليابان، جماعة الحقيقة الثانية التي فعلت ما فعلت في مترو الأنفاق هناك عن طريق الغازات السامة، ورأينا العنف في إسرائيل وقتل رابين، رأينا العنف في كلّ مكان، فلماذا يُنسب العنف إلى الإسلام والمسلمين وحدهم؟ المسلمين جماعة من البشر فيهم العنيف، وفيهم غير العنيف.

وكم من هذه الحوادث ليست من فعل المسلمين، كثيراً ما تفعلها السلطات وتنسبها إليهم، وكثيراً ما تفعلها قوى معادية وتنسبها إليهم، وهذا ثابت في بعض الحوادث في القاهرة أنها من فعل الموساد، وكثيراً ما يُخترق هؤلاء من أعدائهم فيدفعونهم إلى أفعال، وليسوا هم أصحابها، ولا أصحاب الرأي فيها، كما رأينا في أمريكا وغيرها، رأينا مثل هذا كله، فلا بد أن يُنظر إلى الأمر نظرة عادلة.

### **العلاج المنشود لظاهرة العنف:**

نحن ننكر القتل، ننكر أن يُقتل بريء، أن تُقتل نفس بغير حق، ولكن لا بدّ أن تعالج هذه الأخطار معالجة جذرية، والعلاج الأمني وحده لا يعني ولا يجدي فتيلاً، يمكن أن تنتصر السلطة في مدة معينة، ولكن



تبقى النّار تحت الرّماد، وسرعان - بعد سنة أو سنتين أو ثلاثة - ما تشتعل من جديد، لأننا لم نعالج الأمر كما ينبغي.

والعلاج المنشود يكون بعلاج الأفكار والعقول، وإنما تُعالج الأفكار والعقول من أهل العلم والدعوة، من رجال الفكر والرأي الأحرار، الذين لا يبيعون أنفسهم لأحد، وإنما باعوا أنفسهم لله وحده، هؤلاء الذين ليسوا علماء السلطة، ولا عملاء الشرطة، هؤلاء هم الذين يمكن أن يقنعوا هذا الشباب، وينبغي أن يأخذ القانون مجرأه معهم، فلا يُحاكمون محاكمات استثنائية، وإنما يُحاكمون أمام قاضيهم الطبيعي، ويُحكم عليهم بما يستحقونه، أمّا التّجاوز في هذه الأمور؛ فإنه لا يحل المشكلة، ولا يعالج الأمر من جذوره، لا بدّ من علاج الفكر.

إنّي أشبه بعض هؤلاء الشباب بالخوارج قديماً، الذين قاتلوا عليّ بن أبي طالب والصحابة، وقاتلهم عليّ ومن معه، وجاءت فيهم الأحاديث الصحاح عن النبي ﷺ، كانوا أناساً متبعدين صُرّاماً قُرّاءً للقرآن، جاء الحديث يقول: «يحرّك أحدكم صلاته إلى صلاتهم، وقيامه إلى قيامهم، وقراءته إلى قراءتهم». ومع هذا «يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية»، يقرأون القرآن لا يجاوز حناجرهم، أي أنها قراءة باللسان لم تفقه عقولهم، ولم يستقر في أعماق قلوبهم، «يدعون أهل الأوّثان، ويقتلون أهل الإسلام»<sup>(١)</sup>. ليس الخلل في ضمائركم ولا نياتكم، وإنما في عقولكم وأفهامكم، وينبغي أن يُعالج علاجاً حكيماً من أهله، لا بدّ أن تقدّر أنّ مثل هذه الأمور لا تُعالج بالعنف، فالعنف لا يُعالج

(١) متفق عليه: رواه البخاري في فضائل القرآن (٥٠٥٨)، ومسلم في الزكاة (١٠٦٤)، عن أبي سعيد الخدري.

بالعنف، قد ينتصر العنف فترة ولكن يبقى الأمر في جذوره موجوداً، ويظهر بعد حين، وهذا ما أثبتته الأيام.

إنني حزين على أمتنا الإسلامية أن يضرب بعضها بعضاً، وأن يقاتل بعضها بعضاً، وألا يوفق الله الحكومات من أهلها إلى وضع النقاط على الحروف، ولا إنارة الطريق للحائرين، حزين على هذه الأمة أن تستجيب لوسائل أعدائها فتوقع بين الحكام والمحكومين، وبين الفئات بعضها وبعض، وتبوء الأمة بالخسارة، والكاسب هم أعداؤها.

أسأل الله تعالى أن يجمع الكلمة على الهدى، والقلوب على التقوى، والآنفوس على المحبة، والعزائم على عمل الخير وخير العمل.

\* \* \*

## اختيار الزوجة الصالحة<sup>(١)</sup>

### الخطبة الأولى

أمّا بعد، فيا أيها الإخوة المسلمين:

قبل شهر رمضان تحدثنا في عدة خطب عن المرأة المسلمة، عن المرأة ومكانتها في الإسلام، وموقعها في الحياة الإسلامية، تحدثنا عن المرأة بوصفها إنساناً، وتحدثنا عن المرأة بوصفها أنثى، وتحدثنا عن المرأة بوصفها بنتاً.

### الزوجية سنة كونية وشرعية:

واليوم نتحدث عن المرأة بوصفها زوجة، فالله تعالى خلق هذا الكون على نظام الأزدواج، على قاعدة الزوجية، لهذا كان الزواج شرعاً دينية، وسنة اجتماعية، وسنة كونية أيضاً، الكون كله يقوم على هذه الظاهرة العامة: أنَّ الله خلق الأشياء أزواجاً متقابلة، الأحياء ذكر وأنثى، والجمادات موجب وسالب، حتى الذرة التي هي أساس البناء الكوني كله، فيها موجب وسالب، إلكترون وبروتون، شحنة كهربائية موجبة، وشحنة كهربائية سالبة.

(١) ألقيت هذه الخطبة في الدوحة، بتاريخ ٥ فبراير ١٩٩٩م.

وهذا ما قرّره القرآن منذ أكثر من أربعة عشر قرناً: ﴿سُبْحَنَ اللَّهِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ وَمِنْ أَنفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ﴾ [يس: ٣٦]، ﴿وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقَنَا رَوْجَيْنَ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [الذاريات: ٤٩]. كان بعض المفسرين قد ي يقولون: هذه قاعدة أغلبية، وإن عبر القرآن عنها بالكلية. فخرجوا عن ظاهر النص، والقرآن يقول: ﴿وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقَنَا رَوْجَيْنَ﴾.

### الزواج حاجة فطرية:

ومن هنا كانت حاجة الرجل إلى المرأة، والمرأة إلى الرجل تسير وفق هذه السنة الإلهية، حاجة فطرية، خلق الله في الرجل الانجذاب إلى المرأة، ورَكِبَ في المرأة الانجذاب إلى الرجل، وبهذا الانجذاب من الطرفين يحصل التوافق والزواج، ويقوم اللقاء المشروع الذي ينتج عنه بقاء هذا النوع إلى ما شاء الله، فيعمّر الأرض، ويقوم بحق الخلافة فيها.

ومن هنا حين خلق الله آدم، وأسكنه في الجنة لم يدعه وحده فيها، إذ لا معنى لجنة بلا جليس ولا أنيس، ما معنى جنة يعيش الإنسان فيها مستوحشاً؟ وإن كان فيها ما لذ وطاب من الطعام والشراب، ومن هنا خلق الله لأدم من نفسه - أي من جنسه - زوجاً يسكن إليها هي حواء، وقال له: ﴿أَسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغْدًا حَيْثُ شِئْتُمَا﴾ [آل عمران: ٣٥].

إنَّ حاجةَ الإنسان إلى الزواج حاجة فطرية، ولهذا كان عموم الأنبياء والرسل متزوجين، إِلَّا القليل منهم مثل يحيى وعيسى، والله تعالى يقول مخاطباً نبيه محمداً عليه السلام: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّنْ قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِّيَّةً﴾ [آل عمران: ٣٨].

### النزعة الرهبانية والزواج:

ولذلك حينما وجد النبي ﷺ في بعض أصحابه نزوعاً إلى ترك الزواج تأسياً بالنزعـة الرهبانية التي ظهرت عند النصارى رفض ذلك

منهم، فالمتدين المثالی عند النصاری هو الّذی یرفض الزواج، ويترك الدنيا، ویعرض عن النساء، وكان الرهبان في العصور الوسطی یبتعدون عن ظل المرأة، ویعتبرونه رجسًا من عمل الشیطان، ولعل هذه المرأة أخته أو أمه، یريد أن یبتعد عنها.

وقبل ذلك كانت الفلسفة المانویة فی فارس ترى أن هذا العالم شرّ، وأنّ علينا أن نُعجل بفناء العالم حتّی نخلص من شرّه، وليس هناك وسیلة للتخلص من هذا العالم إلّا ترك الزواج، فإذا تركنا الزواج والتناسل يمكننا أن ننهي هذا العالم بعد جيل أو جيلين.

### رفض الإسلام الرهبانیة:

كانت الرهبانیة تسیر على هذا المنوال، وجاء الإسلام فشرع الزواج، ورفض الرهبانیة، وحينما طلب عثمان بن مظعون وبعض الصحابة من النبي ﷺ أن يأذن لهم في التبلي: رفض ذلك منهم، واستأذن بعضهم أن يخصي نفسه حتّی يقطع شهوته، ولا يوجد أي مجال للغریزة الجنسیة، فأبى النبي ﷺ، قال سعد بن أبي وقاص: ولو أذن له لاختصينا<sup>(١)</sup>.

ورفض بعضهم أكل اللحم، ومشتهيات الطعام وطيباته، حتّی لا يؤدی ذلك إلى رغبته في النساء، وشوقه إلى المرأة، فنزل قول الله تعالى: ﴿يَتَائِبُهَا الَّذِينَ أَمْنَوْا لَا تُحِرِّمُوا طَبِيبَتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوْا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ \* وَكُلُّوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلَالًا طَيِّبًا وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي أَنْتُمْ بِهِ مُؤْمِنُونَ﴾ [المائدة: ٨٧ - ٨٨]<sup>(٢)</sup>. هكذا رفض الإسلام نظام

(١) متفق عليه: رواه البخاري (٥٠٧٣)، ومسلم (١٤٠٢)، كلاما في النكاح. عن سعد بن أبي وقاص.

(٢) رواه الترمذی في التفسیر (٣٠٥٤)، وقال: هذا حديث حسن غريب. والطبراني (٣٥٠/١١)، وصحّحه الألبانی في صحيح الترمذی (٣٠٥٤). عن ابن عباس.

الرهبانية، لأنَّه ضد استمرار هذه الحياة وهذا الكون، كما أراد الله تبارك وتعالى.

### رفض الإسلام للإباحية:

ورفض الإسلام كذلك نظام الإباحية الذي يطلق للشهوات العنوان، ويدع الحبل على غاربه للغرائز، كما هي بعض الفلسفات قديماً وحديثاً، وهو ما تتبنَّاه الحضارة الغربية المعاصرة، حضارة المادية والإباحية التي تنادي: اتركوا الجنسين يفعلان ما يشاءان، دعونا من العُقد، دعونا من الكبت، اتركوا الحرية للرجل والمرأة يستمتع كلاهما بالآخر.. هكذا ينادي هؤلاء!

ولكنهم مع إطلاقهم الحرية لم يحلُّوا المشكلة، لأنَّ هذه المشكلة لا تُحلُّ بالإباحية، فهذه الغريزة إذا تركت وشأنها دون ضبط وتهذيب ولا تنظيم فلا يشعها شيء، مثل شارب الماء الممالح، كلما ازداد الإنسان منه شرَّاً ازداد عطشاً، ولذلك لم تحل الإباحية المشكلة في الغرب، وهي تزداد يوماً بعد يوم، وتؤدي إلى مشكلات لا حصر لها.

### الزواج سُنة نبوية:

أمَّا الإسلام فهو يرفض الإباحية، ويرفض الرهبانية، ويشرع الزواج رابطة لا بدَّ منها بين الرجل والمرأة، ولهذا حينما أراد عدد من الصحابة أن يتبعُّدوا لله، وذهبوا إلى بيوت أزواج النبي ﷺ يسألون أزواجه عن عبادة رسول الله ﷺ، فأخبرنهم أنَّه يقوم بعض الليل، وينام البعض، ويصوم بعض الأيام، ويفطر البعض، فكأنهم استقلُّوا هذه العبادة، اعتبروها قليلة لا تُشبع نهمهم، فقال بعضهم لبعض: وأين نحن من رسول الله ﷺ وقد غفر الله له ما تقدَّم من ذنبه وما تأخَّر؟ قال أحدهم: أمَّا



أنا فأصوم الدهر ولا أفتر. وقال الثاني: وأمّا أنا فأقوم الليل ولا أنام.  
وقال الثالث: وأمّا أنا فأعتزل النساء ولا أتزوج.

فلما سمع النبي ﷺ بمقولاتهم جمعهم، وخطب فيهم مع غيرهم من الصحابة، وقال: «إنّما أنا أخشاكُم لله وأتقاكم له، ولكنّي أصوم وأفتر، وأقوم وأنام، وأتزوج النساء؛ فمنْ رغب عن سنتي فليس مني»<sup>(١)</sup>. فسنة رسول الله ﷺ ومنهجه هي التوازن والاعتدال الذي يجمع بين حظ النفس وحقّ الرب، بين حسنة الدنيا وحسنة الآخرة، «رَبَّنَا إِنَّا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً» [البقرة: ٢٠١]، «مَنْ رغَبَ عَنْ سنتي فليس مني».

### فضل الزوجة الصالحة:

لهذا رغب الأمة في الزواج، واعتبره سنة من سنن المرسلين، واعتبر الزوجة الصالحة من أفضل نعم الله تبارك وتعالى على الإنسان، وقال النبي ﷺ: «الدنيا متع، وخير متعها المرأة الصالحة»<sup>(٢)</sup>. وقال: «مَنْ رزقَهُ اللهُ زوجةً صالحةً فقد أعاشه على شطر دينه - أي نصفه - فليتّقِ اللهُ في الشطر الباقي»<sup>(٣)</sup>.

وحيثما سأله عن أفضل ما يكتنزه المرء قال: «أفضله لسان ذاكر، وقلب شاكر، وزوجة مؤمنة تعينه على إيمانه»<sup>(٤)</sup>.

هذه الزوجة من نعم الله، واعتبرها النبي ﷺ من عناصر السعادة: «أربع من السعادة: المرأة الصالحة، والمسكن الواسع، والجار الصالح،

(١) متّفق عليه: رواه البخاري (٥٠٦٣)، ومسلم (١٤٠١)، كلاهما في النكاح، عن أنس.

(٢) رواه مسلم في الرضاع (١٤٦٧)، وأحمد (٦٥٦٧)، عن عبد الله بن عمرو.

(٣) سبق تخرّيجه صـ ٦٠.

(٤) رواه أحمد (٢٢٣٩٢)، وقال محرّجوه: حسن لغيرة. والترمذى في التفسير (٣٠٩٤)، وحسن، وابن ماجه في النكاح (١٨٥٦)، عن ثوبان.

والمركب الهنيء. وأربع من الشقاء: الجار السوء، والمرأة السوء، والمركب السوء، والمسكن الضيق<sup>(١)</sup>. فالمرأة الصالحة من عناصر السعادة، ولهذا قال: «أربع مَنْ أُوتِيَنَّ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرُ الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ: لسان ذاكر، وقلب شاكر، وبدن على البلاء صابر، وزوجة مؤمنة لا تبغىه خَوْنًا - أي لا تخونه - في نفسها وماليه». وفي بعض الروايات: «لا تبغىه خَوْنًا حُوبًا»<sup>(٢)</sup>. أي: إثمًا.

### الاختيار على أساس الدين:

ولهذا كان على الإنسان المسلم إذا أراد أن يتزوج أن يبحث عن المرأة الصالحة، والمرأة الصالحة هي ذات الدين والخلق، لا يكن كل همّه أن يبحث عن المرأة الغنية، أو يبحث عن المرأة الحسية ذات الأسرة الكبيرة، أو يبحث عن المرأة الفاتنة، لا مانع أن يبحث عن هذا كله، ولكن قبل هذا لا بد أن يبحث عن الدين؛ فلا قيمة لهذا كله إذا كانت المرأة قليلة الدين، ضعيفة الإيمان، سيئة الأخلاق.

ولهذا قال النبي ﷺ: «تُنكح المرأة لأربع: لحسبها، ولمالها، ولجمالها، ولدينها؛ فاظفر بذات الدين تربت يداك»<sup>(٣)</sup>. اجعل همك ذات الدين؛ فهذه هي التي تجعل حياتك جنة، تنقي الله فيك، وتخاف الله فيك، وتؤدي لك الحقوق، وتحفظك إذا غبت.. تحفظ مالك،

(١) رواه ابن حبان في النكاح (٤٠٣٢)، وقال الأرناؤوط: إسناده صحيح على شرط البخاري. وصحّحه الألباني في الصحيحه (٢٨٢)، عن سعد بن أبي وقاص.

(٢) رواه الطّبراني (١٣٤١)، والأوسط (٧٢١٢)، والبيهقي في شعب الإيمان (٤١١٥)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٧٤٣٧): رواه الطّبراني في الكبير والأوسط، ورجال الأوسط رجال الصحيح. عن ابن عباس.

(٣) متّفق عليه: رواه البخاري في النكاح (٥٠٩٠)، ومسلم في الرضاع (١٤٦٦)، عن أبي هريرة.

وتحفظ ولدك، وتحفظ سِرَّك، وتحفظ عِرضك، كما قال الله تعالى: ﴿فَالصَّلِحَاتُ قَنِيتُ حَفِظَاتٍ لِلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ﴾ [النساء: ٣٤]. فابحث عن المرأة الدينية ذات الخلق.

## النظر إلى المخطوبة:

ولا مانع أن تكون المرأة جميلة؛ بل لا بدّ أن يكون بها قدر من الجمال يسرُّك إذا نظرت، والجمال أمر نسبي، فهذا يرى هذه جميلة، ويراهَا آخر عادية، ويراهَا ثالث دون العادية.

ولهذا شرع الإسلام قبل الزواج أن ينظر الخاطب إلى المرأة ليرى موقعها من قلبه، والعينُ رسول القلب، ربما وقعت المرأة من النظرة الأولى موقعاً من قلب الإنسان، وربما وجد التّنفّرة منها بمجرد النظرة الأولى، لهذا كان لا بدّ من هذا النظر الذي يتّساهل الناس فيه، ولا يهتمون به.

هناك بعض المجتمعات تُطلق العنوان لبناتهنَّ يخرجن مع خاطبهنَّ إلى المتنزهات والخلوات والسينمات، يتآبَط ذراعها، ويذهب بها هنا وهناك، ولا عقد بينهما.

وهناك بعض المجتمعات لا تسمح للخاطب أن يرى مخطوبته، كما هو الحال في بلادنا هنا في الخليج: تذهب الفتاة إلى المدرسة، وتذهب إلى الجامعة، وتذهب إلى السوق، وتذهب إلى المعارض، وتسافر هنا وهناك، ويراها كل الناس إلّا شخصاً واحداً هو خاطبها، وربما كان زوجها، قد يكون عاقداً عليها، حتّى بعد العقد لا يرى هذه الفتاة إلّا ليلة الزفاف.

قد يسمحون في عصرنا أن يرسلوا إليه بصورة لها، وربما فعل هذا من غير علم الأب أو الولي، ولكن الصورة لا تُعبر تماماً عن الحقيقة، فكم من حقيقة تخالف الصورة.

ولهذا قد يفاجأ الزوج ليلة الزفاف بوجه لم يكن يتوقعه، وبجسم لم يكن يتخيّله، وبإنسانة غير التي رسم لها صورة في مخيّلته، فتكون هذه هي الصدمة الأولى، ويظل هذا الأمر يعتمل في نفسه يوماً بعد يوم، وأسبوعاً بعد أسبوع، وشهراً بعد شهر، وسنةً بعد سنة، حتّى ينتهي إلى الانفصال، وإلى الطلاق، وهو أبغض الحال إلى الله تبارك وتعالى، وكان ينبغي أن تعالج هذا الأمر من أصله؛ بأن يبدأ الزواج على ما شرع الإسلام من النظر إلى المخطوبة.

نحن نحترم التقاليد، ولكن إذا كانت التقاليد ضارّة، وهي على غير ما شرع الله فينبغي أن نُطوّر التقاليد، فهذه التقاليد ليست تنزيلاً من حكيم حميد، إنّما هي أعراف صنعها الناس، فهي قابلة للتغيير والتبدّل، وإذا كانت فتوى الفقهاء قابلة للتغيير بتغيير الزمان والمكان؛ فما بالكم بأعراف الناس وتقاليدهم؟

نحن الآن في زمن غير الزمن، وفي طور غير الأطوار الماضية.. تعلمت المرأة وتنقّفت، ودخلت الانتخابات، وزاحمت الرجال بالمناكب، وأصبحت عضواً في مجالس الجامعات، ومجالس الكليّات، وفي البرلمانات، وفي كذا وكذا، فلا بد أن نُطوّر من تقاليدنا، لا ينبعي أن نجمد كالصّخر، ونقول: هذه تقاليد آبائنا. فأباونا عاشوا حياة غير حياتنا، وما يدريك؟ لعلّ أباءنا لو عاشوا إلى زماننا لكانوا أشجع منّا، لو رأوا ما رأينا، وعاشوا ما عشنا لغيّروا هذه التقاليد، فلا بد أن نسمح

للخاطب أن يرى المخطوبة، وللمخطوبة أن ترى الخاطب، هذا هو ما جاء به الإسلام.

### الترغيب في النظر إلى المخطوبة:

قال النبي ﷺ للمغيرة بن شعبة، وقد جاءه يقول: خطبت امرأة من الأنصار. قال: «هل نظرت إليها؟» قال: لا. قال: «اذهب فانظر إليها؛ فإنه أحرى أن يؤدم بينكم»<sup>(١)</sup>. أي: يحدث بينكما الائتمام والاتفاق والوفاق، هذا ما أمر به النبي ﷺ المغيرة، وأمر به غيره فقال الآخر: «اذهب وانظر إليها؛ فإن في أعين الأنصار شيئاً»<sup>(٢)</sup>. ليست أعين الأنصار كأعين القرشيين، فلعله لا يعجبك هذا النوع من الأعين، «انظر إليها»، هذا ما ينبغي أن نفعله نحن المسلمين، أن نقتدي بالسُّنة النبوية، وبسنة الصحابة.

كان جابر بن عبد الله يتخيّل لامرأته وراء شجرة حتى نظر إليها فرأى منها ما أتعجبه، وتقدّم إليها<sup>(٣)</sup>. وهذا يدلنا على أنه يجوز للخاطب أن يرى المرأة المخطوبة وإن لم تعلم - كما يراها غيره من الناس، خصوصاً في عصرنا - فلا يجرح شعورها إذا لم تعجبه، على خلاف الرؤية الرسمية التي يُدعى فيها الخاطب إلى البيت، ويُستقبل من الأب والأم والإخوة، ثم ينظر إلى الفتاة، وقد لا تعجبه، فإذا تركها بعد ذلك ترك في نفسها أثراً وجراحاً، فإذا استطعنا أن نعالج هذا بالرؤية الخارجية يرتباها بعض

(١) رواه أحمد (١٨١٥٤)، وقال مخرّجوه: صحيح. والترمذى (١٠٨٧)، وحسنه، والنسائي (٣٢٣٥)، وابن ماجه (١٨٦٥)، ثلاثتهم في النكاح، عن المغيرة بن شعبة.

(٢) رواه مسلم في النكاح (١٤٢٤)، وأحمد (٧٨٤٢)، عن أبي هريرة.

(٣) سبق تخرّجه ص ٨٠.

الأهل أو الأصدقاء كان هذا خيراً، فإذا أعجبته تقدّم إليها لتراه هي أيضاً، فمن حقها أن تراه كما من حقه أن يراها.

### أهمية النظر إلى المخطوبة:

وليس الرؤية فقط لرؤيه الوجه أو الملامح أو الهيئة، لا، بل هي مع ذلك رؤية للشخصية، إنّه إذا لقيها ولقيته، وكلّمها وكلّمته، يريد أن يسمع صوتها لعله يجد في صوتها ما لا يحب، كأن تكون خنفاء، أو نحو ذلك، ولعله يجد في عقلها ما لا يحب أيضاً، كأن تكون امرأة ثرثارة، أو امرأة بلهاء لا تفهم، فإذا قال لها: يميناً. قالت: شمالة. فليست الرؤية للجسم أو الوجه فقط؛ بل الرؤية أعم، لأننا نقصد بها معرفة الشخصية بهذا اللقاء.

### الزواج على بصيرة:

يعتبر الإسلام الزواج أمراً مهماً، سماه القرآن ميثاقاً غليظاً، كما سميّ النبوة ميثاقاً غليظاً، قال تعالى عن الأنبياء وأولي العزم من الرسل: ﴿وَإِذَا أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّنَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكُمْ وَمِنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَبْنِ مَرْيَمٍ وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا﴾ [الأحزاب: ٧].

وقال عن عقد الزواج: ﴿وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُ، وَقَدْ أَفْضَى بَعْضُكُمْ إِلَى بَعْضٍ وَأَخَذْتُ مِنْكُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا﴾ [النساء: ٢١]. فالزواج هو العقد الوثيق المتيقن المكين، ولذلك يحرص الإسلام أن يبدأ هذا الزواج على بصيرة، وعلى نور، لا على غش، ولا على دغل، لا بدّ أن يعرف كل من الطرفين صاحبه.

### السؤال عن المخطوبة:

وهذا ما تعارف عليه الناس، إذا أراد رجل أن يخطب امرأة فلا بد أن يسأل عنها، وعن أهلها، وعن بيتهما، ولا يغتر بالمظاهر الجوفاء، فقد



ورد عن بعض السلف التحذير من خضراء الدّمن، وهو النبات الأخضر الذي يظهر في المستنقعات، وأماكن القاذورات، فلونه أخضر زاهي، ولكنه نبت في مرتع القذارة، ولذلك لما سألهما: وما خضراء الدمن؟ قال: المرأة الحسنة في المنبت السوء.

إياك أن تغتر بظاهر، ثم تُتبلى بعد ذلك بليلة ومصيبة، ابحث عن البيئة الصالحة.. عن المرأة الصالحة، فالغالب أنَّ البيئة الصالحة تُنتج امرأة صالحة، تُنتج فتاة صالحة، فالإنسان ابن بيته، وابن أهله، هذا هو الغالب، وإن كانت أحياناً توجد أشياء خارجة على المعتاد، وعلى الإنسان أن يعمل بما هو غالب، وما هو معروف.

### السؤال عن الخاطب:

وكما أنَّ على الرجل أن يفعل ذلك فإنَّ على المرأة وأهلها أن يفعلوا ذلك أيضاً، إذا تقدَّم إليهم خاطب فلا ينبغي أن يكون كل همهم: ابن من؟ مَنْ أبوه؟ لعلَّ أباه رجل صالح وهو سيء، كما نرى في بعض الأحوال، لعلَّ أباه لم يوله العناية الكافية فمضى (على حل شعره)، وأصبح إنساناً فاسداً منفلتاً من القيم والعياذ بالله، اصطاده أصدقاء السوء فأفسدوه وأبوه لا يدرى!

ولا يكون كل همهم: ماذا يملك؟ ماذا ورث من أبيه؟ كم مليوناً عنده؟ كم يبلغ رصيده في البنك؟ لا يكون كل همهم عن راتبه الذي يتقادمه.

لا بأس أن يُسأل عن هذا كله، ولكن قبل هذا كله لا بد أن يُسأل: ما دينه؟ ما خُلقه؟ ما سلوكه؟ ما علاقته بربه؟ ما علاقته بآخوانه؟

ما علاقته بالناس؟ فكل إنسان تُنبئ عنه سيرته مهما حاول أن يخفيها، كما يقول الشاعر:

وَمَهْمَا تَكُنْ عِنْدَ امْرَأٍ مِّنْ خَلِيقَةٍ<sup>(١)</sup>  
إِنْ خَالَهَا تَخْفَى عَلَى النَّاسِ تُعْلَمُ<sup>(١)</sup>  
سَيُعْلَمُ مَا يَخْفِي، وَكَمَا قَالَ الْآخَرُ:

ثُوبُ الرِّيَاءِ يُشَفُّ عَمَّا تَحْتَهُ  
فَإِنْ اكْتَسَيْتَ بِهِ فَإِنَّكَ عَارٍ<sup>(٢)</sup>

اعرف الشخص على حقيقته، اسأل عنه منْ يعرفه، مَنْ يعرف مدخله ومخرجه. جاء رجل ليشهد لرجل بالصلاح عند أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه، فقال له: أَنْتَ جاره الأدنى الَّذِي يُعرف مدخله ومخرجه؟ قال: لا. قال: أَسافرت معه في سفر طويل يسفر عن أخلاق الرجال؟ قال: لا. قال: أَعاملته بالدينار والدرهم الَّذِي به يظهر ورع المرء من شره؟ قال: لا. قال: لعلك رأيته في المسجد يمسك بالمصحف، يقرأ القرآن، يرفع رأسه تارة ويخفضها أخرى. قال: نعم يا أمير المؤمنين. قال: اذهب فلست تعرفه. وقال للرجل: اثنيني بمن يعرفك<sup>(٣)</sup>. بمجرد أن رأيته يمسك بالمصحف وكذا تقول: إِنَّهُ وليٌّ مِّنْ أَوْلَيَاءِ اللَّهِ. لا؛ بل لا بد أن تعرف دينه وخلقه.

وفي ذلك يقول النبي ﷺ: «إِذَا أَتَاكُمْ مَنْ تَرْضُونَ دِينَهُ وَخُلُقَهُ فَزُوْجُوهُ؛ إِلَّا تَفْعِلُوا تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ، وَفَسَادٌ عَرِيضٌ»<sup>(٤)</sup>. لا بد من

(١) ديوان زهير بن أبي سلمى ص ٧٠، شرح حمدو طماس، نشر دار المعرفة، بيروت، ط ٢، ٢٠٠٥ م.

(٢) ديوان أبي الحسن التهامي ص ٣١١، تحقيق د. محمد عبد الرحمن الربيع، نشر مكتبة المعارف، الرياض، ١٩٨٢.

(٣) ذكره الغزالى في إحياء علوم الدين (٨٣، ٨٢/٢).

(٤) سبق تخریجه ص ٩٦.



الدين والأخلاق معاً، لا يكفي أن يكون إنساناً مؤدياً للصلوات، ولكن سيء الأخلاق، غضوب يثور لأدنى شيء، بخيل لا يعطي الحق، حسود للناس، حقود عليهم، هذا الإنسان مهما صلى وصام لا تصلح العشرة معه، فلا بد أن يكون ذا دين وخلق معاً.

أقول قولي هذا، وأستغفر لله تعالى لي ولكم فاستغفروه إنّه هو الغفور الرحيم، وادعوه يستجب لكم.

\* \* \*



## الخطبة الثانية

أمّا بعدُ، فيا أيُّها الإخوة المسلمين:

منذ أيام شاهدنا في نشرات التلفازات، وقرأنا في الصحف خبراً أقلقنا وأزعجنا، وهو أنَّ الرجل المجاهد الشيخ أحمد ياسين أعلن إضرابه عن الطعام تضامناً مع إخوانه وأبنائه في سجون السلطة الفلسطينية، الذين اعتُقلوا منذ أشهر، ولم يُنظر في أمرهم.

وكنا نظن أنَّ السلطة الفلسطينية تقدِّر حقَّ القدر موقف هذا الرجل القعيد المريض، الذي زلزل أركان الصهاينة، وأربع قلوبهم رغم قعوده ومرضه، كنا نظن من السلطة أن تستجيب له، وأن تنظر في أمر الإخوة الذين اعتُقلوا.

لقد اعتقلت السلطة الفلسطينية الإخوة من أبناء حماس إرضاءً لإسرائيل ولنتنياهو، وتنفيذاً لما اتفقا عليه في الاتفاق الأخير في أمريكا، أن يضربوا قاعدة الجهاد، ويضربوا أبناء المقاومة، وأن يحاولوا القضاء على هؤلاء!

والسلطة الفلسطينية مخلصة في تنفيذ الاتفاق، سارعت في التنفيذ بنَّا وبنَّا، ولكن إسرائيل لم تنفذ، إسرائيل تتبايناً وتتلاءم بعقولنا وبعقول إخواننا، ولا تريد أن تنفذ شيئاً، أمّا آن لنا أن ننظر في هذه الأمور؟ نحن نتقرَّب إلى نتنياهو ومن وراءه باعتقال إخواننا، ولم يجد ذلك فتيلاً، ولم يغرنّ عنا شيئاً.

ونحن لا نحب للفلسطينيين أن يقف بعضهم ضد بعض، وأنا حذررت - منذ اتفاق أوسلو - أن يؤدي هذا إلى أن يقاتل الفلسطيني أخيه الفلسطيني، لكن الذي طمأننا هو ذلك الرجل القعيد الذي يقول: لن نمد

أيدينا، ولن نوجّه سلاحنا أبداً إلى إخواننا، حينما جاء إلى قطر، وحاصروه بالأسئلة، وحاول الصحفيون إحرابه، وإدخاله في مأزق ضيق حتّى يجيب قائلاً: عند الضرورة سنضرب إخوتنا. لكنه لم يقبل هذا أبداً، وقال: سنكون كخير ابني آدم الذي قال لأخيه وقد مدّ إليه يده بالعدوان وبنية السوء: ﴿لَئِنْ بَسَطْتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِي إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ﴾ [المائدة: ٢٨]. لن نقتل إخواننا، لن نوجّه إليهم سلاحنا أبداً، كل أسلحتنا موجهة إلى عدونا، إلى الاحتلال الذي لا زال يحتل أرضنا، ويدوس حقوقنا، وينتهك حرماتنا، ويهدّد قدسنا، وينزع أراضينا بالقوة، ويفعل ما يفعل، لن نوجّه سلاحنا إلا إلى هذا العدو الغادر الفاجر.

حيا الله الشيخ أحمد ياسين، وقوى الله الشيخ أحمد ياسين، وهيا الله له من الأسباب ما ينصره هو وإخوانه على أولئك الطغاة الظالمين الذين احتلوا الأرض، وانتهكوا العرض، وهتكوا الحرمات، وسفكوا الدماء، وهدموا الديار على رؤوس أصحابها، ونحن كل يوم نرى هذا بأعيننا.

نسأل الله أن ينصر أحمد ياسين وإخوانه على اليهود الغادرين، وأن يريانا في هؤلاء يوماً قريباً، اللهم نكس أعلامهم، وزلزل أقدامهم، وأنزل عليهم بأسك الذي لا يُرُد عن القوم المجرمين، اللهم انصرنا على أعدائك أعداء الإسلام، اللهم انصر إخواننا المجاهدين في سبيلك حيثما كانوا في أرض الإسلام، اللهم هيئ لهم من أمرهم رشداً، واحرسهم بعينك التي لا تنام، واكلاهم في كنفك الذي لا يُضام، وأيدهم بروح من لدنك؛ إنك سميع قريب.



نسخة مجانية



## أسس الحياة الزوجية<sup>(١)</sup>



### الخطبة الأولى

أمّا بعد، فيا أيها الإخوة المسلمين:

لا زلنا في الحديث عن المرأة، تحدثنا عن المرأة إنساناً والمرأة بنتاً، ونتحدث عن المرأة زوجة، المرأة هي الزوجة التي جعلها الله سكناً في البيت، وأساساً للمودة والرحمة، وقال القرآن الكريم: ﴿وَمَنْءَأَيَّدَهُ أَنَّ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوْدَةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الروم: ٢١]. جعل الله ذلك آية من آياته، مثل خلق السموات والأرض، ومثل خلق الإنسان من تراب.

### ميثاق غليظ:

آية من آيات الله عَزَّلَ أن يجمع بين هذين الطرفين على ميثاق غليظ، وعلى شريعة من الله تبارك وتعالى، فتدفع المرأة أهلها: أباها، وأمهما، وإنوتها؛ وتنضم إلى رجل. ويدع الرجل أهله، وينضم إلى امرأة؛ يكونان معًا شركة جديدة، ومؤسسة جديدة، تقوم على هذا الرباط المقدس، الذي سماه الله تبارك وتعالى (ميثاقاً غليظاً).

(١) ألقيت في مسجد عمر بن الخطاب بالدوحة، بتاريخ ١١ ذو القعدة ١٤١٩هـ الموافق ٢٦ فبراير ١٩٩٩م.



هذه الحياة كما شرعها الإسلام ينبغي أن تقوم على أساس متينة، وعلى دعائم مكينة؛ حتى لا تتزعزع، ولا تزلزلها العواصف أو الرياح أو الحوادث.

وإنما تقوم على ذلك إذا بدأت باسم الله، وعلى بركة الله، وأحسن الرجل اختيار المرأة الصالحة، وأحسنت المرأة وأهلها اختيار الرجل الصالح، يبدأ ذلك بالاستخارة والاستشارة، فما خاب من استخار، ولا ندم من استشار! على الإنسان إذا أقدم على أمر ذي بال أن يستشير الخالق ويستشير المخلوق.

### صلاة الاستخاراة:

ولذلك عليه أن يبدأ بصلة الاستخاراة، وهي صلاة ركعتين، ثم دعاء معروف ورد في الصحيحين عن رسول الله ﷺ، يقول: «اللهم إني أستخِرُكَ بعلْمكَ، وأسْتَقْدِرُكَ بقدرتكَ، وأسألكَ من فضلك العظيم؛ فإنكَ تقدِّر ولا أقدر، وتعلم ولا أعلم، وأنت علامُ الغيوب، اللهم إن كنتَ تعلم هذا الأمر - أن زواجي من فلانة بنت فلان، وهي تقول: اللهم إن كنتَ تعلم أن زواجي من فلان بن فلان - خير لي في ديني، ومعاشي، وعاقبة أمري - أو قال: عاجل أمري وآجله - فاقدُرْهُ لي ويسِّرْهُ لي، ثم بارك لي فيه، اللهم إن كنتَ تعلم أن هذا الأمر شرٌّ لي في ديني ومعاشي وعاقبة أمري - أو قال: في عاجل أمري وآجله - فاصرِفْهُ عَنِّي، واصرِفْني عنه، واقْدُرْ لِي الْخَيْرَ حِيثُ كَانَ، ثم رَضِّنِي بِه»<sup>(١)</sup>.

الاستخاراة صلاة ودعاء، أن يهدي الله الإنسان لأحسن الأحوال وأفضل الأمور، وليس من الضروري أن يرى رؤيا أو نحو ذلك، المهم

(١) رواه البخاري في الدعوات (٦٣٨٢)، عن جابر بن عبد الله.

أن يُقدم على ما ينشرح له صدره، ويُسهل فيه أمره، فهذا كما قالوا: التيسير دلالة الإذن من الله تبارك وتعالى.

### استشارة من يثق برأيه:

يستشير ويستشير، يستشير من يثق برأيه، ويثق بأمانته، ويثق بدينه، لا يستشير الحمقى، ولا يستشير من لا يحبون له الخير، ولا يستشير من لا دين لهم، فهو لاء لا يُؤتمنون لا على دين ولا على دنيا، ينبغي أن يستشير الإنسان من يحسن الإشارة.

والمستشار مؤمن، عليه أن يقول رأيه بصرامة، لا يخشى في الله لومة لائم دون أن يجرح أو يطعن، لكن بالرفق وبالكلمة الطيبة المعقولة يقول له رأيه، وقد استشارت فاطمة بنت قيس النبي ﷺ حينما تقدم لها رجلان من الصحابة، أحدهما معاوية بن أبي سفيان والثاني أبو جهل: أيهما تتزوج؟ فقال لها النبي ﷺ: «أما معاوية فصعلوك، لا مال له»، لم يكن يملك شيئاً، وكان المال لأبيه، «واما أبو جهم؛ فلا يضع عصاه عن عاتقه»، كل شيء عنده بالعصا، ثم زوجها من أسامة بن زيد حبه وابن حبه<sup>(١)</sup>، فهكذا ينبغي أن يستشير المرء.

### أول الحقوق المهر:

ثم إذا تم الزواج على بركة الله فهناك حقوق للمرأة، وحقوق للرجل، أول حقوق المرأة المهر: الصداق، كما قال تعالى: ﴿ وَأَتُوا النِّسَاءَ صَدْقَهُنَّ إِنَّمَا طَبَنَ لَكُمْ عَنْ شَيْءٍ مِّنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ هَنِيئًا مَّرِيئًا ﴾ [النساء: ٤].

(١) رواه مسلم في الطلاق (١٤٨٠)، وأحمد (٢٧٣٣)، عن فاطمة بنت قيس.



وفي عصر النبي ﷺ تفاوت المهر، هناك من قال له النبي ﷺ: «التمس ولو خاتماً من حديد»<sup>(١)</sup>. ومع هذا لم يجد هذا الخاتم من حديد؛ فزوجه على ما كان يحفظه من سور القرآن، قال له: «زوجناكها بما معك من القرآن»<sup>(٢)</sup>. أي على أن تحفظها وتتعلمها هذه السور، فهو مهر معنوي، وليس مهراً مادياً، ولذلك قالوا: لا حد لأقل المهر.

وهناك من تزوجت بخمسمائة درهم وأربعمائة درهم، وهناك من تزوجت بأربعة آلاف درهم، النبي ﷺ تزوج أم حبيبة بنت أبي سفيان، وكانت مهاجرة إلى الحبشة وارتدى زوجها والعياذ بالله، تنصر هناك وبقيت وحدها، فأراد النبي ﷺ أن يكرّمها في غربتها وهي بنت سيد قريش أبي سفيان بن حرب، فبعث إلى النجاشي يخطبها ويوكّله في أن يزوجها، والنجاشي ملك الحبشة مما يليق به أن يعطيه مهراً مناسباً فأعطّاها أربعة آلاف درهم وجهازها.

وهناك من تزوج بدرع، فحينما خطب علي بن أبي طالب من النبي ﷺ ابنته فاطمة الزهراء أحبّ بنات النبي إليه قال: «ماذا عندك؟» ليس عنده مال، قال: عندي هذه الدرع الحطممية التي تتحطم عليها السيف. قال: «أعطها هذا الدرع»<sup>(٣)</sup>. ماذا ستفعل المرأة بالدرع؟ هو أشبه بمهر رمزي.

وهكذا وجدنا من الصحابة من يزوجه النبي ﷺ دون أن يدفع مهراً، قال له: «هل تتزوج فلانة؟» قال: نعم يا رسول الله. وقال للمرأة: «هل تتزوجين فلاناً؟»

(١) متنقٌ عليه: رواه البخاري (٥١٣٥)، ومسلم (١٤٢٥)، كلاهما في النكاح، عن سهل الساعدي.

(٢) جزء من الحديث السابق.

(٣) رواه أبو داود (٢١٢٥)، والنمسائي (٣٣٧٦)، كلاهما في النكاح، وابن حبان في مناقب الصحابة (٦٩٤٥)، وقال الأرناؤوط: حسن صحيح. وصحّحه الألباني في صحيح أبي داود (١٨٤٩)، عن ابن عباس.

قالت: نعم يا رسول الله. فزوج الرجل من المرأة، ودخل بها ولم يكن فرض لها مهراً، ثم بعد صلح الحديبية كان لكل من شارك في الحديبية سهم في خير، وكان لهذا الرجل سهم في خير، فحينما أدركته الوفاة قال: إنَّ النَّبِيَّ ﷺ زوجني من فلانة ولم أدفع لها مهراً، أشهدكم أن مهرها سهمي في خير: نصبي في أرض خير. فباعت المرأة هذا السهم بمائة ألف درهم<sup>(١)</sup>. دخلت بلا شيء وانتهت إلى مائة ألف درهم!

### الإسلام يرشد للتيسير في المهر:

وعلى كل حال النبي ﷺ يُحذِّر من قلة المهر، ويقول: «خير الصداق أيسره»<sup>(٢)</sup>. لا يريد أن يُعنت الناس كما يفعل الناس في عصرنا، ببالغون في المهرور فيعوّقون طريق الحلال وطريق الزواج، الناس هم الذين عسروا على أنفسهم ما يسّر الله تعالى ، ولهذا ندعو المسلمين أن يخففوا من غلوائهم في المغالاة في المهر.

وقف عمر بن الخطاب على منبر النبي ﷺ يدعو المسلمين إلى تخفيف المغالاة في المهر ويقول: لو كان مكرمة في الدنيا أو مثوبة في الآخرة؛ لكان أحق الناس به رسول الله ﷺ<sup>(٣)</sup>. ولكن الرسول لم يصدق امرأة من نسائه أكثر من أربع مائة درهم أو خمس مائة درهم، وكذلك لم يزوج أيّاً من بناته على مثل ذلك أو على أكثر من ذلك؛ كما رأينا كيف زوج ابنته فاطمة رضي الله عنها على درع.

(١) سبق تخریجه ص ١١٥، وفيه: «خير النكاح أيسره».

(٢) سبق تخریجه ص ٨٩.

(٣) رواه أحمد (٢٨٥)، وقال مخْرِجُوهُ: صحيح. وأبو داود (٢١٠٦)، والترمذى (١١١٤)، وقال: حسن صحيح. والنسائي (٣٣٤٩)، ثلاثتهم في النكاح.

لهذا نقول: أَوْلَ حَقُّ الْمَرْأَةِ هُوَ الْمَهْرُ، فَإِذَا دَخَلَ بَهَا الرَّجُلُ اسْتَحْقَتِ  
الْمَهْرُ كُلَّهُ، وَإِذَا لَمْ يَدْخُلْ بَهَا اسْتَحْقَتِ نَصْفَهُ، ﴿وَإِنْ طَلَقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ  
تَمْسُوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ إِلَّا أَنْ يَعْفُونَ أَوْ يَعْفُوا  
عَنِ الَّذِي يَعْدِيهِ عُقْدَةُ النِّكَاحِ﴾ [البقرة: ٢٣٧]، وَلَوْ مَاتَ عَنْهَا قَبْلَ أَنْ يَدْخُلَ بَهَا  
فَلَهَا مَهْرُهَا كَامِلًا، هَذَا مَا يَفْرُضُهُ الإِسْلَامُ.

### المَرْأَةُ تَأْخُذُ الْمَهْرَ وَلَا تَبْذِلُ:

فِي بَعْضِ الْبَلْدَانِ الْمَرْأَةُ هِيَ الَّتِي تَدْفَعُ لِلرَّجُلِ كَمَا فِي الْهَنْدِ  
وَغَيْرِهَا، النِّسَاءُ يَدْفَعُنَّ لِلرِّجَالِ، وَلِلأَسْفِ الْمُسْلِمُونَ فِي الْهَنْدِ  
وَبَاقِيَّةِ آسِيا وَبِبَنْجَلَادِيشِ وَهَذِهِ الْمَنَاطِقِ قَلَدُوا الْوَثَّانِيْنَ فَأَصْبَحَتِ الْبَنْتُ  
الْمُسْلِمَةُ هِيَ الَّتِي تَدْفَعُ لِلرَّجُلِ، وَعَلَى قَدْرِ قِيمَةِ الْأَسْرَةِ يَكُونُ  
مَا يُدْفَعُ، أَحْيَانًا يَطْلُبُ الرَّجُلُ مُنْزَلًا، مُسْكَنًا، فِيلًا، شَقَّةً مِنْ أَبِيهِ  
الْبَنْتِ، وَإِذَا كَانَ الرَّجُلُ عِنْدَهُ عَدْدٌ مِنَ الْبَنَاتِ تَكُونُ كُلُّ بَنْتٍ مَصِيبَةً  
عَلَيْهِ، إِذَا كَانَ عِنْدَهُ أَرْبَعَ بَنَاتٍ فَعِنْهُ أَرْبَعَ مَصَابِّ كَبِيرَةٍ، وَهَذَا لَيْسَ  
مِنِّيْلَةِ الْإِسْلَامِ فِي شَيْءٍ!

الْمَرْأَةُ فِيِّ الْإِسْلَامِ هِيَ الَّتِي تَأْخُذُ، ﴿وَأَتُوْا لِلنِّسَاءِ صَدَقَتِهِنَّ نِحْلَةً﴾ [النِّسَاءِ: ٤].  
نِحْلَةً: أَيْ عَطِيَّةٌ وَمِنْحَةٌ وَهَبَةٌ، وَهَدِيَّةٌ وَمُوْدَةٌ، ﴿فَإِنْ طَبِّنَ لَكُمْ عَنْ شَيْءٍ مِنْهُ فَقَسَّا  
فَكُلُّهُ هَنِيْسَأَمِّيْنَ﴾ [النِّسَاءِ: ٤]، إِذَا تَنَازَلَتِ الْمَرْأَةُ لِزَوْجِهَا عَنْ شَيْءٍ مِنْ مَهْرِهِ  
فَهِيَ صَاحِبَةُ الْحَقِّ، كَذَلِكَ لَوْ تَنَازَلَتِ لِأَبِيهَا، بَعْضُ الْأَبَاءِ يَأْخُذُونَ مَهْرَهَا  
بَنَاتِهِمْ، هَذَا لَا يَجُوزُ، هُوَ فِي غَيْرِ حَاجَةٍ إِلَيْهِ هَذَا، وَلَذَلِكَ يَعْالِي بَعْضُهُمْ فِي  
مَهْرِ الْبَنَاتِ؛ لِأَنَّهُ مَكْسُبٌ لَهُ، وَهَذَا قَدْ يَعْوِقُ زَوْجَ الْابْنَةِ، وَيَنْتَهِي بِهَا الْأَمْرُ  
إِلَى أَنْ تَظْلِلَ عَانِسًا فِي بَيْتِ أَبِيهَا، وَهَذَا ظَلْمٌ مُبِينٌ.

## من حق المرأة إشهار الزواج:

من حق الزوجة المهر، ومن حق الزوجة عندما يُعقد عليها ويُراد الدخول بها أن تُزف علانية، وأن يُشهر زواجهما، ولذلك قال النبي ﷺ: «أعلنوا النكاح وأضرموا عليه بالدفوف»<sup>(١)</sup>. أباح ضرب الدف، بل استحبه في هذه المناسبة؛ ليكون هذا بمثابة الإعلان عن هذا الأمر، الذي يحبه الإسلام ويحبذه، ويبحث عليه ويدعو إليه.

وحينما زفت عائشة فتاة قريبة لها إلى رجل من الأنصار سألهما النبي ﷺ: «هل كان معهم لهو؟ فإن الأنصار قوم يعجبهم الله»<sup>(٢)</sup>. الأنصار قوم فيهم غزل، ويحبون الله والغناء وهذه الأمور، فقالت: لم يكن معهم لهو. قال: «هلا أتيتم معها بمن تغنى وتقول:

أَتَيْنَاكُمْ أَتَيْنَاكُمْ فَحَيِّنَا نَحْيِيكُمْ  
وَلَوْلَا الْجِنْطَةُ السَّمِّرَاءُ مَا سَمِنْتُ عَذَارِيكُمْ  
وَلَوْلَا الْذَّهَبُ الْأَحْمَرُ مَا حَلَّتُ بِوَادِيكُمْ»<sup>(٣)</sup>

اقتراح صيغة للغناء، انظروا إلى هذه الروح السمححة الطيبة من رسول الله ﷺ، لا يريد هذا العرس الصامت، إنما يريد عرساً يظهر فيه الفرح والسرور، ويُعلن على الناس.

من حق الرجل ومن حق المرأة أن يستمتعوا بهذا الزفاف وهذا الزواج، وأن تظهر فيه الأغاني والدفوف في غير مغalaة، فلا نتجاوز الحال إلى

(١) رواه الترمذى في النكاح (١٠٨٩)، وقال: هذا حديث غريب، حسن في هذا الباب، وضعفه الألبانى في إرواء الغليل (١٩٩٣)، وقال: ضعيف إلا الإعلان. عن عائشة.

(٢) رواه البخارى في النكاح (٥١٦٢)، عن عائشة.

(٣) سبق تخریجه ص ٨٩.



الحرام كما يفعل بعض الناس، الذين يأتون بالفرق الراقصة والمغنية ويتجاوزون الحدود، هذا لا يجوز، ينبغي أن تظل أعمالنا كلها مشدودة إلى الإسلام، مقيدة بأمر الحلال والحرام، فلا تتعدي الحلال إلى الحرام.

### زواج يبدأ بالطاعة:

إذا دخل الرجل بامرأته ينبغي أن يبدأ بالدعاء وباسم الله، ويصلّي ركعتين معها، أو يصلّيان العشاء جماعة، ليس معنى الاستمتاع بالحلال أن نترك فرائض الله، كيف يدخل الإنسان في هذه الليلة وقد ضيع فرضه، لا، لا بدّ أن يعلم زوجته أنهما يقيمان بيتاً مسلماً، والبيت المسلم يقوم أولاً ما يقوم على احترام فرائض الله، ورعاية حدود الله، وأولها الصلاة.

ولذلك من السنة أن يمسك الرجل بناصية زوجته عندما تدخل عليه ويقول: «اللهم إني أسألك من خيرها وخير ما هي له، وأعوذ بك من شرها وشر ما هي له»<sup>(١)</sup>. ومن حقها هي أيضاً أن تقول ذلك: اللهم إني أسألك من خيره وخير ما هو له، وأعوذ بك من شره وشر ما هو له.

كل شيء في الإسلام يبدأ باسم الله، «وكل أمر ذي بال لا يبدأ فيه باسم الله؛ فهو أبتر»<sup>(٢)</sup>، حتى قضاء الشهوة حينما يعاشر الرجل امرأته لا ينبغي أن ينسى ذكر الله عَزَّوجَلَّ، وهذا ما حثنا عليه النبي ﷺ: «لو أن أحدكم حينما يأتي أهله يقول: بسم الله، اللهم جنباً الشيطان، وجنباً

(١) سبق تخریجه ص ٩٤.

(٢) رواه أحمد (٨٧١٢)، وقال مخرجوه: إسناده ضعيف. وابن ماجه في النكاح (١٨٩٤)، والنمسائي في الكبير في عمل اليوم والليلة (١٠٢٥٥)، وصحح إسناده الشيخ أحمد شاكر في تعليقه على المسند (٨٦٩٧) عن أبي هريرة بلفظ: «كل كلام، أو أمر ذي بال لا يفتح بذكر الله، فهو أبتر» أو قال: «أقطع».

الشيطان ما رزقنا. فإنَّه إنْ يقدر بينهما ولد في ذلك لم يضره شيطان أبداً<sup>(١)</sup>. بهذا الذكر ينبغي أن تمتزج المادة بالروح، أن تمتزج الحياة بذكر الله، هذا هو شأن الإنسان المسلم.

### حق المعاشرة بالمعروف:

بعد ذلك للمرأة حق المعاشرة بالمعروف، أو هو حق مشترك بين الطرفين، الله تعالى يقول: ﴿وَعَاشُرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِنْ كَرِهُتُمُوهُنَّ فَعَسَىَ أَنْ تَكْرَهُوْا شَيْئاً وَيَجْعَلَ اللَّهَ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ [النساء: ١٩].

والمعاشرة بالمعروف كلمة جامدة، منها النفقة بالمعروف، أن ينفق عليها بالمعروف، ﴿وَعَلَى الْمُؤْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾ [البقرة: ٢٣٣]. كما قال تعالى: ﴿لِيُنْفِقُ ذُرْسَعَةٍ مِّنْ سَعَتِهِ وَمَنْ قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقٌ فَلْيُنْفِقْ مِمَّا آتَاهُ اللَّهُ﴾ [الطلاق: ٧].

والمعروف يختلف من رجل إلى آخر، ومن بيته إلى أخرى، ﴿عَلَى الْمُؤْسِعِ قَدْرُهِ وَعَلَى الْمُقْتَرِ قَدْرُهِ﴾ [البقرة: ٢٣٦]، الرجل المقتدر الموسر ينبغي أن يسكنها في بيت يليق بيته ومقامه، والرجل الفقير لا يطالب بما لا يقدر عليه، ﴿لَا يُكْلِفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَا آتَاهَا سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا﴾ [الطلاق: ٧]، كل إنسان على قدر حاله، فمن كان قادرًا على أن يسكنها في فيلا عليه أن يسكنها في فيلا، أو يسكنها في قصر إن كان أميراً من الأمراء، كل إنسان على قدر حاله، ولا يجوز له أن يضيق على امرأته وهو قادر على السعة، ولا أن يعسر عليها وهو موسر، فهذا ليس من المعاشرة بالمعروف.

(١) متყق عليه: رواه البخاري في الدعوات (٦٣٨٨)، ومسلم في النكاح (١٤٣٤)، عن ابن عباس.



وليس من المعاشرة بالمعروف أن تطالب المرأة زوجها بما لا يستطيع؛ ت يريد أن تكون مثل فلانة امرأة فلان، وزوجها ليس في يسار ذلك الرجل ولا في غناه.

المعروف هو ما تعرفه الفطر السليمة والعقول الرشيدة، وما يقره الفضلاء من الناس، ولذلك على الرجل أن ينفق على امرأته؛ من حيث مأكلها ومشربها، وكسوتها ومسكنها، وكل ما يطلبه لها العرف؛ حتى تعيش حياة مطمئنة لائقة بمنزلها، هذا من المعاشرة بالمعروف.

#### **العشرة بالمعروف ليست مادية فقط:**

وليس المعاشرة بالمعروف مقصورة على النفقة المادية فقد يوسع بعض الناس على امرأته من الناحية المادية، ولكنه لا يدخل البيت إلا عابساً مكفره الوجه، لا تسمع المرأة منه كلمة طيبة، ولا ترى بسمة في فمه، ولا إشراقة في وجهه، فتعيش معه حياة نكدة؛ كأنها جحيم مستمر والعياذ بالله، ما قيمة المال والنفقات، ما قيمة القصر الذي تعيش فيه وهي تعيش وحيدة، لأن الرجل في معزل عنها: إما بتجارته وأعماله، وإما بأصدقائه وسهراته، وإما بشهواته وانطلاقاته في المتع الحرام، وإما، وإما، مثل هذه المرأة مسكينة، تجد مال زوجها ولكنها لا تجد الزوج نفسه، ما قيمة هذا كله دون وجود الزوج في حياة زوجته؟

النبي ﷺ يقول: «**خیرکم خیرکم لأهله، وأنا خیرکم لأهلي**»<sup>(١)</sup>. أفضل المسلمين أفضليهم معاشرة مع أهله، هذا هو الميزان الذي نتبين به صدق

(١) رواه الترمذی في المناقب (٣٨٩٥)، وقال: حسن صحيح. والدارمي (٢٣٠٦)، وابن حبان (٤١٧٧)، كلاماً في النكاح، وقال الأرناؤوط: إسناده صحيح. وصحّحه الألباني في الصحيحة (٢٨٥)، عن عائشة.



الإيمان، فصدق الإيمان يتجلّى في معاشرة الرجل لأهله، كيف يعاشرهم، كيف يؤدي إليهم حقوقهم؟ لهذا يتمايز الرجال بعضهم عن بعض.

### الأسوة الحسنة:

وأفضل الناس في ذلك هو رسول الله ﷺ، فهو المثل الأعلى، وهو أسوة المؤمنين؛ كما قال الله تعالى: «لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا» [الأحزاب: ٢١]. كان هو الأسوة الحسنة في معاشرة نسائه.

وقد أراد الله تبارك وتعالى أن يعيش النبي ﷺ بعض فترات حياته زوجاً لامرأة واحدة؛ هي خديجة بنت خويلد، لنعرف كيف يكون الرجل مع الزوجة الواحدة، وعاش فترات أخرى مع أكثر من زوجة، فيهن الصغيرة والكبيرة، والبكر والثيب، والعربية وغير العربية، وذات الأولاد وغير ذات الأولاد، كيف عاشرهن رسول الله ﷺ، وكيف ضرب المثل في ذلك كله.

وكان ﷺ أعدل ما يكون بين هؤلاء الزوجات، كان يقول حينما يقسم في النفقة والكسوة والمبيت: «اللهم هذا قسمي فيما أملك، فلا تؤاخذني فيما تملك ولا أملك»<sup>(١)</sup>. يعني أمر القلب والعواطف، لا يستطيع أن يحب هذه مثلما يحب هذه، أمور القلوب بين إصبعين من أصابع الرحمن يقلبها كيف يشاء.

(١) رواه أحمد (٢٥١١)، وقال مخرجوه: هذا إسناد رجاله ثقات. وأبو داود (٢١٣٤)، والترمذى (١١٤٠)، وقال: روى مرسلاً وهو أصح. والنسائي في عشرة النسائي (٣٩٤٣)، وصححه ابن الملقن في البدر المنير (٣٨/٨)، وقال الحافظ في التلخيص الحبير (٢٩٥/٣): وأعلمه النسائي والترمذى والدارقطنى بالإرسال. وقال أبو زرعة: لا أعلم أحداً تابع حماد بن سلمة على وصله. عن عائشة.



## كلكم راعٍ وكلكم مسؤول:

العاشرة بالمعروف مطلوبة من الرجال للنساء، ومن هذه المعاشرة بالمعروف أن يأمر الرجل أهله بالخير، وأن يعلمهم الخير، كما قال تعالى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوَا أَنفُسُكُمْ وَأَهْلِكُمْ نَارًا وَقُوْدُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ﴾ [التحريم: ٦]. قال علي بن أبي طالب: علموا أهليكم الخير<sup>(١)</sup>. وقال تعالى: ﴿وَأَمْرُ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا نَشَكُ لَرِزْقًا نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَالْعِقِبَةُ لِتَنْقُويَ﴾ [طه: ١٣٢].

أنت مسؤول عن أهلك، «كلكم راعٍ، وكلكم مسؤول عن رعيته»<sup>(٢)</sup>، فلا بد أن تأمر أهلك بالصلاوة وتصطبر على هذا، لا تقل: قلت لها مرة ومرتين وثلاثة وكفى. لا، لا بد أن تصطبر على ذلك حتى تؤدي الصلاة، المفروض أنَّ المسلم من أول الأمر لا يتزوج إلَّا مصلية، لكن لو أنَّ المسلم وقع في هذا الأمر، أو كان هو قبل ذلك لا يهمه أمر الصلاة، ثم هداه الله وتاب عليه، وأصبح ملتزمًا بفرائض الله؛ فلا بد أن يحاول أن تكون امرأته في طريق الخير حتى يتعاونا جميعًا على إنشاء البيت المسلم المنشود، وعلى التنشئة الصالحة للأبناء والبنات، فلا يمكن أن تتم هذه التنشئة بمعزل عن الأئم، ولا يمكن أن تؤمن امرأة لا تؤدي حق الله عليها، لا تؤدي فرائض ربها، المرأة التي تخون الله لا يبعد عنها أن تخون زوجها، أو تخون أولادها، أو تهمل في تربيتهم، حق الله أحق أن يُؤَدَّى ويُقْضَى.

ولذلك فواجب الزوج أن يرعى زوجته، وأن يأخذها بالرفق والأناة والصبر والتدرج، وأن يأتي لها من صالحات النساء من يقربها من ذلك،

(١) رواه الحاكم في التفسير (٤٩٤/٢)، صححه على شرطهما، ووافقه الذهبي. موقوفًا.

(٢) متَّفقٌ عليه: رواه البخاري في الجمعة (٨٩٣)، ومسلم في الإمارة (١٨٢٩)، عن ابن عمر.

يختار لها صديقاتها الصالحات، ويبعدها عن الصديقات السيئات المتفرنجات، فهؤلاء خطر على حياتها، على دينها وعلى دنياها.

### اللطف في المعاشرة:

ومن واجب الزوج في المعاشرة بالمعروف أن يكون لطيفاً مع زوجته، حسن المعاشرة، يتلطف بها، يستمع إلى حكاياتها، كما رأينا النبي ﷺ يستمع إلى عائشة وهي تحدثه عن إحدى عشرة امرأة، كل واحدة تصف زوجها بوصف، وهذا في البخاري معروض (حديث أم زرع)، هذه تقول عن زوجها: زوجي لحم جمل غثٌّ، على رأس جبل وعر، لا سهل فيرتقى ولا سمين فينتقل. وهذه تقول: زوجي عياء، طباقاء، كل داء له داء. وهذه تقول: زوجي إن دخل فهد، وإن خرج أسد، ولا يسأل عما عهد.

هناك من تمدح زوجها ومن تذم زوجها، والنبي ﷺ يستمع إليها، حتى إذا جاءت إلى المرأة الحادية عشرة أم زرع مدحت أم زرع، وهي تتحدث عن زوجها أبي زرع، وعن حماتها أم أبي زرع، وعن أحمائهم وأقربائهم، وعن ابن أبي زرع، ولكن في النهاية وجد امرأة أخرى فطلقتها، فقال النبي ﷺ لعائشة: «كنت لك كأبي زرع لأم زرع؛ غير أنّي لا أطلقك»<sup>(١)</sup>. فانظر إلى هذه الملاطفة.

بعض الناس لا يجد عنده طاقة لأن يستمع من زوجته، وبعض الناس يُسكت زوجته، لأن هذه المرأة لا قيمة لها، أو لا وزن لها!

(١) حديث أم زرع متفق عليه: رواه البخاري في النكاح (٥١٨٩)، ومسلم في فضائل الصحابة (٢٤٤٨). دون قوله: «إلا آنه طلقها وإنّي لا أطلقك» فهو من رواية «الزبير بن بكار» خارج الصحيح؛ كما ذكر الحافظ في فتح الباري (٢٧٥/٩).



والحياة الزوجية لا تقوم بهذا، الحياة الزوجية عبارة عن انسجام وتوافق، الله تعالى يقول: ﴿خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا﴾ [الروم: ٢١]، المرأة جزء من نفسك، ﴿لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً﴾ [الروم: ٢١]. هذا السكون والمودة والرحمة هي أركان الحياة الزوجية؛ كما صورها القرآن الكريم.

والله تعالى يقول: ﴿هُنَّ لِيَاسُّ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِيَاسُ لَهُنَّ﴾ [البقرة: ١٨٧]. وانظر إلى كلمة (اللباس) ماذا تعني؟ وبماذا توحى؟ الرجل للمرأة والمرأة للرجل بمنزلة اللباس بما توحى به كلمة (اللباس) من الستر، والواقية، والدفء، والتجميل، والزينة، والقرب، واللصوق، فلا يستغني الرجل عن المرأة، ولا تستغني المرأة عن الرجل! هذه حقوق.

### الحقوق الجنسية:

ومن الحقوق حق المعاشرة الجنسية، لا يجوز للرجل أن يهمل المرأة، ولا يجوز للمرأة أن تمنع عن الرجل إلا بعذر، والله تعالى يقول: ﴿نِسَاءُكُمْ حَرَثٌ لَكُمْ فَأَتُوا حَرَثَكُمْ أَنَّ شِئْتُمْ وَقَدِمُوا لِأَنفُسِكُمْ﴾ [البقرة: ٢٢٣].

حتى في أيام رمضان: أيام الصيام وأيام الارتقاء الروحي؛ يقول الله تعالى: ﴿أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الْصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَاءِكُمْ هُنَّ لِيَاسُ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِيَاسُ لَهُنَّ عَلَمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَخْتَانُونَ أَنفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنْكُمْ فَإِنَّ  
بَشِّرُوهُنَّ وَابْتَغُوا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ﴾ [البقرة: ١٨٧].

فهكذا أباح الإسلام حتى في ليالي هذه العبادة أن يعاشر الرجل امرأته، ولا حرج في ذلك شرعاً؛ إلا في أوقات معينة: أيام الحيض،

﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذَى فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ وَلَا يَقْرَبُوهُنَّ حَتَّى يَطْهَرْنَ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأُتْهُرْ بَرْ مِنْ حَيْثُ أَمْرَكُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾ [البقرة: ٢٢٢]. ولذلك منع النبي ﷺ الرجل أن يتصل بامرأته: أي يجامعها، ولكن لا مانع أن يستمتع بها خارج إطار الجماع.

كان اليهود إذا حاضت المرأة ابتعدوا عنها، فيقيم الرجل في حجرة وهي في حجرة، لا يأكل معها، ولا يشرب معها؛ وكأنها نجسة، إذا أكلت من قصعة لا يأكل منها، وإذا شربت من إناء لا يشرب منه، وكان النصارى على عكس ذلك، ف جاء الإسلام بهذه المنزلة الوسط، شرع للرجل أن يعاشر امرأته ويستمتع بها؛ ولكن بعيداً عن الجماع.

حينما قال النبي ﷺ للسيدة عائشة: «ناوليني الخُمرة هذه». فقالت: يا رسول الله إني حائض. قال لها: «إن حيضتك ليست في يدك»<sup>(١)</sup>. فهذا من بقايا التأثير باليهود، ولذلك قالت عائشة بعد ذلك: كنت أشرب وكان النبي ﷺ يشرب من الإناء الذي أشرب فيه ويوضع فاه موضع في<sup>(٢)</sup>. من ملاحظته ﷺ أنه يشرب من المكان الذي شربت منه ليشعرها بحبه.

### الملاحظة حق متبادل:

ونجده ﷺ يلاحظها فيما هو أكثر من ذلك؛ فكان يسابقها وتسابقه، ويقول لها: «هذه بتلك». سابقها مرة أول ما تزوجها فسبقته وكانت صغيرة السن، خفيفة اللحم، ثم بعد ذلك سمنت وثقلت فسبقها النبي ﷺ

(١) رواه مسلم في الحيض (٢٩٨)، وأحمد (٢٤١٨٤).

(٢) رواه مسلم في الحيض (٣٠٠)، وأحمد (٢٤٣٢٨)، عن عائشة.



في العدو: في الجري، وكان عمره حوالي ستين سنة فسبقها فقال لها: «هذه بتلك»<sup>(١)</sup>. أي صرنا متعادلين، غلبتني مرة وغلبتك مرة، هذا كله من باب الملاطفة، فينبغي للزوج المسلم أن يلطف زوجته، وينبغي للزوجة المسلمة أن تلطف زوجها؛ فهما حقان متقابلان، وكل حق يقابلها واجب، والأساس في ذلك: ﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ﴾ [البقرة: ٢٢٨].

أسأل الله تبارك وتعالى أن يفقهنا في ديننا، وأن يعلمنا ما ينفعنا، وأن ينفعنا بما علمنا، اللهم آمين.

أقول قولي هذا، وأستغفر لله لي ولكلم فاستغفروه؛ إنه هو الغفور الرحيم، وادعوه يستجب لكم.

\* \* \*

(١) رواه أحمد (٢٤١١٨)، وقال مخرجوه: إسناده صحيح على شرط الشيدين. وأبو داود في الجهاد (٢٥٧٨)، وابن ماجه في النكاح (١٩٧٩)، وابن حبان في السير (٤٦٩١)، وصححه الألباني في الصحيح (١٣١)، عن عائشة.

## الخطبة الثانية

**أما بعد، في أيّها الإخوة المسلمين:**

### **اغتيال الشيخ محمد صادق الصدر:**

في الأسبوع الماضي حادث لا ينبغي السكوت عليه، وهو قتل المرجع الديني الشيعي : الشيخ محمد صادق الصدر، هذه قضية خطيرة أياً كان القاتل، المعارضة تتهم النظام أنه هو الذي قتل الرجل وولديه وصهره، والنظام يتهم المعارضة أو يتهم الأميركيان.

وهناك من يشير إلى أصابع الموساد في هذه القضية، التي تريد أن تشعل نار فتنة بين السنة والشيعة، وهذا ما أعرفه منذ سنين طويلة، أن هناك مؤامرة أيّها الإخوة تكيد بها القوى المعادية للإسلام، تريد أن توقد نار حرب دينية بين السنة والشيعة، لم يكفهم ما أشعلوا من حرب بين العراق وإيران باسم العرب والفرس، هذه المرة يريدونها باسم السنة والشيعة.

### **الوعي بـمكائد الكائدين للإسلام:**

وي ينبغي أن تكون على وعي بكيد هؤلاء الكائدين للإسلام، وأن نفوت عليهم أغراضهم، ولا نكون من الغباء والغفلة؛ بحيث نُستخدم كأدوات لتحقيق أهداف هؤلاء. فالشيعة يعيشون في بلاد أهل السنة، وأهل السنة يعيشون في بلاد الشيعة، هنا في قطر وفي بلاد الخليج يعيش الشيعة، كما يعيشون في أفغانستان وفي الهند، وفي بنجلاديش وفي باكستان، وفي العراق، وفي عدد من بلاد إفريقيا. ويعيش أهل السنة

في إيران، فلا بد أن يدرك الجميع أن عليهم أن يتعاشوا تعايشاً سلمياً، ولن يعجزوا أن يجدوا من القواعد في دينهم وفي تراثهم؛ ما يجعلهم يعيشون بسلام وأمان.

لقد رأينا العالم يتقارب، تقارب النصارى مع اليهود وأصدروا وثيقة «تبرئة اليهود من دم المسيح»، وتقارب النصارى مع أنفسهم، المذاهب التي يعتبر كل منها دين برأسه: الكاثوليكية، والبروتستانتية، والأرثوذكسية، كل هذه المذاهب تتقارب، فما بالنا نحن المسلمين وحدنا نتباعد؟ لحساب من؟ ولمصلحة من؟!

### **خلافات في فروع العقائد:**

نحن نخالف الشيعة في بعض فروع العقائد، ولكن الشيعة مهما كانوا هم مسلمون في الأصل، يؤمنون بأن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله، وقد قال لي بعضهم: إنهم لا يؤمنون بالقرآن. قلت له: يا أخي هذا ظلم، لم نر عندهم مصحفًا غير هذا المصحف، هذا المصحف هو الذي يطبعونه في مطابعهم، ويوزعونه على العالم، ويحفظونه لأبنائهم، ويديعونه في إذاعاتهم وتلفازاتهم، ومنه يستمدون الأحكام في العقائد وفي الفقه. كتبهم العقدية تستدل بهذا القرآن، وكتبهم الفقهية تحتاج بهذا القرآن، فلماذا نقول عنهم: إنهم لا يؤمنون بالقرآن؟ هذا ليس من الإنصاف في شيء.

### **التحاور بالحجج والبراهين:**

نحن نقول: الشيعة مسلمون، لهم عقائدهم التي نبدّلها، ونحكم عليهم بالانحراف، ولكن هذا لا يجعلنا نقبل أن تمتد يد إلى أحد منهم

ليقتل، لا ينبغي أن نتحاور بالرصاص وبالقنابل، وإنما نتحاور بالحجج وبالإقناع، بأن يلتقي أهل العلم، ويحاور بعضهم بعضاً، أمّا أن يقاتل بعضنا بعضاً، هؤلاء جند محمد، وهؤلاء جند الصحابة، وهؤلاء كذا - كما يحدث في باكستان وغيرها - فهذه في الحقيقة فتنة، لا يستفيد من ورائها إلّا أعداء الإسلام.

ينبغي أن تكون عندنا صيغة نستطيع أن نتعايش بها، وكما دعا العلامة الشيخ رشيد رضا رحمه الله في قاعدة المنار الذهبية إلى هذا التعامل، تحت هذه القاعدة: نتعاون فيما اتفقنا عليه، ويعذر بعضنا بعضاً فيما اختلفنا فيه<sup>(١)</sup>.

هناك أشياء كثيرة نتفق عليها، نتفق على محاربة الصهيونية، نتفق على محاربة الاستعمار، نتفق في قضايا المسلمين في البوسنة والهرسك، وفي كشمير، وفي كذا وفي كذا، نتفق على محاربة الإلحاد، وعلى مقاومة الإباحية والتحلل، وعلى مقاومة المظالم الاجتماعية، وعلى الوقوف مع المستضعفين في الأرض، نتفق على ألف قضية وقضية، فلنتعاون على هذه القضايا.

وهناك أشياء نختلف فيها، فليجلس أهل العلم بعضهم مع بعض في هذه القضايا، أو ندع الأمر فيها إلى الله، كما نختلف مع النصارى ومع أهل الكتاب ومع غيرهم، الله تعالى يقول: ﴿فَلِذَلِكَ فَادْعُ وَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَلَا تَنْتَعِ أَهْوَاءَهُمْ وَقُلْ إِنَّمَاتُ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنْ كِتَبٍ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمْ اللَّهُ أَعْلَمُ بِرَبِّنَا وَرَبُّكُمْ لَنَا أَعْمَلْنَا وَلَكُمْ أَعْمَلْنَاهُمْ لَا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ اللَّهُ يَجْمِعُ بَيْنَنَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ﴾ [الشورى: ١٥]. هذا ما ينبغي أن يتبعاه

(١) قاعدة المنار الذهبية، للعلامة محمد رشيد رضا. انظر: مجلة المنار (١٨٨/١٧)، نشر دار المنار، القاهرة.

المسلم في قضايا الخلاف، الخلاف بين المختلفين سيحكم الله فيه يوم القيمة، ﴿فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ [البقرة: ١١٣].

### طبيعة الاختلاف:

لا بد أن نصل إلى صيغة نتعايش بها، إذا كان الإسلام يعتبر النصارى أقرب إلى المسلمين من المجوس؛ كما حدثنا سورة الروم، حينما حدث صراع بين الفرس والروم قديماً: أكبر دولتين تتنازعان السيادة على العالم؛ مثلما كان يتنازع السوفيت والأمريكان في الزمن الماضي.

تنافر دولة شرقية هي الفرس، ودولة غربية هي الروم وغلب الفرس الروم؛ ففرح المشركون وحزن المسلمين، لماذا حزن المسلمين؟ لأن الفرس كانوا مجوساً يعبدون النار، ويقولون بإله للخير وإله للشر، أو إله للنور وإله للظلمة، أمّا الروم فكانوا نصارى؛ فهم أقرب إلى المسلمين؛ فحزن المسلمين وفرح المشركون، ونزل القرآن يقول: ﴿عَلِيَتِ الرُّومُ \* فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُم مِنْ بَعْدِ غَلِيْبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ \* فِي بُضُّعِ سِنِينَ كَلَّهُ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَجُ الْمُؤْمِنُونَ \* يُنَصِّرِ اللَّهُ﴾ [الروم: ٢ - ٥].

يفرح المسلمون بانتصار الروم وهم نصارى على الفرس، وكلاهما في نظر المسلمين كفار برسالة محمد ﷺ، ولكن كفر دون كفر، بعض الكفار أقرب من بعض، فكيف نحن والشيعة؟! وخصوصاً أن هذا الرجل الذي قُتل وقتل ولداته معه: كان معروفاً بالاعتدال والتسامح، والدعوة إلى التقرير، ولم يُعرف عنه تعصب ضد أهل السنة!

ومساكين عائلة الصدر، كم من إنسان ظلم وقتل في هذه الأسرة، قبل

ذلك قُتل العلامة محمد باقر الصدر صاحب الكتب الرائعة (اقتصادنا) و (فلسفتنا)، وموسى الصدر الّذى اختفى منذ سنين، ولا يُعرف أهُو حي أو ميت، هذه عائلة مبتلة، ونحن نقف ضد القتل، وضد الاغتيال، وضد هذه المظالم أيا كان مصدرها.

### دعوة للتعايش:

نحن ندعو إلى التعايش، إذا كنا ندعو إلى التعايش بين الأديان والحضارات، وإلى حوار الأديان والحضارات، وإلى حوار النصارى وغيرهم، فكيف لا ندعو إلى التعايش بين المسلمين؛ مهما يكن بينهم من خلاف؟!

المصلحة الإسلامية اليوم وغداً تقتضي أن نتحاور فيما بيننا، وأن نتعايش سلمياً، وأن يعطى كلّ منا الحق لأخيه، وأن تُبحث هذه الأمور بالمحاجة، وهذا ما قلته للإخوة في إيران؛ حينما زرتهم في العام الماضي، وقلته في ندوة التقرير بين المذاهب التي عقدت في الرباط منذ سنوات، هذا ما ينبغي، أن نكشف بعضنا بعضاً، وأن يعطى بعضنا بعضًا الحق لأهل الحق.

لا يجوز لشيعي أن يظلم أهل السنة في بلده، ولا يجوز لسني أن يظلم الشيعة في بلده، ولا يجوز للشيعة أن يقتلوا علماء السنة كما يشاع في إيران، ولا يجوز لأهل السنة أن يقتلوا علماء الشيعة، لا يجوز هذا في منطق الإسلام، ولا في منطق المصلحة، ولا في منطق العقل.

أسأل الله تبارك وتعالى أن يهيء لنا من أمرنا رشدًا، وأن يجمع كلمة



هذه الأمة على الهدى، وقلوبها على التقى، وأنفسها على المحبة، ونياتها على الجهاد في سبيله، وعزائمها على عمل الخير وخير العمل، اللهم اجعل يومنا خيراً من أمسنا، واجعل غدنا خيراً من يومنا، وأحسن عاقبتنا في الأمور كلها، وأجرنا من خزي الدنيا وعذاب الآخرة، اللهم لا تهلكنا بما فعل السفهاء منا، ولا تسلط علينا بذنبينا من لا يخالفك ولا يرحمنا، واجعل هذا البلد آمنا مطمئنا سخاءً رخاءً وسائر بلاد المسلمين، اللهم اغفر لنا ذنوبنا، وإسرافنا في أمرنا، وثبت أقدامنا، وانصرنا على القوم الكافرين، اللهم آمين.

\* \* \*





## الزوجة الصالحة

غير مرخصة للطباعة

### الخطبة الأولى

أمّا بعد، فيا أيها الإخوة المسلمين:

لا زال حديثنا عن الزواج والحياة الزوجية موصولاً، تحدثنا عن الزوج الصالح، الذي يقوم بحقوق زوجته ويتقي الله فيها، ولا يأكل لها حقاً.

والليوم نتحدث عن الزوجة الصالحة التي اعتبرها النبي ﷺ من مقومات السعادة، ومن نعم الله تعالى على زوجها، وقد روى عبد الله بن عمرو عنه ﷺ أنه قال: «الدنيا متاع، وخير متاعها المرأة الصالحة»<sup>(١)</sup>. وفي الحديث الآخر: «من رزقه الله زوجة صالحة فقد أعانه على شطر دينه فليتق الله في الشطر الباقي»<sup>(٢)</sup>.

والزوجة الصالحة كما جاء عن النبي ﷺ هي ذات الدين والخلق<sup>(٣)</sup>، وهي خير ما يكتنز المرء لدينه ودنياه وأخرته، عليك بذات الدين والخلق، تربت يمينك!

(١) رواه مسلم في الرضاع (١٤٦٧)، وأحمد (٦٥٦٧)، عن عبد الله بن عمرو بن العاص.

(٢) سبق تخریجه ص ٦٠.

(٣) رواه أحمد (١١٧٦٥)، وقال مخرجوه: صحيح لغيره. وابن أبي شيبة (١٧١٤٩)، وابن حبان (٤٠٣٧)، كلاهما في النكاح، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٧٣٢٦): رجاله ثقات. عن أبي سعيد الخدري.

## خير ما يكنز الرجل:

لما نزل قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الْذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يُنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرُهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [التوبه: ٣٤]. قال النبي ﷺ: «تبًا للذهب تبًا للفضة، تبًا للذهب تبًا للفضة». قالوا: يا رسول الله فأي المال نتخدم؟ قال: «ليتخذ أحدكم لسانًا ذاكرًا، وقلباً شاكراً، وزوجة تعينه على أمر دينه»<sup>(١)</sup>.

وسأله عمر رضي الله عنه بعد أن شقَّ على الصحابة نزول هذه الآية: ﴿وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الْذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ﴾. فقال: «يا عمر، ألا أخبرك بخير ما يكنز المرء؟ المرأة الصالحة التي إذا نظر إليها سرتها، وإن أمرها أطاعته، وإن غاب عنها حفظته»<sup>(٢)</sup>.

هذه هي المرأة الصالحة، «إذا نظر إليها سرتها»؛ لأنَّها بشوشرة الوجه، لا تقابلها بالنكد والغم، ولكن تقابلها بوجه بوشوش، ولسان طيب، وكلمة تجعل الجراح تلتئم. «وإن أمرها أطاعته»، وهذا أول ما يجب على المرأة، أن تطيع زوجها في المعروف؛ فإذا أمرها بمعصية فلا طاعة لمخلوق في معصية الخالق!

## تعارض حق الرب مع حق الزوج:

إذا تعارض حق الخالق وحق الزوج فمن يُقدم؟ لا شك أنَّ حق الله مُقدَّم على حق عباده، فلو أمرها أن تخلع حجابها؛ فتكشف رأسها، أو تكشف ذراعيها أو ساقيها، أو تلبس لباس الموضة الذي يظهر عورتها؛

(١) سبق تخریجه ص ١٤٥.

(٢) رواه أبو داود في الزكاة (١٦٦٤)، وأبو يعلى (٢٤٩٩)، وضعفه الألباني في ضعيف أبي داود (٣٦٣)، عن ابن عباس.

فلا يجوز لها أن تطيعه في هذا، وليس من حق الزوج أن يأمرها بهذا، ولو أمرها أن تصحبه إلى حفلات داعرة فاجرة؛ فليس من حقه هذا، ليس من حقه أن يُطاع في معصية الله!

لو أمرها ألا تقوم الليل وهو محتاج إليها فلا مانع من ذلك، ولو أمرها ألا تصوم تطوعاً تطيعه. جاءت امرأة صفوان بن المعطل تشكو إلى النبي ﷺ زوجها صفوان تقول: إِنَّه لَا يَدْعُنِي أَصْلِي يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَيَفْطِرُنِي وَأَنَا صَائِمَةٌ. فقال النبي ﷺ: «مَا قُولُك يَا صَفْوَانَ؟» قال: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّهَا تَصْلِي بِالسُّورَتَيْنِ فِي رُكُوعٍ. فقال النبي ﷺ: «وَاللَّهِ لَوْ صَلَى النَّاسُ بِسُورَةٍ وَاحِدَةٍ لَكَفْتُهُمْ». أَيْ لَا دَاعِيٌ أَنْ تَطْلِي الصَّلَاةَ وَزَوْجُكَ حَاضِرٌ، قَالَ صَفْوَانٌ: وَأَمَّا قُولُهَا: إِنِّي أَفْطِرُهَا وَهِيَ صَائِمَةٌ فَإِنَّهَا تَعْدُ إِلَى الصَّيَامِ وَأَنَا حَاضِرٌ، وَأَنَا شَابٌ لَا أَصْبِرُ! فَقَالَ ﷺ: لَا يَحِلُّ لَامْرَأَةٍ أَنْ تَصُومَ وَزَوْجُهَا شَاهِدٌ - أَيْ حَاضِرٌ غَيْرُ مَسَافِرٍ - إِلَّا بِإِذْنِهِ<sup>(١)</sup>. إِذَا أَذِنَ لَهَا صَامَتْ، وَإِلَّا فَحُقُّهُ مُقْدَّمٌ عَلَى صِيَامِهَا التَّطْوِيِّ، تَطْبِعُ الْمَرْأَةُ زَوْجَهَا فِي هَذَا.

### وصف المرأة الصالحة:

يقول النبي ﷺ في وصف المرأة الصالحة: «إِذَا صَلَتِ الْمَرْأَةُ خَمْسَهَا - صَلَواتُهَا الْخَمْسُ - وَصَامَتْ شَهْرَهَا - شَهْرُ رَمَضَانَ - وَأَحْصَنَتْ فَرْجَهَا، وَأَطَاعَتْ زَوْجَهَا؛ قِيلَ لَهَا: ادْخُلِي الْجَنَّةَ مِنْ أَيِّ بَابٍ شَئْتَ»<sup>(٢)</sup>. وذلك

(١) مَنْقَعَ عَلَيْهِ: رواه البخاري في النكاح (٥١٩٥)، ومسلم في الزكاة (١٠٢٦)، عن أبي هريرة.

(٢) رواه أحمد (١٦٦١)، وقال مخرجوه: حسن لغيره. والطبراني في الأوسط (٨٨٠٥)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٧٦٣٤): فيه ابن لهيعة، وحديثه حسن، وبقية رجاله رجال الصحيح. عن عبد الرحمن بن عوف.



لأنَّها أدت حق الله وحق الزوج، حق الخالق وحق الخلق، فلهذا تُخيَّر بين أبواب الجنة؛ أيُّها شاءت أن تدخل منه دخلت.

### قوامة الرجل:

جعل الإسلام الرجل هو القوام على الأسرة كما ذكرنا من قبل: **﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾** [النساء: ٣٤]. فلا يجوز أن تنعكس الآية كما نرى في بعض البيوت؛ فتكون المرأة هي صاحبة الكلمة، وهي الأميرة الناهية، وزوجها (طرطور) لا يستطيع أن يأمرها بشيء، ولا ينهاها عن شيء، لا، الرجل هو المسؤول عن البيت، والنبي ﷺ يقول: «كلكم راعٍ وكلكم مسؤول عن رعيته، فالرجل راعٍ في أهل بيته، وهو مسؤول عن رعيته»<sup>(١)</sup>. الرجل راعٍ؛ فلا بد أن يقوم بحق هذه الرعاية، أنت راعٍ وأهل بيتك رعية مسؤولون منك؛ فلا تفرط في هذه الرعاية.

### قوا أنفسكم وأهليكم ناراً:

وليس الرعاية بالكلام، هي واجبات وحقوق يجب أن تؤدي ويجب أن تلاحظ وتُرْعى، «فالرجل راعٍ في أهل بيته، وهو مسؤول عن رعيته»، إذا وجد على امرأته تقصيرًا في واجباتها، سواء واجباتها نحو ربها؛ إذا كانت لا تصلي، أو تتكلس عن الصلاة؛ فينبغي أن يأمرها بالصلاه، الله تعالى يقول: **﴿وَأَمْرُ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَرِرَ عَلَيْهَا لَا نَسْكُكَ رِزْقًا تَنْحُنُ نَرْزُقَكَ وَالْعَدِيقَةُ لِلتَّقْوَى﴾** [طه: ١٣٢]، ويقول الله تعالى: **﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوَا نُفَسَّكُمْ وَأَهْلِكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ﴾** [التحريم: ٦].

(١) متَّفق عليه: رواه البخاري في الجمعة (٨٩٣)، ومسلم في الإمارة (١٨٢٩)، عن ابن عمر.

احفظ نفسك واحفظ أهلك من النار، وأول من يجب أن تحفظهم وتقيمهم من النار زوجتك، أنت مسؤول عنها، إذا وجدتها ترتكب بعض المحرمات فانهها، انها برفق أولاً، ثم شدد عليها ثانية، وأبرز مسؤوليتك التي منحك الله إياها.

لا يجوز أن تتهاون في المحرمات، ولا في حقوق الزوجية الأساسية، وإنما إذا تهاونت في أول الأمر فسرعان ما تضيع حقوقك كلها، وتتعرض الأسرة بعد ذلك للانهيار، على أن الطاعة للزوج وللبشر إنما تكون في المعروف، لا يطاع مخلوق في معصية الخالق.

### وتعاونوا على البر والتقوى:

ومن واجب الزوجة أن تعاون زوجها على الحياة، على البر والتقوى، الله تعالى أمر المؤمنين أن يتعاونوا، «وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالثَّقَوْيِّ وَلَا نَعَوَنُوا عَلَى الْإِلَاثِمِ وَالْعُدُوْنِ» [المائدة: ٢]، وأول من يجب عليهم التعاون على البر والتقوى الرجل وزوجته، كل منهما عليه أن يعين الآخر، ينصحه حتى لا يقع في المعصية.

وهكذا كانت نساء السلف الصالحة رضوان الله عليهم، كانت إحداهن تقول لزوجها إذا خرج للكسب ليضرب في الأرض؛ ليتغيّر من فضل الله، تقول له: يا أبا فلان، إياك وكسب الحرام؛ فإنما نصبر على الجوع والطوى، ولا نصبر على حر النار وغضب الجبار<sup>(١)</sup>. هذه الكلمة من زوجته تجعله يفكّر مرة ومرة؛ إذا لاحت له فرصة الكسب من حرام، أو مما فيه شبّهة الحرام.

(١) إحياء علوم الدين (٥٨/٢).

أَمَّا إِذَا قَالَتْ لَهُ: أَنْتَ متأخر عن كل النَّاسِ، فَلَان جَمْعُ الْآلَافِ، وَفَلَان جَمْعُ الْمَلَائِكَةِ، وَأَنْتَ مِنْ دُونِهِمْ تَجْعَلُ كُلَّ شَيْءٍ حَرَامًا. مِثْلُ هَذِهِ الْزَّوْجَةِ تَدْفَعُ زَوْجَهَا إِلَى أَكْلِ السُّحْتِ، وَتُجْرِئُهُ عَلَى مَعْصِيَةِ اللَّهِ!

أَمَّا الْزَّوْجَةُ الصَّالِحةُ فَهِيَ الَّتِي تُحَذِّرُ زَوْجَهَا مِنَ الْحَرَامِ، وَتُحَرِّضُهُ عَلَى طَاعَةِ اللَّهِ، كَمَا قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «رَحْمَ اللَّهِ امْرَأٌ قَامَ مِنَ الظَّلَامِ فَصَلَّى رَكْعَتَيْنِ، ثُمَّ وَجَدَ زَوْجَهُ نَائِمًا، فَأَمْرَاهَا أَنْ تَقُومْ لِتَصْلِي مَعَهُ، فَإِنْ لَمْ تَقُومْ نَضَحْ وَجْهَهَا بِالْمَاءِ - رَشَهَا مِنْ بَابِ الْمَدَاعِبِ؛ لِتَقُومْ فَتَصْلِي مَعَهُ - وَرَحْمَ اللَّهِ امْرَأٌ قَامَ مِنَ الظَّلَامِ، فَصَلَّى رَكْعَتَيْنِ ثُمَّ أَيْقَظَتْ زَوْجَهَا، فَإِنْ لَمْ يَقُمْ نَضَحْ وَجْهَهُ بِالْمَاءِ»<sup>(١)</sup>. تُحَرِّضُهُ عَلَى الطَّاعَةِ، وَتُحَرِّضُهُ عَلَى فَعْلَ الصَّالِحَاتِ وَاسْتِباقِ الْخَيْرَاتِ، هَذِهِ هِيَ الْزَّوْجَةُ الصَّالِحةُ، مَعْوَانُ لِزَوْجَهَا عَلَى الْخَيْرِ، مَعَهُ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَاءِ، تَعِينُهُ عَلَى طَاعَةِ اللَّهِ ﷺ.

كَانَتِ الْزَّوْجَةُ فِي زَمْنِ السَّلْفِ الصَّالِحِ تُحَرِّضُ زَوْجَهَا عَلَى الْجَهَادِ، وَيَذْهَبُ الرَّجُلُ لِلْجَهَادِ وَيَأْتِيَ الْمَبْطُونَ وَالْمَعْوَقُونَ يَقُولُونَ لَهَا: مَا لَأَبِي فَلَانَ قَدْ ذَهَبَ وَتَرَكَكَ؟ مَنْ أَيْنَ تَأْكِلِينَ؟ مَنْ أَيْنَ تَعِيشِينَ؟ فَتَقُولُ لَهُمْ فِي ثَقَةِ الْمُؤْمِنَةِ، وَإِيمَانِ الْوَاثِقَةِ: إِنَّ أَبَا فَلَانَ - زَوْجَهَا - مِنْ تَزْوِيجِهِ عَرَفَهُ أَكَّالًا، وَمَا عَرَفَهُ رِزَاقًا، وَلَئِنْ ذَهَبَ أَكَّالًا لَقَدْ بَقِيَ الرِّزَاقُ<sup>(٢)</sup>.

### إعانته المرأة الصالحة لزوجها:

هَذِهِ هِيَ الْمَرْأَةُ الصَّالِحةُ تَعِينُ زَوْجَهَا، وَتَقْفِي مَعَهُ فِي أَمْوَالِهِ كُلَّهَا، وَقَدْ رَأَيْنَا مَثَالًا بارزًا لِذَلِكَ فِي أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ الصَّدِيقَةِ الْكَبِيرَى: خَدِيجَةَ

(١) روأه أحمد (٧٤١٠)، وقال مخرجوه: إسناده قوي. وأبو داود في الصلاة (١٣٠٨)، وابن ماجه في إقامة الصلاة (١٣٣٦)، وابن حبان في قيام الليل (٢٥٦٧)، عن أبي هريرة.

(٢) إحياء علوم الدين (٥٨/٢).

بنت خُوئيلد، كانت نعم الزوجة لزوجها، ونعم المعوان له، كان يذهب في شهر رمضان قبل البعثة يتبعد في غار حراء لله تعالى، فكانت خديجة تذهب إليه بالزاد ما بين الحين والحين، فتصعد إلى غار حراء، وهو أمر يكلف الرجال جهداً، ولكنها كانت تذهب إليه بالزاد.

ولما جاءه الوحي لأول مرة وقال له جبريل: «اقرأ». فقال: «ما أنا بقارئ». وغطه وضمه ضمة قوية إلى صدره، حتى بلغ منه الجهد، وعاد إلى خديجة يرتجف فؤاده، ويقول: «زمّلوني زمّلوني، لقد خشيت على نفسي». فماذا قالت خديجة؟ هل لطمت خدها، أو شقت جيبيها، أو قالت: يا ولิตاه! ماذا حدث للرجل؟! هل أصابه مس من الجن؟ ربما لو كانت واحدة من نساء زماننا؛ لقالت مثل ذلك، ولكن هذه المرأة العاقلة الحكيمية قالت بالفطرة السليمة، وبال بصيرة النيرة: والله لا يخزيك الله أبداً؛ إنك لتصل الرحم، وتحمل الكلَّ، وتكتب المعدوم، وتقرى الضيف، وتعين على نوائب الحق أو نوائب الدهر<sup>(١)</sup>. أي إن مثل هذا في سنن الله لا يمكن أن يُخزى، لا يخزي الله من يقوم بهذه الأعمال الخيرية، وصاحب هذا الخلق، فصاحب هذه النفس الكريمة لا يخزيه الله أبداً، عرفت ذلك من سنن الله في الكون، وصدقت.

ولم تكتفي خديجة بهذا، لقد قامت بخطوة عملية وأخذته عَلَيْهِ الْمَلِكَةُ، وذهبت به إلى ابن عمها ورقة بن نوفل؛ فقص عليه خبره، فقال: يا ابن أخي، هذا الناموس الذي أنزله الله على موسى، ليتنبي أكون حياً إذ يخرجك قومك؛ فأنصرك نصراً مؤزراً. فقال عَلَيْهِ الْمَلِكَةُ ببراءة: «أوَ مخرجني هم؟!» أي خرجوني وأنا الأمين عندهم، وأنا المحبب إليهم؟ قال: ما جاء

(١) متّفق عليه: رواه البخاري في بدء الوحي (٣)، ومسلم في الإيمان (١٦٠)، عن عائشة.



قط رجل بمثل ما جئت به إلّا عودي. لا بدّ أن يُعادى وأن يُقاوم وأن يُحارب. هذه هي المرأة الصالحة تعين زوجها وتقف معه.

### التجمل والتطيب:

المرأة الصالحة هي التي تتجمل لزوجها: تتنzin له، وتطيب له، وتكون معه في أحسن حال، وإذا دعاها إلى فراشه لم تمتنع ولم تتمرد؛ وإلا كانت ناشزة، والنبي ﷺ لا يجيز للمرأة أن تهجر فراش زوجها، ويقول: «إِنَّ الْمَرْأَةَ إِذَا بَاتَتْ هَاجِرَةً فِرَاشَ زَوْجِهَا؛ لَعْنَتْهَا الْمَلَائِكَةُ حَتَّى تَرْجِعَ»<sup>(١)</sup>.

وكذلك لا يجوز للرجل أن يهجر فراش امرأته باستمرار، فالحياة الزوجية رباط بين زوجين، ﴿وَمَنْءَايَتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا﴾ [الروم: ٢١]، والإنسان له غرائزه المعتبرة، والله تعالى أجاز الجماع حتى في ليالي الصيام، قال سبحانه: ﴿أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَاءِكُمْ هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَخْتَانُونَ أَنفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنْكُمْ فَأَلَّا نَبْشِرُهُنَّ وَأَبْتَغُوا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ﴾ [البقرة: ١٨٧].

كان الجماع بعد العشاء ممنوعاً في أول الصيام، ثم من الله على المسلمين وشرع لهم ذلك، ما أروع التعبير القرآني وما أبلغه عن الصلة بين الرجال وزوجاتهم، ﴿هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ﴾، ما توحيه كلمة اللباس! فالثوب للإنسان يوحى بمعنى اللصوق، والزينة، والستر، والدفء، وهكذا ينبغي أن يوفر كل منهما لصاحبه

(١) متّفق عليه: رواه البخاري في النكاح (٥١٩٤)، ومسلم في الحج (١٤٣٦)، عن أبي هريرة.

هذه المعاني، «هُنَّ لِيَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِيَاسٌ لَهُنَّ»، فلا ينبغي للرجل أن يهجر امرأته ولا للمرأة أن تهجر زوجها، ولكن النبي شدّد على المرأة أكثر؛ لأن المرأة تستطيع أن تصبر عن الرجل، والرجل لا يستطيع أن يصبر عن المرأة، ولهذا قال: «لو دعاها وهي على ظهر قتب»<sup>(١)</sup> - في هودج على ظهر بعير - ينبغي لها أن تطيعه، و«لو على التنور ينبغي لها أن تطيعه»<sup>(٢)</sup>. هذا ما شرعه الإسلام.

ومن أجل هذا شرع الإسلام للمرأة أن تتزين لزوجها، وأن تتجمل له، كما قال ابن عباس: إني أتزين لأمرأتي كما أحب أن تتزين لي امرأتي<sup>(٣)</sup>. تزين بما يقتضيه العرف، لم يحدد الإسلام نوعاً من الزينة، كان العرب يستعملون الخضاب والكحل، والآن هناك أنواع أخرى من الخضاب، وأنواع أخرى من الكحل، لا مانع منها، تستطيع أن تستخدم ما ليس محظياً وما لا يمنع الوضوء ويبيطل الصلاة؛ مثل ما يسمى (المناكير) الذي يوضع على الأظافر؛ فإن هذا يمنع صحة الوضوء؛ لأنَّه حائل دون وصول الماء إلى الأظافر، فلهذا لا يكون الوضوء معه صحيحاً.

من حق المرأة أن تتزين وتعطر في بيتها، وإن كان كثير من النساء للأسف يتزينن ويتغطرن عندما يُردن الخروج إلى الشارع أو إلى زيارات، ولكنها في البيت تكون على أسوأ حالها، وهذا لا يجوز!

(١) رواه الطبراني (٢٠٠/٥)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٧٦٤٣): رجاله رجال الصحيح؛ خلا المغيرة بن مسلم، وهو ثقة. عن زيد بن أرقم.

(٢) رواه أحمد (١٦٢٨٨)، وقال مُخَرِّجُوهُ: حديث ضعيف بهذه السياقية. والترمذى في الرضاع (١١٦٠)، وقال: حسن غريب. وصححه الألبانى في الصحيحه (١٢٠٢)، عن طلق بن علي.

(٣) رواه ابن أبي شيبة في الطلاق (١٩٦٠٨).

## التزيين الذي لا يغير فطرة الله:

ينبغي أن تكون الزينة الحقيقة للمرأة في بيتها ولرجلها، وتتزين في حدود ما أحل الله، فلا تكون ممن لعنهم النبي ﷺ، فقد لعن الواشمة والمستوشمة، ولعن الواصلة والمستوصلة<sup>(١)</sup>، ولعن النامضة والمتنمصة، ولعن المتفلجات للحسن المغیرات خلق الله<sup>(٢)</sup>.

التزيين مطلوب، ولكن بما لا يغير خلق الله، فلا يجوز الوشم، ولا يجوز وصل الشعر بشعر آخر، أو بما يسمى الآن الشعر الاصطناعي (الباروكة) وهذه الأشياء، لا ينبغي للمسلمة أن تفعل ذلك، ولا يجوز النمص وهو إزالة شعر الحاجب أو ترقيقه إلى حد كبير كما تفعل كثير من النساء في عصرنا تقليداً للمرأة الغربية.

كثير من نساء العصر تقلدن الأجنبيةات في زيهن وزينتهن، والمسلمة لا يجوز أن تكون مقلدة وأسيرة لغيرها، ينبغي أن تكون المسلمة معتزة بشخصيتها، معتزة بدينها وقيمها وأعرافها، ولا تنما في غيرها، وتذوب في الآخريات كما يذوب الملح في الماء.

النمص محرم، والتفلج للحسن كما كانت تفعل نساء العرب، فقد كان العرب يحبون الفلج: الفرق بين الأسنان بعضها وبعض، فإذا كان هذا فطرياً فلا مانع، أمّا أن تتكلف المرأة ذلك وتتأتي بالمبرد وتفعل ذلك؛ فهذا لا يجوز!

ومثل هذا يُقال في عمليات التجميل الحديثة، لا يجوز للمرأة أن تقوم بعمل تجميل إلا إذا كان هناك تشويه معين في خلقتها، شيء غير

(١) مُتَّقَّعٌ عليه: رواه البخاري (٥٩٤٠)، ومسلم (٢١٢٤)، كلاهما في اللباس، عن ابن عمر.

(٢) رواه مسلم في اللباس والزينة (٢١٢٥)، عن ابن مسعود.

عادي وغير طبيعي، كأن تكون بطنها كبرت وأصبحت عائقاً لها في حياتها الزوجية وحياتها العملية؛ فلا مانع أن تعمل عمل تجميل لتزيل هذه الدهون أو نحو ذلك، أمّا المبالغات التي تصنعها الممثلات والمطربات وأمثالهن لتنجذب جمالاً باطلًا فهذا لا يجوز، وهو نوع من التزوير، ولذلك سماه النبي ﷺ زوراً<sup>(١)</sup>، لأنَّه غش وخداع.

### مراقبة الزوجة حال زوجها:

ومن واجب المرأة أن تصبر على زوجها إذا أصابه شيء من العسر، فالحياة سجال، والدهر قلب يوم لك ويوم عليك، «وَتِلَكَ الْأَيَّامُ تُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ» [آل عمران: ١٤٠]، والناس تعثورهم حالات، لا يملكون لها دفعاً: عسر ويسر، وغنى وفقر، وسراء وضراء، ونعماء وبأساء، فعلى المرأة التي رأت السراء في حياة زوجها: أن تصبر معه على الضراء، وألا تكلفه ما لا يطيق، وأن تقف معه في الشدة كما كانت معه في الرخاء!

إننا نعيّب بعض الأزواج الذي يأكل زوجته لحمًا ويرميها عظمًا، ونعيّب أيضًا بعض الزوجات التي تستمع بزوجها أيام النعمة والرخاء واليسر؛ ولكنها لا تطيق معه صبراً أيام الشدة والعسر، الزوجة الصالحة حقًا والأصيلة حقًا هي التي تصبر على معاناة زوجها، ولا تكلفه ما فوق طاقتته.

بعض الزوجات يطلبن من أزواجهن ما لا يستطيعون، وخصوصاً في عصرنا التي أصبحت فيه المباهاة بين النساء بعضهن وبعض أمرًا شائعاً،

(١) إشارة إلى حديث معاوية المتافق عليه: رواه البخاري في أحاديث الأنبياء (٣٤٨٨)، ومسلم في اللباس والزينة (٢١٢٧).

أصبحت طلبات النساء كثيرة: الأزياء، والمجوهرات، وأدوات الزينة وغير ذلك، هناك أشياء لا لزوم لها، هناك كثير من النساء عندهن خزانات مليئة بالثياب والفساتين، والقمصان ونحوها؛ وقد تمر السنوات ولا تلبس منها شيئاً، لِمَ هذا كله؟ لِمَ هذا الإسراف والتبذير من المرأة المسلمة؟ قد يجوز ذلك للمرأة الغنية وخصوصاً إذا كانت تشتري من مالها، أمّا أن تحاول المرأة الأخرى أن تقلدتها في ذلك، وأن تكون مثل فلانة زوجة فلان الثري والغني فهذا هو الخطر!

### حال النبي وأزواجه:

وقد حاول ذلك نساء النبي ﷺ في أعظم البيئات وأطهرها، في بيت النبوة حدث شيء مثل هذا، بعد أن ارتفعت كلمة الإسلام، وعلت راية الإيمان في الجزيرة العربية وأصبح النبي ﷺ سيد الجزيرة: بدأ نساؤه يشتكين من عسر النفقه، وأن حياتهن حياة شطف.

كان النبي ﷺ يشد الحجر على بطنه من الجوع<sup>(١)</sup>، وكان كما قالت عائشة رضي الله عنها: إن كان ليمر الهلال ثم الهلال: ثلاثة أهلة في شهرين، وما يُوقد في أبيات رسول الله نار. قال لها ابن أختها عروة: فعلام كنتم تعيشون يا خالة؟ قالت: يا ابن أختي، إنما هما الأسودان التمر والماء<sup>(٢)</sup>. سمي الماء أسود لأنَّه كان من مياه الآبار؛ والماء يتلون بشكل المكان الذي هو فيه، والآبار عميقه فيرى الماء أسود.

(١) عن جابر قال: لما كان يوم الخندق نظرت إلى رسول الله ﷺ، فوجده قد وضع حجراً بيته وبين إزاره، يقيم به صلبه من الجوع. رواه أبو يعلى (٢٠٠٤)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٨٢٤٧): رواه أبو يعلى ورجاله وثقوا على ضعفٍ في إسماعيل بن عبد الملك.

(٢) متَّفق عليه: رواه البخاري في الهبة (٢٥٦٧)، ومسلم في الزهد والرقائق (٢٩٧٢).

وكان فراشه عَنْ سَمْعِهِ وَسَمْعِهِ من أدمٍ حشوة ليف<sup>(١)</sup>، جلد محسو بليف النخيل، وكان ينام على الحصير أو على الأرض، ودخل عليه عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فوجد الحصير يؤثر في جنبيه فقال: يا رسول الله، كسرى وقيصر ينامان على الدبياج والإستبرق، وأنت تنام على الحصير حتى يؤثر في جنبيك؟! قال: «يا عمر، ما لي وللدنيا، إن مثلي ومثل الدنيا؛ كمثل راكب في يوم صائف قال - أي قضى وقت القيلولة - تحت شجرة ساعة من نهار، ثم راح وتركها»<sup>(٢)</sup>.

كان النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يعيش هذه الحياة، ولكن نساءه سئمن هذه الحياة فقلن: يا رسول الله، ألا توسع علينا، نساء كسرى وقيصر يعشن في كذا وكذا، ونحن نعيش هذه العيشة! طالbin أن تغيير حياتهن، زينة ومتعة ونفقة واسعة، فماذا كانت النتيجة؟ كانت النتيجة أن هجرهن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ثم نزلت آيات التخدير: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِي قُلْ لَا إِرْؤَجَكَ إِنْ كُنْتَنَ تُرِدُنَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أَمْتَعَكُنَّ وَأَسْرِحُكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا وَإِنْ كُنْتَنَ تُرِدُنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالدَّارَ الْآخِرَةَ فَإِنَّ اللَّهَ أَعْدَ لِلْمُحْسِنَاتِ مِنْكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٢٨ - ٢٩]. فكلهن اخترن الله ورسوله والدار الآخرة؛ على ما بالحياة من شظف وتقشف، ولكنهن آثرن الله، وآثرن رسوله، وآثرن الدار الآخرة، ولهذا كان لهن الفضل العظيم، أصبحن أمهات المؤمنين، وقال الله تعالى: ﴿وَمَنْ يَقْنُتْ مِنْكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ وَتَعْمَلْ صَنْلِحًا نُؤْتِهَا أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقًا كَرِيمًا﴾ [الأحزاب: ٣١].

(١) متّفق عليه: رواه البخاري في الرفاق (٦٤٥٦)، ومسلم في اللباس والزينة (٢٠٨٢)، عن عائشة.

(٢) رواه أحمد (٢٧٤٤)، وقال مخرجوه: إسناده صحيح. وابن حبان في التاريخ (٦٣٥٢)، والحاكم في الرفاق (٣٠٩/٤)، وصحّحه على شرط البخاري، ووافقه الذهبي، عن ابن عباس.

## التعاون بين الزوجين:

لا بد للزوجة أن تعاون زوجها، وأن تصبر عليه، كما أنه مأمور أن يصبر عليها، الله تعالى قال للأزواج: ﴿وَعَاشُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِنْ كِرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوْا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ [النساء: ١٩].  
هذا يقال للمرأة أيضاً: عاشري زوجك بالمعروف، فإن كرهته فعسى أن تكرهي شيئاً ويجعل الله فيه خيراً كثيراً.

وكما قيل للرجل: «لا يفرك مؤمن مؤمنة - لا يبغضها ولا يكرهها - إن كره منها خلقاً رضي منها آخر»<sup>(١)</sup>. هكذا يقال للمرأة أيضاً: إن كرهت من الرجل شيئاً ترضي منه آخر؛ ما دام من أهل الإيمان. لأن الله لا يمكن أن يخلق إنساناً كله عيوب، هناك عيوب وهناك مزايا، هناك سيئات وهناك حسنات، فعلى الإنسان أن يرعى هذا ويرعى هذا، وينظر إلى هذا وينظر إلى هذا، حتى تكون نظرته عادلة.

هذا هو الّذی ينبغي على المرأة، وكما ذكرنا من قبل قول سيدنا عمر: إذا كانت إحداكن لا تحب زوجها فلا تخبره بذلك؛ فإن أقل البيوت ما بُني على الحب، وإنما يتعاشر الناس بالشرف والإسلام، وبالخلق والدين<sup>(٢)</sup>.

ليس كل زوج وزوجته قيساً وليلي، لا، كثير من الناس يتزوج زواجاً عادياً ويعيش عيشة هادئة، فيها مودة وفيها محبة؛ غير محبة العشق، محبة العشرة هي الّتي تدوم، وأقل البيوت ما بُني على الحب، حتى إنَّ

(١) رواه مسلم في الرضاع (١٤٦٩)، وأحمد (٨٣٦٣)، عن أبي هريرة.

(٢) رواه الخرائطي في مساوى الأخلاق (١٧٨)، تحقيق مصطفى أبو النصر الشلبي، نشر مكتبة السوادي للتوزيع، جدة، ط١، ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م.



الإسلام أجاز للرجل في هذه الحالة أن يكذب لمصلحة الحياة الزوجية، الحياة الزوجية حياة مقدسة؛ فلا ينبغي أن نسارع في هدمها بأدنى سبب، وإنما نحافظ عليها، تلك بعض الصفات المهمة للزوجة الصالحة، ولعل لنا عودة إلى هذا الموضوع مرة أخرى إن شاء الله.

أسأل الله تبارك وتعالى أن يفقهنا في ديننا، وأن ينير بصائرنا، وأن يهدينا سواء السبيل.

أقول قولي هذا، وأستغفر الله تعالى لي ولكم فاستغفروه؛ إنه هو الغفور الرحيم، وادعوه يستجب لكم.

\* \* \*



## الخطبة الثانية

أَمَّا بَعْدُ، فِيَا أَيُّهَا الْإِلَحْوَةُ الْمُسْلِمُونَ:

### أحوال العراق في ظل الحصار:

منذ أكثر من خمس سنوات وإخواننا في العراق يعانون حصاراً مريراً، هذا الحصار الذي ضرب عليهم جعل الشعب يعيش حياة معاناة، لا يجد فيها مقومات الحياة العادلة، غلت الأسعار، ورخص الدينار، أصبح الدولار بأكثر من ألفين وخمسمائة دينار، وراتب الإنسان هناك ما بين ثلاثة آلاف وستة آلاف دينار، وثمن الدجاجة ثلاثة آلاف دينار، براتب الرجل كله أو بنصفه إن كان من كبار الموظفين، ولهذا حذف الناس اللحوم من حياتهم، ما عادوا يأكلون اللحوم لأنها فوق طاقتهم.

أصبح الناس يبيعون أثاث بيوتهم، يبيعون ستائر ويلصقون الورق على زجاج النوافذ، ويخلعون الأبواب الداخلية من بيوتهم ويباعونها ليجدوا لقمة العيش، بل ظهر الفساد هناك لأن الجوع لا يرحم، وصراخ المعدة أعلى صوتاً من نداء الضمير، ولذلك اضطر بعض النساء هناك أن يعن شرفهن، وخصوصاً إذا كانت المرأة أرملة وعندها أطفال كيف تطعمهم؟ ومن أين لها طعامهم؟ بل قال لي بعض الإخوة: إن بعض العائلات باعت أولادها. هذا ما يحدث!

وهناك الآلاف ومئات الآلاف يموتون سنوياً من سوء التغذية، ومن الأمراض القاتلة، التي لا تجد لها دواء، الناس يذهبون إلى المستشفيات ولا يجدون الدواء، يحتاج الناس للجراحة فلا يستطيعون أن يقوموا بالجراحة؛ لأنها تستلزم مواد التخدير وخيوطاً طبية؛ ولا يوجد شيء من

هذا! الموت في العراق في هذه السنوات أصبح خمسة أضعاف الموت في السنوات السابقة؛ وخصوصاً بين الأطفال الصغار الذين لا يجدون الحليب، ولا يجدون الطعام الذي يغذيهما.

تنشر الأمراض؛ فتهلك الناس آلاً آلاً، الآن في شمال العراق في المنطقة الكردية انتشار وباء الكوليرا، وهناك حوالي سبعة آلاف وأربعين ألف شخص في المستشفيات، ولا يجدون ما يعالجهم، ولا يجدون المصل الواقي لبقية الناس من الملاريا الأخرى. والأطباء يقولون: إن وباء الكوليرا لا يظهر عادة إلا في الصيف، فإذا ظهر في الشتاء دل على أنَّ الأمر مستحكم، وإذا بقي إلى الصيف فإنَّه يهلك الناس إهلاً عاماً. الناس يحتاجون إلى المصل فلا يجدونه!

هؤلاء إخوتنا: آباءنا وأمهاتنا، وإنواعنا وأخواتنا، وأبناؤنا وبناتنا، ليس العراق صدام حسين، لا، سيذهب صدام اليوم أو غداً، ولكن يبقى العراق، العراق جزء منا، أنفك منك وإن كان أجدع، مهما حدث من العراق في حرب الخليج، أتظل حرب الخليج تحكمنا أبداً الدهر، ألا نتحرر من هذه العقدة؟ «ال المسلم أخو المسلم»<sup>(١)</sup>، «والله في عون العبد؛ ما دام العبد في عون أخيه»<sup>(٢)</sup>، و«مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكتى منه عضو تداعى له سائر الأعضاء بالحمى والسهر»<sup>(٣)</sup>، كيف نسكت على ما يصيب إخواننا هؤلاء؟ وإلى متى يظل هذا الحصار؟!

(١) متفق عليه: رواه البخاري في المظالم (٢٤٤٢)، ومسلم في البر والصلة (٢٥٨٠)، عن ابن عمر.

(٢) رواه مسلم في الذكر (٢٦٩٩)، وأحمد (٧٤٢٧)، عن أبي هريرة.

(٣) متفق عليه: رواه البخاري في الأدب (٦٠١١)، ومسلم في البر والصلة (٢٥٨٦)، عن النعمان بن بشير.



الأمم المتحدة تعاقب الشعب العراقي، وما أظن أنه تعاقبه من أجل الكويت، لا، الأمر ليس أمر الكويت، إنها تعاقبه لأمر آخر؛ لأنَّه ضرب إسرائيل بالصواريخ، ولأنَّ قوة العراق كانت قوة للأمة العربية، وهم الذين أغروا حاكم العراق بهذا الغزو، هم الذين حرَّضوه، وفتحوا له الطريق ليقع في الفخ؛ لتُضرب الأمة وتتسرَّع أموالها، بسبب هذا الجنون.

يا أئُمَّها الإِخْوَةُ، لَا يَجُوزُ أَنْ نَفْرَطَ فِي إِخْوَتِنَا فِي الْعَرَاقِ، الْعَرَاقُ جَزْءٌ مِّنْ وَطْنِنَا الْعَرَبِيِّ وَالْإِسْلَامِيِّ؛ يَجْبُ أَنْ يَبْقَى سَالِمًا، وَأَنْ يَبْقَى مُوحَّدًا، لَا نَقْبِلُ أَنْ يَنْفَصِلَ بَعْضُ الْعَرَاقِ عَنْ بَعْضٍ، كَفَانَا تَقْسِيمًا وَتَمْزِيقًا فِي عَالَمِنَا الْعَرَبِيِّ، كَيْفَ نَقْبِلُ أَيِّ زِيادةً فِي التَّقْسِيمِ وَالتَّمْزِيقِ؟!

لَهُذَا نَرْفَضُ أَنْ يَنْفَصِلَ شَمَالُ الْعَرَاقِ أَوْ يَنْفَصِلَ جَنُوبُ السُّودَانِ، أَوْ يَنْفَصِلَ أَيْ جَزْءٌ مِّنْ وَطْنِنَا الْعَرَبِيِّ عَنِ الْوَطْنِ الْأَمِّ، يَجْبُ أَنْ يَبْقَى الْعَرَاقُ، وَيَجْبُ أَنْ يُرْفَعَ الْحَصَارُ عَنِ الْعَرَاقِ، يَجْبُ أَنْ يَنْادِي السِّيَاسِيُّونَ: كَفِي هَذَا الشَّعْبَ عَقْوَبَةً، أَنْعَاقَبَ شَعْبًا مِّنْ أَجْلِ حَاكِمٍ؟ وَاللَّهُ إِنَّ الْحَكَامَ لَا يَنْالُهُمْ أَذى مِنْ وَرَاءِ هَذَا الْحَصَارِ، الْحَكَامُ حَاجَتُهُمْ مَقْضِيَّةً، وَمَطَالِبُهُمْ مُّجَابَةً، وَكُلُّ مَا يَعْنِي مَيْسِرٌ، إِنَّمَا تَقْعُدُ النَّكَبَةُ عَلَى الشَّعْبِ الْمُسْكِنِ، فَكَيْفَ نَصْبِرُ عَلَى هَذَا؟!

يا أئُمَّها الإِخْوَةُ، يَنْبَغِي أَنْ نَمْدُ أَيْدِينَا إِلَى إِخْوَتِنَا فِي الْعَرَاقِ، وَخَصْوَصًا إِخْوَتِنَا الْآنَ فِي شَمَالِ الْعَرَاقِ فِي الْمَنْطَقَةِ الْكُرْدِيَّةِ، حِيثُ يَبْتَلِي النَّاسُ بِهَذَا الْوَبَاءِ الْجَاهِحِ المَدْمَرِ: وَبَاءُ الْكُولِيرِ، فَعَلَيْنَا أَنْ نَبْذِلَ مَا نَسْتَطِعُ لِإِنْقَاذِ إِخْرَانَا وَإِسْعَافِهِمْ. وَاللَّهُ يَحْبُّ إِغَاثَةَ الْلَّهْفَانِ، وَمَنْ لَا يَهْتَمُ لِأَمْرِ الْمُسْلِمِينَ فَلِيَسْ مِنْهُمْ، الْعَرَاقُ مِنْنَا وَشَعْبُهُ مِنْنَا، وَكَمَا قَالَ الشَّاعِرُ الْعَرَبِيُّ قَدِيمًا:

قومي هُمُو قتلوا أمِّيْمَ أخِيْيِيْ  
فإِذَا رَمِيْتُ يُصِيبِنِي سَهْمِيْيِي  
فَلَئِنْ عَفَوْتُ لَأُعْفُوْنَ جَلَّا  
ولَئِنْ رَمِيْتُ لَأُوهِنَّ عَظِيمِي<sup>(١)</sup>

فكيف نوهن عظمنا بآيدينا؟! كيف نصبر على قتل إخواننا وأبنائهم وأطفالهم أمام أعيننا ونحن ساكتون، أو غاضبو الطرف عن هذا الأمر؟! لا يجوز هذا، علينا أن نبذل لإخواننا في العراق، وأن ندعوا الله تعالى أن يرفع عنهم الحصار، وأن يكشف عنهم الغمة، وأن يفرج عنهم الكربة.

اللَّهُمَّ ارْفِعْ الْحَصَارَ عَنْ إِخْوَانِنَا فِي الْعَرَاقِ، اللَّهُمَّ اكْشِفْ غُمَّتَهُمْ،  
اللَّهُمَّ فَرِّجْ كُرْبَتَهُمْ، اللَّهُمَّ أَنْقِذْهُمْ مِمَّا هُمْ فِيهِ. اللَّهُمَّ انْصُرِ الْإِسْلَامَ  
وَالْمُسْلِمِينَ، اللَّهُمَّ أَعْزِ الْإِسْلَامَ وَالْمُسْلِمِينَ، اللَّهُمَّ انْصُرْهُمْ عَلَى أَعْدَائِهِمْ  
الظَّالِمِينَ، اللَّهُمَّ لَا تَهْلِكْنَا بِمَا فَعَلَ السَّفَهَاءُ مِنَا، وَلَا تُسْلِطْ عَلَيْنَا بِذَنْبِنَا  
مَنْ لَا يَخَافُكَ وَلَا يَرْحَمْنَا.

اللَّهُمَّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلْدَ آمِنًا مَطْمَئِنًّا، سَخَاءً رَخَاءً وَسَائِرَ بِلَادِ الْمُسْلِمِينَ،  
اللَّهُمَّ اسْقِنَا الْغَيْثَ وَلَا تَجْعَلْنَا مِنَ الْقَاطِنِينَ، رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذَنْبَنَا، وَإِسْرَافَنَا  
فِي أَمْرَنَا، وَثِبْتْ أَقْدَامَنَا، وَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ، رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا  
وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ، وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غَلَّا لِلَّذِينَ آمَنُوا؛  
رَبَّنَا إِنَّكَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ.

\* \* \*

(١) من شعر مسكين الدارمي، انظر: الأمثال لأبي عبيد ص ١٨١، تحقيق د. عبد المجيد قطامش، نشر دار المأمون للتراث، ط ١، ١٤٠٠ هـ - ١٩٨٠ م.

## صفات الزوجة الصالحة

### الخطبة الأولى

أمّا بعد، فيا أيها الإخوة المسلمين:

ما زلنا نتحدث عن مشكلات المجتمع، ومن أهم هذه المشكلات: الزواج، وكيف عسر المسلمون ما يسره الله تبارك وتعالى، وصعبوا في الأمر السهل، وعقدوا ما بسطه الشرع.

### الترغيب في الزواج:

الشرع أمر بالزواج ورَغَبَ فيه، وحثَ عليه، وجعله نعمة من النعم، وجعل المرأة الصالحة من خير مداع الدنيا، بل جعلها من أهم أسباب السعادة ومقوّماتها.

والزواج - كما ذكرنا في الخطبة الماضية - وراءه مقاصد، ووراءه آثار: في النفس، وفي الأسرة، وفي المجتمع، لهذا ذهب من ذهب من علماء المسلمين إلى أنَّ الزواج فرض لكل قادر عليه، هكذا قال الإمام ابن حزم، واستدلَ على ذلك بالحديث النبوي الذي رواه

ابن مسعود عن النبي ﷺ قال: «يا معاشر الشباب، من استطاع منكم الباءة فليتزوج، ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء»<sup>(١)</sup>. فقال: هذا الأمر للوجوب<sup>(٢)</sup>.

فكل من يقدر على الزواج يجب أن يتزوج، ولكن جمهور العلماء قالوا: الزواج قد يكون واجباً، وقد يكون سنةً ومستحبّاً، وقد يكون حراماً.

### متى يكون الزواج واجباً؟

الزواج واجب وفرضية على القادر عليه، التائق إليه، الذي يخاف على نفسه أن يقع في الكبيرة والفاحشة، ويقع في العنت والمشقة الشديدة بحسب نفسه، فهذا يجب عليه أن يتزوج، ما دام قادرًا على الزواج، ومتىًّاً إليه، فعليه أن يتزوج، ويمنع نفسه من الحرام، و«ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب»، فهذا يجب عليه أن يمتنع عن الحرام، والزواج هو الوسيلة إلى ذلك، فعليه أن يتزوج.

### متى يكون الزواج مستحبّاً؟

وهناك في أحيان كثيرة يكون الزواج سنةً، إذا كان لا يخاف على نفسه الوقع في الحرام، ولكنه يقدر أن يتزوج، فلماذا يتأخر؟ لماذا يخالف السنة بعد الأخرى وهو قادر على الزواج؟

فهذا يُسْنُّ له أن يتزوج؛ لما وراء الزواج من مقاصد عظيمة.

فمن المقاصد العظيمة للزواج: تحسين النفس، وغض البصر،

(١) سبق تخرجه صـ .٥٨.

(٢) المُحلّى لابن حزم (٣/٩)، مسألة (١٨١٩).

وإحصان الفرج، وتكثير العشيرة، وإيجاد المودة بين الناس، وإنجاح النسل الصالح، والذرية الطيبة، وهذا من مقاصد الزواج، ولذلك يكون الزواج في حقه سنة.

### متى يكون الزواج حراماً؟

وقد يكون الزواج حراماً لدى بعض الناس، إذا كان الشخص عاجزاً عن القيام بأعباء الزواج وواجباته، سواء أكان هذا العجز عجزاً مالياً؛ لا يستطيع أن يؤدي النفقة.. لا يستطيع أن يقوم بحق المرأة.. لا يستطيع أن يقوم بواجبات البيت، وهو راع ومسئول عن رعيته، والنبي ﷺ يقول: «كفى إثماً أن تحبس عمن تملك قوته»<sup>(١)</sup>، وفي رواية: «كفى بالمرء إثماً أن يضيع من يقوت»<sup>(٢)</sup>.

ويقول ﷺ: «إنَّ اللَّهَ سَائِلٌ كُلَّ رَاعٍ عَمَّا اسْتَرْعَاهُ»<sup>(٣)</sup>.

إذا كان لا يستطيع أن يقوم بحق رعيته من النفقة، فهذا يحرم عليه أن يتزوج، وكذلك إذا كان عاجزاً عجزاً جنسياً، فليس الزواج نفقة ومالاً فقط، إذا كان لا يستطيع أن يقوم بحق المرأة، وأن يُحصنها ويُعفّها، فلا يجوز له أن يتزوج، إلا إذا بين ذلك للمرأة، وعرفت ما فيه من عيب، ورضي به على علته، هنا تتزوجه عن بيته، وتقبله على ما فيه، فلا حرج في ذلك.

وعلى المرأة كذلك أن تبين للرجل هذا الأمر، إن كان بها عيب من العيوب، أعرف رجلاً تزوج بامرأة، فلما دخل بها وجد بها عيباً خلقياً،

(١) رواه مسلم في الزكاة (٩٩٦)، عن عبد الله بن عمرو.

(٢) رواه أحمد (٦٤٩٥)، وقال مخرجوه: صحيح لغيره. وأبو داود في الزكاة (١٦٩٢).

(٣) سبق تخرجه ص ١٠٢.

وهي تعرف ذلك من نفسها لأنّها طيبة، ولكنّها خبأته ذلك عنه، وغشّته وخدعّته، والغشّ ليس من الإسلام، قال النبي ﷺ: «من غشّنا فليس منا»<sup>(١)</sup>.

فكان لا بدّ من الطلاق والفرق، ولا بدّ من فسخ هذا النكاح، فلا بدّ أن يكون الزواج عن بيّنة، وعن مناصحة، بحيث يُبيّن كلّ منهما لصاحبه ما به من عيوب وآفات.

هذا هو شأن الزواج.

### **حسن اختيار الزوجة:**

إذا أراد المسلم أن يتّجه للزواج، فعليه أن يُحسن الاختيار، أن يختار لنفسه شريكة الحياة، وربّة البيت، وأمّ الأولاد، شريكة عمره، إنّها لن تعاشره يوماً ولا يومين، ولا شهراً ولا شهرين، ولا سنة ولا سنتين، إنّه العمر كُله، فلا بدّ أن يفتح عينيه واسعتين قبل الزواج، لا بدّ أن يُحسن اختيار شريكة حياته.

وهنا نجد الشرع وضع أمامنا جملة صفات:

أول هذه الصفات: **الخلو من العيوب المانعة..** ألا يكون بها عيب من هذه العيوب.

### **وثاني هذه الصفات: الدين:**

أن تكون ذات دين، أن تخشى الله تعالى وتراقبه، قبل أن تخشى زوجها، أو تراقب الناس، تراقب الله عَزَّلَهُ.

(١) رواه مسلم في الإيمان (١٠١)، وأحمد (٧٢٩٢)، عن أبي هريرة.



فهذه هي المرأة التي تؤمن على الزوج إذا غاب، وعلى الأولاد إذا رزقت بأولاد، وعلى مال زوجها إذا كان ذا مال.

هذه المرأة هي التي تسرّه إذا نظر، وتطيعه إذا أمر، وتحفظه إذا غاب، كما قال الله تبارك وتعالى: ﴿فَالصَّلِحَاتُ قَنِيتُ حَفِظَتُ لِلْغَيِّبِ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ﴾ [النساء: ٣٤].

ويقول النبي ﷺ: «تنكح المرأة لأربع: لمالها، ولحسبها، ولجمالها، ولديتها، فاظفر بذات الدين، تربت يداك»<sup>(١)</sup>.

اظفر بذات الدين، اجعل محورك الأول هو الدين، فإياك أن يغرك المال، أو يخدعك الجمال، أو تغريك المظاهر، وتنسى دين المرأة.

إذا كانت المرأة غير دينية فلا أمان لها، لا يمكن أن تأمنها، لا حاضرًا ولا غائبًا، فابحث عن ذات الدين، «اظفر بذات الدين تربت يداك»، ابحث عن المرأة الصالحة، كما قال النبي ﷺ: «الدنيا متاع، وخير متاع الدنيا المرأة الصالحة»<sup>(٢)</sup>، فهي التي تؤمن على الرجل، وعلى العرض، وعلى المال، وعلى الولد.

### وثالث صفات هذه المرأة: أن تكون ذات خلق:

أي: أن تكون حسنة الطباع، مهذبة الأخلاق، ودودًا تتودّد إلى زوجها، وتحبّب إليه، لا تستكبر عليه، ولا تترفع عليه، ولا تزعم أنها أرقى منه منزلة، أو أزكي منه نسباً، أو أعلى منه جاهًا...

(١) متفق عليه: رواه البخاري في النكاح (٥٠٩٠)، ومسلم في الرضاع (١٤٦٦)، عن أبي هريرة.

(٢) رواه مسلم في الرضاع (١٤٦٧)، وأحمد (٦٥٦٧)، عن عبد الله بن عمرو.

لَا، لَا بَدَّ أَنْ تَكُونَ امْرَأَةً كَرِيمَةً، وَلَذِكَ فِي حَدِيثٍ آخَرَ أَنَّهُ ﷺ قَالَ: «فَخُذْ ذَاتَ الدِّينِ وَالْخُلُقَ تَرْبَتِ يَمِينَكَ»<sup>(١)</sup>.

الدِّينُ وَالْخُلُقُ.. أَنْ تَتَحَلَّ بِمَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ، وَقَالَ ﷺ: «تَزَوَّجُوا الْوُدُودَ الْوَلُودَ»<sup>(٢)</sup>. فَهَذَا الْوُدُّ يَدْلُّ عَلَى كَرَمِ أَخْلَاقِهَا، وَحُسْنِ طَبَاعِهَا، وَلَطِيفِ مُعَاشرَتِهَا.

#### ثُمَّ هُنَاكَ صَفَةٌ رَابِعَةٌ: أَنْ تَكُونَ مِنْ مَنْبَتِ طَيِّبٍ:

مِنْ أَسْرَةٍ طَيِّبَةٍ، مِنْ بَيْتٍ كَرِيمٍ، وَقَدْ جَاءَ فِي الْحَدِيثِ: «تَخْيِرُوا لِنُطْفِكُمْ، وَانكحُوا الْأَكْفَاءَ، وَأَنكحُوا إِلَيْهِمْ»<sup>(٣)</sup>، كَمَا يَقُولُ النَّاسُ: «الْعَرَقُ يَمْدُدُ لِسَابِعِ جَدٍّ»؛ فَالْوَلَدُ يَرِثُ مِنْ أَجْدَادِهِ وَجَدَاتِهِ، مِنْ نَاحِيَةِ الْأَبِّ، وَمِنْ نَاحِيَةِ الْأُمِّ: الذِكْرُ وَالْغَبَاءُ يَوْرَثُ، وَالصَّفَاتُ النَّفْسِيَّةُ وَالْعُقْلَيَّةُ تَوْرَثُ، فَاحْرَصْ أَنْ يَرِثُ أَوْلَادُكَ الْخَيْرَ، وَلَا يَرِثُوا الشَّرَّ، أَنْ يَرِثُوا الْفَضْلَيَّةَ، وَلَا يَرِثُوا الرَّذِيلَةَ، أَنْ يَرِثُوا الذِكْرَ، وَلَا يَرِثُوا الْغَبَاءَ.

#### تَخْيِرُوا لِنُطْفِكُمْ:

وَقَدْ حَذَّرَ السَّلْفُ رَضْوَانَ اللَّهِ تَعَالَى عَلَيْهِمْ مِنْ خَضْرَاءِ الدَّمَنِ، وَخَضْرَاءِ الدَّمَنِ: الْحَشِيشُ الْأَخْضَرُ الَّذِي يَنْبُتُ فِي الْمَزَابِلِ وَالْأَماْكِنِ الْقَدِرَةُ، مَنْظُرُهُ حَسَنٌ، وَلَكِنَّ رَائِحَتَهُ كَرِيهَةٌ، وَلَذِكَ قَالُوا: إِيَّاكمُ وَخَضْرَاءَ الدَّمَنِ: الْمَرْأَةُ الْحَسَنَاءُ فِي الْمَنْبَتِ السَّوِيِّ. فَاحْذَرُ مِنْ ذَلِكَ، وَحاوِلْ أَنْ تَخْتَارَ الْبَيْتَ الْكَرِيمَ، وَالْأَصْلَ الطَّيِّبَ، وَالْأَسْرَةَ الطَّيِّبَةَ.

(١) سبق تخریجه ص ١٤٦.

(٢) رواه أحمد (١٢٦١٣)، وقال محرّجوه: صحيح لغيره. وسعيد بن منصور في الوصايا (٤٩٠)، وصحّحه ابن حجر في فتح الباري (١١١/٩)، عن أنس.

(٣) رواه ابن ماجه (١٩٦٨)، والدارقطني (٣٧٨٨)، كلامهما في النكاح، وحسنه الألباني في صحيح ابن ماجه (١٦٠٢)، عن عائشة.

ولیس الأصل الطیب بالغنى والمال.

لا.. قد يكون الأصل ذا مال كثیر، وذا غنى، ولكن الأخلاق والطبع  
ردیئة وسيئة.

الأصل الطیب هو الّذی یربّی أولاده وبناته على الفضائل، ویجنبهم  
الرذائل، ویعوّدهم منذ نعومة الأظفار مکارم الأخلاق.

وینشأ ناشئ الفتیان منا على ما كان عوّده أبوه  
وما دان الفتی بحجاً ولكن يعوّده التدین أقربوه<sup>(۱)</sup>  
لا بد للمسلم أن یحسن الاختیار، من البيت الطیب، والمنبت الطیب.

وهناك - أيضًا - صفة خامسة: وهي أن تكون بکرًا:

ابحث عن البکر، وخصوصاً إذا كنت تتزوج أول مرّة، ولهذا قال النبی ﷺ  
لجابر بن عبد الله الأنصاری رضي الله عنه، حينما أخبره أنه تزوج: «بکرًا أم ثیبًا؟».  
قلت: بل ثیبًا.

قال: «فھلا جاریة تلاعبها وتلاعبك، وتضاحکها وتضاحکك!».

قال: فقلت له: إنّ عبد الله هلك، وترك بنات، وإنّی کرهت أن أجیئهنّ  
بمثلهنّ، فتزوجت امرأة تقوم عليهنّ وتصلحهنّ<sup>(۲)</sup>.

وفي بعض الروایات أن النبی ﷺ قال: «فھلا بکرًا تعصّها  
وتغضّك»<sup>(۳)</sup>.

(۱) من شعر أبي العلاء المعري، كما في اللزوميات (٤١٣/٢)، تحقيق أمين الخانجي، نشر مكتبة الخانجي.

(۲) متفق عليه: رواه البخاري في النفقات (٥٣٦٧)، ومسلم في الرضاع (٧١٥).

(۳) رواه الطبراني (١٤٩/١٩)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٧٣٤٧): رواه الطبراني عن  
الربيع بن كعب بن عجرة عن أبيه، ولم أجده من ترجم الربیع، وبقية رجاله ثقات، وفي =

لقد مات عبد الله، والد جابر، وترك لجابر أخواتٍ صغيراتٍ، ترك له تسع أخواتٍ، فأراد جابر أن يتزوج امرأة تكون لهنَّ بمثابة الأمّ، لا يريد أن يتزوج طفلة صغيرة مثلهنَّ، إنما أراد أن يتزوج ثياباً مجرّبة، تستطيع أن تُشرف عليهنَّ، فهو ضحى بنفسه، ولم يتزوج بكرًا من أجل أخواته.

وهذا شأن الرجال الفضلاء، بعض الإخوة يؤخر زواجه من أجل أخواته البنات الصغيرات، إلى الثلاثين، وما بعد الثلاثين، فهو مشكورٌ ومأجورٌ ومغدوّرٌ، أمّا إذا لم يكن عند الإنسان هدفٌ معينٌ، فليبحث عن البِكْر.

كذلك هناك صفة سادسة، ينبغي أن يبحث عنها: وهي أن تكون ولودًا: كما قال النبي ﷺ: «تزوّجوا الودود الولود؛ فإنّي مُكاثِرٌ بكم الأمّ يوم القيمة»<sup>(١)</sup>.

سيكاثر ويفاخر النبي ﷺ بنا الأمّ يوم القيمة، أمّة محمد ﷺ، أمّة التوحيد كثُرتْ وفاقتْ الأمّ عدّاً، فهي فائقة في المعنى، وفائقة في الكيف، وفائقة في الکم - أيضًا، تزوّجوا الودود الولود، أي: التي ليست عقيماً.

### **الفحص الطبي قبل الزواج:**

وهذا يُعرف بالنظر إلى قريباتها، فأخواتها ينجبنَ، أو عمّاتها، أو خالاتها.. وهكذا، وفي عصرنا يمكن أن يُعرف هذا بالفحص الطبي قبل الزواج، وهذا أمر معلوم الآن، والشرع لا يمانع من ذلك، بل قد يوجب ذلك إيجاباً إذا كان وراءه مصلحة.

= بعضهم ضعف، وقد وثقهم ابن حبان. وضعفه الألباني في الضعيفة (١٦٢٩)، عن كعب بن عجرة.

(١) سبق تخرّجه صـ ٢٠٢.



قد تكون هناك عيوب مرضية وراثية، تَحُول بين الزوج وبين الاستمتاع بهذه الزوجة، فعليه أن يعرف أنَّ زوجته مصابة بمرض كذا، وعلى الزوجة أن تعرف أنَّ هذا الرجل الخاطب مصاب بمرض كذا، إذا قبل كلُّ منها أن يقترب بصاحبه على ما به، فهو وما اختار لنفسه.

قد يكون هناك رجل مناسب لامرأة، وليس مناسباً لأنَّه يناسب المرأة عيب معين بالنسبة لهذا الرجل، لهذه الفصيلة من الدم، ولكن لفصيلة أخرى تكون مناسبة، فتكون مناسبة لفلان وليس مناسبة لفلان، فلا مانع إذن أن نأخذ بالفحص الطبي قبل الزواج؛ لنعرف الأمراض الوراثية، والآفات التي تُعوق الشعور بالسعادة من الزواج، لا حرج في ذلك، بل هذا واجب - في الحقيقة - إذا تدبَّرنا الأمر وتبيَّناه في ضوء مقاصد الشرع الحميد.

#### **وهناك صفة سابعة: وهي الجمال:**

أن تكون المرأة على قدر من الجمال، بحيث يقتنع بها الرجل، بحيث تسُرُّه إذا نظر إليها. ليس من الضروري أن تكون ملكة من ملكات الجمال، فهذا الجمال الباهر الفتان لا يتوفَّر دائماً، وقد يكون نعمة على صاحبه؛ يسيء بها الظن، ويشك فيها لأدنى شيء، إنَّما الجمال الوسط المعقول، الذي يقتنع به الشخص.

#### **الناس متفاوتون في نظرتهم للجمال:**

والجمال أمر ذاتي، وأمر نسبي؛ قد تكون المرأة جميلة عندك، وليس جميلة عند صاحبك.

**الناس يتفاوتون في هذه النظرة، والشعوب تتفاوت؛ قد يرى بعض**

النّاس أَنَّ الْمَرْأَةَ السُّمْرَاءَ لَيْسَتْ جَمِيلَةً، وَلَكِنَّ آخْرَوْنَ لَا يَرَوْنَ السُّمْرَةَ عَيْنًا، وَبَعْضُ النّاسِ يَعْجَبُ بِالْمَرْأَةِ الشُّقَرَاءِ، أَوْ خَضْرَاءِ الْعَيْنَيْنِ، أَوْ زَرْقَاءِ الْعَيْنَيْنِ، وَآخْرَوْنَ لَا يَرَوْنَ ذَلِكَ.

وَهَذِهِ النَّظِرَةُ الْمُتَفَاقِوَةُ لِلْجَمَالِ مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ بِالنّاسِ، حِيثُ جَعَلَ أَمْرَ  
الْجَمَالِ أَمْرًا غَيْرَ حَدِيدٍ؛ أَمْرًا مُتَفَاقِوتًا، يَتَفَاقَّوْنَ فِيهِ الْبَشَرُ جَمِيعًا، وَلَوْلَا  
اِخْتِلَافُ الْأَنْظَارِ لِبَارِتِ السَّلْعِ، كَمَا يَقُولُونَ، فَهَذَا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ بِخَلْقِهِ.

الْمُهِمُّ أَنْ يَكُونَ الرَّجُلُ الْخَاطِبُ مُقْتَنِعًا بِهَذَا الْقَدْرِ مِنْ جَمَالِ الْمَرْأَةِ  
الَّتِي يَرِيدُ أَنْ يَتَزَوَّجَهَا، كَمَا جَاءَ فِي الْحَدِيثِ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ سُئِلَ: أَيُّ  
الْمَالِ نَتَّخِذُ؟

قَالَ: «لَيَتَّخِذُ أَحَدُكُمْ قَلْبًا شَاكِرًا، وَلِسَانًا ذَاكِرًا، وَزَوْجَةَ تَعِينَهُ عَلَى  
أَمْرِ الْآخِرَةِ»<sup>(١)</sup>.

فَهَذِهِ هِيَ الْمَرْأَةُ الصَّالِحةُ، الَّتِي تَسْرُّ زَوْجَهَا إِذَا نَظَرَ، وَتُطِيعُهُ إِذَا أَمْرَ،  
وَتَحْفَظُهُ إِذَا غَابَ عَنْهَا، سُئِلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: أَيُّ النِّسَاءِ خَيْرٌ؟

قَالَ: «الَّتِي تُسِرُّهُ إِذَا نَظَرَ، وَتُطِيعُهُ إِذَا أَمْرَ، وَلَا تَخَالِفُهُ فِيمَا يَكْرَهُ فِي  
نَفْسِهَا وَمَالِهِ»<sup>(٢)</sup>.

فَهَذَا هُوَ الْمَطْلُوبُ فِي الْمَرْأَةِ الَّتِي يَخْتَارُهَا الإِنْسَانُ الْمُسْلِمُ لِنَفْسِهِ.

(١) روأه أَحْمَدُ (٢٤٣٧)، وَقَالَ مَخْرِجُوهُ: حَسَنٌ لِغَيْرِهِ. وَالْتَّرْمِذِيُّ فِي التَّفْسِيرِ (٣٠٩٤)، وَقَالَ:  
حَدِيثُ حَسَنٍ. وَابْنُ ماجِهِ فِي النِّكَاحِ (١٨٥٦)، وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي صَحِيحِ ابْنِ ماجِهِ  
(١٥٠٥)، عَنْ ثَوْبَانَ.

(٢) روأه أَحْمَدُ (٧٤٢١)، وَقَالَ مَخْرِجُوهُ: إِسْنَادُهُ قَوِيٌّ. وَالنَّسَائِيُّ (٣٢٣١)، وَالحاكِمُ (١٦١/٢)،  
وَصَحَّحَهُ عَلَى شَرْطِ مُسْلِمٍ، وَوَافَقَهُ الذَّهَبِيُّ، كَلاهُمَا فِي النِّكَاحِ، وَحَسَنَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي  
الصَّحِيقَةِ (١٨٣٨)، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ.



## اختیار الإِنْسَان الصَّالِح:

وإذا كان على المسلم أن يُحسن الاختيار لمن يتزوجها، لمن تكون شريكة حياته، فعلى المسلمة - أيضاً - أن تختار، وعلى وليتها أن يُحسن الاختيار لها، لا بد أن يختار لابنته ولِمُوَلَّيْتِه الزوج الصالح، الَّذِي يصون عرضها، ويحفظ شرفها، ولا يُسْيءُ إِلَيْها، ولا يُؤْذِيَها في معاملة، إن عاشرها عاشرها بمعروف، وإن فارقها فارقها بمعروف.

هذا هو الإِنْسَان الصَّالِح، الَّذِي جاء فيه الحديث: «إِذَا أَتاكم من ترثون خُلُقه ودِينَه فزُوْجُوه، إِلَّا تفْعِلُوا تُكْنُ فتنة في الْأَرْض وفَسَادَ عَرِيضٍ»<sup>(١)</sup>.

## أن يكون ذا دِينٍ و خُلُقٍ:

الدين والخلق.. ليكن هذا المحور الأساسي، كما قلنا: الدين والخلق المحور الأساسي في اختيار المرأة؛ فالدين والخلق - أيضاً - هما المحور الأساسي في اختيار الرجل، في اختيار شريك ابنته، شريك العمر، إياك أن يغررك المال، وخدعك المظاهر والأسماء والألقاب، وتزوج ابنتك ممن لا دين له، ممن يشرب الخمور، ويمارس الفجور، ولا يعرف لله حقاً؛ فالذي يخون الله ولا يؤدي حقه، جدير أن يخون زوجته ولا يؤدي حقها.

للأسف كثير من الناس لا يبالي، يعلم أحدهم أن خاطب ابنته من شراب الخمور، ورواد الفجور، ولا يبالي، ولكن يقول: كل الناس هكذا.

لا، ليس كل الناس هكذا.

(١) سبق تخریجه ص ٩٦.

## مِعْيَارُ الْأَخْتِيَارِ عِنْدَ السَّالِفِ:

كان السَّلْفُ - رضوان الله تعالى عليهم - إذا تقدَّم لأحدِهم من يخطب ابنته يسأل عنه، وأوَّل ما يسأل، يسأل عن دينه، وأوَّل ما يسأل عن دينه، يسأل عن صلاتِه: أيُؤَذِّي الصَّلواتُ فِي أوقاتِها؟ أيُؤَذِّيَنَّ فِي الْمَسْجِدِ؟ أيُشَهِّدُ النَّاسُ لِهِ بِالإِيمَانِ؟ هل عرفَ عَنْهُ أَحَدٌ مُنْكِرًا؟ هل رَأَاهُ عَلَى مُنْكَرٍ فِي لَيلٍ أَوْ نَهَارٍ؟

إذا شهدَ النَّاسُ لَهُ بِالْخَيْرِ، فَأَلْسِنَةُ الْخَلْقِ أَقْلَامُ الْحَقِّ، وَالنَّاسُ شَهَادَةُ اللَّهِ فِي الْأَرْضِ، هُنَالِكَ يُقْبَلُ عَلَيْهِ.

ينبغي أن تختار لابنتك الإنسان الصالح؛ سُئلَ الحسن البصري رَحْمَةُ اللَّهِ عَلَيْهِ،

قال له رجل: إنَّ عَنِّي ابنةٌ لِي وَقَدْ حُطِبَتْ إِلَيَّ فَمَنْ أَزْوَجَهَا؟

فَقَالَ: إِذَا زَوَّجْتَ ابنتَكَ، فَزَوَّجْهَا ذَا دِينٍ، إِنْ أَحْبَهَا أَكْرَمُهَا، وَإِنْ كَرِهَهَا لَمْ يَظْلِمْهَا<sup>(١)</sup>.

لِمَاذَا لَمْ يَظْلِمْهَا؟

لأنَّه يخافُ الله فيها، حتَّى عند الكراهة يتقى الله فيها، الله تعالى يقول: ﴿وَعَاشُرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِنْ كَرِهُتُمُوهُنَّ فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوْا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ [السَّاء: ١٩].

هذا هو الَّذِي ينبغي. ابحث عن الرجل الطيب، عن الإنسان الصالح.

كثيرًا ما تأتيني رسائل، وكثيرًا ما تلاحقني هواتف، تقول: تقدَّم شاب صالح إلى أسرة ولكتَهم رفضوه، رفضوه لأنَّ منزلة أسرته أقل من منزلتهم، أو رفضوه لأنَّ لونه أسمَر، ورفضوه لأنَّه كذلك وكذا.

(١) رواه ابن أبي الدنيا في العيال (١٢٥)، تحقيق د. نجم عبد الرحمن خلف، نشر دار القلم، الرياض، ط١، ١٩٩٠م.



## قصّة زواج سالم مولى أبي حذيفة:

الصَّلاح هو أهُمْ شيء، خذ الرجل الصَّالح لابنتك، اخطب لابنتك الرجل الصالح، كما كان السَّلف يفعلون، أبو حذيفة بن عتبة بن ربيعة من قمم قريش، من بني عبد شمس، من بني عبد مناف، زَوْج ابنة أخيه هند بنت الوليد بن عتبة من سالم مولاه<sup>(١)</sup>.

سالم هذا كان مولى لامرأة من الأنصار، كان عبداً وأعتقه هذه المرأة، ثم تبناه أبو حذيفة، وأصبح كأنه واحد من أولاده، إلى أن حرم الله التبّني، فزوج سالماً من ابنة أخيه، وهو مولى، ولكن من هو سالم؟ هو الّذى تُضرب به الأمثال، سالم قارئ القرآن، سالم أحد العلماء، سالم الّذى وقف يوم اليمامة وقال: بئس حامل القرآن أنا إنْ أوتتكم من قبلى<sup>(٢)</sup>. سالم هو الّذى قال فيه عمر بن الخطاب: لو كان سالم مولى أبي حذيفة حيّا لاستخلفته<sup>(٣)</sup>.

انظروا كيف زوج أبو حذيفة سالماً مولاه من ابنة أخيه هند بنت الوليد بن عتبة.

هذا كان الصحابة - رضوان الله تعالى عليهم، ما كانوا يجدون غضاضة في مثل هذا الأمر.

وذهب بلال بن رباح ومعه أخ له من الصحابة، اسمه: أبو روحة، آخر بينهما رسول الله ﷺ، فنزل داراً في خولان، فأقبل هو وأخوه إلى قوم من خولان، فقال: قد أتيناكم خاطبين، وقد كنّا كافرين فهدانا

(١) رواه البخاري في المغازي (٤٠٠٠)، عن عائشة.

(٢) تاريخ الطبرى (٢٨٨/٣).

(٣) رواه الطبرى في تاريخه (٤/٢٢٧).

الله عَزَّلَ، ومملوكيْن فَاعْتَقْنَا اللَّهَ عَزَّلَ، وفَقِيرِيْن فَأَغْنَانَا اللَّهُ، فَإِنْ تَزَوَّجُونَا فَالْحَمْدُ لِلَّهِ، وَإِنْ تَرْدُونَا فَلَا حُولَّ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ. قَالَ: فَزُوْجُوهُمَا<sup>(١)</sup>.

هكذا كان الصحابة - رضوان الله تعالى عليهم، وكذلك كان التابعون.

### زَوْج ابنته أحد تلاميذه:

سعيد بن المُسِّيب سيد التابعين وفقيهم، أحد الفقهاء السبعة، وأفضل التابعين في رأي الإمام أحمد بن حنبل، من أبناء قريش، وزوج ابنة أبي هريرة الصحابي الجليل، خطب إليه أمير المؤمنين عبد الملك بن مروان ابنته لابنه ولـيـ العهد الوليد بن عبد الملك فرفض أن يزوجـهـ، وأوذـيـ فيـ سـبـيلـ ذـلـكـ، لمـ يـرضـ أنـ يـزـوـجـ اـبـنـهـ منـ لاـ يـرـضـىـ عنـ دـيـنـهـ، ثـمـ زـوـجـهاـ لكـثـيرـ بـنـ الـمـطـلـبـ بـنـ أـبـيـ وـدـاعـةـ أـحـدـ طـلـابـ الـذـينـ يـطـلـبـونـ الـعـلـمـ عـنـهـ.

ابن أبي وداعـةـ كان طالـبـاـ للـعـلـمـ عـنـ سـعـيدـ بـنـ المـسـيـبـ، وـمـاتـ اـمـرـأـتـهـ، فـلـمـاـ عـلـمـ أـنـهـ عـاـشـ بـلـاـ اـمـرـأـةـ، قـالـ لـهـ: أـزـوـجـكـ اـبـنـيـ.

فـقـالـ لـهـ: لـيـسـ عـنـديـ شـيـءـ.

قـالـ: زـوـجـتـكـهاـ بـدـرـهـمـ.

وـذـهـبـ اـبـنـ أـبـيـ وـدـاعـةـ إـلـىـ بـيـتـهـ، وـمـاـ هـيـ إـلـاـ سـاعـاتـ، حـتـىـ وـجـدـ بالـلـيـلـ مـنـ يـطـرـقـ عـلـيـهـ الـبـابـ، قـالـ: مـنـ؟

قـالـ: سـعـيدـ.

(١) رواه أبو نعيم في معرفة الصحابة (٢٤٣٦)، عن أبي الدرداء. تحقيق عادل بن يوسف العزاوي، نشر دار الوطن للنشر، الرياض، ط ١، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م.



قال: فخطر بيالي كأُلّ سعيد في الدنيا، إِلَّا سعيد بن المُسِيْب؛ فِإِنَّه لَم يُرْ أربعين سنة إِلَّا بين بيته والمسجد ففتحت الباب، فإذا هو سعيد بن المُسِيْب، وإذا ابنته معه، وقال: هذه هي عروسك قد جئت بها إِلَيْك.

وليس في بيت ابن أبي وداعة شيء، فجعل ينادي على الجيران: يا أبا فلان، ويا أمّ فلان، إِنَّ سعيد بن المُسِيْب زوجني ابنته، وليس عندي شيء، فهذا يأتيه بالتمر، وهذا يأتيه باللبن، وهذا يأتيه باللحم، وهذا يأتيه بكلّ، وهذا يأتيه بكلّ، وهكذا كان السَّلْف - رضوان الله تعالى عليهم<sup>(١)</sup>.

### دعوا التشديد وعودوا إلى التيسير:

علينا - أيُّها الإِخْوَة - أن نعود لهذ البساطة، لا نعقد الأمور، ينبغي أن نيسّر على أبنائنا وبناتنا، إِنَّ ما نفعله اليوم من أمور لا يرضاه الله، ولا يرضاه رسوله، نكُلّف أنفسنا تكاليف مُرهقة، يتتكلّف النَّاس آلاً وآلاً، ما لنا بها من حاجة، والفقير يقلّد الغني، والضعيف يقلّد القوي، لم هذا كُلُّه؟!

كان النَّاس في السابق يعقدون العقود، ويُقيّمون ولائم الزواج في بيوتهم، أصبحوا الآن يقيمونها في الفنادق، تكاليف جديدة، كان النَّاس يرضون باليسير في تأثيث البيوت، أصبح الآن لا بدّ من الأثاث الفاخر. كان النَّاس يغُنُّون لأنفسهم، نساء الحيّ يعني بعضهن لبعض، أصبحوا الآن يأتون بالفرق من الخارج.

حدَّثْنِي إِحدى الأخوات أَنَّ أَسْرَةً كَبِيرَةً، جاءت بفرقة من الخارج، من هؤلاء الكاسيات العاريات، أو العاريات غير الكاسيات، يغُنّين

(١) رواه أبو نعيم في حلية الأولياء (١٦٧/٢)، (١٦٨).

ويرقصن، ويرتكبن المنكرات، حتى إنَّ بعض النِّساء الصالحات تركن العرس وخرجن؛ احتجاجًا على هذا الأمر.

وهذه فتنة جديدة، ما كان النَّاس يعرفونها من قبل، وخصوصًا الأسر الصالحة، والأسر المرموقة.

### **الزواج الجماعيُّ:**

ينبغي أنْ نُيسِّر في أمر الزواج.. الآن ابتكر النَّاس - والله الحمد - في بلاد شتَّى الزواج الجماعيَّ، يتزوج خمسون أو مائة أو ثلاثة مائة، أو ما شاء الله، في ليلة واحدة، في عرس جماعيٍّ.. التكاليف واحدة، والمدعُون من أقارب الجميع.

وقد عرفتُ أنَّ أمير قطر حفظه الله قد وافق على إقامة عُرس جماعيٍّ، خمسون في ليلة واحدة، والدولة ستساعد في تكاليف هذا العرس الجماعيَّ، والتجار سيساعدون، والأغنياء سيساعدون؛ وذلك لنربط النَّاس على سنة الله، وعلى سنة رسوله، بدل أن يبحث النَّاس عن الحرام، ويمشون وراء المنكرات، يعُذُّون منها.

علينا أنْ نُيسِّر طريق الحلال، ونعيق طريق الحرام؛ فالمشكلة في عصرنا أنَّ طريق الحرام أصبح ميسَّراً، له ألف باب وباب، وألف طريق وطريق، وطريق الحلال أصبح معسَّراً، دونه ألف حجاب وحجاب، فعلينا أن نُزيل هذه الْحُجُب عن الحلال، ونفتح الأبواب للحلال، ونساعد في هذا الأمر.

فجزى الله خيرًا كلَّ من ساهم في مثل هذه الأمور، كلُّ من يَسِّر في أمر الزواج هو مشكور عند الله، ومحمود عند النَّاس.



أَسْأَلُ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى أَنْ يَفْقِهَنَا فِي دِينِنَا، وَأَنْ يُنِيرَ بِصَائِرَنَا، وَأَنْ يَعْلَمَنَا مَا يَنْفَعُنَا، وَأَنْ يَنْفَعَنَا بِمَا عَلِمَنَا، إِنَّهُ سَمِيعٌ قَرِيبٌ.

أَقُولُ قَوْلِي هَذَا - أَيُّهَا الْإِخْوَةُ - وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ لِي وَلَكُمْ، فَاسْتَغْفِرُوهُ؛ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ، وَادْعُوهُ يَسْتَجِبُ لَكُمْ.

\* \* \*



## الخطبة الثانية

أمّا بعد، فيا أيها الإخوة المسلمين:

قال لي كثير من الإخوة: كنّا نتوقع في الجمعة الماضية أن تُعلق على الحدث الكبير الذي حدث في هذه المنطقة، وهو مقتل «رابين».

فقلت لهم: كان هذا متوقعاً، ولكنني رأيت أن أنبّه على المؤامرة الكبرى التي تحاك للسودان الشقيق، فهذه في نظري أولى.

**نظرات في مقتل «رابين»:**

أمّا «رابين» فقد ذهب ولقي مصيره المحتموم، الذي لا بد منه، وأفضل تعليق على مقتل «رابين»، هو ما قاله أحد الفلسطينيين، شيخ كبير من أبناء فلسطين سأله أحد المذيعين، قائلاً: ما رأيك في مقتل «رابين»؟

قال له: يا بني هذا رجل قاتل، والقاتل لا بد أن يُقتل، وهذا رجل قتل كثيراً وكثيراً.

فقلت: والله إنّ هذا الرجل قد نطق بالحكمة وفصل الخطاب، وأصاب كبد الحقيقة.

القاتل يُقتل ولو بعد حين، من قتل فإنّ جزاءه القتل، الأصل أن يُقتل قصاصاً، ولكن إذا أفلت من القصاص، من عدالة الدنيا، فإنّ القدر سيقتضي منه، ولو أفلت في الدنيا، فلن يُفلت في الآخرة، هذا رجل قتل وقتل.. خمسون سنة وهو يُقتل، ويُساهم في القتل، قبل قيام إسرائيل، وبعد قيام إسرائيل، في كلّ المجازر الكبرى كان له يد، وكانت له ذراع.



في مجازر «دير ياسين»، ومجازر «صبرا وشاتيلا»، في المجازر التي حدثت بعد ذلك، مجازر الانتفاضة، تكسير عظام أطفال الحجارة، هؤلاء الأشبال الذين كسرت عظامهم، وقتل من قتل منهم.. مذبحة الحرم، أو مذبحة مسجد إبراهيم الخليل عليه السلام، في رمضان، هذه المذبحة الشنيعة المعروفة، آخر هذه الأشياء: قتل أخيانا الدكتور: «فتحي الشقاقي».

### لكل ظالم نهاية:

فهذا رجل قُتل وقتل، فلماذا يستغرب أن يُقتل؟

هذه سُنة الله في القاتلين، كان السَّلف يقولون: إِيَّاكَ وَدَمْعَةُ الْيَتَمِّ، وَدُعْوَةُ الْمُظْلُومِ؛ فَإِنَّهُمَا يُسْرِيَانَ بِاللَّيلِ وَالنَّاسُ نِيَامٌ<sup>(١)</sup>.

فلعل هناك يتيمًا بكى، أو مظلومًا دعا، أو أُمًّا فقدت وحيدها، أو أرملة فقدت زوجها وحبيبها، أو ابناً فقد أباها، أو أخًا فقد أخاه، في تلك الحروب المتصلة.

لعل واحدًا من هؤلاء دعا دعوة خالصة، اهتزَّت لها قوائم العرش، فانتقم الله لهؤلاء المظلومين.

الظالم لا يمكن أن يذهب بظلمه؛ النَّبِيُّ صلوات الله عليه يقول: «إِنَّ اللَّهَ لِيُمْلِي لِلظَّالِمِ حَتَّى إِذَا أَخْذَهُ لَمْ يُفْلِتْهُ»، ثُمَّ قرأتُ: «وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخْذَ الْقُرَى وَهِيَ ظَلِيمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ» ﴿هُودٌ: ١٠٢﴾<sup>(٢)</sup>.

الله تعالى يُملِي، كما قال: «وَأَمْلَى لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ» ﴿الأعراف: ١٨٣﴾، الله يمهل ولا يهمل، دعاء المظلوم لا يضيع هدراً؛ حينما بعث النبي صلوات الله عليه

(١) رواه أبو نعيم في الحلية (٢٢١/١)، من قول أبي الدرداء.

(٢) متفق عليه: رواه البخاري في التفسير (٤٦٨٦)، ومسلم في البر والصلة (٢٥٨٣)، عن أبي موسى.

معاذ بن جبل إلى اليمن، كان في وصيّته له: «واتّقِ دعوة المظلوم؛ فإنَّه ليس بينه وبين الله حجاب»<sup>(١)</sup>.

ويقول رسول الله ﷺ: «ثلاثة لا تُرد دعوتهم: الصائم حتّى يفطر، والإمام العادل، ودعوة المظلوم يرفعها الله فوق الغمام ويفتح لها أبواب السماء ويقول الربُّ: وعزّتي لأنصرنَك ولو بعد حين»<sup>(٢)</sup>.

دعوات المظلومين لم تذهب سدىًّا، ولم تضع هباءً، كما قال الشاعر:

سهامُ اللَّيلِ صائبَةُ المَرَامِي	إِذَا وُتِرْتُ بِأَوْتَارِ الْخُشُوعِ
يُطِيلُونَ السُّجُودَ مَعَ الرُّكُوعِ	يُصَوّبُهَا إِلَى الْمَرْمَى رِجَالُ
إِذَا أُوتِرْنَ ثُمَّ رَمَيْنَ سَهَمًا	فَمَا يُغْنِي التَّحْصُنُ بِالدُّرُوعِ <sup>(٣)</sup>

**هلاك الظالمين نعمة تدلُّ على ربوبية الله للعالم:**

الظالم لا بدَّ أن يلقى جزاءه، ولا بدَّ أن يفرح النّاس بذهاب الظالمين؛ لأنَّها نعمة تدلُّ على ربوبية الله للعالم، كما قال الله تعالى: ﴿فَقُطِعَ دَابِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الأنعام: ٤٥]، قطع دابر الظالمين دليل على ربوبية الله لهذا الكون، فهذا الكون ليس سائباً، بل هناك من يُشرف عليه، ومن يُنظم أمره، ومن لا تخفي عليه فيه خافية، ولا يغيب عن علمه سرٌّ ولا علانية، والحمد لله رب العالمين.

(١) متفق عليه: رواه البخاري في الزكاة (١٤٩٦)، ومسلم في الإيمان (١٩)، عن ابن عباس.

(٢) رواه أحمد (٨٠٤٣)، وقال مخرجوه: صحيح بطرقه وشواهده. والترمذى في الدعوات (٣٥٩٨)، وقال: حديث حسن. وابن ماجه في الصيام (١٧٥٢)، عن أبي هريرة.

(٣) القائل هو إبراهيم الدسوقي صاحب الضريح المشهور في مصر، كما في روضة الناظرين وخلاصة مناقب الصالحين للشيخ أحمد بن محمد الوترى ص ٥٠، نشر المطبعة الخيرية، القاهرة سنة ١٣٠٦هـ.



### هلاك «رابين» بـأيدي قومه:

هذه نظرة أولى لهذا الموضوع، والنظرة الثانية: أنَّه من فضل الله تعالى علينا - نحن المسلمين - أنَّ «رابين» لم يهلك بأيدينا، وإنَّما هلك بأيدي قومه، سُلْطَنُ الله اليهود بعضهم على بعض، وقد كان السلف - رضوان الله تعالى عليهم - يقولون: اللهم أشغل الظالمين بالظالمين، وأخرجنا من بينهم سالمين، اللهم سُلْطِنِ الكافرين على الكافرين، وأخرجنا من بينهم ظافرين.

فالحمد لله أنَّ اليهود سُلْطَنُ بعضهم على بعض، ولأول مرَّة يقتل يهوديًّا يهوديًّا آخر، هذا ما نراه، وهذا الَّذِي قتله ليس وحده، وإنَّما وراءه كثيرون من خريجي الكلَّيات الدينية، والجامعات العبرية، الَّذِين يرضعون لُبان هذا العنف، وهذا التطرُّف.

### أحلام إسرائيل:

فهم يرون أنَّ كلَّ أرض يدخلها الإسرايليون تُصبح أرضاً لهم؛ فأرض الضفة الغربية الَّتي يسمُّونها: «يهودا والسامرة» لهم، كيف يتركونها بعد أن احتلوها؟

هؤلاء ما زالوا يعيشون في أحلامهم الكبرى؛ فالأنحزاب الدينية والجامعات اليمينية في إسرائيل ترى أنَّه لا بدَّ أن يظلَّ مشروع إسرائيل الكبرى قائماً، من نهر الفرات الكبير، إلى نهر النيل، كما يقولون إنَّ هذا مكتوب عندهم في التوراة.

وقد حَدَّثني دبلوماسيٌّ مصريٌّ عارف بالأمور، أنَّ إسرائيل حينما وقَّعت على «كامب ديفيد»، وأرادوا أن يقيموا علاقات بينهم وبين مصر، حرصت إسرائيل على أن تكون سفارتها في محافظة الجيزة، وليس في

القاهرة، وبعد بحث عُرف أنَّ إسرائيل ترى أنَّ أرضها إلى الضفة الشرقية لنهر النيل، فإذا جعلت سفارتها في هذه الضفة، فكأنَّها في أرض إسرائيل، والمفروض أن تكون في أرض مصر، ولذلك حرصت على أن تكون سفارتها في الضفة الأخرى لنهر النيل، في الجيزة.

هذا هو العنف، الذي يُلَقِّنه بنو إسرائيل: صغارهم وكبارهم، ولذلك كانت النتيجة هي هذه، وما زال هناك من بين بني إسرائيل أنفسهم من يفرح بقتل «رابين»، ومن ذهبوا ليبولوا على قبره، ومن بصقوا عليه، إلى آخر ما ذكرته وکالات الأنباء.

### **العنف ليس في بلاد المسلمين وحدهم:**

والنظرة الثالثة في هذا الأمر هي: أنَّ التطرف والعنف ليس في بلاد المسلمين وحدهم؛ إنَّ الغرب يحاول أن يجعل العنف والتطرف من خصائص الإسلام والمسلمين، وإذا ذُكر الإرهاب يقال: الإرهاب الإسلامي، وإذا ذُكر التطرف يقال: التطرف الإسلامي، وهذا ظلم للإسلام، وظلم للأمة الإسلامية؛ فالterrorism في كل مكان، والإرهاب في كل مكان، والعنف في سائر أرض الله.

ألم تشهد أمريكا نفسها ألواناً من العنف قام بها الأميركيان السود في «لوس أنجلوس»، وألواناً من العنف قام بها الأميركيان البيض في «أوكلاهوما»؟ وأوربا فيها عنف، وآسيا فيها عنف، والبلاد المختلفة فيها عنف.

### **للعنف في بلاد المسلمين مبرراته:**

ولعلَّ العنف في البلاد الإسلامية معظمها مبرر، والعنف في تلك البلاد ليس مبرراً؛ لأنَّها بلاد ديمقراطية.. تعيش في كنف الحرية،



وحقوق الإنسان فيها مرعية، ويستطيع الإنسان فيها أن يصل إلى رئيس الدولة إن أراد، وأن ينتقده بصرامة، ولا يؤخذ إلى غيابات السجون، ولا يحاكم محاكمة عسكرية، ولا شيء من ذلك، كما يفعل في بلاد المسلمين.

فالعنف في تلك البلاد غير مبرر، ولكن العنف في بلاد المسلمين له مبرراته، ومعظمها آتٍ من الخارج، من التحرير الذي يوقع بين الحكام والشعوب، ويفسد العلاقة، ويزرع الشوك، ولذلك يقع ما يقع ..

العنف ليس من طبيعة المسلمين وحدهم، العنف في العالم كله، والإرهاب في العالم كله، فلماذا يوصف المسلمون وحدهم بهذا الأمر؟

هذا ظلم للإسلام، وظلم للأمة الإسلامية.

### **العنف كامن في طبيعة إسرائيل:**

لقد أثبتت هذا الفتى (ريجال عامير) أنَّ العنف كامن في طبيعة إسرائيل، وهو فعلًا؛ فإنَّ إسرائيل ما قامت من أول يوم إلا على العنف، بل من قبل أن تقوم، منذ العصابات الصهيونية، التي قتلت ما قتلت، ودمرت ما دمرت، وسفكت ما سفكت، وانتهكت ما انتهكت، كلُّ هذا قام على العنف، رأيناه وعايشناه، ولم نشاهده بأيدينا، وأبصرناه بأعيننا.

فهذا العنف كامن في طبيعة إسرائيل، وال تعاليم التوراتية والتلمودية تغرس هذا في العقول والآفونس، فلماذا يتهمون المسلمين وحدهم بالعنف والإرهاب؟

وعامة المسلمين يستنكرون ذلك، جمهور المسلمين مسلمون،

لَا يرِيدُونَ لِأَحَدٍ سُوءًا، وَلَا يُضْمِرُونَ لِأَحَدٍ شَرًّا، إِنَّمَا يَسْالُهُمْ مِنْ  
سَالَمِهِمْ، وَيَعْادُونَ مِنْ عَادَاهُمْ، وَهَذَا هُوَ الْإِسْلَامُ، ﴿وَإِنْ جَنَحُوا إِلَيْنَا فَاجْنَحْ  
هُمْ وَتَوَكَّلُوا عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ هُوَ أَلْسَمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [الأنفال: ٦١].

### الدُّعَاءُ:

اللَّهُمَّ أَصْلِحْ لَنَا دِينَنَا الَّذِي هُوَ عَصْمَةُ أُمْرِنَا، وَأَصْلِحْ لَنَا دِنِيَانَا الَّتِي  
فِيهَا مَعَاشُنَا، وَأَصْلِحْ لَنَا آخِرَتُنَا الَّتِي إِلَيْهَا مَعَادُنَا، وَاجْعَلْ الْحَيَاةَ زِيَادَةَ لَنَا  
فِي كُلِّ خَيْرٍ، وَاجْعَلْ الْمَوْتَ رَاحَةً لَنَا مِنْ كُلِّ شَرٍّ.

اللَّهُمَّ اجْعَلْ كَلْمَةَ الْإِسْلَامَ هِيَ الْعُلِيَا، وَاجْعَلْ كَلْمَةَ أَعْدَاءِ الْإِسْلَامِ  
هِيَ السُّفْلَى.

اللَّهُمَّ أَكْرَمْنَا وَلَا تُهْنِنَا، وَأَعْطِنَا وَلَا تَحْرِمنَا، وَزَدْنَا وَلَا تَنْقُصْنَا، وَآثِرْنَا  
وَلَا تُؤْثِرْ عَلَيْنَا، وَارْضَ عَنَّا وَأَرْضِنَا.

اللَّهُمَّ انْصِرْ إِخْوَانَنَا الْمُجَاهِدِينَ فِي سَبِيلِكَ حِيثِمَا كَانُوا مِنْ أَرْضِ  
الْإِسْلَامِ، اللَّهُمَّ انْصِرْ إِخْوَتَنَا الْمُجَاهِدِينَ فِي فَلَسْطِينَ وَلِبَنَانَ، وَانْصِرْ  
إِخْوَتَنَا الْمُجَاهِدِينَ فِي الْبُوْسْنَةِ وَالشِّيشَانَ، وَانْصِرْ إِخْوَتَنَا الْمُجَاهِدِينَ  
فِي كَشْمِيرِ وَالسُّودَانَ، وَانْصِرْ إِخْوَتَنَا الْمُجَاهِدِينَ فِي الْفَلَبِينِ وَفِي كُلِّ  
مَكَانٍ.

اللَّهُمَّ خُذْ بِأَيْدِي إِخْوَانَنَا الْمُضْطَهَدِينَ وَالْمُمْتَحَنِينَ، اللَّهُمَّ افْكُكْ  
بِقُوَّتِكَ أَسْرَهُمْ، وَاجْبِرْ بِرَحْمَتِكَ كَسْرَهُمْ، وَتَوَلَّ بِعَنَائِتِكَ أَمْرَهُمْ.

اللَّهُمَّ لَا تُهْلِكْنَا بِمَا فَعَلَ السَّفَهَاءُ مِنَّا، وَلَا تُسْلِطْ عَلَيْنَا مِنْ لَا يَخَافُكَ  
وَلَا يَرْحَمُنَا.



اللهم اجعل هذا البلد آمناً مطمئناً، سخاء رحاء، وسائر بلاد المسلمين.

﴿رَبَّنَا أَعْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبَّتْ أَقْدَامَنَا وَأَنْصَرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٧].

عباد الله:

يقول الله تبارك وتعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلِّونَ عَلَى الْتَّبِيِّ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا صَلَوَاتٍ عَلَيْهِ وَسَلَّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٦].

اللهم صلّ وسلّم وبارك على عبدك ورسولك محمد، وعلى آله وصحبه والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين.

﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ ۖ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ ۖ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٥].

\* \* \*

## الزوج الصالح في الإسلام<sup>(١)</sup>

### الخطبة الأولى

أمّا بعد، فيا أيها الإخوة المسلمين:

منذ عدّة جمع تحدّثنا عن الزواج الصالح، الزواج السعيد، هذا الزواج الذي يُبني على تقوى من الله ورضوانه، ويقوم على أسس إسلامية سليمة، تراعي تعاليم هذا الدين منذ التفكير في الزواج، قبل أن يخطب الرجل، وبعد أن يخطب لا بدّ أن يتحرّى مَنْ يختارها لتكون زوجة، ولا بدّ أن تتحرّى المرأة مَنْ تختاره وتوافق عليه ليكون زوجاً لها، ومنْ يختاره لها أهلها ليساعدوها على حسن الاختيار.

والاليوم نتحدّث عن الزوج الصالح، أو الرجل الصالح، كثيراً ما تحدّثنا عن الزوجة الصالحة التي هي نعمة من نعم الله تعالى، مَنْ أُوتِيَها فقد أُوتِيَ خيراً كثيراً في الدنيا والآخرة، والتي اعتبرها بعضهم هي حسنة الدنيا، «رَبَّنَا إِنَّا فِي الدُّنْيَا كَاحْسَنَةٍ وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةٌ» [البقرة: ٢٠١]، قال بعضهم: حسنة الدنيا هي المرأة الصالحة. واعتبر النبي ﷺ من عناصر السعادة، وأركان الحياة السعيدة: الزوجة الصالحة<sup>(٢)</sup>.

(١) ألقى بمسجد عمر بن الخطاب بالدوحة، بتاريخ ٩ يونيو ٢٠٠٠ الموافق ٧ ربيع الأول ١٤٢١هـ.

(٢) رواه أحمد (١٤٤٥)، وقال مخرّجوه: صحيح. والطیالسي (٢٠٧)، عن سعد بن أبي وقاص.

## الزوج الصالح:

وكما أنَّ الزوجة الصالحة مطلوبة للرجل، فإنَّ الزوج الصالح مطلوب للمرأة، فمن هو الزوج الصالح الذي يجب أن يبحث عن الناس والأهل، وتبحث عنه النساء والفتیات؟

الزوج الصالح هو ذلك الذي ذكره الحديث، الذي يُرضي دينه وخلقه، كما قال النبي ﷺ: «إذا أتاكم منْ ترَضُونَ دِينَه وَخُلُقَه فَرَوْجُوهُ؛ إلَّا تفعلوا تُكْنُ فتنة في الأرض، وفساد عريض»<sup>(١)</sup>. لا بدَّ من الدين والخلق.

والمقصود بالدين: المحافظة على أوامر الله، واجتناب نواهيه، أن يقيم الصلوات، ويحافظ عليها، ويؤدي الزكاة، ويصوم رمضان، ويؤدي الفرائض، ويتجنب المحرمات، فإذا ارتقى اجتنب المكرورات، فإذا ارتقى اجتنب بعض الحلال حتى لا يقع في الحرام أو المكرور، كما جاء في الحديث الذي رواه الترمذی: «لا يبلغ عَبْدُ أَنْ يَكُونَ مِنَ الْمُتَّقِينَ حَتَّى يَدْعَ مَا لَا بَأْسَ بِهِ حَذْرًا مَمَّا بِهِ بَأْسٌ»<sup>(٢)</sup>.

ثم لا بدَّ أن يكون حسن الخلق، لا يكفي أن يكون مصلياً صائمًا ذاكراً مسبحاً تالياً للقرآن، ولكنه إنسان سيءُ الخلق، سيءُ العشر، غليظ الطبع، جافٍ، عُتلٍ، قاسٍ، هذا الإنسان لا خير فيه، وإن صلَّى وصام، لا يصلح أن يكون زوجاً صالحاً.

(١) سبق تخریجه ص ٩٦.

(٢) رواه الترمذی في صفة القيامة (٢٤٥١)، وقال: حسن غريب. وابن ماجه في الزهد (٤٢١٥)، والحاکم في الرقائق (٣١٩/٤)، وصححه، ووافقه الذهبي، وقال ابن رجب في فتح الباري (١٦/١): في إسناده بعض المقال. وضعفه الألباني في ضعيف الترمذی (٤٣٥)، عن عطية السعدي.

## رعاية الحقوق الزوجية:

جماع الزوج الصالح أن يكون ذا دين قويم، وذا خلق كريم، وهذا يتمثل في رعايته لحقوق الزوجية، إذا كان ذا دينٍ وخلق رعى حقوق الزوجية كلّها.

### ١- إعطاء المهر:

أول هذه الحقوق أن يؤدي للمرأة مهرها، صداقها، لا يأكل منه شيئاً، وإنما أكل سحتاً، إلا ما تنازلت عنه بطيب نفسها، كما قال الله تعالى: ﴿وَإِنَّمَا الظُّنُونَ صَدُقَتْ هِنَّ نَحْلَةً فَإِنْ طَبَنَ لَكُمْ عَنْ شَيْءٍ مِّنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ هَنِيئًا مَرِيئًا﴾ [النساء: ٤].

إذا طابت نفس المرأة بإسقاط شيء من المهر أو إسقاطه كله فهذا حقها، إذا تنازلت عنه بطيب نفس - ليس بضغطٍ من الزوج عليها - فله أن يأكله هنيئاً مريئاً، هذا حقٌّ خالصٌ للزوجة، يدفع المُعجل منه، وأمام المؤخر منه فيدفعه كما يقرره العرف.

وعرف الناس أن المؤخر إنما يطلب في حالة الوفاة، أو حالة الطلاق، ولكن لو تغير عرف الناس، وطلبت المرأة حقها في المُعجل فيجب أن يعجل لها، فهو خالص حقها، هذا أول حقوق المرأة.

### ٢- النفقة بالمعروف:

ثاني حقوق المرأة النفقة عليها بالمعروف، لا يقتصر عليها، ولا يُسرف في إعطائها كل ما تطلب، فهذا قد يفسدها، والله تعالى يقول: ﴿لِينْفِقُ ذُو سَعَةٍ مِّنْ سَعْتِهِ وَمَنْ قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقٌ فَلَيُنْفِقْ مِمَّا أَتَاهُ اللَّهُ لَا يُكْلِفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَا أَتَاهَا سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا﴾ [الطلاق: ٧].



إذا كان الزوج موسراً فينبعي أن يظهر أثر يساره على أهله، وعلى أولاده، وعلى بيته، ﴿عَلَى الْمُؤْسِعِ قَدْرُهُ وَعَلَى الْمُقْتَرِ قَدْرُهُ﴾ [البقرة: ٢٣٦]، النفقة بالمعروف، ﴿وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾ [البقرة: ٢٣٣].

والمعروف هو ما تعرفه الفطر السليمة، والعقول الرشيدة، ويعرفه أهل الفضل والخير من الناس، فلا ينبغي أن يكون الرجل موسراً الحال، كثير المال، ومع هذا يُقتّر على زوجته، يعطيها من ثقب الإبرة، هذا لا يجوز، هذا هو البخل المذموم، والشح المطاع المُهلك، وإنما ينبغي أن يري الناس أثر نعمة الله تعالى عليه، وأول ما يظهر ذلك يظهر في بيته، أن ينفق النفقة المعتدلة التي يراها الناس لائقه بها، ولا ينفع بأهله.

وال المسلم مطالبٌ أن يُنفق على أهله، ولو كانت زوجته تملك مال قارون، فالنفقة على الرجل، كما قال تعالى: ﴿أَلِرَجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ﴾ [النساء: ٣٤]. سواء في المهر، أو في النفقة اليومية المستمرة، هذه النفقة في عنق الرجل مهما تكن امرأته ذات ثروة ومال.

إذا ساعدت الزوجة زوجها من مالها فهذا من مكارم أخلاقها، إذا كانت تعمل وتقبض راتباً، وكان عملها يقتضي منها نفقات زائدة فمن واجبها أن تساعد زوجها فيما يزيد على الزوجة العادلة، بحيث لا تُكلّف زوجها شططاً، وهذا من التعاون على البر والتقوى، ومن المعاشرة بالمعروف.

### ٣ - المعاشرة بالمعروف:

وثلاث الحقوق على الزوج أن يكون حسن الخلق مع زوجته، وهذا ما ينطبق عليه قول الله تعالى: ﴿وَاعْشُرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾ [النساء: ١٩].

العاشرة بالمعروف هي التي يتحلى فيها حسن الخلق، كما قال النبي ﷺ: «أَكْمَلَ الْمُؤْمِنِينَ إِيمَانًا أَحْسَنَهُمْ خُلُقًا، وَأَطْفَلُهُمْ بِأَهْلِهِ»<sup>(١)</sup>. وقال: «خَيْرُكُمْ لَأَهْلِهِ، وَأَنَا خَيْرُكُمْ لِأَهْلِي»<sup>(٢)</sup>.

### هدية ﷺ في معاملة أزواجها:

كان ﷺ أفضل الناس عشرة مع نسائه، كان يُطيب خواترها، كان يستمع إلى حكاياتهن، حكت له عائشة رضي الله عنها حكاية اثنين عشرة امرأة، وحديثهن عن أزواجهن، واستمع إلى ذلك الحديث الطويل الذي رواه البخاري ومسلم في صحيحهما مفصلاً، المعروف باسم حديث أم زرع، وقال لها: «كنت لك كأبى زرع لأم زرع»<sup>(٣)</sup>. وفي رواية: «إِلَّا أَنَّهُ طَلَقَهَا وَإِنِّي لَا أَطْلَقُكَ»<sup>(٤)</sup>. لأن أبا زرع في النهاية طلق امرأته.

كان ﷺ يُطيب خواتر نسائه، يمازحهن، حتى إنَّه في مرَّة من المرات خرج من بيته هو وعائشة، كلُّ منها يريد أن يخرج قبل الآخر، فتزاحما عند الباب، من باب الممازحة والمفاكهة، وتسابقاً مررتين: مرَّة سبقته في أول حياتها، وكانت صغيرة السنٌّ خفيفة اللحم، ومرَّة سبقتها رغم كبر سنِّه ﷺ، وقال لها ممازحاً: «هذه بتلك»<sup>(٥)</sup>. أي: صرنا متعادلين.

انظر، النبيُّ محمد ﷺ، سيدُ الخلق، رسول رب العالمين يُسابق زوجته خلف الجيش، يركضان معاً؛ من يسبق الآخر؟ هذا هو

(١) رواه أحمد (٢٤٦٧٧)، وقال مخرجوه: حديث صحيح لغيره. والترمذى في الإيمان (٢٦١٢)، وقال: صحيح. عن عائشة.

(٢) سبق تحريرجه ص ١٦٥.

(٣) متفق عليه: رواه البخاري في النكاح (٥١٨٩)، ومسلم في فضائل الصحابة (٢٤٤٨).

(٤) هو من رواية الزبير بن بكار. كما ذكر الحافظ في فتح الباري (٢٧٥/٩).

(٥) سبق تحريرجه ص ١٧١.



اللطف، هذا هو حُسن الخلق الَّذِي كان يتجلى في حياة النبي ﷺ، وفي سيرته مع نسائه.

وحيثما أرسلت إحدى زوجات النبي ﷺ بصحفة فيها طعام إلى النبي ﷺ في ليلة عائشة، صنعت طعاماً جيداً وقالت: أهديه إلى النبي ﷺ في ليلة عائشة. لكن عائشة ظننتها غارت، وأمسكت بالصحفة عند الخادم، ورمتها في الأرض فانكسرت، ووقع ما فيها، فقال النبي ﷺ: «غارت أمكم». وأمسك هو بالصحفة، ظلَّ يجمعها، ووضع فيها الطعام، ثم أرسل إلى الزوجة الأخرى بصحفة جديدة بدل الصحفة المكسورة<sup>(١)</sup>. هكذا كان يعامل نساءه ﷺ.

وكان يُشرك نساءه في هموم الأُمَّة، حينما نزل عليه جبريل في غار حراء، ورجع يرجف فؤاده قال لخديجة: «زَمْلُونِي زَمْلُونِي». وحكى لها ما جرى له، فقالت له: والله لا يخزيك الله أبداً؛ إنك تتصلُّ الرحم، وتتحملُ الكلَّ، وتَكْسِب المendum، وتَقْرِي الضيف، وتُعين على نوائب الحق<sup>(٢)</sup>. وكانت سنته في دعوته من أول يوم.

وحيثما قام النبي ﷺ بصلاح الحدبية، وأمر الصحابة أن يتخللوا من إحرامهم بعد الصلح أمرهم - ثلاث مرات - أن يحلقوا وينحرموا بدنهم، ولكنهم لم يفعلوا شيئاً، عزَّ عليهم أن يأتوا مُعتمرِين ثمَّ يتخللوا، ويرجعوا بلا عمرة، فدخل النبي ﷺ إلى أم سلمة يشكو إليها ما فعله الصحابة، فأشارت عليه برأي، أن يخرج من خيمته فلا يكلم أحداً، ينحر بدنـه، ويأمر حلقـه فـيأتي ليحلـق شـعرـه، فـخرجـ النبي ﷺ فـفعلـ ما أـشارـتـ

(١) رواه البخاري في النكاح (٥٢٥)، عن أنس.

(٢) متَّفق عليه: رواه البخاري في بدء الوضي (٣)، ومسلم في الإيمان (١٦٠)، عن عائشة.

به أم سلمة، فما كاد الناس يرون رسول الله ﷺ ينحر ويحلق حتى خر جوا جمِيعاً ينحرُون ويحلقُون<sup>(١)</sup>، هكذا كان يُشرك النبي ﷺ نساءه معه في هموم الأمة.

لكن بعض الناس ينظر إلى أمراته كأنها قطعة متعة في البيت، لا يكلّمها ولا يشاورها، وبعض الناس قالوا: شاوروهنَّ وخالفوهنَّ. وزعموا أنَّ ذلك حديثاً عن النبي ﷺ، وهذا لم يصح عن رسول الله ﷺ<sup>(٢)</sup>، بل صح عكسه كما رأينا.

والله تعالى يقول في فطام الأولاد: ﴿فَإِنْ أَرَادَا فِصَالًا عَنْ تَرَاضٍ مِّنْهُمَا وَشَاءُرِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا﴾ [آل عمران: ٢٣٣]. يتشاروا ويتراضياً، إذا كانت الأم مُطلقة فينبغي ألا تكاید زوجها، وتفطم الولد قبل أوانيه، وينبغي للأب ألا يکاید لها لأنَّ هذا ضرر على الولد، ﴿لَا تُضْكَارَ وَلِدَهُ بِوَلَدِهَا وَلَا مَوْلُودٌ لَهُ بِوَلَدِهِ﴾ [آل عمران: ٢٣٣]، فهذا ما يجب على الزوج مع زوجته، أن يلاطفها، ويحسن عشرتها.

#### ٤- احتمال الأذى:

ولا يكفي هذا بل ينبع على الزوج أن يتحمل أذى زوجته، يتحمل الأذى منها، ويصبر عليها، ربما كانت بعض الزوجات شديدة الانفعال، شديدة الغيرة، تتصرّف بسرعة وطيش، فينبغي ألا يكون هذا سبباً للانفعال عنها.

(١) رواه البخاري في الشروط (٢٧٣١).

(٢) قال السحاوي: لم أره مرفوعاً... وقد استشارة النبي ﷺ، أم سلمة كما في قصة صلح الحديبية، وصار دليلاً لجواز استشارة المرأة الفاضلة؛ لفضل أم سلمة ووفر عقلها. انظر: المقاصد الحسنة (٥٨٥)، تحقيق محمد عثمان الخشت، نشر دار الكتاب العربي، بيروت، ط١، ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م. وقال الألباني في الضعيفة: لا أصل له (٤٣٠).

والله تعالى يقول: «وَعَاشُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوْا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا» [النساء: ۱۹]. لعل المرأة التي تكرهها يرزق الله منها ذريّة صالحة، أولادًا نابهين، أبناء نابغين، لعلها هي التي تكون عونًا لك عند الشيخوخة، عندما يهيفض جناحك، ويجهن عظمك، وعندما تبلغ من الكبر عتيّا، لعلها هي التي تمرّضك وتقف إلى جنبك، حين يتبعك الأقربون من هنا وهناك، «فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوْا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا» [النساء: ۱۹].

ويقول النبي ﷺ: «لا يُفرِّك مؤمنٌ مؤمنة - أي: لا يبغضها - إن سخط منها خلقًا رضي عنها آخر»<sup>(۱)</sup>. وهذا يعني أنك لا بد أن تكون منصفًا وعادلًا في تقويم زوجتك، لا تنظر إلى الجوانب الرديئة منها، وتتسى الجوانب الطيبة، لا تنظر إلى عيوبها، وتتسى مزاياها، لا ترگز على مساوئها، وتتسى محسناتها، فكل إنسان فيه مزايا وفيه عيوب، فيه نقاط ضعف وفيه نقاط قوة؛ فلماذا ترگز على نقاط الضعف؟ لماذا لا تذكر الجوانب الحسنة؟ ولذلك قال: «إن سخط منها خلقًا رضي عنها آخر».

ويعلّمنا النبي ﷺ أن نصبر على النساء بصفة عامّة فيقول: «استوصوا بالنساء خيراً، فإن المرأة خلقت من ضلّع، وإنّ أعوج شيء في الضرع أعلى، فإن ذهبت تقيمه كسرته، وإن تركته لم يزل أعوج، فاستوصوا بالنساء»<sup>(۲)</sup>. فهناك شيء من العوج في طبيعة المرأة، ما هذا العوج؟

(۱) رواه مسلم في الرضاع (۱۴۶۹)، وأحمد (۸۳۶۳)، عن أبي هريرة.

(۲) متفق عليه: رواه البخاري في أحاديث الأنبياء (۳۳۳۱)، ومسلم في الرضاع (۱۴۶۸) (۶۰)، عن أبي هريرة.

الغالب أنَّ المقصود به الجانب العاطفي، والجانب الانفعالي في المرأة، فهي أشد عاطفة، وأشد انفعالاً من الرجل، ذلك أنَّ الله جهزها بالجانب العاطفي وجعله أقوى منه في الرجل استعداداً للأمومة، لهذه الوظيفة التي تحتاج إلى صبر طويل، لولا هذا الجانب ما استطاعت أن تصبر على متاعب الحمل، ومتاعب الولم، ومتاعب الطلاق، ومتاعب الإرضاع، ومتاعب التربية، فالله جهزها بهذا، وهو يجعل عندها نوعاً من العوج.

ومن هنا ينبغي أن تصبر على زوجتك، وعلى لسانها، «وإنَّ أوعج شيءٍ في الضلع أعلاه»، يقصد اللسان، فينبعي ألا تؤاخذها على كل كلمة، وعلى كل ما يصدر منها، لا بد أن تغضض الطرف، كما قال الله تعالى عن رسوله: ﴿عَرَفَ بَعْضَهُ، وَأَغْرَضَ عَنْ بَعْضٍ﴾ [التحريم: ٣]. هذا نوع من التسامح، من غضض الطرف.

الإنسان الكريم ذو الخلق يجب أن يغضض الطرف عن بعض ما يحدث من زوجته، فإنك إن لم تصبر على هذا الضلع كسرته، وإذا لم تصبر على المرأة كسرتها، و«كسرها طلاقها»<sup>(١)</sup>، فهل ينبغي للإنسان كلما حدث له شيء يبادر بالطلاق؟ لا، لا بد أن تصبر على العشرة، فللعشرة حقوقها، وكل من الزوجين يجب أن يصبر على صاحبه.

## ٥ - المعاشرة الجنسية:

هناك أيضاً من حقوق الزوجة على زوجها: المعاشرة الجنسية، والله تعالى عرض لنا في كتابه بصرامة وأدب، بعبارة كنائية كما قال ابن عباس: إِنَّ اللَّهَ حَيِّ كَرِيمٌ، يُكَنِّي عَمَّا شَاءَ بِمَا شَاءَ<sup>(٢)</sup>.

(١) رواه مسلم في الرضاع (١٤٦٨) (٥٩)، عن أبي هريرة.

(٢) رواه عبد الرزاق في النكاح (١٠٨٢٦).

کما قال تعالیٰ: «أُحِلَّ لَكُمْ لِيَلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَاءِكُمْ هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ» [البقرة: ١٨٧]. لباس الإنسان أقرب شيء إليه، وألصق شيء به، فكلمة اللباس توحی بالقرب والاتصال، والدفء والزينة، والستر والوقاية، هذا معنی: «هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ».

ويقول الله تعالیٰ: «نِسَاؤُكُمْ حَرَثٌ لَكُمْ فَأَتُوا حَرَثَكُمْ أَنَّ شِئْتُمْ وَقَدِمُوا لِأَنْفُسِكُمْ وَأَتَّقُوا اللَّهَ وَأَعْلَمُوا أَنَّكُمْ مُلَاقُوهُ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ» [البقرة: ٢٢٣]. أباح الله تعالى المعاشرة وال المباشرة، فهذا من حقوق الزوجية، ولا يجوز للزوج أن يهمل زوجته، ولا للزوجة أن تتمرد على زوجها في هذا الجانب.

وحيثما عرف النبي ﷺ أنَّ بعض الصحابة أهمل ذلك، مثل عبد الله بن عمرو بن العاص، حينما زوجه أبوه امرأة، وكان يتعهد كننته - امرأة ابنه - بين الحين والحين فسألها مرَّة عن عبد الله، فقالت: نعم الرجل هو، لم يطأ لنا فراشاً منذ أتيناه، ولم يفتش لنا كنفاً. فشكاه إلى النبي ﷺ، أنَّه مشغول بالعبادة، بصوم النهار، وقيام الليل، وتلاوة القرآن.

فلما جاء إلى النبي ﷺ قال له: «ألم أُخْبَرْ أَنَّكَ تصوم النهار وتقوم الليل؟» قال: بلـ يا رسول الله، وما أردت بذلك إلـا الخير. فنصحه قائلاً: «فلا تفعل، صُمْ وافْطِرْ، وقُمْ ونَمْ؛ فإِنَّ لِأَهْلِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، وَإِنَّ لِعِينِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، وَإِنَّ لِجَسْدِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، وَإِنَّ لِزَوْرِكَ عَلَيْكَ حَقًّا»<sup>(١)</sup>. أي: أعط كل ذي حق حقه، فللمرأة حق على الرجل، كما أن للرجل حقاً عليها، والإسلام رعى هذا الحق.

من حق المرأة أيضًا أن تطلب الولد، ومن حق الرجل أن يجيئها إلى

(١) متفق عليه: رواه البخاري (١٩٧٥)، ومسلم (١١٥٩)، كلاهما في الصوم، عن عبد الله بن عمرو.

ذلك، والله تعالى يقول: ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ أَزْوَاجِكُمْ بَنِينَ وَحَفَدَةً﴾ [النحل: ٧٢]. أولاداً، وأولاداً، هذا حق، وهذه فطرة الله التي فطر الناس عليها، ﴿وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ أَزْوَاجِكُمْ بَنِينَ وَحَفَدَةً﴾.

ويقول المفسرون في قوله تعالى: ﴿فَإِنَّمَا يُشَرُّهُنَّ وَإِنَّهُمْ مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُم﴾ [البقرة: ١٨٧]. أي: ما كتب لكم من النسل، ومن الولد. فالنسل من الأغراض الأساسية للزواج، أن يستمر هذا النوع الإنساني إلى ما شاء الله، ليعمر الأرض، ويقوم بخلافة الله، وتستمر الحياة البشرية حتى يرث الله الأرض ومن عليها، وهذا حق من الحقوق.

## ٦ - التَّجْمُلُ لِلزَّوْجَةِ :

ومن حقوق الزوجة على زوجها: أن يتجمّل لها، فلا يكون كل همّه أن يقضي وطه منها، ورائحته كريهة، وثيابه غير نظيفة، وغير مُتجمّل، وغير مُتزين، هذا ليس من خلق الإسلام، الإسلام يأمر المسلم أن يكون دائماً نظيفاً مُتجملاً، حتى في الصلاة إذا صلى، ﴿يَنَبِّئَ إِذَا حُذُوا زِينَتُكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾ [الأعراف: ٣١]، «إِنَّ اللَّهَ جَمِيلٌ يُحِبُّ الْجَمَالَ»<sup>(١)</sup>.

وقد كان النبي ﷺ يأمر الناس أن يغتسلوا يوم الجمعة<sup>(٢)</sup>، خصوصاً إذا كانوا يعملون ويتعرقون، حتى يزيحوا ويزيلوا رائحة العرق، وأمر الإنسان إذا أكل ثوماً أو بصلأ، أو نحو ذلك، أن يعتزل المسجد، حتى لا يؤذى الناس<sup>(٣)</sup>، فكيف يؤذى الزوج صاحبته بالجنب؟ المرأة هي الصاحب بالجنب كما قال الله تعالى، يؤذيها برائحته الكريهة، بثيابه القدرة، هذا لا يجوز.

(١) رواه مسلم في الإيمان (٩١)، وأحمد (٣٧٨٩)، عن ابن مسعود.

(٢) متفق عليه: رواه البخاري (٨٨٤)، ومسلم (٨٤٨)، كلامهما في الجمعة، عن ابن عباس.

(٣) متفق عليه: رواه البخاري في الأذان (٨٥٣)، ومسلم في المساجد (٥٦١)، عن ابن عمر.

لَا بَدَّ أَنْ يَتَجَمَّلُ الرَّجُلُ لِأَمْرِهِ، كَمَا وَقَفَ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَمَامَ الْمَرْأَةِ  
يَتَجَمَّلُ، وَيَتَزَيَّنُ، وَيَتَعَطَّرُ، وَيَأْخُذُ مِنْ لَحْيَتِهِ، وَيُرْجِلُ مِنْ شَعْرِهِ، وَقَالَ لَهُ  
نَافِعٌ: مَا هَذَا يَا ابْنَ عَمِ رَسُولِ اللَّهِ؟ أَتَفْعَلُ هَذَا وَإِلَيْكَ يَضْرِبُ النَّاسُ أَكْبَادَ  
الْإِبْلِ مِنْ شَرْقٍ وَغَربٍ؛ يَسْتَفْتُونَكَ فِي دِينِ اللَّهِ؟ فَقَالَ لَهُ ابْنُ عَبَّاسٍ:  
وَمَاذَا فِي هَذَا يَا نَافِعٌ؟ إِنِّي أَتَزَيَّنُ لِأَمْرِ أُنْتَ كَمَا تَزَيَّنَ لِي امْرَأَتِي، وَهَذَا فِي  
كِتَابِ اللَّهِ. قَالَ: أَيْنَ هَذَا فِي كِتَابِ اللَّهِ؟ قَالَ: فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ  
الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَاتٌ﴾ [البقرة: ٢٢٨]<sup>(١)</sup>. لَهُنَّ مِنَ الْحَقُوقِ مِثْلُ  
الَّذِي عَلَيْهِنَّ مِنَ الْوَاجِبَاتِ، فَكَمَا أَنَّ عَلَى الْمَرْأَةِ أَنْ تَتَجَمَّلَ لِزَوْجِهِ فَإِنَّ  
عَلَى الرَّجُلِ أَنْ يَتَجَمَّلَ لِزَوْجِهِ، فَالْحَقُوقُ مُتَبَادِلةٌ، كُلُّ حَقٍّ يَقْابِلُهُ وَاجِبٌ،  
هَذِهِ هِيَ الْحَيَاةُ الْزَوْجِيَّةُ.

## ٧ - الغيرة على الزوجة:

وَمِنْ حَقُوقِ الْزَوْجِيَّةِ: أَنْ يَغَارِ الرَّجُلُ وَالْمَرْأَةُ كُلُّ مِنْهُمَا عَلَى صَاحِبِهِ،  
الْغِيرَةُ فَطْرَةٌ، وَلَكِنَّ الْإِسْرَافُ فِي الْغِيرَةِ هُوَ الْمَذْمُومُ، النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «إِنَّ  
مِنَ الْغَيْرَةِ مَا يُحِبُّ اللَّهُ، وَمِنْهَا مَا يُبغِضُ اللَّهُ، وَمِنَ الْخِيلَاءِ مَا يُحِبُّ اللَّهُ،  
فَأَمَّا الْغَيْرَةُ الَّتِي يُحِبُّ اللَّهُ فَالْغَيْرَةُ فِي رِبِّةٍ، وَأَمَّا الَّتِي يُبغِضُ اللَّهُ فَالْغِيرَةُ  
فِي غَيْرِ الرِّبِّةِ»<sup>(٢)</sup>. الْغِيرَةُ فِي غَيْرِ رِبِّةٍ أَنْ يَغَارِ الإِنْسَانُ دُونَ دَاعٍ، وَيُغَالِي  
فِيهَا، وَكَانَهُ يَتَهَمُّ امْرَأَتَهُ، هَذَا لَا يَجُوزُ.

الأَصْلُ فِي الْمُعَاشَةِ الْثَقَةِ وَحُسْنِ الظَّنِّ، حَتَّى جَاءَ فِي الْحَدِيثِ:  
«نَهَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ يَطْرُقَ الرَّجُلُ أَهْلَهُ لِيَلَّا يَتَخَوَّنُهُمْ، أَوْ يَلْتَمِسُ

(١) روای ابن أبي شيبة فی الطلاق (١٩٦٠٨).

(٢) روای أحمد (٢٣٧٤٧)، و قال مخرّجوه: حسن لغيره. وأبو داود في الجهاد (٢٦٥٩)، والنمسائي في الزكاة (٢٥٥٨)، وحسنه الألباني في صحيح الجامع (٢٢٢١)، عن جابر بن عتیک.

عثراتهم»<sup>(١)</sup>. يفاجئ الرجل أهله في منتصف الليل، كأنّه يتخوّنهم ويطلب عثراتهم هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى قال: «حتّى تمتشط الشّعشة، وتستحدّ المُغيبة»<sup>(٢)</sup>. يعني تتهيأ المرأة لاستقبال زوجها بتمشيط شعرها، وتنظيف نفسها، وتغتسل وتطيب.

كان هذا في الزمن الماضي حين كان الرجل يسافر على ناقته، فهو الذي يتحكّم في وقت الذهاب، ووقت الإياب، يستطيع أن يأتي في منتصف الليل، ويستطيع أن ين Dixie في بناقته فيأتي في الصباح، ولم يعد هذا ممكناً في عصرنا، وإنّما يمكن للإنسان أن يعلم زوجته بموعد قدومه، إذا كانت تعرف أنّه سافر في يوم كذا، وسيأتي حسب موعد تذكرة السفر فلا حرج، فإذا غير الموعد ينبغي أن يتصل بها بالهاتف، أو يبعث لها بالفاكس، أو بأيّ طريقة من الطرق؛ يعلمها بعودته، هذه آداب المعاشرة في الإسلام.

#### ٨ - عدم الإسراع إلى الطلاق:

ينبغي على الزوجين أن يرعى كلّ منهما حقّ صاحبه، وعلى الزوج العبد الأكبر كما قال الإمام الطبرى في قوله تعالى: «وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمُعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ» [البقرة: ٢٢٨]: إنّ درجة الرجال أن يتنازل عن بعض حقه للمرأة، ويعطيها أكثر مما يجب عليه، فالدرجة التي عليه تك足 المسوؤلية عن البيت، فالمطلوب منه أكثر مما يطلب من المرأة<sup>(٣)</sup>.

إذا هبّت رياح الخلاف بين الزوجين فلا يجوز للرجل أن يُسارع بفضّ هذا الأمر، وفكّ هذه العقدة، ونقض هذا الميثاق الغليظ كما سماه

(١) متفق عليه: رواه البخاري في الحج (١٨٠١)، ومسلم في الإمارة (٧١٥) (١٨٤)، عن جابر.

(٢) متفق عليه: رواه البخاري في النكاح (٥٠٧٩)، ومسلم في الإمارة (٧١٥) (١٨٢)، عن جابر.

(٣) تفسير الطبرى (٥٣١/٤).



الله تبارك وتعالى، ﴿وَأَخْذُكُم مِّنْكُم مِّيقَاتاً غَلِظَا﴾ [النساء: ٢١]، بل لا بد أن يعالج الأمر بحكمة، يصبر أقصى ما يمكنه من الصبر.

ولا يجوز أن يسارع بالطلاق؛ فإنّه أبغض الحال<sup>(١)</sup>، وكما قال الإمام الغزالى: لا يجوز هذا الأمر إلا بجناية من جانب المرأة، أو بضرورة من جانب الرجل<sup>(٢)</sup>. فالالأصل هو حرمة الطلاق، وقد قال النبي ﷺ عن النساء: «أَيُّمَا امْرَأٍ سَأَلَتْ زَوْجَهَا الطلاقَ مِنْ غَيْرِ مَا بَأْسَ فَحْرَامٌ عَلَيْهَا رائحة الجنة»<sup>(٣)</sup>.

وكذلك الرجل الذي يطلق امرأته من غير ما بأس ينبغي أن تحرم عليه رائحة الجنة، لأنّه يهدم هذه العلاقة، ويُخرب هذه المؤسسة بغير مبرر، بغير ضرورة، ولذلك كان الطلاق أبغض الحال، هو أشبه بالعملية الجراحية التي لا يلجأ الإنسان إليها إلا إذا لم تُفدو الأدوية الأخرى، آخر العلاج الكيّ.

والله تعالى أمرنا أن نتّخذ أسباباً عدّة عند النشوء فقال: ﴿وَالَّتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعَظُوهُنَّ وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَاضْرِبُوهُنَّ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَكِيلًا﴾ [النساء: ٣٤]. يعظها، ويخوّفها، وينصحها في أول الأمر، ثم يهجرها في المضجع حتى تفك وترتجع وتعاود النظر في أمرها، ثم يضربها إذا لم ينفع الوعظ والهجر، وقال النبي ﷺ:

(١) كما في الحديث: «أبغض الحال إلى الله الطلاق». رواه أبو داود (٢١٧٨)، وابن ماجه

(٢٠١٨)، كلاما في الطلاق، وضعفه الألبانى في إرواء الغليل (٢٠٤٠)، عن ابن عمر.

(٢) إحياء علوم الدين (٥٥/٢).

(٣) رواه أحمد (٢٢٣٧٩)، وقال مخرّجوه: حديث صحيح. وأبو داود (٢٢٢٦)، والترمذى (١١٨٧)

وحسنه، وابن ماجه (٢٠٥٥)، ثلاثتهم في الطلاق، وصحّه الألبانى في صحيح أبي داود (١٩٢٨)، عن ثوبان.

«ولن يضرب خياركم»<sup>(١)</sup>. الرجل الخير لا يضرب امرأته، هي ضرورة، والضرورة تقدّر بقدرها، ولا ينبغي للإنسان أن يسارع إليها خصوصاً مع النساء الفاضلات الكريمات اللاتي يعتبرن الضرب إهانة بالغة، ولذلك لم يضرب النبي ﷺ امرأة قطّ، ولم يضرب خادماً قطّ، بل لم يضرب دابة قطّ<sup>(٢)</sup>، وهذا من حسن خلقه ﷺ.

ثم شرع لنا الإسلام التحكيم الذي يكاد ينسى في حياة المسلمين، أو كأنه نسي، لا يعمل أحد بهذا التحكيم، إذا غضب الإنسان من امرأته رمها بالطلاق كأنه يضر بها بحجر، ولم يبال بقول الله تعالى: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنَهُمَا فَابْعَثُوا حَكْمًا مِنْ أَهْلِهِ وَحَكْمًا مِنْ أَهْلِهَا إِنْ يُرِيدَا إِصْكَحًا يُوَفِّقِ اللَّهُ بِيَنْهُمَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْمًا خَبِيرًا﴾ [النساء: ٣٥].

هذه المحكمة العائلية، هذا المجلس الأسري الذي أمر الله المجتمع كلـه - وخصوصاً أولـي الأمر فيه - أن يبعثوا حكـماً من أهـلهـ، وحـكـماً من أهـلـها ليحاـلوـ فـضـ هـذاـ النـزـاعـ، وإـعادـةـ المـيـاهـ إـلـىـ مـجـارـيهـ، وـالـنـفـوسـ تـتـكـدرـ ثـمـ تـصـفوـ، وـسـرـعـانـ ماـ يـتـغـيـرـ إـلـيـهـ، فـلاـ يـمـكـنـ أـنـ نـسـتـجـيبـ لـنـزـوـاتـ الـعـوـاطـفـ، وـلـلـفـورـاتـ الـهـائـجـةـ، لـاـ، بـلـ يـنـبـغـيـ أـنـ نـحـكـمـ الـعـقـلـ، وـنـحـكـمـ هـذـاـ الـمـجـلـسـ، ﴿فَابْعَثُوا حَكْمًا مِنْ أَهْلِهِ وَحَكْمًا مِنْ أَهْلِهَا إِنْ يُرِيدَا إِصْكَحًا يُوَفِّقِ اللَّهُ بِيَنْهُمَا﴾ [النساء: ٣٥].

(١) رواه الحاكم (١٩١/٢)، وصحح إسناده، ووافقه الذهبي. والبيهقي (٣٠٤/٧)، كلاهما في النكاح، عن أم كلثوم بنت أبي بكر.

(٢) كما في حديث أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت: ما ضرب رسول الله ﷺ بيده خادماً له قط، ولا امرأة، ولا ضرب رسول الله ﷺ بيده شيئاً قط، إلا أن يجاهد في سبيل الله. رواه مسلم في الفضائل (٢٣٢٨)، وأحمد (٢٤٠٣٤).



وإنما جعل الإسلام الحكم من الأهلين حتى لا تشيع أمور العائلة في المجتمع، وتصبح على كل لسان، المفروض أن تحفظ الأسرار، وألا تذاع إلا في أضيق نطاق، هذا من حرص الإسلام على هذه المؤسسة العظيمة.

## ٩ - مراعاة أحكام الطلاق:

إذا اضطرَّ الإنسان إلى الطلاق، ولم يمكن التوفيق فلا مانع من الطلاق، على أن يكون الطلاق رجعياً قابلاً للمراجعة، والأصل في الطلاق كله أن يكون رجعياً، يطلق الإنسان، ويطلق في الوقت المناسب، لا يطلقها في حيض، ولا في ظهر مسها فيه، ويطلقها طلقة واحدة.

أمّا ما يفعله الناس من هذه الألوان من الطلاق، الحلف بالطلاق، وإذا اتراك مع شخص حلف بالطلاق أن يفعل كذا، ثم يرجع فيجد امرأته مطلقة على كثير من المذاهب، فهذا ما أنزل الله به من سلطان، ولا قام عليه في الشرع برهان، فالطلاق لحل عقد النكاح عند تعذر الوفاق.

إذا حدث الطلاق لا بد أن يكون بطلقةٍ رجعية، لا يجوز أن يتخرج المرأة من بيتهما، ولا أن يخرجها زوجها، لا يقول لها: اذهب إلى دار أبيك. أو تأخذ هي ثيابها وتذهب إلى دار أبيها، هذا محرّم في الإسلام، فالله تعالى يقول: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ وَأَحْصُوا الْعِدَّةَ وَاتَّقُوا اللَّهَ رَبَّكُمْ لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنْ بُؤْتَهُنَّ وَلَا يُخْرِجُنَّ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ بِفَحْشَةٍ مُبِينَةٍ وَتَلَكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ وَلَا تَدْرِي لَعَلَّ اللَّهَ يُحِدِّثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا﴾ [الطلاق: ١]. يجب أن تبقى الزوجة المطلقة طلاقاً رجعياً في بيت الزوجية، كلما خرج زوجها ودخل رأها، ولعل قلبه يحن ويعود إليها فيراجعها، ﴿لَا تَدْرِي لَعَلَّ اللَّهَ يُحِدِّثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا﴾، ويعيّر القلوب، والقلوب تتغيّر.

ثمَّ عليه إذا طلَّقها أَنْ ينفق عليها في حالة العدَّة، فالمرأة في العدَّة لا تزال زوجة، لأنَّ الزوج لو مات ترثه زوجته ما دامت في عدتها، ولو ماتت هي في العدَّة يرثها، فالعلاقة لم تنقطع تماماً، والله تعالى يقول: ﴿وَبِعُولَهُنَّ أَحَقُّ بِرِدَهَنَ فِي ذَلِكَ إِنَّ أَرَادُوا إِصْلَاحًا﴾ [البقرة: ٢٢٨].

وجعل الإسلام للإنسان فرصة بعد فرصة، ﴿الطلاق مَرَّتَانِ فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ سَرِيعٌ بِإِحْسَانٍ﴾ [البقرة: ٢٢٩]، كثير من الناس ينسون التَّسْرِيح بإحسان، والمفارقة بالمعروف، ﴿فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ سَرِحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ﴾ [البقرة: ٢٣١].

والمعروف أنْ تعطيها حقَّها، إنْ كان لها مؤخَّر مهر تعطيها إِيَاه، وإنْ كان لها حقٌّ في الأثاث تعطيها حقَّها فيه، ولها حق المتعة، ﴿وَمَتَّعُوهُنَّ عَلَى الْمُؤْسِعِ قَدْرُهُ وَعَلَى الْمُفْتَرِ قَدْرُهُ مَتَّعًا بِالْمَعْرُوفِ حَقًا عَلَى الْمُحْسِنِينَ﴾ [البقرة: ٢٣٦]، ﴿وَلِلْمُطَلَّقَاتِ مَتَّعٌ بِالْمَعْرُوفِ حَقًا عَلَى الْمُتَّقِينَ﴾ [البقرة: ٢٤١]. الرأي الصحيح الذي هو ظاهر القرآن: أنَّ كل مطلقة لها حق المتعة بالمعروف.

المتعة بالمعروف يتغير من امرأة إلى أخرى، إذا تزوج الرجل امرأة عدة أشهر وطلَّقها فيمكن أن يكون متابعاً شيئاً قليلاً، أمَّا إذا عاشت امرأة مع رجل ثلاثين سنة، أو أربعين سنة، ثمَّ طلَّقها زوجها، هل يرميها في الطريق، ويعطيها متابعاً قليلاً؟ منْ أين تأكل، وأين تعيش؟ ربما لم يكن لها أهل، وليس لها دخل، وليس لها مورد، متابعتها أن يرعاها حتى تموت، هذا هو المعروف، وإلا فليس من المعروف أن تعيش معها أربعين سنة ثمَّ ترميها في عرض الطريق، ﴿وَلِلْمُطَلَّقَاتِ مَتَّعٌ بِالْمَعْرُوفِ حَقًا عَلَى الْمُتَّقِينَ﴾ [البقرة: ٢٤١].

رعى الإسلام هذه الحقوق، حتى إذا طلَّقت المرأة قبل أن تُمسَّ، قبل



أن يدخل بها، أو يختلي بها، لها حق، يقول الله تعالى: ﴿ وَإِنْ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمْسُوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فِرِيضَةً فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ إِلَّا أَنْ يَعْفُونَ أَوْ يَعْفُوا الَّذِي بِيَدِهِ عُقْدَةُ النِّكَاحِ وَأَنْ تَعْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَلَا تَنْسَوْا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ [البقرة: ٢٣٧]. في هذه الحالة لها نصف المهر لأنَّه لم يدخل بها، أو يختلي بها خلوة صحيحة، ولكن حصل بينهما عقد، إيجاب وقبول، فأصبح لها حقٌّ بذلك، لها نصف المهر، ﴿ إِلَّا أَنْ يَعْفُونَ ﴾، إِلَّا أن تتنازل المرأة عن جزء مما تستحقه من المهر أو عنه كله إن شاءت، ﴿ أَوْ يَعْفُوا الَّذِي بِيَدِهِ عُقْدَةُ النِّكَاحِ ﴾، الرجل يغفو فيعطيها أكثر من نصف المهر مكرمة منه، ﴿ وَأَنْ تَعْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ﴾، العفو من الرجل والمرأة أقرب للتقوى، هذا هو المطلوب من المؤمنين، ﴿ وَلَا تَنْسَوْا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾.

هذا هو الزوج الصالح - أيها الإخوة - الذي يراعي هذه الحقوق كلها، ويؤديها ابتعاد وجه الله تبارك وتعالى، حتى يرضي الله عنه، ويكون من عباد الرحمن الذين يقولون: ﴿ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَلَجْعَلْنَا لِلنُّقَيْنِ إِمَامًا ﴾ [الفرقان: ٧٤].

أقول قولي هذا، وأستغفر الله تعالى لي ولكم فاستغفروه؛ إنَّه هو الغفور الرحيم، وادعوه يستجب لكم.

\* \* \*

## الخطبة الثانية

أَمَّا بَعْدُ، فِيَا أَيُّهَا الْإِخْرَوَةُ الْمُسْلِمُونَ:

### قارة إفريقيا المسكينة:

لا زالت قارة إفريقيا هي ملعب السياسة الدولية، والقوى الدولية، هذه القارة المسكينة لا تكاد تخرج من صراع إلا لتقع في صراع تدبره القوى العظمى، فهذه القوى هي التي تهيئ الأسباب، وتهيء السبل لإقامة هذه المعارك معركة بعد معركة: بروندى، نيجيريا، الصومال، سيراليون، إلى آخره، والآن معركة أثيوبيا وإريتريا، القوى العظمى - وعلى رأسها الولايات المتحدة - هي التي تعطى الإشارة الخضراء، وتشجع المهاجمين، وتزودهم بالأسلحة، وتغض الطرف عن الآثار والنتائج، وعن انتهاكات الحقوق، وعن انتهاكات الاحترام، حتى إذا شجعت المنطقة تدميراً وموتاً، وهلاكاً للحرث والنسل تأتي هذه القوى لتدخل، وتقول: كفوا أيديكم، أوقفوا الحرب، أوقفوا الزحف. أين كنتم من أول الأمر؟! هؤلاء هم الذين يريدون لهذه القارة المسكينة أن يأكل بعضها ببعضًا، ويידمر بعضها ببعضًا، خصوصًا أن هذه القارة فيها من المسلمين الكثير والكثير، حتى إن الدولتين اللتين تتصارعان الآن - أثيوبيا وإريتريا - يحكمهما غير المسلمين، مع أن أكثرية شعبيهما من المسلمين، أكثرية الشعب أثيوبيا من المسلمين، أكثرية الشعب إريتريا من المسلمين، وإن كانت الحكومات غير إسلامية بفعل القوى المختلفة، بمساعدة القوى الصليبية، والقوى الإسرائيلية، إسرائيل هي التي نفخت في إريتريا، وشجعتها لتهاجم اليمن، وتأخذ جزيرة حنيش، وتفعل كذا وكذا، وتقول لها: ليست العبرة بالحجم، وليس بالعدد، نحن حجمنا صغير واستطعنا

أن نفرض نفينا على المنطقة. تغريها بهذا، والآخرون يغرون الآخرين، والضحية هي شعوب هذه المنطقة، هذه الشعوب المسكينة التي تشكو الآن من المجاعة التي استمرت سنوات، ستة عشر مليوناً أو أكثر يشكون الجوع، بل يموتون من الجوع، نحن نرى في التليفزيون هذه الهياكل العظمية، هؤلاء الناس الذين تراهم جلداً على عظم يشكون من المجاعة، لا يكفيهم هم الجوع حتى يأتوا بهم الحرب، لتزيد الأمر ضغطاً على إبالة<sup>(١)</sup>، يزداد الطين بلة، ويزداد الداء علة، وتزداد النار اشتعمالاً.

إلى متى تظل هذه القارة المسكينة لعبة في أيدي هؤلاء الساسة العالميين في عصر العولمة كما يسمونها؟ وفلسفة العولمة هي الأمركة، العولمة هي إخضاع العالم لفلسفة معينة، لنمط معين، يسمونه التنميـط، ما يجري في بلد يجب أن يجري في البلاد الأخرى، لا ينبغي أن يخرج بلد عن هذا النمط الحضاري أو الثقافي أو الاقتصادي الذي يجب أن يفرض على الأحمر والأسود، على الجميع في هذا العالم.

تظل قارة أفريقيا في عصر العولمة مسرحًا لأنّا لاعيب السياسة العالمية حتى يمْزِق بعضها بعضاً، والآخرون ينظرون ويتفرجون ويتسامون، فإلى متى نظل نحن المسلمين، نحن الأفريقيون، نحن الآسيويون، نحن العالم الثالث ننفذ خطط غيرنا، ولا نخطط لأنفسنا؟

نَسْأَلُ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى أَن يُهِيئَ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشْدًا، اللَّهُمَّ اجْعَلْ يَوْمَنَا  
خَيْرًا مِنْ أَمْسِنَا، وَاجْعَلْ غَدَنَا خَيْرًا مِنْ يَوْمَنَا، وَأَحْسِنْ عَاقِبَتِنَا فِي الْأَمْرَوْرِ  
كُلُّهَا، وَأَجْرِنَا مِنْ خَزِي الدُّنْيَا وَعَذَابِ الْآخِرَةِ؛ إِنَّكَ سَمِيعٌ قَرِيبٌ.

• • •

(١) الإيالة: حزمة الحطب، والضيغث: المختلط بين رطب وียابس.

## حقوق العِشرة الزوجيَّة<sup>(١)</sup>

### الخطبة الأولى

أمَّا بَعْدُ، فِيَا أَيُّهَا الْإِلَخُوَةُ الْمُسْلِمُونَ:

#### أساسان للعِشرة الزوجيَّة:

لا زال حديثنا موصولاً عن الزواج، وقد وصلنا إلى حقوق المعاشرة بين الزوجين، وقد أقام الإسلام هذه المعاشرة على أساسين: أساس رباني، وأساس إنساني.

#### أساس رباني:

الأساس الرباني هو الذي يضبط الأمور بأحكام الله تعالى، وأوامره ونواهيه، وهو ما سَمَاه القرآن حدود الله، ﴿فَإِنْ خَفْتُمُ الَّا يُقْبِلُكُمْ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا أَفْدَتُ بِهِمْ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [البقرة: ٢٢٩]، ﴿وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ﴾ [الطلاق: ١]، هذا هو الأساس الأول.

(١) ألقيت هذه الخطبة في الدوحة، في نوفمبر ١٩٩٥م.



## أسس إنساني:

والأساس الثاني: أساس إنساني، وهو المعروف، كما قال تعالى: ﴿وَعَاشُرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾ [النساء: ١٩]، ﴿وَعَلَى الْمُؤْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾ [البقرة: ٢٣٣]، ﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾ [البقرة: ٢٢٨]، ﴿وَلِلْمُطَلَّقَاتِ مَتَّعٌ بِالْمَعْرُوفِ حَقًا عَلَى الْمُتَّقِينَ﴾ [البقرة: ٢٤١].

والمعروف هو ما تعرفه الفطر السليمة، والعقول الرشيدة، ويتعارف عليه أهل الفضل والخير من الناس، بحيث يعرفونه ولا ينكرونه، فهذا أساس لإقامة الحياة الأسرية السليمة، الحياة الزوجية الهانئة، التي يُظلل عليها الود والسكنية، والمحبة والرحمة.

## مهر الزوجة:

ذكرنا في الجمعة الماضية أن الزوج الصالح هو الذي يرعى حقوق زوجته؛ فيؤدي لها مهرها؛ فإن المهر حق خالص للمرأة، لا بد أن تُوفَّاه، كما قال تعالى: ﴿وَءَاتُوا النِّسَاءَ صُدُقَتِهِنَّ نِحْلَةً إِنْ طِبَنَ لَكُمْ عَنْ شَيْءٍ مِنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ هِنِئًا مَرِيًّا﴾ [النساء: ٤].

ومن الخطأ أن يستولي الآباء على مهور بناتهن دون حاجة إلى ذلك، فالمهر حق خالص للابنة، وليس من حقوق أبيها، وكذلك لا يجوز للزوج أن يأكل مهر زوجته، لا بد أن يدفع لها مهرها الذي استحقته، سواء كان معجلًا أم مؤجلًا، وهذا هو الحق الأول.

## النفقة على الزوجة:

والحق الثاني للمرأة هو النفقة، ﴿رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾ [البقرة: ٢٣٣]، تعطى المرأة ما يكفيها ولدتها بالمعروف، لا تقتير ولا إسراف، وللأسف

هناك بعض الناس مُقترون على بيوتهم، وعلى زوجاتهم، وعلى أولادهم رغم يسارهم، ورغم أنّهم لا ينقصهم المال، ولكنّهم أشحاء بخلاة مُقترون، وهذا لا يجوز لأنّ هذا قد يدفع امرأتك أن تسرق من ورائك، أو تأخذ من غيرك، وقد يدفع ولدك أن يسرق منك، أو يسرق من غيرك، لا، أنفق عليهم في اعتدال.

وكما أن هناك المُقترون؛ فهناك المسرفون الذين يعطون المال بغير حساب، لزوجاتهم وأولادهم، ولا يبالون ماذا يكون في أيدي هذا الصبي الصغير، أو أيدي تلك المرأة، وإعطاء المال بغير حساب يفسد ولا يصلح، فلا بد من ضبط الأمور، ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنْقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَحْسُورًا﴾ [الإسراء: ٢٩]، نحن للأسف في أكثر أمورنا نقع بين الإفراط والتفريط، بين الغلو والتقصير.

### الاستيلاء على مال الزوجة:

هناك أزواج يستولون على أموال زوجاتهنّ، ولا يكادون يُمكّنونهنّ من هذا المال، ومن هؤلاء الزوجات الموظفات، تجد من الأزواج من يستولي على راتب امرأته، ولا يسمح لها أن تفتح حساباً في البنك باسمها، مع أن هذا مالها الخاص، هي صاحبة التصرف فيه، والله تعالى يقول: ﴿لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا أَكَتَ سَبُوا وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا أُكْسِبَنَ﴾ [النساء: ٣٢].

### حق المرأة في التملك والتصريف:

وممّا جاء به الإسلام في إنصاف المرأة: أنه جعل لها حق التملك، وجعل لها ذمة مستقلة عن زوجها، بحيث تملك المال وتتصرف فيه، تبيع وتشتري، ولا حرج عليها ما دامت بالغة رشيدة، فهذا الذي يستولي

على راتب امرأته جائز ظالم، لا تستولي على امرأتك، دعها تفتح حسابها في المصرف باسمها، وتتصرف فيه كما ترى، إذا أرادت أن تساعد أهلها الفقراء، أن تعطي منه لأبيها أو أمها، أو أخيها أو اختها، أو تتصدق على الفقراء في بلد إسلامي، أو تعطي جمعية خيرية، أو توقف بعض هذا المال صدقةً جارية؛ فهي صاحبة الحق في كل ذلك، الإسلام أعطاها هذا الحق.

صحيح.. الأولى أن يكون ذلك بالتشاور مع زوجها، إن كان زوجها رجلاً عاقلاً رشيداً؛ فينبعي أن يحرضها على ذلك، ويرغبها في الخير، وهو شريك لها إذا فعل ذلك، كما أن المرأة تشتراك في الأجر مع زوجها، إذا أنفقت من ماله وتصدقت منه ولو بغير إذنه، ما دام ذلك في حدود المعروف عند الناس، فإذا تصدقت على سائل، أو أعطيت في مناسبة فلها أجرها لأنها هي المتسببة في هذا الأجر، ولزوجها أجر لأنَّه صاحب المال، ينبغي أن يتعاون الناس في ذلك.

### منع الزوجة عن أهلها:

بعض الأزواج يمنعون زوجاتهم من الإحسان إلى أهلهن والبر بهم: بأبيها، أو أمها، أو أخيها، أو اختها، وهذا لا يجوز، هذا قطع للرحم، لا يجوز أن تقطع الأرحام، وإنما جعل الله الزواج ليتعاهد الناس بالمعروف، لتستمر المودة والرحمة، لتتسع العشيرة، ليكسب الإنسان أسرة إلى أسرته، وعشيرة إلى عشيرته، فتتسع دائرة المودة بين الناس، هذا هو الذي ينبغي.

أمّا أن يُصبح الأصحاب وكأنهم أعداء، فهذا ليس من الإسلام في شيء، فقد جعل الله تعالى المصاهرة أحد رابطتين أساسيتين بين البشر، قال تعالى:

﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُ نَسَاءً وَصِهْرًا وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا﴾ [الفرقان: ٥٤]. فما يضيرك أيها الزوج أن تعطف المرأة على أهلها، وتبعث إليهم بشيء من المال؟ بل هذا يدل على أنها امرأة أصيلة كريمة، فمن لا خير لها في أهلها لن يكون لها خير في زوجها!

الإسلام إذن يفرض على الرجل النفقة، والنفقة بالمعروف، «على المُؤْسِعِ قَدْرُهُ وَعَلَى الْمُقْتَرِ قَدْرُهُ» [البقرة: ٢٣٦]، ولا يجوز للمرأة أن تُكلّف زوجها ما لا طاقة له به، فتقول له: لماذا لا تأتييني بكذا وكذا، مما لا يستطيعه، ولا تتحتمله طاقته، ولا يقدر عليه؟ لماذا لا أكون مثل فلانة وفلانة؟ وربما كانت فلانة وفلانة متزوجتين من زوجين موسرين غنيين قادرين، فلا ينبغي أن يعامل الناس كلهم معاملة واحدة، ينبغي للمرأة العاقلة الرشيدة أن تُراعي ظروف زوجها، ولا تُكلّفه ما لا يُطيقه.

هذه هي طبيعة الزوجة المسلمة الصالحة، وطبيعة الزوج المسلم الصالح، أن يراعي حقوق زوجته، ويراعي شعورها، ولا يظلمها بالتسلط على مالها، ولا يمنعها من التصرف في هذا المال، ولا يمنع أهلها أن يصلوها وأن تصلهم، بعض الأزواج يتحكّم في زوجته، لا يحب أن تتّصل بهم ولو هاتفياً، لا يحب أن تزور أهلها، ويمنعهم أن يزوروها!

كيف تتم حياة بهذه الصورة؟! أين المودة التي شرعها الإسلام في الزواج؟ لا بد للزوج الصالح أن يسمح لزوجته بأن تزور أهلها، وأن يسمح لهم أن يزوروها؛ بل ينبغي أن يزور أهلها معها، يصاحبها هو ليزور حماته وأقارب زوجته، فتتوطّد الألفة، وتستمر المودة بين الناس، هذا ما شرعه الإسلام.

## اللطف مع الزوجة:

الزوج الصالح هو الذي يتلطف مع زوجته، يعاملها بلطف، وهذا من المعاشرة بالمعروف، يُراعي أنها أنثى، وأنها إنسانة رقيقة تحتاج إلى رقة في المعاملة، ولذلك قال النبي ﷺ: «أَكْمَلَ الْمُؤْمِنِينَ إِيمَانًا أَحْسَنُهُمْ خُلُقًا، وَأَرْفَقُهُمْ بِأَهْلِهِ»<sup>(۱)</sup>. وقال ﷺ: «خِيَارُكُمْ خِيَارُكُمْ لِنَسَائِهِمْ»<sup>(۲)</sup>. وقال ﷺ: «خِيرُكُمْ خِيرُكُمْ لِأَهْلِهِ، وَأَنَا خِيرُكُمْ لِأَهْلِي»<sup>(۳)</sup>. كان هو مضرب المثل، كان الأسوة الحسنة، كان الإمام للناس في حسن معاشرة زوجاته رضي الله عنهن جمیعاً، وكان فيهنَّ الكبيرة والصغرى، والشَّيْبُ والبَكْرُ، والعربية وغير العربية، والقرشية وغير القرشية، ولكنَّه كان يُعامل كل واحدة منها بما يتناسب معها.

كانت عائشة رضي الله عنها صغيرة؛ فكان يرعى سُنَّتها، حينما أخذ الأحباس يلعبون بحرابهم ويرقصون بها في المسجد النبوي في يوم عيد، فكان النبي ﷺ يشجّعهم على هذا، لأنَّ من طبائعهم في أعيادهم أن يلعبوا ويرقصوا، وكان من سياسة النبي ﷺ أن يُراعي طبائع الناس، ويُراعي عاداتهم وتقاليدهم.

وأرادت عائشة أن تشاهد هؤلاء الأحباس، وأن تنظر إليهم، وكان بيت النبي ﷺ مجاوراً للمسجد، وهناك كُوئٌ أو نوافذ تطل على المسجد، فرفعها النبي ﷺ من وراء ظهره لتنظر إلى هؤلاء الأحباس وهم

(۱) رواه أحمد (٧٤٠٢)، وقال مخرجوه: حديث صحيح. والترمذی في الرضاع (١١٦٢)، وقال: حسن صحيح، عن أبي هريرة.

(۲) رواه أحمد (٢٤٦٧٧)، وقال مخرجوه: حديث صحيح لغيره. والترمذی في الإيمان (٢٦١٢)، وقال: صحيح. عن عائشة.

(۳) سبق تخریجه ص ١٦٥.

يرقصون، حتى شبت وملت واكتفت، وقالت: حسبي يا رسول الله. وحكت عائشة ذلك، وقالت: إنَّ النَّبِيَّ ﷺ فعل كذا وكذا، وأراني الأحباس وهم يلعبون فاقدروا قدر الفتاة الحديثة السن، الحريصة على اللهو<sup>(١)</sup>. فينبغي للزوج أن يراعي سن زوجته، ويراعي عواطفها.

وقالت عائشة: كانت لي صواحب يأتين ليلاً يلعبن معي بالبنات - أي بالعرائس الدُّمَى - فإذا حضر رسول الله ﷺ انقمعن واختفين، حياءً من النبي ﷺ. ولكنَّه ﷺ كان يُسْرِّبُهن إلى عائشة ليلاً يلعبن معها، ويسلينها<sup>(٢)</sup>، لأنَّه يعلم أنها في هذا السن في حاجة إلى من يُسْلِيَها ويُسْرِّي عنها.

وهكذا كان النبي ﷺ يستمع إلى عائشة وهي تقص عليه القصص، وتحكي له الحكايات من حكايات الجاهلية، وكانت على اطلاع بذلك، حكت له قصة النساء الاثنتي عشرة، و موقفهن من أزواجهن، وأن هذه قالت: زوجي كذا، وكذا، زوجي لحم جمل غث، على رأس جبل وعر، لا سهل فيرتقى، ولا سمين فينتقل. إلى آخر ما قالته كل واحدة عن زوجها، إلى أن جاءت إلى أم زرع، فقال النبي ﷺ لعائشة: «كنت لك كأبي زرع لأم زرع»<sup>(٣)</sup>. وفي رواية: «إلا أنَّه طلقها وإنِّي لا أطلقك»<sup>(٤)</sup>. لأن أبو زرع طلق امرأته، استمع إلى هذه القصة الطويلة منها، ولم ير في ذلك حرجاً، لا بد أن يكون عند الرجل قلب كبير، يراعي المرأة ويقدِّرها، ولا يقول عنها: ما هذه؟ إنَّها لا تساوي شيئاً. ولا يستمع إليها.

(١) متفق عليه: رواه البخاري في النكاح (٥٢٣٦)، ومسلم في صلاة العيدين (٨٩٢)، عن عائشة.

(٢) متفق عليه: رواه البخاري في الأدب (٦١٣٠)، ومسلم في فضائل الصحابة (٢٤٤٠)، عن عائشة.

(٣) حديث أم زرع متفق عليه: رواه البخاري في النكاح (٥١٨٩)، ومسلم في فضائل الصحابة (٢٤٤٨).

(٤) من رواية الزبير بن بكار كما ذكر الحافظ في فتح الباري (٢٧٥/٩).

## ممازحة الزوجة وللابتها:

بل أكثر من ذلك: أنَّ النَّبِيَّ ﷺ كان يممازح عائشة، تزاحماً أحياناً وهما خارجين من الباب، هو يريد أن يخرج قبلها، وهي تريد أن تخرج قبله، وهذا من الممازحة المطلوبة من المسلم، وقد تسابقاً مرتين: تسابقاً مرة أُولَى ما تزوجت، وكانت صبيحة صغيرة، خفيفة اللحم، فسبقته عائشة، وتسابقاً مرة أخرى خلف الجيش، ولكنها كانت قد سمنت بعض الشيء، فسبقها النَّبِيَّ ﷺ، رغم أنَّ سنه كان يقارب الستين في ذلك الوقت، فقال لها النَّبِيَّ ﷺ: «يا عائشة هذه بتلك»<sup>(١)</sup>. أي المرة التي سبقتك فيها بتلك المرة التي سبقتني فيها، كما نقول نحن: صرنا متعادلين.

انظروا مَنْ منا يفعل ذلك؟ قلت مرة وأنا أدرّس لطالباتي في الجامعة: تصوروا لو أَنِّي فعلت ذلك مع زوجتي، ورأني الناس وأنا أتسابق مع امرأتي سيقولون: ماذا جرى للشيخ القرضاوي؛ أيتسابق هو وزوجته؟ ولكنَّ محمداً ﷺ فعل ذلك مع زوجته، نحن - كما قلت دائمًا - متزمتون متشدّدون، ونريد أن نقتدي بالنبوة الهدية، بالسيرة العاطرة لنتعلم منها.

يقول النَّبِيَّ ﷺ لجابر حينما تزوج امرأة: «أَبِكْرًا أمْ ثَيَّبًا؟» قال: بل ثيب يا رسول الله. فقال: «هَلَّا بِكْرًا تلاعها وتلاعبك، وتضاحكها وتضاحكك»<sup>(٢)</sup> وفي رواية «وتعضها وتعضك»<sup>(٣)</sup>. هذه هي الحياة الزوجية الطبيعية الفطرية.

(١) سبق تخریجه ص ١٧١.

(٢) متفق عليه: رواه البخاري في البيوع (٢٠٩٧)، ومسلم في الرضاع (٧١٥)، عن جابر.

(٣) رواه الطبراني (١٤٩/١٩)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٧٣٤٧): رواه الطبراني عن الربيع بن كعب بن عجرة عن أبيه، ولم أجده من ترجم الربيع، وبقية رجاله ثقات، وفي بعضهم ضعف، وقد وثّقهم ابن حبان. وضعفه الألباني في الضعيف (١٦٢٩)، عن كعب بن عجرة.

ويقول ﷺ لسعد بن أبي وقاص: «إِنَّكَ مَا أَنْفَقْتَ مِنْ نَفْقَةٍ تُبَتَّغِي بِهَا وَجْهَ اللَّهِ فَهِيَ لَكَ صِدْقَةٌ، حَتَّى الْلَّقْمَةَ تُرْفَعَهَا إِلَى فِي امْرَأَتِكَ»<sup>(١)</sup>. ترفعها إلى فم امرأتك، ومعنى هذا أنك تفعل ذلك على سبيل المداعبة والممازحة، هي تعطيك لقمة، وأنت تعطيها لقمة، وتعطيها في فمها، وهذا دليل على حُسْنِ الْعِشْرَةِ، وهي لك صدقة، لأن العبرة بالنية، و«إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ، وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرَءٍ مَا نَوَى»<sup>(٢)</sup>، فما دمت تقصد قصداً صحيحاً، وتبتغي هدفاً طيباً من وراء ذلك بأن تُحسِنَ العِشْرَةَ، وأن تديم المودة، وأن تظل هذه الصلة قائمة على المحبة؛ فأنت مأجور في ذلك، هذا التلطف مطلوب من الإنسان المسلم مع زوجته.

يقول النبي ﷺ لعائشة: «إِنِّي لَأَعْلَمُ إِذَا كُنْتَ عَنِي راضِيَةً، وَإِذَا كُنْتَ عَلَيَّ غَضِبِي». قالت: من أين تعلم ذاك؟ قال: «إِذَا كُنْتَ راضِيَةً عَنِي فَإِنَّكَ تقولين: لا وَرَبِّ مُحَمَّدٍ. وَإِذَا كُنْتَ عَلَيَّ غَضِبِي تقولين: لا وَرَبِّ إِبْرَاهِيمَ». قالت: أجل، والله ما أهجر إلَّا اسمك<sup>(٣)</sup>. انظروا أيضاً إلى هذا الجواب الحكيم، قالت: أنا أهجر اسمك فقط، ولكنني لا أهجر موذنك ولا محبتك، فهي كامنة مستقرة في قلبي. فانظر إلى الزوج الذي يلاحظ زوجته، ويعرف رضاها من غضبها، ويعرف ذلك في تعبيراتها، هذه هي الحياة الزوجية السليمة كما يريدها الإسلام، فالزوج الصالح هو الذي يتلطف كل التلطف مع زوجته، يراعي هذا منها.

(١) متفق عليه: رواه البخاري في الجنائز (١٢٩٥)، ومسلم في الوصية (١٦٢٨)، عن سعد بن أبي وقاص.

(٢) متفق عليه: رواه البخاري في بدء الوضي (١)، ومسلم في الإمارة (١٩٠٧)، عن عمر بن الخطاب.

(٣) متفق عليه: رواه البخاري في النكاح (٥٢٢٨)، ومسلم في فضائل الصحابة (٢٤٣٩).



## الغيرة على الزوجة:

ثم الزوج الصالح أيضًا هو الذي يصون كرامة زوجته، ومعنى يصون كرامتها: أنه يحافظ على عرضها، وعلى شرفها، ويغار عليها، فقد جاء في الحديث: «إن من الغيرة ما يحب الله، ومنها ما يبغض الله، ومن الخيلاء ما يحب الله، فأما الغيرة التي يحب الله فالغيرة في ريبة، وأمّا التي يبغض الله فالغيرة في غير الريبة»<sup>(١)</sup>. ومعنى الريبة: أن يوجد من المرأة من الدلائل ما يدل على أنها متلاعبة، لا تحفظ عرض زوجها، وهنا ينبغي للزوج أن يكون قويًا، وألا يدع لها الحبل على الغارب، ولا يأذن لها أن تدخل في بيته من يكره من الناس، أو من يشك فيهم، ولا يسمح لها أن تذهب إلى مكان يشك فيه، ويأخذ هذا من أول الأمر بصرامة، ويكون هذا واضحًا وعلى نور، حتى لا يكون ديوثًا، فالديوث هو الذي يعلم القبيح على أهله ويسكت، يسدُّ أذنًا من طين، وأذنًا من عجين، ويرى الأشياء أمامه واضحة، ولكته لا يفهم.

وقد قال النبي ﷺ: «ثلاثة لا يدخلون الجنة أبداً: الديوث، والرجلة من النساء، ومدمن الخمر». قالوا: يا رسول الله! أمّا مدمن الخمر فقد عرفناه، فما الديوث؟ قال: «الذي لا يبالى من دخل على أهله». قلنا: فما الرجلة من النساء؟ قال: «التي تشبه الرجال»<sup>(٢)</sup>. هؤلاء لا يدخلون الجنة إلا بعد أن يستوفوا حظهم من العذاب، إن ماتوا على الإسلام، لا ينبغي للمسلم أن يكون ديوثًا، وإنما ينبغي أن يغار؛ فقبح الله من لا يغار، وقد قال

(١) سبق تخریجه ص ٢٣٣.

(٢) رواه البیهقی في الشعب (١٠٣١٠)، وقال الألبانی في صحيح الترغیب والترھیب (٢٠٧١): صحيح لغیره. عن عمار بن یاسر.

النبي ﷺ عن سعد بن معاذ: «أتعجبون من غيرة سعد، والله لأننا أغير منه، والله أغير مني، ومن أجل غيرة الله حرم الفواحش ما ظهر منها وما بطن»<sup>(١)</sup>.

### الإسراف في الغيرة:

ومع ذلك لا يجوز أن يُسرف الرجل في الغيرة، يُخوّن زوجته، ويطلب عثراتها، ولهذا «نهى النبي ﷺ أن يطرق الرجل أهله ليلاً»<sup>(٢)</sup>، يعني إذا جاء من سفر لا يدخل على أهله في الليل، وفي بعض الروايات: «يتخوّنهم، ويطلب عثراتهم»<sup>(٣)</sup>. يعني جاء بالليل يفاجئها ليبحث: هل هي مع رجل أم ليست مع رجل؟ فنهى النبي ﷺ عن هذا، فكانوا إذا جاؤوا بالليل ينتظرون إلى الصباح، ويعلمون النساء، يبعثون برسل إلى البلدة أنَّ الجيش قد عاد، حتى تتهيأ المرأة للقاء زوجها، تتمشط الشعثة، وتتعطر المرأة وتستحد، وهذا من حُسن العشرة الذي شرعه الإسلام.

الإسلام لا يحب الإسراف في أي ناحية من النواحي، الإسراف في الغيرة يمكن أن يهدم الحياة الزوجية، إذا توسع فيه الناس، وشكوا بغير حق، وتركوا لسوء الظنون أن تلعب برأوسهم، وليس هناك ما يدل على ذلك، الخير كل الخير في التوسط والاعتدال، فلا إسراف في سوء الظن، ولا إهمال للظن إذا توفرت أسبابه وأداته.

### الصبر على المكاره:

وممَّا ينبغي للزوج في حسن العشرة مع زوجته: أن يصبر على أمرأته، أن يتحمل أذها، لأن الحياة الزوجية لا بدَّ فيها من صبر واحتمال، والمرأة

(١) متفق عليه: رواه البخاري في الحدود (٦٨٤٦)، ومسلم في الطلاق (١٤٩٩)، عن المغيرة بن شعبة.

(٢) متفق عليه: رواه البخاري في العمرة (١٨٠١)، ومسلم في الإمارة (٧١٥)(١٨٣)، عن جابر.

(٣) رواه مسلم في الإمارة (٧١٥)(١٨٤)

إنسان كما أنَّ الرجل إنسان، والكمال لله وحده، فلا توجد امرأة كاملة مُبرأة من كل عيب، ولذلك يقول النبي ﷺ: «لا يفرك مؤمن مؤمنة - أي لا يبغضها - إن كره منها خلقاً رضي منها آخر»<sup>(١)</sup>. فعليه أن يُقْوِّمها بالعدل، يذكر حسناتها وعيوبها، ولا يجسّم العيوب، ولا ينظر إليها بميكر وسكوب، يُضخّم ما فيها من سلبيات، وينسى ما فيها من حسنات، لا، فإنَّه إنْ فعل ذلك؛ فإنَّه لا يمكن أن تستقر به المعيشة، لا بدَّ أن ينظر إلى المرأة بجملة مزاياها ومعايبها، ويوطن نفسه على أنَّه لا توجد إنسانة كاملة.

**فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئاً وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا:**

هكذا ينبغي، فإذا أحسنَ نحوها بشيءٍ كان عليه أن يضغط على عاطفته، ولا يسارع بالاستجابة إلى نزوات نفسه وأهواءها وعواطفها، فيطلق المرأة، فيهدم الأسرة، والله تعالى يقول: ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئاً وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ [النساء: ١٩].

لعل هذه المرأة التي تنفر منها تُرزق منها بأولاد صالحين، وبنات صالحات، وأبناء نُبغاء، فهذا يُعوّض نُفترتك منها، ﴿فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئاً وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا﴾.

لعل هذه المرأة التي تنفر منها تكون سندًا لك عند الشدة، إذا حلَّت بك النوازل، إذا افتقرت بعد غنىٍّ، إذا ذللت بعد عزةٍ، إذا عزلت من عملك، إذا أصابك مكروره، هي التي تكون سندًا لك، وذراعك اليمني، وتقف معك في الشدائيد، ﴿فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئاً وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا﴾.

(١) رواه مسلم في الرضاع (١٤٦٩)، وأحمد (٨٣٦٣)، عن أبي هريرة.

لعل هذه المرأة التي تكرههااليوم هي التي تقف معك في  
شيخوختك عندما يشتعل رأسك شيئاً، عندما يهون العظم منك، عندما  
تبلغ من الكبر عتيّاً وينصرف عنك الناس، هذه هي التي تُمْرِضك في  
شيخوختك، وتكون عوناً لك في ذلك الحين، هذا معنى قوله تعالى:  
**﴿فَعَسَىَ أَن تَكْرَهُوا شَيئاً وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا﴾**.

### **بالدين وبالأخلاق يتعاهد الناس:**

البيوت تقوم على المعروف، وليس كل البيوت قائمة على الحب،  
كما قال عمر رضي الله عنه؛ جاء رجل إلى عمر رضي الله عنه وقال: يا أمير المؤمنين  
تلوموني على كثرة الطلاق؛ فسئل هذه: لماذا طلقتها؟ وقد جاء بامراته  
التي طلقها، فقال له عمر: لماذا طلقك؟ فقالت: يا أمير المؤمنين سألني  
بالله: هل أحبه؟ فامتنعت عن الإجابة، فكرر عليّ، وناشدني بالله مرة  
ومرة أن أجيبه بصدق وصراحة. فقال عمر رضي الله عنه: إذا كانت إحداكم  
لا تحب رجلاً فلا تخبره؛ فإن أقلَّ البيوت ما بُني على الحب، وإنما  
يتتعاهد الناس بالإسلام والأحساب<sup>(١)</sup>.

إذا لم تكن المرأة تحب زوجها لا تقول له: أنا لا أحبك. بل تحاول  
أن تجيئه إجابة فيها نوع من المعارض، إذا سألهـا: هل تحبـينـي؟ تقول  
لهـ: وأـيـ اـمرـأـةـ لـاـ تـحـبـ زـوـجـهـ؟ـ وكـيـفـ لـاـ تـحـبـ الـمـرـأـةـ زـوـجـهـ؟ـ

وإن كان هذا السؤال خطأً من الرجل، لا ينبغي أن يسأل زوجته هذا  
السؤال، وإذا سألهـا لـاـ يـلـحـ عـلـيـهـ،ـ كماـ لـاـ يـنـبـغـيـ لـلـرـجـلـ إـذـاـ زـفـتـ إـلـيـهـ اـمـرـأـةـ

(١) رواه الخرائطي في مساوى الأخلاق صـ٨٩ـ، رقم (١٧٨)، تحقيق مصطفى الشلبي، نشر مكتبة  
السوداني للتوزيع، جدة، طـ١ـ، ١٤١٣ـهـ - ١٩٩٣ـمـ.



أن يسألها عن ماضيها: هل عرفت رجلاً غيري؟ هل أحببت شاباً قبلى؟ هذا سؤال أحمق لا ينبغي للرجل أن يسألها، ولا ينبغي للمرأة أن تجيب عنه، إن كان لها ماضٍ فعفا الله عما سلف، ابدأ صفحة جديدة، وهل تسألك هي أيضاً عن ماضيك؟ وعمن تعرف قبل ذلك؟ الصواب أن يدعا ما مضى، ويبداً صفحة جديدة، مليئة بالمحبة والمودة، وحسن المعاشرة، هذا ما ينبغي للإنسان المسلم.

وقد أجاز النبي ﷺ الكذب في مثل هذه الحالة، كما روت أم كلثوم بنت عقبة، وكانت من المهاجرات الأولى: «أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ لَمْ يَكُنْ يُرِخْصُ فِي الْكَذْبِ إِلَّا فِي ثَلَاثَةِ مَسَاجِدٍ: فِي الْحَرْبِ؛ فَإِنَّ الْحَرْبَ خَدْعَةٌ، وَفِي الإِصْلَاحِ بَيْنَ النَّاسِ؛ فَلَا يَكُونُ بِكَذَابٍ مِّنْ أَصْلَحٍ بَيْنَ اثْنَيْنِ؛ فَقَالَ خَيْرًا أَوْ أَنْمَى خَيْرًا»، لا يقول: أنا سمعت فلاناً يقول عنك كذا، ويذهب إليه ويقول: أنا أقول الحق. لا، هذا هو الصدق القبيح، لا تنقل الكلام السيء من إنسان إلى آخر، ومن مجلس إلى آخر، إذا كان ذلك يقطع الروابط بين الناس، فهذا هو الذي سمّاه الإسلام النمية، و«لا يدخل الجنة نمام»<sup>(١)</sup>، والأمر الثالث: «وَحَدِيثُ الرَّجُلِ مَعَ امْرَأَتِهِ، وَحَدِيثُ الْمَرْأَةِ مَعَ زَوْجِهَا»<sup>(٢)</sup>. لا مانع من أن تقول له: أنا أحبك. وإن لم تكن تحبه، وأن يقول لها: أنا أحبك. وإن لم يكن يحبها، ربما إذا تكرر هذا الكلام نفسه يوحى بالمحبة، فقد يتزوج الرجل المرأة وهو لا يحبها، ولكن بدوام العشرة يحبها وتحبه، بلطف المعاملة، بالأخلاق الكريمة، فهذا هو ما جاء به الإسلام في هذه القضية.

(١) رواه مسلم في الإيمان (١٠٥)، وأحمد (٢٣٣٢٥).

(٢) رواه مسلم في البر والصلة (٢٦٠٥)، وأحمد (٢٧٢٧٥)، وأبو داود في الأدب (٤٩٢١)، عن أم كلثوم بنت عقبة.



إنَّ الإِسْلَام يُحرِصُ عَلَى إِقَامَةِ الْبَيْتِ الصَّالِحِ، عَلَى إِقَامَةِ الْأُسْرَةِ الصَّالِحةِ، عَلَى هَذِهِ الدِّعَائِمِ الْمُكِيْنَةِ، الَّتِي لَوْ رَعَاهَا الْمُسْلِمُونَ وَأَعْطُوهَا حُقُوقَهَا كَمَا يَنْبَغِي: مَا انْهَمْتَ أَسْرَةً، وَلَا انْهَارَ بَيْتٌ مِّنْ بَيْوَاتِ الْمُسْلِمِينَ، وَلَكِنَّ الْمُسْلِمِينَ أَسَاؤُوا فَهُمُ الْأُسْرَةُ وَالْحَيَاةُ الْزَّوْجِيَّةُ وَآدَابُهَا فَوْقَ مَا وَقَعَ، وَعَلَيْنَا أَنْ نُعِيدَ الْفَهْمَ فِي ضَوْءِ مَقْرَرَاتِ الشَّرْعِ، فِي ضَوْءِ أَحْكَامِ الْكِتَابِ وَالسُّنْنَةِ، فِي ضَوْءِ السِّيرَةِ النَّبُوَّيَّةِ، وَهُدُيِّ السَّلْفِ الصَّالِحِ، فَقَدْ كَانُوا أَفْهَمُ النَّاسِ لِهُدِيِّ الْإِسْلَامِ، وَأَفْقَهُمُ لِفَقْهِ الْقُرْآنِ وَالسُّنْنَةِ.

أَسْأَلُ اللَّهَ تَبارُكُ وَتَعَالَى أَنْ يُعْلَمَنَا مَا يُنْفَعُنَا، وَأَنْ يُنْفَعَنَا بِمَا عَلِمْنَا، وَأَنْ يُفْقَهَنَا فِي دِيَنِنَا، وَأَنْ يُضَيِّءَ لَنَا الطَّرِيقُ؛ إِنَّهُ سَمِيعٌ قَرِيبٌ.

أَقُولُ قَوْلِي هَذَا، وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ تَعَالَى لِي وَلَكُمْ فَاسْتَغْفِرُوهُ، إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ، وَادْعُوهُ يَسْتَجِبُ لَكُمْ.

\* \* \*



## الخطبة الثانية

أَمَّا بَعْدُ، فِيَا أَيُّهَا الْإِخْرَةُ الْمُسْلِمُونَ:

### تقاول المجاهدين الأفغان:

مما يُدمي القلب، وينغص الفؤاد ما نراه في بلاد المسلمين الآن، ما نراه من تفرق وتمزق جعل الأمة الواحدة أممًا، وجعل البلد الواحد بلدانًا، وجعل الناس يبغض بعضهم بعضاً، ويسفك بعضهم دماء بعض، ويستحل بعضهم حرمات بعض، ما الذي حدث للأمة الإسلامية حتى نرى ما نرى اليوم؟ نرى ذلك في الجزائر، ونرى ذلك في مصر، ونرى ذلك في الصومال، ونرى ذلك في كراتشي بباكستان، ونرى ذلك في أفغانستان.

حتى أفغانستان، البلد الذي جاهد في سبيل الله، وصمد صمود الأبطال أمام الاتحاد السوفيتي، وصبر سنين طويلة، يقاتل بما تيسر من السلاح؛ حتى يسر الله السلاح الكثير، واستطاع أن ينتصر على الدولة الثانية في العالم، ترسانة الأسلحة الكبيرة، الاتحاد السوفيتي، استطاع الإخوة في أفغانستان أن ينتصروا على الاتحاد السوفيتي، ولكنهم للأسف - والأسف الشديد - لم يستطيعوا أن ينتصروا على أنفسهم.

كنا ننتظر بعد هذا الجهاد الذي أيدى المسلمين في العالم كله، بالمال وبالسلاح وبالنفس، وقد سقط الشهداء هناك من كل بلد، ومنهم شهداء من هذا البلد من أبناء قطر، ومن أبناء بلاد العرب وببلاد المسلمين، حتى جاءهم من أوروبا ومن أمريكا، ومن الجاليات الإسلامية المختلفة، فقد كانوا يرون هذا الجهاد جهاداً لتكون كلمة الله هي العليا، وتكون كلمة أعدائه هي السفلة، جهاداً في سبيل الله، ولذلك

شدّ المسلمين أزرهُم، ووقفوا بجانبهم في كل مكان، وبذلوا لهم النفس والنفيس، والغالي والرخيص.

كنا ننتظر بعد هذا الانتصار الذي حدث، كنا نطمع ونحلم أن تقوم بعده دولة للإسلام، تُعلي كلمة الله، وترفع راية الإيمان، وتحكم شريعة القرآن، وتعطي نموذجاً للناس، فإذا هذا الحلم يتَبَخِّرُ، وإذا بهؤلاء يقاتل بعضهم بعضاً، رفقاء الجهاد بالأمس هم أعداء اليوم، يتقاتلون ويضرب بعضهم بعضاً بالصواريخ.

ماذا أصابكم أيها القوم؟ أجننتم؟ أنسيتم ما وقع لكم؟ أنسيتم أنكم كتتم رفقاء بالأمس، وأنكم جميعاً كنتم مُعرَّضون للقتل بين لحظة وأخرى؟ ماذا أصابكم يا زعماء الجهاد حتى حدث لكم ما حدث، ونزل بكم ما نزل، وأصبحتم تقاتلون بعضكم بعضاً؟ هل نسيتم قول النبي ﷺ: «لا ترجعوا بعدي كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض»<sup>(١)</sup>. هذا شأن أهل الجاهلية، شأن الكفار، وليس شأن المسلمين، لم يُقتل في كابل في عهد الحرب مع السوفيت ما قُتل بعد خروج السوفيت، هل هذا أمر مقبول؟!

لقد خذلنا هؤلاء الإخوة للأسف، وأصبحنا لا نستطيع أن نتكلّم أمام العلمانيين واللادينيين، ويقولون: هذا هو الجهاد الذي ساعدتموه بالأمس! وهؤلاء هم المجاهدون الذين كنتم تتحدّثون عنهم! ألا يعقل هؤلاء ما أصاب الإسلام من ورائهم؟ هذا للأسف ما يحدث في أفغانستان.

(١) متّفق عليه: رواه البخاري في العلم (١٢١)، ومسلم في الإيمان (٦٥)، عن جرير بن عبد الله.



لا شك أن هناك أيدٍ تلعب في الخفاء، وهناك قوى تُدبِّر لهؤلاء،  
تريد لهم أن يقتل بعضهم بعضاً، وأن يتخلّصوا من السلاح الذي استولوا  
عليه من قبل من الاتّحاد السوفياتي، ولذلك تكيد لهم، وتمكر بهم،  
وتخطط لهم.

ولكن هذا ليس عذرًا، ليس عذرًا أن نقع في مكر الماكرين، أن نقع  
في أحبوة الكيد، أن ننفّذ مخطط الأعداء ونقول: إنَّ الأعداء قد خططوا.  
إلى متى يخطُّط الأعداء لنا، ولا نخطُّ لأنفسنا؟ هذا ما ينبغي أن نفعله.

إن هذه القضية للأسف قضية تمزقٌ قلوبنا، وتدمّع عيوننا كلما قرأنا  
أخبارهم، هذه الحركة التي ظهرت في أفغانستان فجأة، وما كان لها  
وجود من قبل، حركة (طالبان) كما يسمونها، متى خرجت؟ وكيف  
خرجت؟ ومنْ أخرجها؟ ومنْ أعطاها كل هذه الأسلحة والدبابات  
والصواريخ؟ مَنْ وراء هذا كله؟ مَنْ هي القوى التي تريد أن تفتَّك  
بالمسلمين، وتکيد لهم في كل بلد؟ مَنْ الذي يُحرِّك الفتنة في هذه  
البلاد: في الجزائر، وفي الصومال، وفي مصر، وفي غيرها؟ ما الذي  
حدث لهذه الأمة؟

الشاب الذي ذهب إلى سفارة مصر في باكستان، وفجَّر سيارته،  
شاب أو اثنان، ما الذي جعل هؤلاء يفعلون ذلك؟ أي حقد امتلأ به  
قلوبهم؟ ما الذي جعل قلوبهم تمثل بمثل هذه الكراهية وهذا الحقد؟  
مَنْ المسؤول عن ذلك؟ نحن ندين هؤلاء الشباب، وننكر عليهم، ولكن  
هذه القضايا قضايا خطيرة، يجب أن تعالج من جذورها، يجب أن تعالج  
الأسباب، ما الذي أدى إلى هذا في باكستان؟ وما الذي أدى إلى ما أدى  
إليه في الجزائر؟

هذه القضايا نذكرها ونختار: ماذا نفعل أمامها؟ ولم يعد أمامنا شيء، لا يستطيع أحد أن يفعل شيئاً، ليس لهذه الأمة مجلس من الحكماء، يمكن أن يجتمع ويقول: كيف نعالج هذه القضايا الخطيرة؟ ليس للأمة هذا المجلس كما كان لصهيون مجلس حكماء صهيون الذي قرر (بروتوكولات حكماء صهيون)؛ أليس هناك حكماء في هذه الأمة يستطيعون أن يجتمعوا؟

هناك منظمة المؤتمر الإسلامي، ولكنها منظمة هشة ضعيفة، لم تعالج قضية من القضايا، وهناك الجامعة العربية، وهي أضعف ما تكون، هذا ما وصل إليه حالنا.

ليس لنا إلا الشكوى إلى الله، ليس لها من دون الله كاشفة، ليس لنا إلا التضرع إلى الله: أن يُضيء لهذه الأمة الطريق، وأن يُصرّها بالصراط المستقيم، وأن يحميها من كيد أعدائها وهم كثيرون، وأن يحميها من أنفسها؛ فإن الأمة إنما تُصاب وتُضرب بأيدي أبنائها أكثر مما تُضرب بأيدي أعدائهما، ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾ [الرعد: ١١]، ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُنْ مُغَيِّرًا نَعْمَمَا أَغْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ لَا وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلَيْهِمُ﴾ [الأنفال: ٥٣]، وهذا هو الطريق: التغيير، والتغيير النفسي، تغيير ما بالأنفس من أخلاق وسلوك، وتغيير ما بالعقل من أفكار ومفاهيم، فإذا استقامت الأنفس استقامت الحياة.

أسأل الله تعالى أن يجعل يوم هذه الأمة خيراً من أمسها، وأن يجعل غداها خيراً من يومها، وأن يُحسن عاقبتها في الأمور كلّها، وأن يغيرها من خزي الدنيا وعذاب الآخرة.

\* \* \*



## إِنْهَاءُ الزَّوْاجِ (١)

### الخطبة الأولى

أَمَّا بَعْدُ، فِيَا أَيُّهَا الْإِخْرَوَةُ الْمُسْلِمُونَ:

كنا قبل رمضان قد تحدّثنا عن الزواج، عن الأسرة المسلمة، عن البيت المسلم الذي ينشده الإسلام، عن أهمية هذا الزواج، وعن ثماره وفوائده لفرد وللمجتمع، وعن عوائق الزواج، عن حقوق الحياة الزوجية، ما على كل زوج لصاحبها، وعن الزوج الصالح، وعن الزوجة الصالحة.

والليوم نتحدث عن الحياة الزوجية حينما تعترف بها الصعوبات والمعوقات، حينما يكره الرجل المرأة، وتكره المرأة الرجل، حينما لا يكون هناك بد من الانفصال.

إن الإسلام دين واقعي، لا يتحقق في أجواء الخيال، ولا ينظر إلى الحياة المثالية المجنحة لا تتصل بالحياة الواقعية التي يعيشها الناس على ظهر الأرض.

(١) ألقى بمسجد عمر بن الخطاب بالدوحة، في ديسمبر ١٩٩٥ م.

الإسلام شريعة تُنظم الواقع، تعترف بضعف الإنسان، وعواظمه، وغرايئه، وضروراته، وحاجاته، ولذلك شرعت لكل حالة ما يناسبها، لم تغمض العين، ولم تسد أذنًا من طين، وأذنًا من عجين على ما يحدث في الحياة الزوجية من كدر، من أجل هذا شرعت الطلاق.

### إجراءات وقائية ضد الطلاق:

ولكن الإسلام قبل أن يشرع الطلاق وضع من الخطوات الوقائية ما يمنع وقوع هذا الطلاق كلّما أمكن ذلك، لو أنَّ الناس نفّدوا تعاليم الإسلام في الزواج كما ينبغي لقلَّ وقوع الطلاق، المفترض في المسلم أن يفتح عينيه واسعتين قبل الزواج، وأن يغمضهما نصف إغماضة بعد الزواج، ولكن الناس لا يفعلون ذلك.

#### ١ - حسن اختيار الزوجة:

على الإنسان المسلم أن يحسن اختيار من يتزوجه، ينفذ تعاليم الإسلام، يختار المرأة الصالحة من الأسرة الصالحة، يراها قبل الزواج وتراه، ويسمعها وتسمعه، حتَّى يكون الزوج عن رضا واقتناع.

#### ٢ - رعاية الحقوق الزوجية:

وبعد ذلك ينبغي أن يراعي حقوق الحياة الزوجية، يُحسن إليها وتُحسن إليه، يقدم كلَّ منهما لصاحبها أقصى ما عنده، يصبر عليه، لا يسارع إلى تلبية العاطفة كلَّما أحسَ بالنفور أو بالكراهية.

والنبيُّ ﷺ يقول: «لَا يَفْرَكُ مُؤْمِنٌ مُؤْمِنَةً - أَيْ: لَا يبغضها ولا يكرهها - إِنْ كَرِهَ مِنْهَا خُلُقًا رَضِيَّ مِنْهَا آخِرٌ»<sup>(١)</sup>. يجب أن يأخذها

(١) رواه مسلم في الرضاع (١٤٦٩)، وأحمد (٨٣٦٣)، عن أبي هريرة.



بمجموعها، ينظر إلى جانب الحسنات بجوار جانب السيئات، ينظر إلى المزايا، وينظر إلى العيوب.

والقرآن الكريم يقول: ﴿وَعَاشُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَىَ أَنْ تَكْرَهُوْا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ [النساء: ١٩]. لعل هذه المرأة التي تكرهها تكون عدة لك في الشيخوخة، يرزق الله منها أولاد نبغاء أذكياء فضلاء، ﴿فَعَسَىَ أَنْ تَكْرَهُوْا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا﴾.

لا ينبغي أن يستجيب الناس لأول عاطفة تبدو منهم بالكراهة، فالحياة الزوجية رباط مقدس، ميثاق غليظ، كما سماه القرآن الكريم، ﴿وَأَخَذْتُكُمْ مِّيثَقًا غَلِيظًا﴾ [النساء: ٢١]، فلا نقض هذا الميثاق، ولا نحل هذا الرباط، ولا نهدم هذه المؤسسة بأدنى سبب، ينبغي أن نحرص عليها ما أمكننا.

### ٣ - الصبر على المكاره:

علينا أن نحافظ على الحياة الزوجية، ونصبر عليها، فإذا لم يكن من الطلاق بُدْ فلا حول ولا قوة إلا بالله، لكن بعد أن نستنفذ كل الوسائل، الوسائل النفسية، أن تضغط على نفسك، وتحتمل رغم الكراهة، وتصبر رغم النفور، كما قال النبي ﷺ: «استوصوا النساء خيراً، فإن المرأة خلقت من ضلع، وإن أعوج شيء في الضلع أعلى، فإن ذهبت تقيمه كسرته، وإن تركته لم يزل أعوج، فاستوصوا النساء»<sup>(١)</sup>.

وفي هذا إشارة إلى لسان المرأة وعقلها الذي تحكمه العواطف غالباً، فإن صبرت على المرأة استمتعت بها وفيها عوج، العوج الفطري

(١) متفق عليه: رواه البخاري في النكاح (٣٣٣١)، ومسلم في الرضاع (١٤٦٨)، عن أبي هريرة.

ال الطبيعي الذي تغلب فيه العاطفة على العقل، وإن ذهبت تقييمها كسرتها، وكسرها طلاقها، الضلع أعوج بطبيعته لا يقبل أن تقيمه إلا إذا كسرته، فلا بد أن تقبلها على علالتها، تأخذها بما هي، لا تتصور أنها ملاك، هي إنسان فيه ضعف الإنسان، وهل أنت كامل من كل جانب؟ لماذا تطلب منها الكمال ولا تندشد الكمال في نفسك؟ عندك قصور وعندك قصور، فيك نقص وفيها نقص، فليكمّل كلّ منكما الآخر، لا بد من هذه الناحية النفسية.

#### ٤ - علاج النشوز:

ولا بد من علاج النشوز عندما يظهر، إذا بدأ الخلاف يمكن أن يعالج بكلمة طيبة، بموعظة حسنة، بتدخل قريب من أقرباء الزوج أو أقرباء الزوجة ليحل المشكلة بسهولة، فإن استمر النشوز فقد أشار القرآن إلى مراحل العلاج، قال: ﴿وَالَّتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَأَضْرِبُوهُنَّ﴾ [النساء: ٣٤].

هذه مراحل متدرّجة، أول مرحلة هي الوعظ، أن تخوّفها بالله والدار الآخرة، وبنتيجة الطلاق وأثره عند الله، وعند الناس، وفي الحياة الاجتماعية العامة، يعظها بما يؤثّر في نفسها.

إذا نفع هذا الوعظ فيه، وإن انتقل إلى مرحلة أخرى، مرحلة الهجر في المضجع، في فراش الزوجيّة، يعطيها ظهره، دلالة على أنه قادر على ضبط نفسه، قادر على الاستغناء عنها في الليل، فلعلّ هذا يجعلها تفكّر، وتعود الأمر بروح الإنسنة العاقلة، ولا يجوز الهجر في غير المضجع بأن يتركها ويجلس في حجرة أخرى.



إذا نفع الهرج في المضجع فيه، وإنما انتقل إلى مرحلة الضرب، والضرب هنا ليس علاجاً عاماً، ليست كل النساء يصلح معهنَّ الضرب، بعض النساء يفسدنهنَّ الضرب، لا تطيقه، لم تُضرب في حياتها، ما ضربت في بيت أبيها؟ فكيف تضربها أنت؟

والنبيُّ ﷺ حينما شكت إليه بعض النساء أنَّ أزواجهنَّ يضربونهنَّ قال: «أولئك ليسوا خياركم، لن يضرب خياركم»<sup>(١)</sup>. الرجل الخيرُ الكريم لا يضرب امرأته، وما ضرب النبيُّ ﷺ امرأةً قطُّ، ولا ضرب خادمًا قطُّ، بل ما ضرب دابةً قطُّ<sup>(٢)</sup>، لأنَّه أكرم الكرماء ﷺ، يعالج الأمور بالرفق والحكمة، فينبغي أن تكون لنا في رسول الله أسوة حسنة.

قد يفيد هذا الضرب مع بعض النساء، ولكن إذا حدث هذا فينبغي أن يكون أمراً مدروساً بحيث لا يضربها في الوجه، ولا يضربها في مقتل، ولا يضربها بعصا فيكسر رأسها، أو يضربها ضرباً مبرحاً بسوط كأنَّما يجلدها، لا ينبغي أن يفعل ذلك، وإنما كما أشار النبيُّ ﷺ حينما أغضبته إحدى الخادمات في أمر من الأمور، فقال: «لولا القصاصُ يوم القيمة لأوجعتك بهذا السواك»<sup>(٣)</sup>.

إن كان ولا بد من الضرب، مع أنَّ النبيُّ ﷺ يقول: «لا يجلد أحدكم امرأته جلدَ العبد ثمَّ يجتمعها في آخر اليوم»<sup>(٤)</sup>. لا يتفق هذا مع ذاك،

(١) سبق تخرجه ص ٢٣٦.

(٢) رواه مسلم في الفضائل (٢٣٢٨)، عن عائشة.

(٣) رواه البخاري في الأدب المفرد (١٨٤)، وأبو يعلى (٦٩٤٤)، والطبراني (٣٧٦/٢٣)، وجود إسناده الهيثمي في المجمع (١٨٤١١)، وضعفه الألباني في الصحيح (٤٣٦٣)، عن أم سلمة. ولكن القود (يوم القيمة) ثابت بأحاديث أخرى صحاح.

(٤) متفق عليه: رواه البخاري في النكاح (٥٢٠٤)، ومسلم في الجنة وصفة نعيها (٢٨٥٥)، عن عبد الله بن زمعة.

ليس الضرب من خصائص الحياة الزوجية، هو استثناء في هذه الحياة، فإن كان ولا بد من الضرب فليكن بضوابطه وشروطه.

## ٥- الإصلاح بين الزوجين:

إذا نفع هذا الضرب فيه، وإنما فقد استحکم الخلاف فلا بد من التحكيم، وهنا يقول القرآن: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَابْعَثُوا حَكَمًا مِنْ أَهْلِهِ، وَحَكَمًا مِنْ أَهْلِهَا إِنْ يُرِيدَا إِصْلَاحًا يُوَفِّقَ اللَّهُ بَيْنَهُمَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْمًا خَيْرًا﴾ [النساء: ٣٥]. وهذا خطاب للمجتمع عامّة، وإلى أولي الأمر فيه خاصة، لا ينبغي للمجتمع أن يقف مكتوف اليدين، ويدع أسرة تتفكّك وتنهار أمام عينيه وهو يتفرّج، لا بد أن يتدخل المجتمع.

كيف يتدخل المجتمع؟ بأن يعقد هذا المجلس العائلي، هذه المحكمة العائليّة، يبعثون رجالاً من أهل الزوج، ورجالاً مثله من أهل الزوجة، رجلين عاقلين قادرين على الحكم، ومن أهل الرأي، وإنما كانوا من الأهل حتى لا تنتشر أسرار البيوت في المجتمع، نحصرها في أضيق نطاق ممكن، فلا يعرف بها إلا اثنان من عقلاه الأسرتين، ﴿حَكَمًا مِنْ أَهْلِهِ، وَحَكَمًا مِنْ أَهْلِهَا إِنْ يُرِيدَا إِصْلَاحًا يُوَفِّقَ اللَّهُ بَيْنَهُمَا﴾، قال الصحابة: إن شاءاً أن يجتمعوا جمعاً، وإن شاءاً أن يُفْرِقا فرقاً. هم حكمان من حقوهما أن يحكما بما شاءا، وينبغي أن يُنفذ ما وصلا إليه.

وقد أشار القرآن إلى حالة التوفيق بين الطرفين المختلفين، ﴿إِنْ يُرِيدَا إِصْلَاحًا يُوَفِّقَ اللَّهُ بَيْنَهُمَا﴾، ولم يذكر الجانب الآخر، ولم يذكر حالة عدم التوفيق؛ إشارة إلى أن الله يكره الفراق، ويحب التوفيق والإصلاح، ولذلك حينما بعث عمر رضي الله عنه حكمين للإصلاح بين رجل وامرأته، وجاء الحكمان وقالا: يا أمير المؤمنين لم نستطيع أن نصلح ذات



بينهما. فقال لهمَا: أصلحا نِيَاتَكُمَا وعُودَا. ارجعا وحاولا بِنَيَّةً جديدا، بِعَزِيمَةٍ صادقة، بِنَيَّةٍ صالحة، فرجع الحكمان، وحاولا من جديد بعد أن جدّدا هذه النِيَّة، ووفقاً لِهُما اللَّهُ، وجاءا إِلَيْهِ وقاًلا: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ قَدْ وَفَقَ اللَّهُ بَيْنَ الزَّوْجَيْنِ. فَقَالَ عُمَرُ: صَدِقَ اللَّهُ: ﴿إِنْ يُرِيدَ آئُصْكَحًا يُوَفِّقُ اللَّهُ بَيْنَهُمَا﴾<sup>(١)</sup>. الإِرَادَةُ وَالنِيَّةُ لَهُمَا أَهْمِيَّتَهُمَا فِي التَّأْثِيرِ فِي الْعَمَلِ، فَإِذَا عَجَزَ الحُكْمَانُ فَلَيْسَ هُنَاكَ إِلَّا الطَّلاقُ.

### التهاون في اتخاذ الإجراءات الوقائية:

إِنَّ كثِيرًا من المسلمين للأسف لا يتبعون هذه الخطوات، وكلما غضب أحدهم من زوجته في أمر لجأ إلى الطلاق، وأحياناً لا يغضب من زوجته، يغضب في السوق من رجل فيحلف بالطلاق على امرأته، ومعظم المذاهب توقع هذه الطلاقات، يقول: على الطلاق لأ فعلنَّ كذا، أو لتفعلنَّ كذا. والمرأة لا دخل لها، غضب على زميله في العمل، أو في المتجر، فيرجع إلى امرأته ليجدتها مطلقة، وكثيراً ما يكون الطلاق بالثلاث، فتطلق المرأة ثلثاً، هذا ما تقول به أكثر المذاهب، ويبحث الناس بعد ذلك عن المحلل، هذه مصيبة أخرى، يقع الناس في المشاكل، والمفترض أن تتبع سبيل الإسلام، طرائق الإصلاح، أساليب الشرع في الطلاق.

### حرمة الطلاق بغير ضرورة:

إِذَا كَانَ وَلَا بَدَّ مِنَ الطَّلاقِ، «أَبْغُضُ الْحَالَ إِلَى اللَّهِ الطَّلاقُ»<sup>(٢)</sup>، فَلَا يَنْبَغِي أَنْ نَلْجُأَ إِلَيْهِ إِلَّا لِضَرُورَةٍ أَوْ حَاجَةٍ مُعْتَبَرَةٍ، وَاللَّهُ تَعَالَى وَصَفَ

(١) إحياء علوم الدين (٤٩/٢).

(٢) سبق تخرجه ص ٢٣٥.

السَّحْرَةُ الْكُفُرَةُ بِأَنَّهُمْ يُفْرِقُونَ بَيْنَ الْمَرْءَ وَزَوْجِهِ، ﴿فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءَ وَزَوْجِهِ﴾ [البقرة: ١٠٢]، فاعتبر التفريق بين المرء وزوجه من أكبر الكبائر، من مظاهر الكفر والعياذ بالله.

و جاء في الحديث الصحيح أنَّ النَّبِيَّ ﷺ قال: «إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْصُبُ عَرْشَهُ عَلَى الْبَحْرِ، وَيَبْعَثُ جَنَوَدَهُ، فَأَقْرَبُهُمْ إِلَيْهِ مِنْزَلَةً أَعْظَمُهُمْ فَتْنَةً، فَيَأْتِي أَحَدُهُمْ فَيَقُولُ: مَا زَلْتُ بِهِ حَتَّى شَرَبَ الْخَمْرَ. فَيَقُولُ: السَّاعَةُ يَتُوبُ. وَيَأْتِي الْآخَرُ، فَيَقُولُ: مَا زَلْتُ بِهِ حَتَّى فَرَقْتُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ امْرَأَتِهِ. فَيُقْبَلُهُ بَيْنَ عَيْنَيْهِ، وَيَقُولُ: أَنْتَ أَنْتَ»<sup>(١)</sup>. أَنْتَ التَّلَمِيذُ النَّجِيبُ، أَنْتَ الَّذِي فَعَلْتَ مَا يَنْبَغِي أَنْ تُكَافَأَ عَلَيْهِ، وَيَضْعُ التَّاجُ عَلَى رَأْسِهِ، فَأَعْظَمُ مَا يَسِّرُ إِبْلِيسَ، وَيَهْجُ قَلْبَهُ أَنْ تَهْدَمَ الْأَسْرَ، لَأَنَّ وَرَاءَ ذَلِكَ أَطْفَالٌ تُشَرَّدُ، امْرَأَةٌ تُفَرَّقُ عَنْ بَيْتِهَا، مَصَابٌ تَحْدُثُ، وَكُلُّ هَذَا يَسِّرُ إِبْلِيسَ الْلَّعِينَ، فَلَا تُفْرِحْ إِبْلِيسَ بِالْطَّلاقِ، لَا تَسْرُّ إِبْلِيسَ بِالْأَنْفُصَالِ، هَذَا مَا جَاءَ بِهِ الإِسْلَامُ.

### واقعية الشريعة الإسلامية:

ولكن الإسلام كما قلنا: لأنَّ شريعة واقعية لم يُغفل أنَّه قد توجد أحوال تُحتمِّ أن يحدث الفراق، لم يفعل الإسلام ما فعلت المسيحية التي حرَّمت الطلاق تحريمًا نهائِيًّا، كما عند الكاثوليكية النصرانية، فالطلاق لا يجوز عندهما، وعند الأرثوذكس من النصارى لا يجوز الطلاق إلَّا لعلة الزنا، إذا زنت المرأة وخانت زوجها، وثبت ذلك عليها يجوز الطلاق، ولم يفعل الإسلام ذلك، لأنَّه لا يقبل أن يعيش الناس حياة يكرهونها

(١) رواه مسلم في صفة القيامة (٢٨١٣)، وأحمد (١٤٣٧٧)، عن جابر.



رغم أنوفهم، كما قال أحد الحكماء قديماً: إِنَّ مِنْ أَعْظَمِ الْبَلَى مَصَاحِبَةٍ  
مَنْ لَا يُوافِقُكَ وَلَا يَفْارِقُكَ. كما قال أبو الطِّيب:

وَمَنْ نَكَدَ الدُّنْيَا عَلَى الْحَرَأَنْ يَرِى عَدُوا لَهُ مَا مَنْ صَدَاقَهُ بُدُّ<sup>(١)</sup>

عدو مفروض عليك، تعاشره رغم أنفك، فالإسلام لا يقبل هذا،  
ولهذا شرع الطلاق في هذه الحالة، ﴿وَإِنْ يَنْفَرِقَا يُغْنِي اللَّهُ كُلَّا مِنْ  
سَعْتِهِ وَكَانَ اللَّهُ وَاسِعًا حَكِيمًا﴾ [النساء: ١٣٠]، إن لم يكن وفاق فراق، آخر  
الدواء الكيّ، كما قال الشاعر:

إِنْ لَمْ يَكُنْ إِلَّا الْأَسْنَةُ مَرْكُبٌ فَمَا حِيلَةُ الْمُضْطَرِّ إِلَّا رُكُوبُهَا<sup>(٢)</sup>

الطلاق هنا أشبه بالعملية الجراحية، لا ينبغي أن يلجأ إليها إلا في  
النهاية، إذا أمكنك أن تعالج الداء بتناول شراب أو أقراص أو حبوب أو  
نحو ذلك؛ فلا تلجأ إلى عملية جراحية، أمّا إذا لم تُفَدْ هذه الأدوية فلا بدّ  
من هذه العملية، فالطلاق عملية جراحية في الأسرة اقتضاه الواقع فنزل  
على حكم الواقع.

المسيحيون الذين رفضوا الطلاق بحكم ديانتهم خرجوا عن  
المسيحية، وشروعوا الطلاق المدني، ليس طلاقاً بحكم الدين، وإنما  
بحكم القوانين المدنية، وتوسّعوا فيه توسيعاً كبيراً جداً، حتّى صار من  
حقّ المرأة أن تطلب الطلاق لأسباب تافهة، كما طلبت إحداهن في  
أمريكا الطلاق من زوجها لأنّه لم يهتم بكلبها، لم يقل له: صباح الخير  
يا جيمي أو يا شوشو أو يا كذا! فهي تطلب الطلاق من أجل هذا، فهي

(١) ديوان المتنبي صـ ١٩٨.

(٢) ديوان الكميت بن زيد الأستدي صـ ٧١، تحقيق محمد نبيل طريفى، نشر دار صادر، بيروت، طـ ١، ٢٠٠٠ مـ.

تعتبر أَنَّه أهانها لأنَّه أهان كلَّها، وهكذا الَّذين حرموا الطلاق نهائِيًّا وسَعُوا فيه إلى أبعد مُدّى، وإلى أوسع نطاق.

### الطلاق الرجعي:

والإسلام هو دين الاعتدال، هو المنهج الوسط للأمة الوسط، شرع هذا الطلاق، وشرعه طلاقًا رجعيًّا، بحيث تجوز الرجعة، ولذلك فكل طلاق يمنع الرجعة هو ضد الطلاق الإسلامي، هذا ما قاله شيخ الإسلام ابن تيمية<sup>(١)</sup>، وتلميذه ابن القيم<sup>(٢)</sup>.

الأصل في الطلاق أَنَّه يجوز فيه الرجوع، كما قال تعالى: ﴿وَالْمَطْلُقَاتُ يَرْبَصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَثَةُ قُرُونٍ وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَن يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ اللَّهُ فِي أَرْحَامِهِنَّ إِن كُنَّ يُؤْمِنَنَّ بِاللَّهِ وَإِلَيْهِمُ الْأَخْرَى وَبِعُولَهُنَّ أَحَقُّ بِرِدَهُنَّ فِي ذَلِكَ إِنْ أَرَادُوا إِصْلَاحًا﴾ [البقرة: ٢٢٨]. أزواجهن أَحَق برد़هن في زمن العدة إن أرادوا إصلاحًا.

وقال تعالى: ﴿الْطَّلاقُ مَرَّتَانِ فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَنٍ﴾ [البقرة: ٢٢٩]. فيمكنك بعد الطلاق الإمساك بمعرفة، أو التسريح بإحسان، أمَّا الطلاق الذي يقطع الطريق عليك من أول مرَّة فهذا لم يشرعه الله عَزَّوجَلَّ، هذا هو المذهب الصحيح.

### الطلاق المعلق:

إذا أريد بالطلاق الحلف، الحض على شيء، أو المنع من شيء، فهذا لا يقع به الطلاق، ومثله الطلاق المعلق، يقول لزوجته: إن ذهبت

(١) مجموع الفتاوى (١٥/٣٣)، تحقيق عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، نشر مجمع الملك فهد، ١٤١٦هـ - ١٩٩٥م.

(٢) زاد المعاد (٥/٢٢٥، ٢٢٦)، نشر مؤسسة الرسالة، بيروت، ط ٢٧، ١٤١٥هـ - ١٩٩٤م.



إلى المكان المعین فأنت طالق. فمثل هذا الطلاق فهو على القول  
الراجح يمين فيه كفارة، إذا لم يتحقق ما علّقه عليه، أو ما حلف عليه.

### الطلاق في الحيض:

ينبغي أن يكون الطلاق في الطهر، لا في الحيض، السنة أن يطلق  
الرجل المرأة في طهراها، وألا يكون في طهر مسّها فيه، فربما تكون قد  
حملت منه وهو لا يدرى، ولو عرف ذلك لغير رأيه، وهذا يعني أنه لا بدّ  
أن ينتظر، لا يسارع إلى الطلاق، بل ينتظر الوقت المناسب، فلعله في  
هذا يراجع نفسه في تلك المدة.

### بقاء المرأة في بيتها في العدة:

ثم إذا طلق ينبغي للمرأة أن تظل في بيت الزوجية، لا تخرج من  
بيت الزوجية، بعض النساء الآن إذا طلقها زوجها ما أسرع ما تجمع  
ثيابها وحليّها وأشياءها الخاصة، وتذهب إلى بيت أبيها، ولا يجوز لها  
أن تفعل ذلك، ولا يجوز لزوجها أن يمكّنها من ذلك.

وهذا هو صريح القرآن، قال تعالى: ﴿يَأَيُّهَا النِّسَاءُ إِذَا طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ وَاحْصُوا الْعِدَّةَ وَاتَّقُوا اللَّهَ رَبَّكُمْ لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِّنْ بُوْتِهِنَّ وَلَا يَخْرُجُنَّ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ بِفَحْشَةٍ مُّبِينَةٍ﴾ [الطلاق: ١]. اعتبر الله بيت  
الرجل بيته للمرأة، فهو لا يزال بيته حتى وإن وقع الطلاق، لأنَّ الطلاق  
الرجعي لا يفصل الحياة الزوجية فصلاً نهائياً، لها النفقه طول مدة العدة،  
ولو ماتت في عدتها يرثها الزوج، ولو مات الزوج في عدتها ترثه زوجته،  
فالحياة الزوجية لا زالت قائمة بوجه ما، ولذلك ينبغي أن تظل المرأة في  
بيت الزوجية، لا يجوز أن يخرجها من بيتهما، ولا يجوز أن تخرج هي.

قال الله تعالى: ﴿لَا تَدْرِي لَعَلَّ اللَّهَ يُحَدِّثُ بَعْدَ ذَلِكَ أُمْرًا﴾ [الطلاق: ١]. أي أن القلوب تتغير، وقد يذهب الكدر ويأتي بعده الصفاء، «إِنَّ قُلُوبَ بَنِي آدَمَ كَلَّهَا بَيْنَ إِصْبَاعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ الرَّحْمَنِ كَقُلْبٍ وَاحِدٍ»، يصرفه حيث شاء<sup>(١)</sup>، لعل هذه نزوة عارضة، فوجودها في البيت يراها الرجل وتراه، يصاحبها ويماسيها، ويُراوحها ويُغادِيها، لعل هذا يُذَكِّرُه بالماضي، يُحيي الذكريات الماضية، يُحيي الأيام الطيبة؛ فيحن إليها ويرجع لها، ﴿لَا تَدْرِي لَعَلَّ اللَّهَ يُحَدِّثُ بَعْدَ ذَلِكَ أُمْرًا﴾، هذا ما ينبغي أن يفعله الإنسان إذا طلق.

### النفقة والمتعة:

وإذا طلق الإنسان ينبغي أن يكون مع الطلاق متعة ونفقة، النفقة مفروغ منها، والمتعة قال بها بعض العلماء، وهو ظاهر القرآن الكريم، حتى من طلقت قبل الدخول ولا عدة عليها، يقول الله تعالى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَكَحْتُمُ الْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمْسُوهُنَّ فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَّةٍ تَعْنِدُونَهَا فَمِتْعَوْهُنَّ وَسَرِحُوهُنَّ سَرَاحًا جَيِّلًا﴾ [الأحزاب: ٤٩]، ويقول: ﴿وَلِلْمُطَلَّقَاتِ مَتْعٌ بِالْمَعْرُوفِ حَقًا عَلَى الْمُتَّقِينَ﴾ [البقرة: ٢٤١]، ويقول: ﴿وَمِتْعَوْهُنَّ عَلَى الْمُؤْسِعِ قَدْرُهُ وَعَلَى الْمُقْتَرِ قَدْرُهُ مَتْعًا بِالْمَعْرُوفِ حَقًا عَلَى الْمُحْسِنِينَ﴾ [البقرة: ٢٣٦]. هذه المتعة تختلف من شخص إلى آخر، على الموسر قدره، وعلى المقتدر قدره، ومن مجتمع إلى آخر، ومن امرأة إلى أخرى، فلا بد أن يراعى هذا كله.

### الوفاء للعشرة:

الطلاق في الإسلام لا يعني أن كل شيء انتهى بين الزوجين، خصوصاً الطلاق الرجعي، وحتى لو لم تكن هناك رجعة، الله تعالى يقول:

(١) رواه مسلم في القدر (٢٦٥٤)، وأحمد (٦٥٦٩)، عن عبد الله بن عمرو.



﴿وَلَا تَنْسُوا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ﴾ [البقرة: ٢٣٧]. كانت بينكم عشرة، وكان بينكم رباط، حتى ولو لم يدخل الرجل بزوجته، انعقد بينه وبينها، وبينه وبين أسرتها آصرة، فلا بد أن يراعي الجميع هذه الآصرة، يراعيها الزوج، وتراعيها الزوجة، وأهل الزوجة، قد يراعيها الزوج فيعطيها فوق ما يجب عليه، وقد تراعيها الزوجة بأن تتنازل عن بعض حقها.

ولكن الذي نراه للأسف أن الناس حينما يطلقون تفسد العلاقات بينهم، تقوم الحرب الضروس بين أسرة الزوج وأسرة الزوجة، يكيد كلّ منهما لصاحبه، يشيع عنه الإشاعات الباطلة، يذهبون إلى المحاكم، ويطلب الإنسان ما ليس من حقه، ويدعى ما ليس له، ويكتب على الآخر، وليس هذا من شأن المسلم.

شرع الإسلام الطلاق عند تعذر الوفاق علاجاً لهذه الحالة، في ينبغي أن تقدر بقدرها، وألا تتجاوز فيها حتى نقف عند حدود الله، كما قال الله تعالى: ﴿تَلَكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا وَمَن يَنْعَدَ حُدُودَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [البقرة: ٢٢٩].

أقول قولي هذا، وأستغفر الله تعالى لي ولكلم فاستغفروه؛ إنّه هو الغفور الرحيم، وادعوه يستجب لكم.

\* \* \*

## الخطبة الثانية

أمّا بعد، فيا أيها الإخوة المسلمين:

### نعمة الأمان في قطر:

من أعظم نعم الله تعالى على مجتمع ما: نعمة الكفاية من العيش، ونعمة الأمان من الخوف، وقد امتنَ الله تعالى على قريش بهاتين النعمتين، وطالبهم بشكرهما، بأن يعبدوا الله وحده، ولا يشركوا به شيئاً، فقال سبحانه: ﴿لَا يَلِفُ قُرَيْشٌ إِلَّا فِيهِمْ رِحْلَةُ الشِّتَاءِ وَالصَّيفِ﴾ فَلَيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ ﴿الَّذِي أَطْعَمَهُم مِّنْ جُوعٍ وَآمَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ﴾ [قريش: ٤ - ١]. فقوله: ﴿أَطْعَمَهُم مِّنْ جُوعٍ﴾. هذه نعمة الكفاية من العيش، وقوله: ﴿وَآمَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ﴾. هذه نعمة الأمان من الخوف، وقال تعالى: ﴿أَوْلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا إِيمَانًا وَيَسْخَطُونَ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ أَفِي الْبَطْلِ يُؤْمِنُونَ وَيَنْعَمُونَ اللَّهُ يَكْفُرُونَ﴾ [العنكبوت: ٦٧]. أكرمه الله بهذا البيت فكان الأمان سائداً عندهم، وإذا سافروا كانوا آمنين ببركة هذا البيت، أنهم سدنته، ﴿أَطْعَمَهُم مِّنْ جُوعٍ وَآمَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ﴾.

وشر ما يصاب به مجتمع من المجتمعات أن يفقد هاتين النعمتين فتصاب بالجوع، ويُبتلى بالخوف، كما قال تعالى: ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرِيرًا كَانَتْ إِيمَانَةً مُّطْمِنَةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغْدًا مِّنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِإِنْعُمَ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾ [النحل: ١١٢]. لهذا كان الأمان نعمة عظيمة.

ومن هنا دعا سيدنا إبراهيم لمكة بالأمن فقال: ﴿رَبِّ أَجْعَلْ هَذَا بَلَدًا إِيمَانًا وَأَرْزُقَ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ﴾ [البقرة: ١٢٦]. وحينما ذهب سيدنا يعقوب

وزوجته وأولاده إلى يوسف آواهم إليه، وقال: ﴿أَدْخُلُوا مِصْرَ إِن شَاءَ اللَّهُ أَمِينِينَ﴾ [يوسف: ٩٩].

الأمن نعمة عظيمة، ولذلك الجنة دار أمن، ليس فيها خوف، ﴿لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْرَنُونَ﴾ [يونس: ٦٢]، ولذلك يقال للمتقين الذين يستحقون الجنة: ﴿أَدْخُلُوهَا سَلَامٍ أَمِينِينَ﴾ [الحجر: ٤٦]. من أجل هذا كان الأمن نعمة عظيمة.

وقد عشنا في هذا البلد الطيب، وعرفنا أنه بلد آمن، ينعم بالأمن، وينعم بالاستقرار، وينعم بوحدة الصفة، ومن أجل هذا كانت كل محاولة لزعزعة الأمن، أو زلزلة الاستقرار، أو تفتت الوحدة، أو تمزيق الصفة شرّا على هذا البلد، ليس وراءه إلا الخراب والدمار.

ومن أجل ذلك يجب أن تكون على يقظة فلا نسمح لأحد أن يزعزع الأمن، أو يزيل الاستقرار، أو يفتت الوحدة، وأن نقف كلنا صفاً واحداً حتى ينتج هذا البلد ويعطي، ويستمر إنتاجه وعطاؤه، وتقديمه وبناؤه، ينبغي أن تكون صفاً واحداً، «المؤمنون تكافأ دمائهم، ويسعى بذمتهم أدناهم، وهم يدُّ على مَنْ سواهم»<sup>(١)</sup>، و«المؤمن للمؤمن كالبنيان؛ يشد بعضه ببعضًا»<sup>(٢)</sup>.

هذا في شأن المؤمنين جمِيعاً، فكيف إذا كانوا في بلدٍ واحد، يعيشون تحت سقفٍ واحدٍ، ويعيشون حياة مشتركة، ويدينون بالولاء

(١) رواه أحمد (٦٩٧٠)، وقال مخرجوه: حديث صحيح. وأبو داود في الجهاد (٢٧٥١)، وصححه الألباني في صحيح أبي داود (٢٣٩٠)، عن عبد الله بن عمرو.

(٢) متّفق عليه: رواه البخاري في الصلاة (٤٨١)، ومسلم في البر والصلة (٢٥٨٥)، عن أبي موسى الأشعري.

لأمير واحد وقائد واحد، هنا ينبغي أن يقفوا صفاً واحداً خلف قائد المسيرة وأمير البلد، لا يسمحون بالزعزعة، ولا بالزلزلة، ولا بالفتنة ثمار؛ فإن الفتنة إذا ثارت أكلت الأخضر واليابس، وأخذت البريء مع المسيء، ولم تقف عند حد، تراق دماء بغير حق، وتُنتهك حرمات بغير حق، وتُضيّع أموال بغير حق، هذا ما جرّبناه في أجواء الفتن.

ونحن نسأل الله لهذا البلد أن يُجنبه الفتن ما ظهر منها وما بطن، وأن يظل هذا البلد آمناً مطمئناً، مُوحَّد الصفّ، مُوحَّد الكلمة، داعين الله بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ أن يوفق أمير هذا البلد إلى أن يُحَكِّم شرعه، وأن يُعلِّي كلمته، وأن يقيم العدل في الأرض، فلا يتحيز لقوى على ضعيف، ولا يحابي قريباً ويظلم بعيداً، نريد لهذا البلد أن يقوم فيه العدل، وأن يعطى كل ذي حق حقاً.

إِنَّا لَا نرْضِي - أَيُّهَا الإِخْوَة - لِهَذَا الْبَلَد أَبْدًا أَنْ تُصِيرَ فِيهِ الْفَتْنَةِ الْعَمِيَاءَ الَّتِي لَا تَقْفَ - كَمَا قَلْتُ لَكُمْ - عِنْدَ حَدٍ إِذَا حَدَثَتْ، إِذَا حَدَثَتْ الْفَتْنَةِ فِي أَيِّ بَلْدٍ إِنَّهَا لَا تَمْيِّزُ، الْفَتْنَةُ لَا سَمْعٌ لَهَا وَلَا بَصَرٌ، فَنَحْنُ نُحَذِّرُ مِنْ هَذِهِ الْفَتْنَةِ الْعَمِيَاءِ الصَّمَاءِ، لَا نُرِيدُ أَنْ يُسْفِكَ دَمٌ بِغَيْرِ حَقٍّ، يَخْبُرُنَا اللَّهُ تَعَالَى فِي كِتَابِهِ أَنَّهُ قَرَرَ فِي الشَّرَائِعِ السَّابِقَةِ: ﴿أَنَّهُمْ مَنْ قَاتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَانَمَا قَاتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَانَمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا﴾ [المائدة: ٣٢].

لا يجوز بحال من الأحوال أن يُهدَر دم بغير حق، والإسلام يمنع قتل الحيوان بغير حق، «عُذِّبَتْ امرأةٌ فِي هَرَّةٍ، سُجِّنَتْهَا حَتَّى ماتَتْ، فَدَخَلَتْ فِيهَا النَّارَ، لَا هِيَ أَطْعَمَتْهَا وَسَقَتْهَا إِذْ هِيَ جَسْتَهَا، وَلَا هِيَ تَرْكَتْهَا تَأْكُلُ مِنْ خَشَاشِ الْأَرْضِ»<sup>(١)</sup>.

(١) متفق عليه: رواه البخاري في المساقاة (٢٣٦٥)، ومسلم في السلام (٢٤٤٢)، عن ابن عمر.



إِنَّ إِلَّا سَلَامٌ يَحْفَظُ حِرْمَاتِ النَّاسِ وَدَمَائِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ وَأَعْرَاضِهِمْ، وَقَدْ أَعْلَمَ النَّبِيُّ ﷺ ذَلِكَ عَلَى الْمَلَأِ فِي حِجَّةِ الْوَدَاعِ أَمَّا عَشْرَاتُ الْآلَافِ مِنْ أَصْحَابِهِ، أَعْلَمَ هَذَا الإِعْلَانَ الْإِنْسَانِيِّ الْعَامَّ: «أَيُّهَا النَّاسُ: إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَ عَلَيْكُمْ دَمَائِكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ وَأَعْرَاضَكُمْ كَحِرْمَةٍ يَوْمَكُمْ هَذَا فِي شَهْرِكُمْ هَذَا فِي بَلْدِكُمْ هَذَا»<sup>(١)</sup>. وَيَقُولُ ﷺ: «لَزَوَالُ الدُّنْيَا أَهُونُ عَلَى اللَّهِ مِنْ قَتْلِ امْرِئٍ مُسْلِمٍ بِغَيْرِ حَقٍّ»<sup>(٢)</sup>. الدُّنْيَا كُلُّهَا أَهُونُ مِنْ دَمٍ يُرَاقُ بِغَيْرِ حَقٍّ، هَذَا مَا جَاءَ بِهِ إِلَّا سَلَامٌ.

إِنَّا نَدْعُو اللَّهَ تَبَارُكَ وَتَعَالَى لِهَذَا الْبَلَدِ - كَمَا نَدْعُو فِي كُلِّ جَمْعَةٍ دَائِمًا - أَنْ يَجْعَلَ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا مَطْمَئِنًّا؛ لَأَنَّا نَؤْمِنُ أَنَّ الْأَمْنَ هُوَ الَّذِي يَزْدَهِرُ فِي ظِلِّهِ الْإِنْتَاجُ، وَالْإِقْتَصَادُ، وَالتَّقدِيمُ، وَالْحَيَاةِ الطَّيِّبَةِ، وَيُشَعِّرُ النَّاسَ بِنَعْمَةِ الْإِطْمَئْنَانِ وَالسَّلَامَةِ فِي حَيَاتِهِمْ، هَذَا إِذَا وُجِدَ الْأَمْنُ.

فَنَحْنُ نَسْأَلُ اللَّهَ ﷺ أَنْ يَظْلِمَ الْأَمْنَ فِي هَذَا الْبَلَدِ، وَأَنْ يَظْلِمَ الْإِطْمَئْنَانِ، وَأَنْ يَظْلِمَ السَّلَامَ، وَأَنْ تَظْلِمَ الْوَحْدَةَ فِي هَذَا الْبَلَدِ، وَأَنْ يَحْفَظَ هَذَا الْبَلَدُ وَطَنَّا وَشَعْبَا وَأَمِيرَاً وَحُكْمَةً، وَأَنْ يَهْدِي الْجَمِيعَ لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ، وَأَنْ يَجْعَلَهُمْ مِنَ الَّذِينَ قَالَ اللَّهُ فِيهِمْ: ﴿وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَنِّيْزٌ \* الَّذِينَ إِنْ مَكَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَتَوْا الزَّكَوْةَ وَأَمْرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَلِلَّهِ عِبْدَةُ الْأُمُورِ﴾ [الحج: ٤٠، ٤١].

أَسْأَلُ اللَّهَ تَعَالَى أَنْ يَجْعَلْ حُكْمَةَ هَذَا الْبَلَدَ مِمَّنْ تَنْطَبِقُ عَلَيْهِمْ هَذِهِ الْأَوْصَافُ، حَتَّى يَسْتَحْقُوا نَصْرَ اللَّهِ تَبَارُكَ وَتَعَالَى وَتَأْيِيْدَهُ، وَحَتَّى يَبْوُءُ الْمَاكِرُونَ بِالْفَشْلِ وَعَاقِبَةِ الْمَكْرِ، وَقَدْ قَالَ تَعَالَى: ﴿وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَكَرِّينَ﴾ [الأنفال: ٣٠].

(١) متفق عليه: رواه البخاري في العلم (٦٧)، ومسلم في القسام (١٦٧٩)، عن أبي بكرة.

(٢) سبق تخرجه ص ١٣٤.



وأسأله تعالى أن يجعل هذا البلد آمنا مطمئناً سخاء ورخاء وسائر بلاد المسلمين، وأن يجمع الكلمة على الهدى، والقلوب على التقى، والآنفوس على المحبة، والعزائم على عمل الخير وخير العمل؛ إنه سميع قريب.

\* \* \*



## إنهاء الزواج (٢) (١)

### الخطبة الأولى

أمّا بعد، فيا أيها الإخوة المسلمين:

لا زلتنا في حديثنا عن الأسرة المسلمة، عن البيت المسلم، عن الزواج وما يتعلّق به.

### الطلاق عملية جراحية:

وقد تحدثنا في الجمعة الماضية عن الطلاق، وقلنا: إنَّ الله تعالى شرع الطلاق عند تعذر الوفاق، ولم يفرض على الرجل أن يعيش مع امرأة لا يطيقها، ولا يستطيع أن يعيش معها، فجعل الطلاق شرعاً، قلنا: إنَّه بمثابة العملية الجراحية التي يلجأ إليها الإنسان فيشوق بطنها، أو يُبتر عضو من أعضائه ليسلم سائر الجسد، هذا ما شرعه الإسلام في الطلاق.

### تقدير إباحة الطلاق:

والطلاق ليس أمراً مشرعاً بإطلاق، ولا كلاماً مباحاً يرعاه من يشاء، لقد قيده الإسلام بأن تكون هناك مصلحة من وراءه لا تتحقق إلَّا به، وإنما

(١) ألقيت بمسجد عمر بن الخطاب بالدوحة، في ديسمبر ١٩٩٥م.

فإنَّه حرام، لأنَّه - كما قال العلماء - إعدام للمصلحة الحاصلة بالزواج، وإضرار بالمرأة، وبأبنائها. والنبي ﷺ يقول: «لا ضرر، ولا ضرار»<sup>(١)</sup>. والطلاق إتلاف، وإذا كان إتلاف المال حراماً فإنَّ إتلاف الحياة الزوجية أشد حرمة من إتلاف المال.

قيد الشرع الإسلامي للطلاق، قيده في وقته فلا ينبغي للزوج أن يطلق المرأة في أي وقت، فطلاق السُّنَّة أن يطلق المرأة في طهر لم يمسها فيه، لا تكون في حالة حيض، ولا في حالة نفاس، ولا في طهر جامعها فيه، قيده في الوقت.

وقيده في النية، أن تكون عنده نية في الطلاق، أن تكون له حاجة إلى الطلاق كما قال ابن عباس رضي الله عنهما: إنما الطلاق عن وطر<sup>(٢)</sup>. أي عن حاجة يريد أن يقضيها المطلق، ولهذا فالصحيح أنَّ طلاق السكران إذا لعبت به الخمر لا يقع، هكذا جاء عن عثمان وغيره من الصحابة والتابعين<sup>(٣)</sup>، لأنَّه ليس ضرراً به وحده، هو ضرر بامراته وأولاده.

وكذلك لا يقع طلاق الغضبان إذا فقد السيطرة على نفسه وعلى أعصابه، وهذا الذي سماه الحديث الإغلاق، «لا طلاق في إغلاق»<sup>(٤)</sup>، فسر الإغلاق بالإكراه، وفسر بالغضب، لأنَّ كلاً منهما يستغلق على الرجل قصدُه ونيته وإدراكه فيفعل ما لا يريد، ويقول ما لم يخطط له، هنا لا يقع الطلاق، خصوصاً إذا اشتدَّ الغضب بصاحبِه، وأصبح كالجنون،

(١) سبق تخریجه ص ١٣.

(٢) ذكره البخاري في صحيحه معلقاً بصيغة الجزم، في كتاب الطلاق، قبل الحديث (٥٢٦٩).

(٣) رواه عبد الرزاق (١٢٣٠٨)، وابن أبي شيبة (١٨٢٠٩)، كلاهما في الطلاق.

(٤) رواه أحمد (٢٦٣٦٠)، وقال مخرّجوه: إسناده ضعيف. وأبو داود (٢١٩٣)، وابن ماجه (٢٠٤٦)، كلاهما في الطلاق، وحسنه الألباني في صحيح أبي داود (١٦٦٥)، عن عائشة.



فهذا لا يقع طلاقه، وقريب منه مَنْ لمْ يُسيطر على نفسه، مَنْ فقد السيطرة على إرادته، فلا يقع طلاقه.

ومثله مَنْ جعل الطلاق يميناً يحلف بها ليحمل نفسه أو يحمل غيره على فعل شيء، أو ليمぬه من شيء، أو ليمぬه من شيء، فهذا لا يكون شأنه شأن الطلاق، بل فيه كفاره يمين إذا حثت فيه، هذا هو الصحيح في أمر الطلاق.

### **الطلاق بيد الرجل:**

صحيح أنَّ المسلمين أسوأوا استعمال هذا الحق الَّذِي جعله الله في يد الرجل للتخلص من الحياة الزوجية إذا ساءت العشرة، ولم يمكنه أن يصبر، وأن يضغط على عواطفه، كما قال الله تعالى: ﴿وَعَاشُرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوْا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ [النساء: ١٩]. إذا لم يستطع فقد جعل الشرع له هذا الطلاق.

وهذا الطلاق خسارة على الرجل، يخسر المهر الَّذِي دفعه، وسيدفع المهر المتأخر عليه، وعليه نفقة المرأة، وعليه متعة لها، ﴿وَلِلْمُطَلَّقَاتِ مَتَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ حَقًا عَلَى الْمُتَّقِيرَ﴾ [البقرة: ٢٤١]، فالرجل هو الخاسر من الطلاق، ولذلك جعل الشرع عقدة النكاح بيد الرجل، جعل العصمة أساساً بيده، لأنَّه إذا هدم هذا العش أو هذا البيت فإنَّه سينهدم على أمِّ رأسه، هو الخاسر في هذه الحالة، هذا ما شرعه الإسلام.

### **حقوق المرأة الكارهة زوجها:**

ولكن هناك سؤال يسأله كثيرون: إذا كان الزواج بيد الرجل يتخلص به من المرأة إذا كرهها وأبغضها، ولم يطق العيش معها؛ فماذا بيد

المرأة؟ إذا كرهت المرأة الرجل، ولم تطق الحياة معه، فماذا تملك المرأة إزاء هذه الحياة؟ أنفرض عليها الحياة كرهاً تعيش مع رجل لا تحبه، بل لا تطيقه بغضًا، أنفرض عليها سجنًا بالإكراب؟

### اشتراط رضا المرأة:

هذا ما ترفضه الشريعة الإسلامية، وجعلت للمرأة الحق في نفسها، لا تُزوج بغير رضاها، لا يستطيع أب، ولا جد، ولا أخ أن يجبرها على الزواج ممَّن تكره، ممَّن لا تريده، بل الأصل أن أمر المرأة بيدها، ووليها يوافق ويرضى، «فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا فَعَلْنَ فِي أَنفُسِهِنَ بِالْمَعْرُوفِ» [آل عمران: ٢٣٤]، «فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ أَن يَنكِحُنَ أَزْوَاجَهُنَ إِذَا تَرَضُوا بَيْنَهُم بِالْمَعْرُوفِ» [آل عمران: ٢٣٢].

وجاءت الأحاديث كما ذكرنا ونحن نتحدث عن الزواج: أنَّ النبي ﷺ رد نكاح بعض النساء لأنهن لم يرضين بهم، فلا يجوز إذن إذا كان الزواج من أول الأمر برضاء المرأة، فإذا أصبحت المرأة لا تطيق الحياة مع زوجها ماذا ملكها الشرع من حق في هذه الناحية؟ ملكها الشرع عدة أمور:

### ١ - حق الخلع:

أول ما ملكها الشرع الخلع، أن تخلع نفسها من زوجها، وسمى خلعاً لأنَّ المرأة تنخلع من لباس الزوجية كما يخلع الإنسان لباسه، والحياة الزوجية لباس لكل من الزوجين كما قال الله تعالى: «هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسُ لَهُنَّ» [آل عمران: ١٨٧]. ويسمى أيضاً الافتداء لأنَّها تفتدي نفسها ببذل المال، أن تدفع للرجل ما كان قد أعطاها من مهر سابق، لأنَّه سيحتاج إلى امرأة أخرى، فليس من المعقول أن يخسر امرأته، وقد يكون يحبها،



ويتعلق بها، لكن هي التي تريد الفراق، هي الكارهة، فلا بد أن تغروم ما دفع الرجل لها، وترده إليه.

وقد جاء في الصحيح: أنَّ امرأة ثابت بن قيس أتت النبيَّ ﷺ، فقالت: يا رسولَ اللهِ، ثابت بن قيس، ما أعتب عليه في خُلق ولا دين، ولكنني أكره الكفر في الإسلام. تقصد كفر العشرة، كفر النعمة، وفي روایة: إِنِّي لَا أطِيقُه بغضًا<sup>(١)</sup>. وفي بعض الروایات: قد رأيته في جماعة من الرجال فإذا هو أقصرهم قامة، وأقبحهم وجهًا، وكذا وكذا، فأننا لا أطِيقُه يا رسولَ الله<sup>(٢)</sup>. فسألها رسولَ الله ﷺ: «ماذَا أَعْطَاهُ مِنْ صَدَاقٍ؟» قالت: أعطاني حديقة. قال: «أَتَرُّدِينَ عَلَيْهِ حَدِيقَتَهُ؟» قالت: نعم، وزيادة يا رسولَ اللهِ. قال: «لَا زِيادَة». وقال لثابت: «اَقْبِلْ الْحَدِيقَةَ وَطَلَّقْهَا تَطْلِيقَةً»<sup>(٣)</sup>. وفي بعض الروایات أنه أمره بفراقها، ولم يقل: طلقها.

ولذلك اختلف الفقهاء: هل الخلع طلاق أم فسخ؟ ظاهر القرآن يدل على أنه فسخ، لأنَّ القرآن قال: ﴿الظُّلْقُ مَرَّتَانٌ فَإِمْسَاكٌ مُّعَرُّوفٌ أَوْ شَرِيفٌ بِإِحْسَنٍ وَلَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَأْخُذُوا مِمَّا أَتَيْتُمُوهُنَّ شَيْئًا إِلَّا أَنْ يَخَافَا إِلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَإِنْ خَفْتُمْ إِلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا أَفْنَدْتُ بِهِ تِلْكَ حُدُودَ اللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا وَمَنْ يَعْدَ حُدُودَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [البقرة: ٢٢٩]. لا جناح على المرأة في هذه الحالة أن تفتدي نفسها ببذل الصداق للرجل، برده إليه، ولا جناح على الرجل أن يقبل ذلك منها إن خافا إلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ، إلَّا يؤدي كل منهما واجبه، ويؤدي لآخر حقَّه الَّذِي فرضه اللَّهُ عَلَيْهِ، هكذا

(١) رواه ابن ماجه في الطلاق (٢٠٥٦).

(٢) رواه الطبرى في تفسيره (٥٥٢/٤).

(٣) رواه البخارى في الطلاق (٥٢٧٣)، عن ابن عباس.

حكم الرسول ﷺ على المرأة أن تدفع ما دفع إليها، وعلى الرجل أن يقبل ذلك منها.

ولذلك من شأن القاضي المسلم إذا رفعت إليه قضية من هذه القضايا، امرأة لا تطيق زوجها، ينبغي أن يتتأكد من ذلك، ويستوثق منه، ولا يسمع لأي امرأة تشكو زوجها، فقد تكون نزوة عارضة، أو عاطفة طارئة، أو انفعالاً من غضب أدى إلى هذا الأمر، فلا بد أن يحاور المرأة ويعرف منها صدق كراهيتها للرجل، فإن ثبت له ذلك فينبع أن يخلعها من زوجها.

وهكذا فعل سيدنا عمر رضي الله عنه، حينما جاءت امرأة تطلب خلعها من زوجها فلم يستجب لها عمر، وأمر بها أن توضع في زريبة للغنم، مكان رديء سيء قذر، وباتت فيه، ثم أمر بها فجاءت إليه فسألها عن حالها، فقالت: يا أمير المؤمنين؛ هذه أهنا ليلة بٰث فيها. فعرف أنها في حالة رديئة مع زوجها، وهنا أمره بفراقها وخلعها، وأمرها أن تدفع له ما بذل لها من قبل.

هل يمكن أن تكون هناك زيادة على ما دفعه الزوج؟ قال بعض العلماء: لا تُقبل الزيادة. وقال بعضهم: تُقبل الزيادة إذا دفعتها المرأة عن طيب نفس منها. لكن ربما بالغ بعض الأزواج في التّضييق على المرأة حتى تبذل له أكثر وأكثر، ولا ينبغي له أن يفعل ذلك إلا بطيب نفس منها.

وأذكر حادثة كنت واسطة فيها: رجل زوج ابنته لرجل بثلاثة آلاف جنيه، ثم وجد أنه لا يصلح حاله مع ابنته؛ هناك فروق في التفكير، وفي النشأة، وفي السلوك، أدرك الأب هذا، وشككت له ابنته أنها لا تستطيع أن تعيش هذا الرجل، فطلب منه أن يخالعها، وأن يعطيه الآلاف الثلاثة،



خاصة أنه لم يحصل دخول، فأبى الرجل ذلك، وقال له: إن كنت تريـد ذلك فأنـا أـريد مـائـة ألف جـنيـه.

وهذا أمر غريب، فمهرـه ثلاثة آلـاف، وحـتـى إنـكـانتـ هناكـ زيـادـةـ فـهـيـ أنـ تـدـفـعـ شـيـئـاـ لاـ يـبـلـغـ المـثـلـ،ـ فـيـزـيدـ خـمـسـمـائـةـ أوـ أـلـفـاـ،ـ فـإـذـاـ كـانـ ماـ يـطـلـبـ هوـ أـكـثـرـ منـ ثـلـاثـيـنـ مـرـةـ فـهـذـاـ اـسـتـغـلـالـ وـظـلـمـ،ـ ثـمـ هـوـ لـاـ يـطـلـبـ المـرـأـةـ،ـ بـلـ يـطـلـبـ منـ أـبـيهـاـ،ـ وـالـمـفـرـوضـ أـنـ المـرـأـةـ هـيـ الـّـتـيـ تـدـفـعـ إـذـاـ كـانـ غـنـيـةـ،ـ وـلـيـسـ عـلـىـ أـبـيهـاـ وـلـاـ أـمـهـاـ أـنـ يـدـفـعـ لـهـاـ،ـ فـهـنـاكـ بـعـضـ النـاسـ يـسـتـغـلـونـ هـذـهـ الـظـرـوفـ.

والأصل أن يتكـرـمـ الإـنـسـانـ فـيـ ذـلـكـ،ـ وـقـدـ قـالـ الإـلـمـامـ سـعـيدـ بـنـ الـمـسـيـبـ فـقـيـهـ التـابـعـينـ:ـ يـبـنـغـيـ لـلـرـجـلـ الـكـرـيمـ أـلـاـ يـأـخـذـ مـنـ اـمـرـأـتـهـ كـلـ ماـ دـفـعـتـ لـهـ،ـ بـلـ يـدـعـ لـهـاـ شـيـئـاـ<sup>(١)</sup>.ـ يـتـرـكـ لـهـاـ شـيـئـاـ مـنـ بـابـ مـكـارـمـ الـأـخـلـاقـ،ـ ﴿وَلَا تَنْسُوا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ﴾ [البقرة: ٢٣٧]،ـ هـذـاـ هـوـ الـلـائـقـ بـالـإـنـسـانـ الـمـسـلـمـ.

وإنـ كانـ هوـ الـكـارـهـ لـلـمـرـأـةـ الـمـبـغـضـ لـهـاـ،ـ وـهـوـ الـّـذـيـ يـرـيدـ أـنـ يـفـارـقـهـاـ،ـ وـقـدـ تـعـلـقـ قـلـبـهـ بـأـمـرـأـةـ أـخـرـىـ فـلـاـ يـحـلـ لـهـ بـحـالـ أـنـ يـأـخـذـ كـثـيرـاـ أوـ قـلـيلـاـ مـنـ مـالـهـاـ،ـ لـاـ يـحـلـ لـهـ دـرـهـمـ أـوـ فـلـسـ مـنـ اـمـرـأـتـهـ إـنـ كـانـ هوـ الـكـارـهـ،ـ إـنـ كـانـ يـرـيدـ أـنـ يـسـتـبـدـلـ زـوـجـاـ بـزـوـجـ،ـ وـأـمـرـأـةـ بـأـخـرـىـ.

وهـذـاـ مـاـ قـالـهـ الـقـرـآنـ الـكـرـيمـ:ـ ﴿وَإِنْ أَرَدْتُمُ أَسْتِبْدَالَ رَوْجَ مَكَانَ رَوْجٍ وَأَتَيْتُمْ إِحْدَاهُنَّ قِنْطَارًا فَلَا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْئًا أَتَأْخُذُونَهُ بِهَتَنَّا وَإِثْمًا مُّبِينًا وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُ وَقَدْ أَفْضَى بَعْضُكُمْ إِلَى بَعْضٍ وَأَخَذَنَ مِنْكُمْ مِّيَثَقًا غَلِيظًا﴾ [النساء: ٢٠، ٢١].ـ كـيـفـ تـسـتـحـلـ أـنـ تـأـخـذـ مـنـ اـمـرـأـتـكـ،ـ وـلـاـ ذـنـبـ لـهـاـ،ـ وـأـنـتـ الـكـارـهـ لـهـاـ؟ـ تـرـيدـ أـنـ تـجـبـرـهـاـ؟ـ

(١) المـحلـىـ لـابـنـ حـزمـ (٥٢٠/٩).

قد يُضيق عليها ويعزلها ويؤذيها ويضارُّها حتى تفتدي نفسها منه، وهذا حرام مؤكَد، إِيذاؤها، ومُضارَّتها، والتَّضييق عليها حرام شرعاً، ﴿وَلَا نُضَارُّهُنَّ لِنُضِيقُوا عَلَيْهِنَّ﴾ [الطلاق: ٦]، ﴿وَلَا تُسِكُوهُنَّ ضِرَارًا لِنَعَذِّبُهُنَّ﴾ [البقرة: ٢٣١]، فهو يريد من هذا الضرار والإِيذاء والتَّضييق أن تبذل له من مالها، أن تدفع له، هو الكاره، وهو الَّذِي يريد الفراق، وهو الَّذِي يريد الاستبدال، ومع هذا يريد أن ينتفع أيضاً بالمال، ما أسوأك أيها الزوج الخبيث، الزوج السارق الَّذِي يريد أن يسرق امرأته ويأخذ مالها بغير حق وهو الكاره لها! فأول ما شرع الإسلام لتخلص المرأة الكارهة من زوجها الَّذِي لا تطيقه هو الخلع.

## ٢ - طلاق القاضي:

وثاني ما شرع الإسلام للمرأة الكارهة هو تطليق القاضي، أن تلجأ المرأة إلى القضاء تشكو مُضايَّة زوجها، أنها يُضارُّها ويؤذيها، فإذا ثبتت ذلك كان من واجب القاضي أن يُفرِّق بينهما، إذا استطاع أن يصلح بينهما فالصلح خير، وإنما فمن حق المرأة أن تفارق زوجها الَّذِي يضرُّها، ولا ضرر ولا ضرار في الإسلام.

قال بعض فقهاء الشافعية: لو ضربها بغير حق، أو ضربها بحق ضرباً لا يليق، كأن يضربها على وجهها، أو يضربها ضرباً مُبرِّحاً لا يليق بين الرجل وامرأته فمن حق القاضي أن يُفرِّق بينهما<sup>(١)</sup>.

إنَّ المرأة ليست دابة، بل لا يجوز إِيذاء الدابة في الإسلام بغير سبب، ولذلك قال الفقهاء: تُضرب الدابة على النفار، ولا تُضرب على

(١) انظر: الشرح الكبير للشيخ الدردير (٣٤٣/٢)، نشر دار الفكر.



العاشر. إذا عثرت الدابة لا تضر بها، فليس هذا بإرادتها، أمّا إذا حررت ونفرت فهو بإرادتها فلك أن تضر بها، ولن يستمر المرأة دابة، فإذا أساء إليها، وضررها بغير حقٍ فمن حق القاضي إذا ثبت له ذلك أن يُفرق بينهما.

وإذا كان في الرجل عيب من العيوب الجنسية، لا يستطيع أن يقوم بحق الزوجية فهنا من حق القاضي إذا ثبت له ذلك أن يُفرق بينهما، لأنَّ الحياة الزوجية حقوق مشتركة، كما أنَّ للرجل أن يفسخ العقد إذا ثبت أن في المرأة عيًّا جنسياً يمنعه من الاستمتاع بها؛ فكذلك يجوز للمرأة أن تذهب إلى القضاء وتشتكى من ذلك، من كل العيوب الجنسية، وتستطيع المحكمة أن تثبت من ذلك بواسطة الطب الشرعي أو غير ذلك، وتنفِّذ قراراً يُفرق بينهما.

وكذلك إذا كان بالزوج مرض لا تستطيع الزوجة معايشته، كأن يكون به شيء من الجنون، أو به مرض مُعْدٍ، ولا يمكن علاجه، كالجذام أو البرص أو نحو ذلك مما كان يقوله الفقهاء قديماً، أو كان مصاباً بالإيدز في عصرنا هذا، إذا ثبت أنه مصاب بهذا المرض الخبيث الذي لم يُعرف له علاج حتى اليوم فلا تُجبر المرأة على معاشرة الرجل المصاب بمثل هذه الأمراض المُعضلة، من حقها أن تطلب الفراق، ومن واجب القاضي أن يُفرق بينها وبين زوجها، أمور كثيرة يستطيع القضاء الشرعي العادل أن يفصل فيها إذا تبيّنت له وثابتت، هذا هو الأمر الثاني الذي تملكه المرأة.

### ٣ - التحكيم العائلي:

وهناك أمر ثالث جعله الشرع في يد المرأة، وهو إذا كان الخلاف بينها وبين زوجها قد هبَّت ريحه من قبلها ومن قبله، كلاهما لا يُطيق

صاحبه، هنا يكون التحكيم الذي أشرنا إليه في الخطبة السابقة، ﴿ وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنَهُمَا فَابْعَثُوا حَكَمًا مِنْ أَهْلِهِ، وَحَكَمًا مِنْ أَهْلِهَا إِنْ يُرِيدَا إِصْلَاحًا يُوَفِّقُ اللَّهُ بَيْنَهُمَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا خَيْرًا ﴾ [النساء: ٣٥].

هذا التحكيم المحبب بنص القرآن محكمة عائلية، واحد من أهل الزوج، واحد من أهل الزوجة، من أهل الرأي، ومن أهل الدين، وممن يكتمون الأسرار، وممن يقدرون على الحكم، لأنَّ القرآن سُمّاهما حكمين، وليس كل إنسان يمكن أن يكون حكماً، إنَّما الحكم هو مَنْ يقدر على الحكم، مَنْ عنده عقل ورأي وفطنة، ومقدرة على معرفة الأمور من خبياتها.

لا بدَّ أن تحاول الأسرتان - أسرة الرجل وأسرة المرأة - إصلاح ما بين الزوجين بإرسال رجلين من خيرة الرجال، يعرفون دينهما وخلقهما ورأيهما ليفصلا في هذا الأمر، ﴿ إِنْ يُرِيدَا إِصْلَاحًا يُوَفِّقُ اللَّهُ بَيْنَهُمَا ﴾، إن شاءاً أن يجmu جمعاً، وإن شاءاً أن يُفرقا فرقاً، كما قال عثمان رضي الله عنه حينما بعث ابن عباس ومعاوية للتحكيم بين عقيل بن أبي طالب وزوجته فاطمة بنت عتبة<sup>(١)</sup>.

هذا ما جاء به الإسلام لإنصاف المرأة، إنَّ الإسلام ليس قانوناً وضعته لجنة من الرجال حتى تتحيز ضد النساء، الإسلام شرعٌ فرضه ربُّ الرجال والنساء، الذي ﴿ خَلَقَ الْزَّوْجَيْنَ الذَّكَرَ وَالْأُنْثَى ﴾ [النجم: ٤٥]، هو ربُّ الرجل، وربُّ المرأة، فلا يمكن أن يكون شرعاً منحازاً لأحد الطرفين ضد الآخر، إنَّما هو العدل، هو عدل الله لعباد الله، هو حكم الله، ﴿ وَمَنْ أَحَسَنْ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوْقِنُونَ ﴾ [المائدة: ٥٠].

(١) رواه عبد الرزاق في الطلاق (١١٨٨٥).



لیت المسلمين یقفون عند حدود الله في هذه القضايا، ویحتکمون إلى شرع الله، لا إلى أهواء النفوس، ولا إلى نزواتها، ولا إلى العواطف الطارئة، ولا إلى کلام الناس الذي یروج أحياناً بغير الحق، ولكن یحتکمون إلى الشرع، إن رضوا أو غضبوا، إن أحبوا أو كرهوا، وفي الشرع دواء لكل داء، وحلٌّ لكل مشكلة.

نَسْأَلُ اللَّهَ تَبَارُكَ وَتَعَالَى أَنْ يَهْدِيَنَا سَوَاءَ السَّبِيلُ، وَأَنْ يُوفِّقَنَا إِلَى مَا يُحِبُّ وَيُرِضِّي، أَقُولُ قَوْلِي هَذَا، وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ تَعَالَى لِي وَلَكُمْ، فَاسْتَغْفِرُوهُ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ، وَادْعُوهُ يَسْتَجِبُ لَكُمْ.

\* \* \*



## الخطبة الثانية

أمّا بعد، فيا أيُّها الإخوة المسلمين:

### اتهام المقاومة بالإرهاب:

يقول المثل: إذا وقعت البقرة كثرت سكاكينها. والبقرة اليوم هم أبناء حركة المقاومة الإسلامية (حماس) في فلسطين، هم البقرة التي كثرت سكاكينها من هنا ومن هناك، انهالت عليهم الاتهامات، وقد ادَّى الشتم والسباب، أصبحوا مجرمين إرهابيين حملة العنف، وكانوا من قبل يُسمَّون الفدائين، أبطال الانتفاضة، أبطال الاستشهاد؛ ما الذي جرى حتى أصبحوا يسمون هذه العمليات البطولية العمليات الانتحارية؟

### تهويد العقل العربي:

الذي جرى هو أنَّ العقل العربي قد تهُّودَ، إسرائيل هوَّدت العقول، وهوَّدت الإعلام إلاَّ منْ رحم ربِّك، وهوَّدت السياسة إلاَّ منْ عصم ربِّك، وقليل ما هم، هوَّدت العقول فأصبحنا نسمُّي هؤلاء الإرهابيين، ونسُّمي عملياتهم العمليات الإجرامية.

ما الإرهاب؟ وهل كل إرهاب مُعاب؟ وهل كل إرهاب مجرم؟ هناك إرهاب مجرم، هذا يتعلق بمنْ الذي ترحب به؟ إن كنت ترحب قومك، وتقتل الشيوخ، والأطفال، والنساء، والمدنيين البراء فهذا إرهاب لا نقبله، وعنف نرفضه باسم الإسلام.

ولكن إذا كنت ترحب عدو الله وعدوك الذي أخرجك من أرضك، الذي شرد أهلك، والذي استباح دمك، والذي فعل بك الأفاعيل

عشرات السنين، هل يكون هذا الإرهاب ممنوعاً؟ الله تعالى يقول:

﴿وَأَعِدُّوا لَهُم مَا أَسْتَطَعْتُم مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾ [الأفال: ٦٠]. فهل القرآن الذي اعتبر هذا الإرهاب أمراً ممدوحاً كان مخطئاً؟!

إنهم يريدون أن يجعلوا كل جهاد إرهاباً، يريدون أن يبطروا فريضة الجهاد، وشريعة الجهاد من العالم الإسلامي كله، يعتبرون كل وطن يدافع عن نفسه إرهابياً، يعتبرون الذين يدافعون في البوسنة إرهابيين، والذين يدافعون في الشيشان إرهابيين، والذين يدافعون في كشمير إرهابيين، والذين يدافعون في الفلبين إرهابيين، والذين يدافعون في فلسطين إرهابيين!

منْ قال: إنَّ دفاع الإنسان عن وطنه، أو عن عرضه، أو عن أرضه، أو عن أهله، أو عن دينه يعتبر إرهاباً؟ لماذا لم نكن نعتبر إرهاباً من قبل؟ لماذا كنا نقول: أبطال الانتفاضة؟ لماذا كنا نهَّلُ ونُكَبِّر في كل عملية فدائية؟

لم يقل أحد في ذلك الوقت: إنَّهم يقتلون المدنيين. بل كانوا يقولون: المجتمع الإسرائيلي مجتمع عسكري، المجتمع الإسرائيلي كُله مجتمع مُحارب، رجاله ونساؤه كلهم جنود في الجيش الإسرائيلي، ويستدعون عند اللحظة الحاسمة. هكذا كانوا يقولون؛ فما الذي غير الموقف؟

قالوا: اتفاقية السلام. وهل تم السلام بالحد الأدنى، ودون الحد الأدنى؟ لا لم يتحقق السلام بما دون الحد الأدنى، لم تعد القدس، بل لا زالوا يقولون: القدس هي العاصمة الأبدية لإسرائيل. لا زالوا يغتصبون أراضي الفلسطينيين بالعنف والقوة، ونحن نرى في التليفزيون الإخوة

والأخوات، الرجال والنساء والأطفال يتسبّبون بأرضهم، ويصيّحون ويولولون، ولكن البلدوؤرات القويّة تجرف الأرض ولا تبالي بهؤلاء.

ورأيناهم يقتلون مَنْ شاؤوا أن يقتلوا، أرادت «حماس» أن تصنع هدنة، وأعلنت ذلك منذ مدة، ولكنّهم قتلوا يحيى عيّاش، كما قتلوا من قبل فتحي الشقاقي، وهدّدوا الآخرين وتوعّدوهم؛ فأرادوا أن ينتقموا لأنفسهم.

وإسرائيل تفعل ما تشاء، وما تفعله لا يُسمّونه إرهاباً، مع أنَّ الإرهاب الأكبر في العالم هو إسرائيل، هي التي قامت على الإرهاب من أول يوم قبل أن تكون دولة، في عهد العصابات كانت هي الإرهابي الأكبر، وبعد أن صارت دولة كانت هي الإرهابي الأكبر، هل صارت حملاً وديعاً الآن؟ لا، بل لا زال الإرهاب في دمها.

ثم هي تريد أن تغتال مَنْ تشاء، وتقتل مَنْ تشاء، تريد أن تكون هي القوة التي لا تُقهر، هي الشوكة التي لا تُقهر، هي صاحبة اليد الحديدية، والذراع الطويلة، والعصا الغليظة، والترسانة النووية، تستطيع أن تضرب مَنْ تشاء فتصيب، وأن تصيب فتقتل، وأن تقتل فلا تطالب بقصاص ولا دية ولا كفارة، لأنَّ الذين قتلهم دمهم مباح، وقتلهم متاح، وليس على قاتلهم من جناح، هكذا تفعل إسرائيل، وترى أن تكون، لماذا يحدث هذا كله؟

كنا نقول بعد أن حدث الاتفاق: ليكن ما يكون، لي فعل الساسة ما يفعلون. ولكن الذي كنا نحذر منه أن يقتل الفلسطينيون بعضهم بعضًا، والإخوة الذين فعلوا هذه الأشياء في حماس بعدوا عن غزة والضفة الغربية، وفعلوها داخل إسرائيل نفسها، وما عُرف عن هؤلاء



الأبطال في حماس أنّهم اختطفوا طائرة، أو فعلوا شيئاً من ذلك، كل ما يفعلونه ضد إسرائيل نفسها، لا يفعلون شيئاً ضد السلطة؛ فلماذا تستجيب السلطة لوساوس إسرائيل وأوامرها، وتغلق الجامعات والمدارس والجمعيات الخيرية ومؤسسات الزكاة وكل الأعمال الصالحة؟ هل لإسرائيل نفوذ إلى هذا الحد؟ هل أوامرها صارمة إلى هذا الحد؟ هذا للأسف ما حصل.

ويريدون أن يحاربوا الإرهاب، وأن يقيموا مؤتمراً للإرهاب، والواقع أنه ليس مؤتمراً ضد الإرهاب، إنّه كما قال رابين في مؤتمر الدار البيضاء: الأعداء الكونيون ثلاثة: الأصولية والجوع والمخدرات.

هم يحاربون الأصولية، فما معنى الأصولية؟ هي الرجعة إلى الإسلام، والتوجه نحوه، والدعوة إليه، فينبغي أن يُمحى هذا من الوجود؛ لأنّ إسرائيل تعرف أنّ بقاءها مرهون بإخماد الصحوة الإسلامية، إذا خمدت الصحوة الإسلامية اطمأنّت جنوبها في المضاجع، لكن الصحوة الإسلامية لن تموت، الصحوة الإسلامية باقية إن شاء الله.

### مستشهدون لا منتحرون:

إنّي أتعجب من أجهزة الإعلام العربية التي تسمى عمليات هؤلاء الشباب الذي باع نفسه لله عمليات انتحارية، لا يا سادة، ليس هذا انتحاراً، وليس هؤلاء منتحرين، المنتحر إنسان يائس من روح الله، وهؤلاء كلهم أمل في رحمة الله وروح الله، المنتحر إنسان لا يفكر إلا في نفسه وهمومها، وهؤلاء لا يفكرون في أنفسهم، بل يفكرون في أمتهم ودينه، المنتحر إنسان فقد الرجاء في كل شيء، وهؤلاء يرجون الله والجنة والدار الآخرة.

ليس هؤلاء منتحرين، هؤلاء مستشهادون، هم الشهداء الأحياء الذين يحرضون على الموت لتوهّب لهم الحياة، الناس يخافون الموت، وهم يسعون إليه ركضاً، هذا ليس انتحاراً يا سادة، هؤلاء شهداء في سبيل الله، بل هم في مقدمة الشهداء، الذين يقومون بهذه الأعمال يفدون أمّتهم بأرواحهم، وضعوا رؤوسهم على أكفهم، وقدموها رخيصة في سبيل الله، كيف تسمونهم منتحرين؟ كيف تسمون عملهم انتحاراً؟ هذا ظلم، وهو أمر لا يقبل.

### التهلكة في ترك الجهاد:

روى الإمام الترمذى وأبو داود عن أبي عمران التجىي قال: كنا بمدينة الروم، فآخر جوا إلينا صفاً عظيماً من الروم، فخرج إليهم من المسلمين مثلهم أو أكثر، وعلى أهل مصر عقبة بن عامر، وعلى الجماعة فضالة بن عبيد، فحمل رجل من المسلمين على صف الروم حتى دخل فيهم، فصاح الناس وقالوا: سبحان الله يلقى بيديه إلى التهلكة. فقام أبو أيوب الأنباري، فقال: يا أيها الناس إنكم لتوّلدون هذه الآية هذا التأويل، وإنما أنزلت هذه الآية فيما عشر الأنصار لمّا أعز الله الإسلام وكثُر ناصروه. فقال بعضنا لبعض سراً دون رسول الله ﷺ: إنَّ أموالنا قد ضاعت، وإنَّ الله قد أعز الإسلام وكثُر ناصروه، فلو أقمنا في أموالنا، فأصلحنا ما ضاع منها. فأنزل الله تعالى على نبيه ﷺ يرد علينا ما قلنا: ﴿وَأَنْفَقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى الْتَّهْلِكَةِ﴾ [البقرة: ١٩٥]. فكانت التهلكة الإقامة على الأموال وإصلاحها، وتركنا الغزو<sup>(١)</sup>. فترك الجهاد هو التهلكة.

(١) رواه أبو داود في الجهاد (٢٥١٢)، والترمذى في تفسير القرآن (٢٩٧٢)، وقال: حسن صحيح غريب. والنمسائي في الكبرى في التفسير (١٠٩٦١)، وابن حبان في السير (٤٧١١)، =

بعض الناس يعتبرون **الذی** يرمي نفسه في سبيل الله من خلال هذه الأفعال الجسورة أنَّه يلقي نفسه إلى التَّهلكة، لا، بل التَّهلكة أن تنشغل بدنياك الخاصة، وتترك الجهاد في سبيل الله، وهؤلاء هم **الذین** يرعبون أعداء الله بهذا السلاح الجديد **الذی** أودعه الله في أيدي المؤمنين، وأيدي الضعفاء، جعله الله في أيدي المستضعفين ليقفوا به في وجه الأقوىاء المتجررين، المستكبرين في الأرض بغير حق، جعله الله في أيدي المؤمنين سلاحًا يخيفون به المشركين والكافر المعذبين.

ماذا تستطيع أن تفعل لإنسان جعل من نفسه قبلة موقوتة؟ لتكن عندك الأسلحة النووية، والأسلحة الإستراتيجية، وما شئت من أدوات الدمار؛ فماذا تفعل أمام إنسان باع نفسه لله، ولا يبالي بالموت؟ لقد دخل المعركة ميتاً في سبيل الله، يقول ما قال الأول: ﴿وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِرَضَنِ﴾ [طه: ٨٤]. فإذا ما انفجر قال: **فُزْتُ** ورب الكعبة. عند الإسرائييليين ترسانة نووية، وعند الإسلاميين ترسانة إيمانية، قنابل بشرية قادرة على التَّحدى.

هذا هو **الذی** ينبغي أن نعيه في هذه القضية التي التبس فيها الحق بالباطل، واختلط الحابل بالنابل، وأصبح إعلامنا أسيراً للإعلام الغربي، والإعلام الصهيوني، أصبحت إسرائيل قادرة للأسف على تهويد عقولنا، على صهينة عقولنا وإعلامنا وصحفتنا، إلَّا مَنْ رَحْمَ رَبِّك.

إننا لا يسعنا إلَّا أن نسأل الله للإخوة في فلسطين أن يُوحَّد صفهم، وأن يقيهم أن يفتتن بعضهم بعضاً، وأن يحارب بعضهم بعضاً، وأن

= وقال الأرناؤوط: إسناده صحيح. والحاكم في الجهاد (٤٨/٢)، وصححه على شرطهما، ووافقه الذهبي.



يعصهم من كيد اليهود ومكرهم؛ فإنَّ كيد الله أقوى، اللهم عليك باليهود الغادرين، اللهم عليك باليهود الظالمين، اللهم احفظ إخواننا من بأس الماكرين، وكيد الكائدين، وأنزل عليهم بأسك الَّذِي لا يُرْدُ عن القوم المجرمين؛ إنَّك سميع قريب.

\* \* \*



## تعدد الزوجات في الإسلام<sup>(١)</sup>

### الخطبة الأولى

أمّا بعد، فيا أيها الإخوة المسلمين:

لا زال حديثنا موصولاً عن الأسرة المسلمة، عن البيت المسلم، عن الزواج وما يتعلّق به، تحدثنا في الأسبوع الماضي والّذي قبله عن الطلاق، عن انفصال الزوج عن زوجته، أو المرأة عن زوجها، ووجدنا أنّ الإسلام هو الشريعة الواقعية التي قدرت للإنسان ضروراته، وقدّرت للضرورات أحكامها، ولم تغفل عن الواقع بالخيال، ولهذا شرعت الطلاق وجعلته في يد الرجل، وشرعت للمرأة أن تخلص من حياتها الزوجية بالخلع، أو بتطليق القاضي، أو بالتحكيم.

وهذا ما لجأت إليه البشرية، حتّى المسيحية حرمت الطلاق، ولكن لجأ أهلوها والمتدينون بها كذلك إلى الطلاق، خرجوها عن دينهم وكفروا بأحكامه، وحكموا القوانين الوضعية التي تجيز لهم أن يطلقوا، عندما لا يستطيعون البقاء في ظلّ حياة زوجية بغيبة مكرّهة.

(١) ألقيت هذه الخطبة في الدوحة في ١٦ مارس ١٩٩٦ م.

وشرع الإسلام من الأحكام العادلة ما يعطي كل ذي حق حقه، وُجِدَتْ في بعض بلاد الغرب بعض القوانين عندهم تعطي المرأة المطلقة نصف ما يملك زوجها، أعرف طبيب أسنان هناك، له عيادة، وله منزل أو فيلا، وله أملاك، فلما طلق امرأته صار لها نصف ذلك كله، مع أن أبناءه وبناته أحياء، لكنها تأخذ نصف هذا، أكثر مما يأخذ أولاده وهو معهم، فهذا غريب، ولهذا رأيت كثيراً من هؤلاء لا يتزوجون.

عندما كنت أعالج في ألمانيا في صيف سنة ١٩٨٥م. كنت أسأل الممرضات اللائي يُشرفن على علاج المرضى: هل أنتن متزوجات؟ فإذا كلهن - إلّا واحدة أو اثنتين - آنسات غير متزوجات، ثم عرفت السبب، أنّ الشباب لا يريدون أن يرتبطوا بالزواج، لأن أحدhem لو اضطر إلى الطلاق سيُخرب بيته، وتأخذ المرأة نصف ما يملك، ولهذا يعاشرها بدون عقد ولا زواج، هذه نتيجة قوانين البشر!

أمّا شريعة الله؛ فقد أعطت كل ذي حق حقه، بلا إفراط ولا تفريط، ولا طغيان ولا إحسار، ﴿أَلَا تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ \* وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ﴾ [الرحمن: ٨ - ٩].

### تعدد الزوجات:

من الأشياء التي أنكروها على الإسلام - غير الطلاق - تعدد الزوجات، أنّ الإسلام يبيح للرجل أن يتزوج بأكثر من امرأة، وكان الإسلام هو الذي استحدث ذلك، والإسلام لم يبتكر تعدد الزوجات، كان تعدد الزوجات قدِيماً في كل الأمم، لم تنكره أمة، ولم ينكره دين، ولم ينكره مذهب، حتّى الكتاب المقدس الذي يؤمن به النصارى فيه أن سليمان كان عنده سبعمائة سرّية - أمة - وثلاثمائة زوجة، وأن أباه داود كان عنده ثلاثة مائة، وكان العرب في الجاهلية يعددون النساء بلا قيد ولا شرط.



## تقیید التعدُّد:

فلما جاء الإسلام شرع ذلك، ولكنَّه قيَّده بقيِّد وبشرط، أمَّا القيد فجعل حدًّا أقصى لِمَا يمكن أن يتزوجه الرجل من النساء، وهو أربع نسوة، كما قال تعالى: ﴿فَإِنْ كَحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَتَّنِي وَثُلَّتَ وَرَبِيعَ﴾ [النساء: ٣]. وقد أسلم بعض الناس منهم غيلان الثقفي، وكان عنده عشر نسوة، فقال له النبي ﷺ: «اختر منهن أربعاً، وفارق سائرهن»<sup>(١)</sup>. وكذلك مَنْ أسلم عن ثمانية، أو عن خمسة، قال له: «اختر منهن أربعاً». لا يبقى على ذمته أكثر من أربع نساء.

أمَّا النبي ﷺ فكان عنده تسع نساء، وكان هذا قبل التحديد، وأصبحن أمهات المؤمنين، وأصبح من الصعب أن يطلق إحداهن بعد أن خيرهن فاخترن الله ورسوله والدار الآخرة، حينما طالبن بالزينة والمزيد من النفقة، ونزل قول الله تعالى: ﴿يَتَأَبَّهَا النَّبِيُّ قُلْ لَا زَوْجِكَ إِنْ كُنْتَنَ تُرِدُّنَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَنَعَالِئُنَّ أُمَّتَّعْكُنَّ وَأَسْرِحْكُنَّ سَرَاحًا جَيِّلًا \* وَلَنْ كُنْتُنَ تُرِدُّنَ اللَّهَ وَرَسُولُهُ وَالدَّارَ الْآخِرَةَ فَإِنَّ اللَّهَ أَعَدَ لِلْمُحْسِنَاتِ مِنْكُنَّ أَجَراً عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٢٨ - ٢٩]. فاختار جميعهن الله ورسوله والدار الآخرة، كيف يطلق بعض هؤلاء؟ لا، أبقى الله هؤلاء، ولم يحل له شيئاً من النساء، ولا أن يبدل واحدة بأخرى ليبقى العدد كما هو، قال تعالى: ﴿لَا يَحِلُّ لَكَ النِّسَاءُ مِنْ بَعْدِ وَلَا أَنْ تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنْ أَزْوَاجٍ وَلَوْ أَعْجَبَكَ حُسْنُهُنَّ﴾ [الأحزاب: ٥٢].

(١) رواه أحمد (٤٦٠٩)، وقال محرر جوه: صحيح بطرقه وشهاداته. والترمذى (١١٢٨)، وقال: العمل عليه عند أصحابنا، منهم الشافعى وأحمد وإسحاق. وابن ماجه (١٩٥٣)، وابن حبان (٤١٥٦)، ثلاثة في النكاح، وصححه الألبانى في غایة المرام (٢٢٦)، عن ابن عمر.

### اشتراط العدل:

هكذا قيّد الإسلام الزواج بأكثر من واحدة، قيّده في العدد بـألا يزيد على أربع، وقيّده بشرط مهم، وهو أن يثق الإنسان من نفسه بالعدل بين الزوجتين أو الزوجات، قال تعالى: ﴿فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَا تَعْلُوْفَوْحِدَةً﴾ [النساء: ٣]. مجرد الخوف لا يجيز لك أن تتزوج بأخرى، لا بد أن تكون مطمئناً إلى نفسك، واثقاً بأنك ستعدل بين هؤلاء، هذا ما جاء به الإسلام.

### حكم التعدد وفوائده:

شرع الإسلام تعدد الزوجات لمصالح وحكم، فقد يكون الرجل قوي الشهوة، قوي الغريزة، ولا تكفيه امرأة واحدة، وربما كانت امرأته تطول عندها فترة الحيض، أو كانت قليلة الرغبة في الرجال!

سألتني إحدى الزوجات قريباً فقالت: لا حياء في العلم؛ أريد أن أسألك سؤالاً: أنا امرأة باردة، شديدة البرودة، وزوجي حار، شديد الحرارة، ولا أستطيع أن ألبّي رغبته، ولا أن أوفي ما يطلبه مني؛ فما الحل إذن؟ قلت لها: هل زوجك قادر؟ قالت: نعم هو قادر مالياً، وقدر جسماً. قلت لها: انصحيه بأن يتزوج، لا حلّ لمثل هذا إلا أن يتزوج، وإنما فكر في الحرام، والحلال أولى من التفكير في الحرام.

كذلك لو كان رجلاً راغباً في الإنجاب، وامرأته عقيم لا تلد، لماذا نحرمه من هذا الأمر، أو لماذا نقول له: طلقها وتزوج امرأة غيرها؟ ليُيقنها ويأتي بأخرى، هكذا كان النساء قديماً، أعرف إحدى قريباتي كان زوجها رجلاً صالحًا، ورجلاً موسراً، وظلت معه أكثر من عشرين سنة ولم تُنجب، وهو يحبها وهي تحبه، فجاءت وقالت: يا فلان، لماذا لا تتزوج؟



قال: لا أريد. قالت له: لا، لا بد أن تتزوج، وأنا التي سأخطب لك. وخطبت له امرأة من خيار النساء، وقد أنعم الله عليه وعليها بالبنين والبنات؛ لِمَ لا؟ ما الذي يمنع من هذا؟ لماذا يحرم الناس أنفسهم من أشياء يمكن في ظل الحلال أن يحققوها.

ثم هناك دواعٍ أخرى لتعدد الزوجات، أحياناً يكون عدد النساء أكثر من عدد الرجال، خصوصاً بعد الحروب ونحو ذلك، وحتى من غير الحروب عدد النساء الصالحات للزواج دائمًا أكثر من عدد القادرين من الرجال، ليس كل الرجال قادرين على أن يتزوجوا، ولكن كل فتاة بعد البلوغ صالحة لأن تتزوج؛ فماذا نصنع في هذه الزيادة من النساء؟

إما أن نحكم عليها بالحرمان، والبقاء في بيت أبيها محرومة من الحياة الزوجية، محرومة من حياة الأمومة، هذه الغريزة الفطرية، وهذا أمر غير مقبول ولا معقول.

أو أن نتيح لها أن تبحث عن الرجل بأي طريقة وبأي صورة، بعيداً عن الدين والأخلاق، ومن وراء ظهر الأهل والمجتمع، وهذا فساد أيُّ فساد؟ تدمير للمرأة، وتدمير للرجل، وتدمير للمجتمع.

أو أن نسمح لها أن تتزوج برجل متزوج، أن تكون ضرّة، أن تكون نصف زوجة، ولو لا أن هذا في مصلحتها لما قبلت، فإذا كان الزواج بالثانية ضرراً على المرأة الأولى لأنّها كانت تعيش وحدها في مملكتها، فهو مصلحة للمرأة الثانية، ومصلحة للزوج بدل أن يرتكب الحرام، ومصلحة للمجتمع؛ لأننا إذا لم نفعل هذا فهناك تعدد قائم.

المجتمع الغربي الذي ينظر إلى تعدد الزوجات كأنّه جريمة كبرى، هذا المجتمع التعدُّد فيه قائم، فقلما يوجد رجل يكتفي بزوجته

عندهم، وهذا التعدد الذي عندهم ليس تعدد الخليلات، ولكنه تعدد الخليلات، للرجل امرأة صديقة رفيقة عشيقه، وللمرأة رجل صديق أو رفيق؛ لم هذا؟ هذا تعدد لا أخلاقي، لا إنساني، لا ديني، لو حملت المرأة من هذا الرجل فإنه لا يتحمل أي مسؤولية، فليس بينهما عقد ولا ميثاق.

أمّا الإسلام فقد اعترف بالواقع، وأجاز للمرأة بأن ترتبط بهذا الرجل على كتاب الله، وعلى سنة رسول الله، يربط بينهما هذا الميثاق الغليظ، لها حقوق الزوجة، وإذا حملت فلها حقوق الأم، ولأولادها حقوق البنوّة.

### الإسلام دين واقعي:

هذا هو الواقع الذي أقره الإسلام، الإسلام دين واقعي، لأن الذي شرعه هو خالق الناس، ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ الْأَطِيفُ الْخَيْرُ﴾ [الملك: ١٤]، هو يعرف دوافعهم، ويعرف حاجاتهم، ويعرف واقعهم، ولذلك شرع لهم ما يُصلحهم، وما يرقى بهم، وما يُزكّي أنفسهم، وما يُطهّر حياتهم، هذا هو شرع الإسلام.

كل ما نقوله هنا: إن بعض الناس للأسف لا يبالى بالقيود التي وضعها الإسلام؛ ترى الرجل يتزوج وهو غير قادر على الإنفاق على زوجة واحدة، فيتزوج باثنتين، ما الذي يرهقك من أمرك عسراً، ويُكلفك ما لا تطيق، فتتزوج وأنت غير قادر على الإنفاق؟

وقد يتزوج وهو غير قادر على الإحسان، ليس عنده من القدرة البدنية ما يستطيع به أن يحسن امرأتين.



وقد يتزوج وهو غير قادر على العدل، ونعني بالعدل هنا المساواة بين الزوجتين أو الزوجات في المأكل، والمشرب، والملبس، والسكنى، والنفقة، والمبيت، فلا يجوز له أن يعطي امرأة ويحرم أخرى، لا يجوز له هذا، بل يجب أن يعطي كلاً منهما ما يعطي الأخرى.

### العدل المستطاع:

هناك شيء واحد لا يُطلب فيه المساواة، لأنَّه فوق طاقة البشر، وهو الميل القلبي، الحب العاطفي، لا نستطيع أن نقول له: أحبَّ فلانة هذه كما تحبُّ الأخرى. فهو لا يملك هذا، لأن القلوب بين إصبعين من أصابع الرحمن يُقلبها كيف يشاء، فالعواطف والميول لا يملكها البشر، هنا يُغتفر بعض الميل، كما يقول الله تعالى: ﴿وَلَن تَسْتَطِعُوا أَن تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ﴾ [النساء: ١٢٩]. والمراد بالعدل المنفي هنا الذي لا يُستطاع العدل المطلق، العدل الكامل حتى في العواطف والميول، هذا لا يستطيعه البشر.

ولذلك كان النبي ﷺ يقسم بين زوجاته في النفقة، والكسوة، والمبيت، إذا بات عند هذه ليلة بيت عند هذه أخرى، إذا خرج في سفر يقرع بينهن، فأيتها كسبت القرعة تكون هي التي تصاحبه في السفر، ثم يقول بعد أن يعدل ويساوي بينهن في هذه الأمور الظاهرة: «اللهم هذا قسمي فيما أملك، فلا تؤاخذني فيما تملك، ولا أملك»<sup>(١)</sup>! يعني أمر القلب، لا تؤاخذني فيه، فأمر القلب معفو عنه.

العدل المطلوب إنما هو في الأمور الظاهرة، وقد جاء في الحديث:

(١) سبق تخریجه ص ١٦٦.

«ما من رجل له امرأتان يميل لإحداهما على الأخرى؛ إلا جاء يوم القيمة وأحد شقيقه مائل»<sup>(١)</sup>. دلالة على ميله عن الطريق، وعن العدل الذي فرضه الله عَزَّ وَجَلَّ ، فالعدل مطلوب.

ولكن العدل الكامل غير مستطاع فهو معفو عنه، ولذلك قال الله تعالى: ﴿وَلَن تَسْتَطِعُوا أَن تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ فَلَا تَمِيلُوا كُلَّ الْمَيْلِ فَتَذَرُوهَا كَالْمَعْلَقَةِ وَإِن تُصْلِحُوهَا وَتَتَقْوَى فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [ النساء: ١٢٩]. فهذا يدلنا على أن بعض الميل مغتفر، وهو الميل القلبي.

والمعلقة هي التي يعلقها زوجها، فلا هي مُزوّجة ولا مطلقة، لا يجوز أن تذر امرأتك كالمعلقة إلا برضاهما، لو تصالحتما على هذا فلا حرج، ﴿وَإِنْ أُمْرَأٌ خَافَتْ مِنْ بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَن يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا وَالصُّلْحُ خَيْرٌ﴾ [ النساء: ١٢٨]، كما فعلت سودة رضي الله عنها ، كبرت سنها، وخشيت أن يفكّر النبي ﷺ في طلاقها، فقالت: يا رسول الله، إني امرأة قد كبرت سني، ولم يعد لي أرب في الرجال، وأنا أريد أن أتنازل عن ليلى إلى عائشة. فقبل منها النبي ﷺ ذلك<sup>(٢)</sup>.

أمّا أن يهجر الرجل زوجته القديمة ويعلقها، ولا يبالي بها، ويُقدم الأخرى عليها في الأمور الظاهرة والأمور الباطنة؛ بل يقدّم أولاد المرأة الجديدة على أولاد المرأة القديمة، يحظون بكل شيء، أمّا المرأة القديمة

(١) رواه أحمد (٧٩٣٦)، وقال محرّجوه: إسناده صحيح. وأبو داود (٢١٣٣)، والترمذى (١١٤١)، والنسائي (٣٩٤٢)، وابن ماجه (١٩٦٩)، جميعهم في النكاح، وصحّه الألباني في صحيح أبي داود (١٨٥١)، عن أبي هريرة.

(٢) متّفق عليه: رواه البخاري في الهبة (٢٥٩٣)، ومسلم في الرضاع (١٤٦٣)، عن عائشة.



الّتي عايشته في مقتبل حياته، وتحمّلت معه أعباء المعيشة.. يركلها بقدميه ويتركها، حتّى أولادها منه من صلبه.. لا يعطيهم حقوقهم، هذا ظلم لا يرضاه الله تبارك وتعالى.

ينبغي على الأزواج أن يراعوا العدل بين زوجاتهم، فالعدل هو الذي قامت به السماوات والأرض، أمّا الظلم فإنه يدمر الحياة، يدمر البيوت، يدمر المجتمعات، جاء الإسلام فشرع تعدد الزوجات، وكانت في هذا الحكمة كلّ الحكمة، لأنّه شرع عليمٌ خبير، يعلم ما يحتاج إليه عباده، ويداويهم بالدواء الصحيح الذي وصفه عليم حكيم، لا تخفي عليه خافية، ولا يغيب عنه شيء في الأرض ولا في السماء.

نحن المسلمين نعتزّ بأنّ عندنا شريعة الله تبارك وتعالى، شريعة الإسلام العظيمة التي ما أحّلت شيئاً إلّا نافعاً، ولا حرّمت إلّا خبيثاً ضاراً، وكان من أوصاف النبي ﷺ في كتب أهل الكتاب أنه: **﴿وَيُحِلُّ لَهُمُ الْطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبِيثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَلَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ﴾** [الأعراف: ١٥٧].

### أثر الإعلام في تشويه التعدد:

إنّي أريد أن أقول لكثير من الزوجات اللاتي يعتبرن كلّ تعدد ضرر: لا، ليس كلّ تعدد ضرر، قد يكون في التعدد حكمة، للأسف أصبحت المسلسلات والتمثيليات والمسرحيات والأفلام: تصبّ ناراً حامية على مسألة التعدد، سواء كان لحاجة أو لغير حاجة، أشاهد أحياناً بعض التمثيليات فأجد أنّ الحل الوحيد للمشكلة المعروضة هو أن يتزوج الرجل بالمرأة الأخرى، ولكن لا يمكن لكاتب نص مسرحي أو تمثيلي أن يصف هذا الدواء أبداً؛ يعتبرون التعدد كأنّه مصيبة.

ولذلك بعد أن كان النساء في بلادنا العربية والإسلامية - وفي بلاد الخليج خاصة - يقبلن تعدد الزوج، إذا احتاج الزوج إلى التعدد يتزوج، أصبحن يرفضن هذا، حتى قيل لإحداهن: أليس هذا خيراً من أن يزني زوجك هذا؟ قالت: لا، لأن يزني خير من أن يتزوج. وهذا غريب من أن يصدر من مسلمة، وبعضهم يقول: جنازته ولا زواجه. يذهب إلى الجحيم ولا أن يتزوج، وهذا كله من تأثير الفكر الغربي، والإعلام الغربي، الإعلام المنتشق عن هذا الفكر نتيجة هذا الغزو الذي غزا إعلامنا؛ فأصبحنا نعرض عن شرع الله عَزَّلَهُ.

نحن لا نقرُّ التعدد إذا كان مجرد لعب وعبث، يتزوج الرجل امرأة أيامًا ثم يطلقها ويأتي بأخرى، هذا لعب، وليس الحياة الزوجية لعبًا، لكن إذا كانت هناك حاجة فلا شك أن الحاجة تُقدر، وأن الشرع لم يشرع التعدد عبًّا ولا لهوًّا، إنما شرعه لحكمة يعلمهها الله تبارك وتعالى.

إذا طُلِقت امرأة في شبابها، وكثيرًا ما تُطلق بعض النساء وهي في الثلاثين، أو قبل الثلاثين، أو بعد الثلاثين بقليل، أو مات زوجها وترمَلت، أو فاتها القطار؛ فهل هؤلاء يُحرمن إلى الأبد؟ قد لا يستطيع رجل أن يتزوجهن لأول مرة، لكن قد تستطيع هذه المرأة أن تتزوج رجلاً متزوجًا، لماذا لا تقبل المرأة أن يتزوج زوجها فيستر امرأة من المسلمات، يستر عليها ويؤويها ويتكفل بها.

وقد كان الصحابة رضوان الله عليهم يفعلون ذلك حين يموت الشهداء المجاهدون، فقد كان العصر عصر جهاد وشهداء باستمرار، فما كان الرجل يدع زوجة أخيه وأطفالها في العراء، بل يسارع بمجرد أن تنتهي عدتها فيخطبها، وتصبح من نسائه، هكذا كان يفعل الصحابة رضوان الله عليهم.



ليس هناك أفضل من أن يضم الرجل امرأة أخيه الشهيد إلى نسائه، حتى لو ذهب إليها ليقضي حاجاتها المنزلية دون زواج فيصبح هو وهي مجالاً للقليل والقال، ومضغ الأفواه، والكلام الذي لا معنى له؛ فلماذا لا يتزوجها؟

إنَّ الإِسْلَامَ حِينَمَا شَرَعَ التَّعْدُدَ شَرْعَهُ لِحُكْمِ وَمَصَالِحِ، وَاللَّهُ أَدْرِى بِمَصَالِحِ عَبَادِهِ، ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ الْمُصْلِحِ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَعْنَتُكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٢٠]، فـيجب أن نأخذ أحکام الله بجدية، لا نعبث بها كما يعبث بعض الناس الذين يظلمون الزوجات، ويظلمون الأولاد، ويُعيِّشون زوجاتهم القديمات وأولادهن في حياة بائسة تعسفة.

أتيني رسائل واتصالات كثيرة، تشكو من هذا الظلم الواقع من كثير من الرجال على كثير من النساء، هذا لا يجوز، ما شرع الله هذا الظلم أبداً.

ولا ينبغي للإنسان أن يورث الضغائن بين أولاده بعضهم وبعض، إذا كان أولادك من صلبك يجدون إخوتهם يتمتعون بالخيرات والطيبات من مال أبيهم، وهم محرومون منه؛ ماذا تكون النتيجة؟ إنهم يحقدون على الأب، ويحقدون على زوجته الأخرى، ويحقدون على أبنائه منها، ومعنى هذا أن يرث المجتمع الكراهية والبغضاء، وهي داء الأمم كما قال النبي ﷺ: «دب إليكم داء الأمم: الحسد، والبغضاء وهي الحالقة، لا أقول: تحلق الشعر. ولكنها تحلق الدين»<sup>(١)</sup>.

(١) رواه أحمد (١٤١٢)، وقال محرر جوه: إسناده ضعيف لانقطاعه. والترمذى في صفة القيامة (٢٥١٠)، وابن عبد البر في جامع بيان العلم وفضله (٢١٢٢)، وقال الألبانى في صحيح الترغيب والترهيب (٦١/٣): حسن لغيره. عن الزبير بن العوام.



أَسْأَلُ اللَّهَ رَبِّنَا أَنْ يَنْيِرْ طَرِيقَنَا، وَأَنْ يَهْدِنَا سَوَاءَ السَّبِيلِ، وَأَنْ يَوْفَقَنَا  
إِلَى الْعَمَلِ بِشَرِيعَتِهِ؛ إِنَّهُ سَمِيعٌ قَرِيبٌ.

أَقُولُ قَوْلِي هَذَا، وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ تَعَالَى لِي وَلَكُمْ فَاسْتَغْفِرُوهُ، إِنَّهُ هُوَ  
الْغَفُورُ الرَّحِيمُ، وَادْعُوهُ يَسْتَجِبُ لَكُمْ.

\* \* \*



## الخطبة الثانية

أمّا بعد، فیا أیّهَا الإلّاخوة المسلمون:

### رحيل الشیخ خالد محمد خالد:

في الأيام القليلة الماضية فقد الأزهر، وفقدت مصر، وفقد العالم الإسلامي ثلاثة من كبار العلماء: كان أولهم الشیخ خالد محمد خالد، هذا الرجل صاحب القلم الرشيق، والبيان الأنیق، والذی نصب نفسه طوال حياته الفكرية محامياً عن الحریات، وحقوق الإنسان، وواقفًا في وجه الطغاة من الحُکَام، لا زلت أذكر كيف وقف في أحد المؤتمرات ضد عبد الناصر نفسه في أوج سلطانه، مطالبًا إياه بالحرية للناس، ومات وهو يدافع عن الحرية.

كانت له في أوائل حياته تجاوزات وانحرافات، بدأت بكتابه (من هنا نبدأ)، ثمَّ تاب الله عليه، ورجع عن أفكاره هذه، أو عن أكثرها، وأعلن ذلك في صراحة وشجاعة، كان يقول في ذلك الكتاب: الإسلام دين لا دولة. ولكنَّه قال بعد ذلك: كنت مخطئاً. وبين دوافعه في هذا وكتب ذلك في كتابه (الدولة في الإسلام).

### رحيل الشیخ محمد الغزالی:

ذهب هذا الرجل إلى الله، ورحل إلى الآخرة، ثمَّ أعقبه صديقه الشیخ محمد الغزالی الذي وقعت بينه وبينه مساجلة، ورد على كتابه (من هنا نبدأ) بكتابه (من هنا نعلم)، وبين أخطاءه وضلالاته في هذا الكتاب، لم تحل بينه وبين ذلك الصداقة الوثيقة التي كانت بينهما،

فقد أَلْفَا مع بعض العلماء لجنة أسموها (لجنة النشر للأزهريين)، صدر منها كتاب (الإسلام والأوضاع الاقتصادية)، تحت شعار اتخذته هذه اللجنة (الدين في خدمة الشعوب)، ردًا على الماركسيين الذين يزعمون أن الدين أفيون الشعوب، فكانوا يقولون: الدين في خدمة الشعوب، يرعى حقوقها، وينهضها لطالب بحقوقها وحريتها، ولا يقبل الظلم، ولا يسكت عن الظالمين.

لم تمنع صداقه الشيخ الغزالى لخالد أن يردد عليه، ولكنَّه كان رفيقًا به، وكان محسنًا للظن به، وقال: إِنَّه رجل على خلقه. وقد صدقت الأيام ظن الشيخ الغزالى.

رحل الشيخ الغزالى الذي نصب نفسه محاميًّا عن قضيَّة الإسلام، عاش للإسلام وما ت للإسلام حتى آخر لحظة في حياته، لم يرفض دعوة وُجُّهت إليه، دُعِي رغم سنه وشيخوخته ومرضه ليتحدث في ندوة عن الإسلام والغرب فلبى الدعوة، وكان بعض المتحدثين يتحدث في هذه الندوة، وتجاوز في كلامه بكلام مسَّ الإسلام، فهاجم الشيخ وثار، وطلب الكلمة ليرد عليه، فقيل له: انتظر يا شيخ غزالى. فانتظر، فزاد الرجل تجاوزًا، فغلا الشيخ كما يغلي المرجل فوق النار، فطلب الكلمة، فقيل له: انتظر حتى ينتهي من كلامه. فلما انتهى من كلامه أعطوا الكلمة لرجل آخر، هنا لم يملك الرجل نفسه، ووقف غاضبًا ثائراً، فكان فيها قضاء نحبه، سقط مغشياً عليه، وُنقل بعد ذلك إلى المستشفى ومات رَحْمَةً لله ، مات وهو في المعركة، مات ممتنقًا الحسام، مات فارسًا من فرسان هذا الدين.

لقد عرفت الشيخ الغزالى منذ نصف قرن من الزمان فعرفت فيه



الصدق في الإيمان، والصدق في القول، والإخلاص في العمل، والشجاعة في الحق، والغيرة على هذا الدين.

عرفته إنساناً محبّاً لطيف المعاشر، طلق المُحِيَّا، عذب الحديث، فـكـه الكلام، سريع النكتة، يغار إذا مسَّ الإسلام بأدنى شيء، ولكنه في خلقه وطبعه لا يعرفه أحد، ولا يعايشه أحد إلَّا أحبـهـ.

كان سريعاً في الدمعة، إذا ذُكر الله عَزَّوجَلَّ أو ذُكرت الآخرة تفيض عيناه بالدموع، كان يهتز وهو يقرأ القرآن أو يصلّي فرقاً وخشية من الله تبارك وتعالى، لاحظ عليه ذلك كل من رأه وعاشه.

عاش الشيخ الغزالى للإسلام، ألف أكثر من سبعين كتاباً، ودَبَّجَ آلاف المقالات بقلمه البليغ، وأذاعآلاف الأحاديث من الإذاعات والتلفازات العربية والإسلامية، وألقىآلاف الخطب والمحاضرات والدروس، كانت كلها دفاعاً عن الإسلام، هكذا كان الشيخ الغزالى.

حاول بعض الناس أن يستروه فلم يقدروا على ثمنه؛ كان أغلى من أن يُشتري، وبقي لله وحده، كما قال تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِقِ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ \* لَا شَرِيكَ لَهُ﴾ [الأنعام: ١٦٢ - ١٦٣].

لا أستطيع في مثل هذه العجلة أن أتحدى عن الشيخ الغزالى، وما ثار الشيخ الغزالى، وفضائل الشيخ الغزالى، فهي أكثر من أن تُحصر، وأوسع من أن تتناول في كلمة عارضة.

### رحيل الشيخ جاد الحق:

ثم جاء الفقيـدـ الثالثـ من علماءـ الأـزـهـرـ، إـنـهـ الشـيـخـ جـادـ الحـقـ عـلـيـ جـادـ الحـقـ الـذـيـ توـفـيـ فـيـ هـذـهـ الـلـيـلـةـ، وـعـرـفـتـ قـلـيلـ وـفـاتـهـ مـنـ

التليفزيون، وقد رثا الشيخ الغزالى في الصحف ونعاه، وتكلم عن فضائله في التلفازات، فإذا هو يقضى نحبه، ويلحق بأخويه أيضاً.

كان الشيخ جاد الحق رجلاً فاضلاً، لم أعاشه كثيراً، ولكنني لقيته في لقاءات متعددة فرأيت أنه رجل على خلق، رجل مهذب، رجل لا يرد على السيئة بسيئة، تطاول بعض الناس عليه، وكان يمكن أن يرد عليهم، ولكنه دفع بالتي هي أحسن، وعفَّ عن هؤلاء، فكان كريماً في حياته.

رأس المجلس الأعلى للدعوة الإسلامية والإغاثة؛ فعرف الناس فيه الرجل الخير الغيور على الإسلام، انتشرت كليات الأزهر ومعاهده في عهده، وأشهد أني رأيته في لقاءاتي معه على خير.

لقد فقد الأزهر، وفقدت مصر، وفقدت الأمة الإسلامية هؤلاء العلماء، وقد قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه : إذا مات العالم ثُلمَتْ في الإسلام ثُلمَة لا يسدها إلا عالم آخر<sup>(١)</sup>.

نسأل الله تعالى أن يهين من العلماء من يسدون هذه الثلم، ويسدون هذه الثغرات، ويقومون على هذا الإسلام حراساً، ونحن نعلم أنَّ الله سبحانه لا يتخلَّ عن هذا الدين، إذا ذهب عالم جاء عالم، وإذا أفل كوكب سطع كوكب إن شاء الله، فهذه الأمة بخير، وفيها طائفة منصورة قائمة على الحق، لا يضرها من خالفها حتى يأتي أمر الله وهم على ذلك.

إن شاء الله سنصلِّي صلاة الغائب على هؤلاء العلماء الثلاثة مرة واحدة، ونسأَل الله تعالى أن يغفر لهم ويرحمهم، ويتقبَّلهم في الصالحين، ويجزِيهم عن الإسلام وأمتِه خير ما يجزي العلماء العاملين، والأئمة الصادقين.

\* \* \*

(١) إحياء علوم الدين (٧/١).

## ظُلم الرجال للنساء

غير مرخصة للطباعة

### الخطبة الأولى

أمّا بعد، فيا أيها الإخوة المسلمين:

في مدة قريبة اتصل بي عدد من أخواتنا المسلمات، يشكون من ظلم الرجال لهن، زوجة تشكو الزوج، وابنة تشكو الأب، وأخت تشكو الإخوة، وربما تشكو الأم.

وهكذا نجد كثيراً من المظالم تقع في المجتمع، وقد قالت لي إحداهن: إنَّ الإسلام كَرَّمَ المرأة وأنصافها، وحمها وضمها لها حقوقها، ورعى إنسانيتها، وقد وقفت ضد مؤتمر بَكِينَ، ووثيقة مؤتمر بَكِينَ، وقلت: نحن المسلمين لا حاجة لنا إلى هذه الوثيقة، فعندنا وثيقتنا: القرآن الكريم، والسنّة النبوية، لا يُحْوِجُنا إلى وثيقة أخرى.

نحن عندنا الإسلام الذي كَرَّمَ المرأة إنساناً، وكرّمها أنسى، وكرّمها بنتاً، وكرّمها زوجة، وكرّمها أمّا، وكرّمها عضواً في المجتمع، ومع هذا نرى الظلم يقع من الرجال على النساء، فأين إنصاف الإسلام، وتكريره ! الإسلام؟!

## أكل ميراث المرأة:

ولا أنسى من هذه الشكاوى التي وصلتني في هذه المدة، شكويين في غاية الأهمية، إحداهما: شكوى اخت من إخواتها، تقول: «إن إخوتي، وقد مات أبي من نحو عشرين سنة، لم يعطوني ميراثي حتى الآن، لا أنا ولا إخواتي البنات، وإن هذه ظاهرة شائعة في المجتمع، يستولي الذكور على تركة الأب، ويستحلون استغلالها، ويستفيدون منها لأنفسهم ولنسائهم، وذرارיהם، وأخواتهم محرومة من تركة آبائهم».

وقد سألت - أيها الإخوة، فوجدت أن هذا أمر شائع بالفعل إلا عند الذين يعرفون حدود الله، ويعرفون الحلال من الحرام، ويتحررون أن يقفوا عند حدود الله، ولا يعتدوها، **﴿وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾** [البقرة: ٢٢٩].

أما هؤلاء فهم يستحوذون على تركة آبائهم، ويتربون أخواتهم سنة وسنوات، وعشراً وعشرين، ولا يعطونهن حقهن.

وهذا أمر لا يجوز.

إن الميراث حق للوارث، حدده الله وَجَعَلَ في كتابه، ولم يكله في أسسه ودعائمه للرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نفسه، وإنما جاء القرآن بالمواريث، وفصل أحكامها الأساسية، في أحكام ثلاث، من كتاب الله وَجَعَلَ، من سورة النساء.

كان العرب في الجاهلية لا يورثون النساء، بل كانوا يرثونهن، وكان الرجل يرث عبيد أبيه، وإبل أبيه، ودور أبيه، وغنم أبيه، ويرث امرأة أبيه، كما تورث النعاج والبغال والحمير، يتصرف فيها كيف يشاء، إن أعجبه جمالها تزوجها، وإن لم يعجبه عضلها، فيمنعها من



الزواج حتّى تفدي نفسها بمال، فیطلق سراحها، ويفك أسرها، ويدعها تتزوج بمن شاء.

فکانت المرأة كالمتاع يورث، ولم تكن ترث، فجاء القرآن يحرّم وراثة النساء: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَحْلُّ لَكُمْ أَنْ تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرَهًا وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ لِتَذَهَّبُوا بِعَضٍ مَا إِاتَيْتُمُوهُنَّ﴾ [النساء: ١٩]، وقرر أنّ الرجال والنساء جميعاً لهم حظ في تركة الآباء والأزواج وغيرهم من الأقرباء؛ فقال تعالى: ﴿لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ نَصِيبًا مَفْرُوضًا﴾ [النساء: ٧].

وجاءت الآيات بعد ذلك تحديد هذه الأنسبة المفروضة، من النصف والربع، والثلث، والثمن، والثلثين، والسدس، فرائض ومقادير محدّدة، جاءت بهذه الصيغة: ﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِذَكْرٍ مِثْلُ حَظِ الْأُنْثَيَيْنِ﴾ [النساء: ١١].

### النساء شقائق الرجال:

وإنما فاوت الإسلام بين الذكر والأنثى، لا لأنّ المرأة أقل في إنسانيتها من الرجل.

لا؛ فالله تعالى يقول: ﴿بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ﴾، أي: أنّ الرجل من المرأة، والمرأة من الرجل، المرأة تكمل الرجل، والرجل يكمّلها، كما جاء في الحديث: «إِنَّمَا النِّسَاءُ شَقَائِقُ الرِّجَالِ»<sup>(١)</sup>.

كلّ ما في الأمر أنّ أعباء الرجال تتفاوت عن أعباء النساء؛ فالرجل

(١) رواه أحمد (٢٦١٩٥)، وقال مخرجوه: حسن لغيره. وأبو داود (٢٣٦)، والترمذى (١١٣)، كلاهما في الطهارة، وحسنه الألبانى في صحيح أبي داود (٢٣٥)، عن عائشة.

مكْلَفٌ إِذَا تزوج أَنْ يُدْفَعْ مهْرًا لِلْمَرْأَةِ، وَالْمَرْأَةُ إِذَا تزوجتْ تَأْخُذْ مهْرًا مِنَ الرَّجُلِ، وَالرَّجُلُ إِذَا تزوج فَعَلَيْهِ أَنْ يَؤْسِسْ بَيْتًا، وَالْمَرْأَةُ لَيْسَ عَلَيْهَا شَيْءٌ مِنْ ذَلِكَ، وَالرَّجُلُ عَلَيْهِ نَفَقَةُ الْبَيْتِ، وَالْمَرْأَةُ لَيْسَ عَلَيْهَا شَيْءٌ، وَلَوْ كَانَتْ مِنْ أَغْنَى الْأَغْنِيَاءِ، لِهَذَا كَانَتِ التَّكَالِيفُ مُخْتَلِفَةً وَالْأَعْبَاءُ مُخْتَلِفَةً، فَاخْتَلَفَتِ النِّسْبَةُ فِي الْمِيرَاثِ.

كما أَنَّ هَذَا النِّصَابَ لَيْسَ ثَابِتًا فِي كُلِّ حَالَاتِ الرَّجُلِ وَالْمَرْأَةِ؛ فَفِي بَعْضِ الْأَحْيَانِ يَتَسَاوِي النَّصِيبَانِ، كَمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَلَاَبَوِيهِ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا اسْدُسٌ مِمَّا تَرَكَ﴾، وَفِي مَثَلِ الْإِخْرَوَةِ لِأَمْ: ﴿وَإِنْ كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَلَلَةً أَوْ أَمْرَأَةً وَلَهُ أَخٌ أَوْ أُخْتٌ فَلِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا اسْدُسٌ فَإِنْ كَانُوا أَكْثَرُ مِنْ ذَلِكَ فَهُمْ شُرَكَاءُ فِي الْثُلُثِ﴾.

فَأَحْيَا نَا تَسَاوِيَ الْمَرْأَةِ مَعَ الرَّجُلِ، وَفِي مَعْظَمِ الْأَحْيَانِ يَكُونُ نَصِيبُ الرَّجُلِ ضَعْفُ نَصِيبِ الْمَرْأَةِ لِلاعتِبَارِ الَّذِي ذُكِرَنَا هُوَ، لَا لِأَنَّ الْمَرْأَةَ أَقْلَى إِنْسَانِيَّةً، أَوْ أَحْقَرَ مَكَانَةً مِنَ الرَّجُلِ، كَمَا يَرِيدُ أَنْ يَفْهَمُ بَعْضُ النَّاسِ.

لَقَدْ جَاءَتْ أَحْكَامُ الْمِيرَاثِ بِمَثَلِ هَذِهِ الْأَلْفَاظِ: ﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ﴾ فَهِيَ وَصِيَّةٌ مِنَ اللَّهِ، وَفِي آخرِ الْآيَةِ يَقُولُ تَعَالَى: ﴿إِبَآءَوْكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ لَا تَدْرُونَ أَيْمَمُهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعًا فَرِيضَةٌ مِنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْمًا حَكِيمًا﴾ [النِّسَاءُ: ١١].

وَفِي خَتَامِ الْآيَةِ الثَّانِيَةِ: ﴿مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصَىٰ بِهَا أَوْ دِينٍ غَيْرَ مُضَارِّ وَصِيَّةٌ مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَلِيمٌ﴾ [النِّسَاءُ: ١٢].

فَهِيَ وَصِيَّةٌ مِنَ اللَّهِ وَفَرِيضَةٌ مِنَ اللَّهِ.

ثُمَّ يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى بَعْدِ هَاتِينِ الْآيَتَيْنِ: ﴿تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَنْ يُطِعْ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلُهُ جَنَّتِ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَلِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [النِّسَاءُ: ١٣] مِنْ يَطْعَ اللَّهُ وَرَسُولَهُ



في تنفيذ هذه الأحكام وتطبيقاتها، لا يتعالى الله، لا يستدرك على الله، لا يظن أنه أعلم من الله بمصلحة خلقه؛ لأنَّ هناك أناساً في عصرنا يقولون: لماذا لم يسُرِ الإسلام بين الذكر والأنثى؟!

وآخرون يستكثرون على الأنثى ما أعطاها الله إياه، فهم يريدون أن يأكلوا حقَّها، أو يماطلوها فيه ويؤجلوه ما استطاعوا، ولا ينبغي هذا لل المسلم ﴿تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلُهُ جَنَّةً تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَلِيلِينَ فِيهَا وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودُهُ يُدْخِلُهُ نَارًا خَلِيلًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُّهِيْبٌ﴾ [النساء: ١٣، ١٤].

من يعص الله في تلك الأحكام، في تلك الفرائض، في تلك الوصايا، ويتجاوز حدود الله فيها، فيتجاوز هذه الحدود بالزيادة أو بالنقص ﴿يُدْخِلُهُ نَارًا خَلِيلًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُّهِيْبٌ﴾.

لقد بيَّن الله لنا ذلك؛ حتَّى لا تلتبس بنا الدروب، وتضل بنا المسالك، ولذلك قال في آخر آية في سورة النساء، وهي - أيضًا - تتعلق بالميراث، ميراث الكلالة، وهو من مات وليس له والد ولا ولد، ختم هذه الآية وختم السورة كلَّها بقوله: ﴿يَبْيَّنُ اللَّهُ لَكُمْ أَنْ تَضِلُّوا وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [النساء: ١٧٦].

يبَيَّن الله لكم هذه الأحكام وهذه المقادير والفرائض، كراهة أن تضلوا ﴿وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾، فهو أعلم بكم بمصالحكم، وأبر بكم من أنفسكم، وأرحم بكم من الوالدة بولدها، ﴿إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [البقرة: ٦٥، الحج: ١٤٣]، وهو بهم خبير عليم، ولذلك لا يشرع لهم

إِلَّا مَا فِيهِ صَلَاحُهُمْ، إِلَّا مَا فِيهِ خَيْرٌ لَهُمْ فِي دِينِهِمْ وَدُنْيَاهُمْ، فِي مَعَاشِهِمْ وَمَعَادِهِمْ، ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ الْلَّطِيفُ الْخَيْرُ﴾ [الملك: ١٤].

فنصيحتي إلى كلّ أخ لا يزال يحتجز رصيد أخته، أو أخواته، أو أي وارثة من النساء، أو من الرجال.. عليه أن يرد الحق لأهله، يرد الأمانات لأهلها، ويعطي لكلّ ذي حقّ حقّه، ويخلص من هذا المال؛ حتى لا يأكله حراماً سحتاً، ولا ينبع جسده من حرام، أو جسد ذريته من حرام، وربما سكتت أخواته حباء أو خجلاً، فهو يأكله بسيف الحياة، وما أخذ بسيف الحياة فهو حرام، وقال ﷺ : «لا يحلُّ مالُ امرئٍ إِلَّا بِطِيبِ نَفْسِهِ»<sup>(١)</sup>، لا بدّ أن تطيب به نفسه.

حتى لو قال لك من وراء قلبه: أنا مسامح لك، وأنت تعلم أنه غير مسامح، وإنما قالها كلمة من طرف لسانه، فلا يحل لك، ولذلك قال الله تعالى: ﴿وَإِنَّمَا أَنْتُو أَنَّ النِّسَاءَ صَدُّقْتُهُنَّ نَحْلَةً إِنْ طَبَنَ لَكُمْ عَنْ شَيْءٍ مِّنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ هِنِيَّةًا مَّرِيَّةً﴾ [النساء: ٤]، طابت به أنفسهن، فلا بدّ أن تكون النفس طيبة بالعطاء، أمّا أن يكون بمجرد اللسان والذفون غير طيبة فلا يحل للإنسان هذا المال.

فعلى الإخوة، وعلى كلّ إنسان له حقّ لغيره أن يرده إليه؛ فإنّ من أخطر الأمور أكل أموال الناس بالباطل، وليس الأكل بالباطل فقط مجرد أن تسرق أو تنهب، أو تقبل رشوة؛ فهناك ألوان كثيرة لأكل المال بالباطل، ومن ذلك: أكل مال المواريث، فأعطوا الحقوق

(١) جزء من حديث طويل: رواه أحمد (٢٠٦٩٥)، وقال مخرجوه: صحيح لغيره مقطعاً. وأبو يعلى (١٥٧٠)، والدارقطني في البيوع (٢٨٨٦)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٥٦٢١): رواه أبو يعلى. وأبو حرة وثقة أبو داود وضعفه ابن معين. وصحّحه الألباني في صحيح الجامع (٧٦٦٢)، عن عم أبي حرة الرقاشي.



لأهلها ببارك الله لكم في القليل، ليس المهم أن تستكثر من المال ولو بغير حقٍّ، إنما المهم كلّ المهم، أن يكون هذا المال من حلال، وأن تتحرى فيه، وتدقق فيه، وتفتش وتحاسب نفسك، وتقول كما قال السلف: المؤمن أشدُّ حساباً لنفسه من سلطان غاشم، ومن شريك شحيح<sup>(١)</sup>.

أيها الإخوة، هذه إحدى الشكوىين.

### معاصرة المرأة لزوجها وهي كارهة:

أمّا الشكوى الأخرى فهي من امرأة تشكو من زوجها، وتقول: هل يفرض الإسلام على المرأة أن تعاشر زوجها وهي تكرهه ولا تطيق معاشرته، ولا تطيق النظر إلى وجهه، فطالما آذاها، وطالما سبها، وطالما أهانها، وطالما ضربها، ولكنها لا تملك أن تخلص منه؛ فالرجل في يده الطلاق، يستطيع أن يتخلص من المرأة متى شاء، ولا يملك أحد أن يرده، فهو حقٌّ في يده.

وكم من أنس طلقوا نسائهم دون أن يروا منها إلا كلَّ خير، ولكن هذا سيف مسلط على المرأة؛ فالرجل يستعمل الطلاق بحقٍّ وبغير حقٍّ، مع أن هذه الأسرة كيانٌ قدّسه الشرع، وسمى رباط الزوجية: ميثاقاً غليظاً، **«وَأَخَذْتَ مِنْكُمْ مِيثَقًا غَلِيظًا»** [النساء: ٢١]، وهي العبارة نفسها التي استخدمت مع النبيين **«وَإِذَا أَخَذَنَا مِنَ النَّبِيِّنَ مِيثَقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحَ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَبْنَ مَرِيمٍ وَأَخَذَنَا مِنْهُمْ مِيثَقًا غَلِيظًا»** [الأحزاب: ٧].

(١) رواه ابن أبي الدنيا في محاسبة النفس (٩)، عن ميمون، بلفظ: التقى أشد محاسبة لنفسه من سلطان عاص. تحقيق مصطفى بن علي بن عوض، نشر دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٩٨٦هـ - ١٤٠٦م.

هذا الميثاق الغليظ يستطيع الرجل أن يفكّه وأن يهدمه بالطلاق، ويهدم هذه المؤسسة، على رأسه وعلى رأس امرأته، وعلى رأس أطفاله، ولا يبالي، مع أنَّ «أبغض الحال إلى الله الطلاق»<sup>(١)</sup>.

ومع أنَّ الطلاق من غير ما بأس ولا أذى من المرأة ولا تقصير في شيء هو حرام، فالله جعل التفريق بين الزوجين من أعمال السحراء الكفارة، قال عن هؤلاء: ﴿فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ﴾ بَيْنَ الْمَرْءَ وَزَوْجِهِ [البقرة: ١٠٢].

وجاء في الحديث: «إِنَّ إِبْلِيسَ يَضْعُ عَرْشَهُ عَلَى الْمَاءِ، ثُمَّ يَبْعَثُ سَرَابِيَّاهُ، فَأَدْنَاهُمْ مِنْهُ مِنْزَلَةً أَعْظَمُهُمْ فَتْنَةً، يَجْهِيُهُمْ أَحْدَهُمْ فَيَقُولُ: فَعَلْتُ كَذَا وَكَذَا. فَيَقُولُ: مَا صَنَعْتَ شَيْئًا. قَالَ: ثُمَّ يَجْهِيُهُمْ أَحْدَهُمْ فَيَقُولُ: مَا تَرَكْتَهُ حَتَّى فَرَقْتَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ امْرَأَتِهِ. قَالَ: فِي دِينِي مِنْهُ، وَيَقُولُ: نَعَمْ أَنْتَ»<sup>(٢)</sup>، فيكون هو التابع الحقيقي لإِبْلِيس؛ لأنَّه هدم الأسرة، سيتشرد الأطفال، وتضيع المرأة، ويحدث ويحدث، فيقول له: نعم أنت.

إنَّ الإسلام حريص على أنْ تبقى الأسرة، وعلى أنْ تستمرَّ، ولكنَّه يقدّر للظروف قدرها، فأعطى الرجل هذا الحقَّ؛ ليستخدمه في موضعه، إذا استحالَت العשרה، فهي عملية جراحية يُلجأُ إليها عند الضرورة، كما يشقُّ الإنسان بطنه، وكما يقطع عضواً منه؛ حماية لبقية أعضاء البدن.

**إِذَا لَمْ يَكُنْ إِلَّا الْأَسِنَةُ مَرْكَبٌ      فَمَا حِيلَةُ الْمُضْطَرِّ إِلَّا رُكُوبُهَا<sup>(٣)</sup>**

(١) سبق تخریجه صـ ٢٣٥.

(٢) رواه مسلم في صفات المنافقين (٢٨١٣)، وأحمد (١٤٣٧٧)، عن جابر.

(٣) من شعر الكميت بن زيد. انظر: جمهرة أشعار العرب صـ ٧٩٠، تحقيق علي محمد البجادى، نشر نهضة مصر، القاهرة.

## الوسائل التي شرعاها الإسلام للمرأة إذا استحالت العشرة:

وكما أعطى الشارع الحكيم للرجل حق الطلاق، أعطى للمرأة أكثر من وسيلة، تستطيع من خلالها إنهاء عشرتها مع الرجل، إذا كانت لا تطيقه، واستحالت العشرة معه.

### الوسيلة الأولى: الخلع:

فالوسيلة الأولى التي أعطاها الإسلام للمرأة، حق الخلع: أن تخلع نفسها من الرجل، إذا كانت لا تطيق معاشرته، فلا يعقل من الإسلام الذي شرع الطلاق للرجل، أن يدع المرأة تعيش الرجل رغم أنها، فلا يمكن أن تقوم حياة بالإكرام، ولا يمكن أن يفرض قانون الشرع على اثنين أن يعيشَا، وأحدهما يكره الآخر ولا يطيقه، ولذلك شرع الإسلام الخلع.

مع أن الله قد عَبَر عن العلاقة بين الرجل والمرأة بقوله: ﴿هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسُ لَهُنَّ﴾ [آل عمران: ١٨٧]، فهي تريد أن تخلع هذا اللباس، وعبر القرآن عنها بالفدية، أن تفدي المرأة نفسها: ﴿وَلَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَأْخُذُوا مِمَّا أَتَيْتُمُوهُنَّ شَيْئًا إِلَّا أَنْ يَخَافَا إِلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَإِنْ خَفْتُمُ إِلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا أَفْنَدْتُ بِهِ﴾ [آل عمران: ٢٢٩]، تريد أن تفدي نفسها كما يفدي الأسير نفسه، ويفك نفسه بفدية يدفعها، فهي تدفع للرجل شيئاً تخلص به رقبتها منه.

وهذا أمر مشروع إذا كان الكُره من قبل المرأة، إذا كانت هي التي تبغضه.

أمّا إذا كان الزوج هو الذي يكرهها، ويريد أن يستبدل بها أخرى،

فلا يجوز أن يأخذ منها شيئاً، ففي الآية التي ذكرناها: ﴿وَلَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَأْخُذُوا مِمَّا إِاتَّيْتُمُوهُنَّ شَيْئًا﴾، وفي الآية الأخرى: ﴿وَإِنْ أَرَدْتُمُ اسْتِبْدَالَ زَوْجَ مَكَانَ رَزْقِ وَإِاتَّيْتُمُهُنَّ إِحْدَاهُنَّ قِنْطَارًا فَلَا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْئًا أَتَأْخُذُونَهُ بُهْتَنَّا وَإِثْمًا مُّمِينًا \* وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُ وَقَدْ أَفْضَى بَعْضُكُمْ إِلَى بَعْضٍ وَأَخَذَنَكُمْ مِّيشَقًا غَلِيلًا﴾ [النساء: ٢٠، ٢١].

أمّا إذا كانت المرأة هي الكارهة، هي المبغضة، هي التي تريد مفارقة الزوج، فمن حق الزوج أن يقبل الفداء منها.

وقد جاءت جميلة بنت سلول إلى النبي ﷺ تشكو إليه زوجها ثابت بن قيس بن شماس، أحد أبطال الصحابة ومجاهديهم، فقالت: يا رسول الله، ثابت بن قيس، ما أعتب عليه في خلق ولا دين، ولكنّي أكره الكفر في الإسلام.

قال رسول الله ﷺ: «أتردّين عليه حديقته؟».

قالت: نعم.

قال رسول الله ﷺ: «اقبل الحديقة وطلّقها تطليقة»<sup>(١)</sup>.

قالت: أكره الكفر في الإسلام: تقصد كفر العشرة؛ لأنّه كان دميماً، كما في رواية الإمام أحمد: إني لا أراه [أي: لا أطيق رؤيته] فلو لا مخافة الله ربّك لبزقت في وجهه<sup>(٢)</sup>.

(١) رواه البخاري في الطلاق (٥٢٧٣)، عن ابن عباس.

(٢) رواه أحمد (١٦٠٩٥)، وقال مخرجوه: حسن لغيره. والطبراني (١٠٣/٦)، عن سهل بن حثمة. وقال السندي: قوله: لا أراه، أي: لا أقدر أن أنظر إليه من شدة الكراهة والنفرة. انظر: حاشية السندي (٢٣٠/٩)، نشر وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، قطر.

وكان هذا أول خلع في الإسلام، فأمرها الرسول ﷺ أن ترد عليه حديقته، ولم يزد عليها.

ولهذا رأى عدد من الفقهاء أنه لا يجوز للرجل أن يأخذ منها أكثر مما أعطها، وبعضهم أجاز أن يأخذ أكثر من كل ما تملكه.

فَرَقُ النَّبِيِّ ﷺ بَيْنَ جَمِيلَةٍ وَثَابِتٍ، وَأَخْتَلَفَ الْعُلَمَاءُ هُلْ كَانَ تَفْرِيقًا  
بِالْطَّلاقِ كَمَا تَدَلُّ بَعْضُ الرِّوَايَاتِ، أَمْ كَانَ تَفْرِيقًا بِالْفَسْخِ كَمَا يَدَلُ عَلَيْهِ  
ظَاهِرُ الْقُرْآنِ، أَنَّ الْخَلْعَ فَسْخٌ وَلَا يُنْبَغِي بِالْطَّلاقِ، الْمُهِمُ أَنَّهُ فُرْقٌ بَيْنَهُمَا.

وعن كَثِير مولى سُمْرَة قال: «أخذ عمر بن الخطاب امرأةً ناشزةً فوضعها، فلم تقبل، فحبسها في بيتٍ كثير الزبل ثلاثة أيام، ثم أخرجها، فقال: كيف رأيتِ؟ فقالت: يا أمير المؤمنين، لا والله ما وجدت راحة إلَّا هذه الثالث. فقال عمر: أخلعها ويحِك، ولو من قُرْطِها»<sup>(١)</sup>. فعرف عمر أنَّ المرأة كارهة لزوجها، وأمر زوجها أن يخلعها، ويأخذ منها ما أعطاها من قبل.

ومن أجل هذا ينبغي للقاضي أن ينظر إذا جاءت إليه مثل هذه الشكاوى، إن كانت المرأة لا تطيق زوجها، فلا يُجبر المرأة على أن تعavis من تكره.

وقد قال الحكيم قدِيماً: إِنَّ مَنْ أَعْظَمُ الْبَلَايَا مَصَاحِبَةً مَنْ لَا يَوْافِقُه  
وَلَا يَفْارِقُه.

ويقول المتنبي:

واحتمالُ الأذى ورؤيَةُ جانِبٍ      هِ غَذَاءٌ تَضْوِي بِهِ الأَجْسَامُ<sup>(٢)</sup>

<sup>(١)</sup> انظر: كنز العمال (١٥٢٦٩)، وتفسیر الطبری (٤/١٥٧).

(٢) ديوان المتنبي ص ١٦٤، نشر دار بيروت للطباعة والنشر، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.

ويقول أيضًا:

وَمِنْ نَكَدِ الدُّنْيَا عَلَى الْحُرُّ أَنْ يَرَى      عَدُوا لَهُ مَا مِنْ صَدَاقَتِهِ بُدُّ<sup>(١)</sup>

لذلك كانت حكمة الإسلام هنا، أن يفرق بين الرجل والمرأة بهذا الخلع، فهو إحدى الوسائل التي أعطاها الإسلام للمرأة؛ لتخالص من زوجها إذا كانت مبغضة، وينبغي للمحاكم الشرعية أن تقدر هذا الأمر حق قدره.

### الوسيلة الثانية: إرسال الحَكَمَيْنَ:

أمّا الوسيلة الثانية من الوسائل التي شرعها الإسلام، فهي بعث الحَكَمَيْنَ، فالقرآن ذكر لنا أنه حين تهب رياح الخلاف، من قبل الزوجين، فلا بد من عقد هذا المجلس العائلي، أو هذه المحكمة العائليّة، كما قال الله تعالى: ﴿وَإِنْ خَفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنَهُمَا فَابْعَثُوا حَكَمًا مِنْ أَهْلِهِ، وَحَكَمًا مِنْ أَهْلِهَا إِنْ يُرِيدَا إِصْلَاحًا يُوقِّقُ اللَّهُ بَيْنَهُمَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْمًا خَيْرًا﴾ [النساء: ٣٥]، هذان الحَكَمَان مكلّفان من قبل الشرع أن يفصلوا بين الزوجين، بعض الفقهاء قالوا: هما وكيلان، لكن الله تعالى سماهما: حَكَمَيْنَ، فمن حَقَّهما أن يحكما، وهذا ما جاء عن الصَّحَابَة رضوان الله عليهم؛ فقد بعث عثمان بن عَفَّان رضي الله عنه ابن عَبَّاس وَمَعاوِيَة رضي الله عنهما حَكَمَيْنَ في قضيَّة بين عَقِيل بن أبي طلب وزوجته ابنة عُتبة بن ربيعة، حيث حصل خلاف بينهما، فقالت المرأة: أين عتبة بن ربيعة؟ وأين شيبة بن ربيعة؟

فقال لها زوجها: على يسارك في النَّار إذا دخلت هناك.

فشكّته إلى عثمان، فضحك عثمان، وبعث بابن عَبَّاس وَمَعاوِيَة ليحكما بينهما.

(١) ديوان المتنبي ص ١٩٨.

فلما سمعا من الرجل وامرأته، كان رأي ابن عباس أن يفرق بينهما، ورأى معاوية ألا يفرق، وأنه ما زال أمل، وسرعان ما زال هذا الأمل، واتفقا على التفريق، حيث لم يجدا بُدًّا من ذلك<sup>(١)</sup>.

وفي عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه بعث بحَمْمِين للإصلاح بين زوجين قد نشب بينهما خلاف، فرجع الحَمْمَان وقالا: يا أمير المؤمنين، لم نستطع أن نصلح بينهما.

فقال لهما: أصلحا نِيَاتَكُمَا وعُودَا.

فعاد الحَمْمَان بنيّة جديدة وعزيمة جديدة فاستطاعا أن يصلحا بينهما.

وعادا فقالا: يا أمير المؤمنين، قد أصلح الله بينهما.

فقال عمر: صدق الله: ﴿إِنْ يُرِيدَا إِصْلَحًا يُوَفِّقُهُ اللَّهُ بِنَهْمَاهَا﴾ [النساء: ٣٥]<sup>(٢)</sup>.

والعجب أن القرآن ذكر حالة التوفيق، ولم يذكر حالة التفريق؛ ليرشدنا إلى أن الشارع يتشوّف دائمًا إلى الإصلاح والتوفيق.

كَلَّما استطعنا أن نوفق بين الزوجين المتخاصمين كان أولى، فإن لم يجزئ إلا التفريق، «فما حيلة المضطرب إلا ركوبها» كما قال الشاعر.

جاء رجل وامرأة إلى علي بن أبي طالب، ومع كل واحد منهما فئام من النَّاس، فأمرهم علي رضي الله عنه فبعثوا حَكْمًا من أهله وحَكْمًا من أهلها، ثم قال للحكَمِين: أتدريان ما عليكم؟

عليكم إن رأيتما أن تجتمعوا أن تجتمعوا، وإن رأيتما أن تفرقوا أن تفرقوا.

قال: قالت المرأة: رضيت بكتاب الله بما على فيه ولبي.

(١) رواه البيهقي في القسم والنشوز (٣٠٦/٧).

(٢) إحياء علوم الدين (٤٩/٢).

وقال الرجل: أمّا الفرقـة فلا.

فقال عليٌ عليه السلام: كذبت، والله لا تبرح حتى تقر بممثل الذي أقرت به<sup>(١)</sup>.  
هـذا كان الصـحابة يرون من حقـ الحكمـين أن يفرـقا، إن شاءـاً أن  
يفرـقا، وأن يجـمعـا إن شـاءـاً أن يجـمعـا ويـوـفقـا.

### الوسيلة الثالثة: القضاء:

وقد شـرع الإسلامـ للمرأـة وسـيلةـ أخرىـ، تـلـجاـ إـلـيـهاـ عـنـدـ اـسـتـحـالـةـ  
الـعـشـرـةـ، وـهـيـ الـلـجوـءـ إـلـىـ القـضـاءـ؛ لـيـفـرـقـ القـضـاءـ بـيـنـ الرـجـلـ وـالـمـرـأـةـ.  
هـنـاكـ أـشـيـاءـ مـقـرـرـةـ يـفـرـقـ القـضـاءـ فـيـهـاـ بـيـنـ الزـوـجـيـنـ دـوـنـ أـدـنـىـ شـيـءـ،  
كـمـاـ فـيـ العـيـوبـ الـجـنـسـيـةـ، مـثـلـ أـنـ يـكـونـ الزـوـجـ عـاجـزاـ، لـاـ يـسـتـطـيـعـ أـنـ  
يـؤـديـ لـأـمـرـأـتـهـ حـقـهاـ، وـثـبـتـ ذـلـكـ، فـيـكـونـ عـلـىـ القـاضـيـ أـنـ يـفـرـقـ بـيـنـهـمـاـ،  
إـذـاـ رـفـعـتـ المـرـأـةـ أـمـرـهـاـ إـلـيـهـ.

وـهـنـاكـ التـطـلـيقـ لـلـضـرـرـ، إـذـاـ ثـبـتـ أـنـ الرـجـلـ يـضـارـ المـرـأـةـ وـيـؤـذـيـهاـ، بـأـيـ  
نـوـعـ مـنـ أـنـوـاعـ الـأـذـىـ، سـوـاءـ كـانـ أـذـىـ بـدـنـيـاـ أـوـ أـذـىـ نـفـسـيـاـ، أـذـىـ مـادـيـاـ أـوـ  
أـذـىـ أـدـبـيـاـ.. يـهـيـنـ إـنـسـانـيـتـهاـ، يـهـيـنـ كـرـامـتـهاـ، يـشـتـمـهاـ أـوـ يـشـتـمـ أـهـلـهاـ،  
لـاـ يـعـطـيـهـاـ أـيـ حـقـ منـ الـحـقـوقـ الـأـدـبـيـةـ، فـمـثـلـ هـذـاـ يـنـبـغـيـ أـنـ يـفـرـقـ بـيـنـهـمـاـ،  
الـقـضـاءـ، بـعـدـ أـنـ يـحـاـولـ إـلـاصـلـاحـ مـاـ أـمـكـنـ، وـإـلـاـ فـ«ـلـاـ ضـرـرـ وـلـاـ ضـرـارـ»ـ،  
كـمـاـ قـالـ النـبـيـ ﷺ<sup>(٢)</sup>.

لـاـ يـجـبـ عـلـىـ المـرـأـةـ أـنـ تـبـقـيـ فـيـ عـصـمـةـ رـجـلـ لـاـ يـقـيمـ لـهـاـ حـقـهاـ،  
وـلـاـ يـعـتـرـفـ لـهـاـ بـكـرـامـةـ وـلـاـ وزـنـ، فـالـقـضـاءـ هـنـاـ هـوـ الـمـلـجـأـ.

(١) رواه البيهقي في القسم والنشوز (٣٠٥/٧).

(٢) سبق تخرجه ص ١٣.



وقد قال بعض فقهاء الشافعیة: إنَّ الرجل إذا ضرب المرأة بغير حقٍّ، أو ضربها بحقٍّ فتجاوز في ضربها، فمن حقِّ المرأة أن تلجأ للقضاء، ومن واجب القضاء أن ينصف المرأة<sup>(١)</sup>.

فإِلَّا سلام لا يُجيز ضرب المرأة بخشبة، ولا أن يضربيها في وجهها، ولا فيقتل، إلخ، فهناك قيود لاستخدام رخصة الضرب للمرأة الناشر، ولذلك يحقُّ لها حينئذٍ أن ترفع أمرها للقضاء.

وكذلك قال عددٌ من الفقهاء: إذا أفسر الرجل ولم يستطع أن ينفق على المرأة، فمن حقِّها أن ترفع أمرها إلى القضاء، وأن يستجيب لها القضاء؛ لأنَّه لا يُطلب منها أن تصبر على الجوع.

وإن كان من باب مكارم الأخلاق إذا عرفت المرأة إعسار زوجها، فوافقت على العيش معه، أن تصبر على الجوع، عن طيب نفس منها، فلا مانع من ذلك، وإنَّما فليس مطلوبًا منها أن تصبر على هذا الأمر. والذِّي نصَّ عليه الشافعی قدِيمًا وجديداً أنها بال الخيار، إن شاءت صبرت وأنفقت من مالها، أو افترضت وأنفقت على نفسها ونفقتها في ذمتها إلى أن يسر، وإن شاءت طلبت فسخ النكاح<sup>(٢)</sup>.

هناك إذن أكثر من وسيلة لإنصاف المرأة إذا أبغضت زوجها، وكل ما يريد الإِسلام هنا ألا تتسرع المرأة في طلب الخلع، أو طلب الطلاق عند القاضي، أو طلب الحَكمين، إلَّا إذا كان هناك ما يبرر هذا ويسوّغه،

(١) انظر: بداية المحتاج في شرح المنهاج لابن قاضي شهبة (١٨٩/٣، ١٩٠)، تحقيق أنور بن أبي بكر الشيفي الداغستاني، نشر دار المنهاج للنشر والتوزيع، جدة، ط١، ١٤٣٢هـ - ٢٠١١م.

(٢) انظر: كفاية الأخيار في حل غایة الاختصار ص٥٨٤، تحقيق عبد الله بن سَمِيط ومحمد شادي عربش، نشر وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، قطر، ط٥، ١٤٣٧هـ - ٢٠١٦م.

والنبي ﷺ يقول: «أئمماً امرأة سألت زوجها الطلاق من غير ما بأس، فحرام عليها رائحة الجنة»<sup>(١)</sup>، فالطلاق ليس ألعوبة تلعب بها المرأة، أو يعبث بها الرجل، وإنما شرع ليفضّل الحياة الزوجية، عند تعسر الوفاق، فإن لم يكن وفاق فراق، «وَإِن يَقْرَأَا يُغْنِ اللَّهُ كُلَّا مِنْ سَعْيِهِ وَكَانَ اللَّهُ وَاسِعًا حَكِيمًا» [النساء: ١٣٠].

هذا ما جاء به الإسلام، وهذا ما ينبغي أن يفقهه المسلمون، أن يرعوا حقوق النساء، أن يرعوا حدود الله، أن يتّقوا الله في النساء، فإنّ النبي ﷺ كان يوصي بالنساء حتى في آخر لحظات حياته.

وأوصى بالنساء في حجّة الوداع، وقال: «اتّقوا الله في النساء؛ فإنّهنّ عندكم عوانٍ، لا يملكون لأنفسهنّ شيئاً... أخذتموهنّ بأمانة الله، واستحلّتم فرواجهنّ بكلمة الله»<sup>(٢)</sup>.

فلا بدّ أن نرّعى الحقوق، ونؤدي الواجبات، والله تعالى يوفقنا إلى ما يحب ويرضى.

أقول قولي هذا، وأستغفر لله لي ولكلم فاستغفروه؛ إنّه هو الغفور الرحيم، وادعوه يستجب لكم.

\* \* \*

(١) سبق تخرّيجه صـ ٢٣٥.

(٢) رواه مسلم (١٢١٨)، وأبو داود (١٩٠٥)، كلاهما في الحجّ، عن جابر.

## الخطبة الثانية

أمّا بعد، فیا أیّها الإخوة المسلمين:

تابعنا في الأسابيع الماضية بقلق وإشراق مسيرة إخوتنا المُبعدين من ليبيا، الذين يقفون عند الحدود، لا يعرفون لهم مستقرًا، ولا يعرفون لهم دارًا، ترفضهم هذه الأرض، وتطردهم تلك الدولة، ما ذنب هؤلاء حتى يشردوا هذا التشريد، ومعهم نساء وأطفال وشيوخ كبار، وأناس عاشوا عشرات السنين في تلك الديار، وأصبحت لهم حقوق في بلاد أخرى؟!

إنَّ مثل هؤلاء يأخذون في البلاد الأخرى جنسية البلاد التي عاشوا فيها، وهم لا يطمعون في ذلك، وإنَّما يطمعون أن يبقوا كما هم، فلهم مصالحهم، ولهم أعمالهم، ولهم دورهم، ولهم دكاكينهم، ولكن للأسف كلَّما اختلفت حكومة مع حكومة وقعت العقوبة على شعب ذلك البلد.

إذا اختلفت بلد مع الفلسطينيين طردت الفلسطينيين.

إذا اختلفت مع حكومة مصر طردت المصريين.

إذا اختلفت مع حكومة السودان طردت السودانيين.

إذا اختلفت مع حكومة العراق طردت العراقيين، وهكذا.

ما ذنب هؤلاء الرعاعيَا، وقد يكونون معارضين لحكوماتهم، وقد يكونون من أشد النَّاس نقاًمة عليها، ولكن هكذا يعامل بعضنا بعضًا..

إننا نتوجَّه إلى العقيد القذافي أن يتقي الله في هؤلاء الإخوة، الذين لا حول لهم ولا طُول، ولا ذنب لهم، لا في اتفاق أو سلو، ولا في اتفاق

طابا، ما أُخذ رأيهم في هذا الأمر، ولا كان لهم فيه شأن، هؤلاء قوم مساكين ينبغي أن تُرعنى حرمتهم، ينبغي أن يُرعى جوارهم، ينبغي أن تُرعنى المدة التي قضوها في تلك البلاد.

وأنا أعجب لهؤلاء الناس الذين يزعمون أنَّ البلاد العربية بلد واحد، ووطنٌ واحد، وأنَّ العرب أمَّة واحدة، وأن هذه الحدود حدود مصطنعة، صنعتها الاستعمار، وهي حدود مفتعلة، بين قطر وقطر، وبين بلد وبلد.

كيف يُخرج على هذا، ونعود قطرَيْن، إقليميَّين، نرفض كلَّ ما يؤدِّي إلى الوحدة.

إنَّه لأمر عجيب.

وإنَّما ينبغي أن يُنظر إلى أننا شعب واحد، وأمَّة واحدة في وطن واحد، وأن هذه الحدود لا ينبغي أن تفصل بين الناس بعضهم وبعض، وأتمنى أنْ يأتي اليوم الذي يستطيع فيه العربي أن يجوز هذه الحدود بالبطاقة الشخصية، أو بغير البطاقة، وهذا ما يفعله الأوربيون الآن، لماذا لا نأخذ من غيرنا مثل هذه الأشياء؟ لماذا نأخذ منهم السيئات ونترك الحسنات؟!

نسأل الله تبارك وتعالى أن يُفَقِّهنا في ديننا، وأن يجمع أمَّتنا على الهدى، وقلوبها على التَّقى، وعزمها على عمل الخير وخير العمل.

اللهم أكرمنا ولا تهنا، وأعطنا ولا تحرمنا، وزدنَا ولا تنقصنا، وآثرنا ولا تؤثر علينا، وارض عنَّا وأرضنا.

اللهم أَيَّدِ إخواننا المجاهدين حيثما كانوا، اللهم أَيَّدِ إخواننا المجاهدين في فلسطين ولبنان، وإخوتنا في البوسنة والشيشان، وإخوتنا في كشمير والسودان، وإخوتنا في الفلبين وفي سائر البلدان.



اللهم أید إخواننا المضطهدين والمعتقلين حيثما كانوا، اللهم افکكْ  
بقوّتك أسرهم، واجبز برحمتك كسرهم، وتولّ بعنتك أمرهم.

اللهم اجمع كلمة إخواننا في الصومال، وكلمة إخواننا في أفغانستان،  
وارفع المعاناة عن إخواننا من شعب العراق.

اللهم كنْ لنا ولا تكن علينا، وأعنّا ولا ثعن علينا، وانصرنا  
ولا تنصر علينا.

اللهم اجعل هذا البلد آمناً مطمئناً، سخاء رخاء، وسائر بلاد المسلمين.

﴿رَبَّنَا أَغِفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِيْ أَمْرِنَا وَثَبَّتْ أَقْدَامَنَا وَأَنْصَرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٧].

اللهم آمين.

﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ ۖ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ ۖ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٥].

\* \* \*

## المال في الإسلام

### الخطبة الأولى

أمّا بعد، فيا أيها الإخوة المسلمين:

#### نظرة الإسلام للمال:

وقفنا عند قول الله تبارك وتعالى: «وَءَاتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّيِّلِ وَلَا تُبَدِّرْ تَبَدِّرًا \* إِنَّ الْمُبَدِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيْطَنِ وَكَانَ الشَّيْطَنُ لِرَبِّهِ كُفُورًا \* وَإِمَّا تُعَرِّضَنَّ عَنْهُمْ أَبْتِغَاءَ رَحْمَةٍ مِّنْ رَّبِّكَ تَرْجُوهَا فَقُلْ لَهُمْ قَوْلًا مَّيْسُورًا» [الإسراء: ٢٦ - ٢٨]، صدق الله العظيم.

تحذّثنا عن حقّ ذوي القربى، وحقّ المساكين، وحقّ أبناء السبيل على الإنسان فيما آتاه الله تعالى من مال، حيث جعل الله لهؤلاء حقّاً مفروضاً، ليس تفضلاً، وليس تطوعاً، وليس إحساناً اختيارياً، وإنّما هو حقّ فرضه صاحب المال وهو الله تبارك وتعالى، على من استخلفه في هذا المال، هو حقّ من المال الأصلي للمال لمن جعله وكيلاً على هذا المال، «وَءَاتُوهُم مِّنْ مَالِ اللَّهِ الَّذِي أَتَنَاكُمْ» [آل عمران: ٣٣].

الإسلام لم ينظر إلى المال على أنه شر ونقطة، كما تنظر إلى ذلك

بعض الأديان والفلسفات، جاء عن المسيح أَنَّه قال: لا يدخل الغني ملکوت السماوات حتّى يدخل الجمل في سُمِّ الخياط<sup>(۱)</sup>.

وقال لمن أراد أن يتبعه ويؤمن به: اذهب وبع مالك ثمّ اتبعني<sup>(۲)</sup>.

الإسلام لم يأمر النّاس أن يتخلوا عن أموالهم وأن يخرجوا منها، ولكنّه طلب منهم أن يشكروا الله على نعمة المال التي خولهم الله إياها، وجعلها أمانة في أيديهم ووديعة عندهم، فهي نعمة يجب أن تُشكر، وهي أمانة يجب أن تحفظ، وهي وديعة يجب أن تُرْعى، وهي حُقُّ الله ولعباده يجب أن يؤدى، ﴿وَءَاتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ، وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّيِّلِ وَلَا بُذَّرْ تَبْذِيرًا﴾ [الإسراء: ۲۶]، ﴿فَئَاتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ، وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّيِّلِ ذَلِكَ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [الرّوم: ۳۸].

### إنفاق المال في الحقّ:

يجب عليك في مالك أن تعطي منه لذوي الحقوق حقوقهم، أن تبرئ ذمّتك بأداء الحقّ حتّى تلقى الله تعالى برئاً طاهراً، وإلا تحول هذا المال يوم القيمة صفائح من نار يكوى بها جنبك وظهرك ووجهك، ذوقوا ما كنتم تكنزون، ﴿وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الْذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يُنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرُهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ \* يوم يُحْمَى عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُتَكَوَّى بِهَا جِهَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَذَا مَا كَتَرْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْنِزُونَ﴾ [التوبة: ۳۵، ۳۴]، ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَا أَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ هُوَ خَيْرًا لَهُمْ بَلْ هُوَ شُرٌّ لَهُمْ سَيِطُّوْقُونَ مَا بَخَلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ مِمَّا تَعْمَلُونَ خَيْرٌ﴾ [آل عمران: ۱۸۰].

(۱) إنجيل متّى (۱۹/۲۴).

(۲) إنجيل مرقص (۱۰/۲۱).

هذا هو الواجب الأول في المال، ألا تنفقه في الباطل، فالواجب الأول أن تنفق المال في الحق.

### خطوات الشيطان في المال:

أما الواجب الثاني في المال: أن تمسكه عن الإنفاق في الباطل، فإنما يغدو الشيطان ويروح على الناس في أمر المال بثلاث: أن يكسبوه من غير حله، وأن ينفقوه في غير حقه، وأن يدخلوا به عن حقه.

ولهذا يسأل كل إنسان يوم القيمة، لا تزول قدماه في الموقف حتى يُسأله عن أربع، كما قال رسول الله ﷺ: «لا تزول قدما عبد يوم القيمة حتى يُسأل عن عمره فيما أفاده، وعن علمه فيما فعل، وعن ماله من أين اكتسبه وفيما أنفقه، وعن جسمه فيما أبلاه»<sup>(١)</sup>.

فمن هذه الأربع التي يُسأل عنها كل امرئ ولا بد يُسأل عن ماله من أين اكتسبه وفيما أنفقه؟

أصدر الناس قوانين في هذه الدنيا تحت عنوان: «من أين لك هذا؟»، الكسب غير المشروع، ولكن اللصوص الكبار دائمًا لا تنالهم هذه القوانين، إنهم يسرقون الملايين وعشرات الملايين ومئات الملايين تحت نفوذ قريب أو إنسان من الناس يحميهم، الذين يعاقبون دائمًا هم اللصوص الصغار، أما اللصوص الكبار الذين ينهبون خزائن الدول، والذين يمتصون دماء الشعوب فهم دائمًا في عافية، لا ينالهم الجزاء، ولا ينالهم العقاب، ولكن سؤالي يوم يقال له: من أين لك هذا؟ من أين

(١) رواه الترمذى في صفة القيمة (٢٤١٧)، وقال: حسن صحيح. وصححه الألبانى فى صحيح الترغيب والترهيب (١٢٦)، عن أبي بربعة الأسلمي.



اكتسبتَ هذا المال؟ من أين جاءتك هذه الألوف وهذه الملايين؟ ماذا صنعتَ أكثر ممّا يصنع النّاس حتّى كونتَ هذا المال كله؟

أجب، حضر لسؤال جواباً، والبس للحساب جلباً، هؤلاء سيطول حسابهم ويطول، من قل ماله قل حسابه، ومن كثر ماله طال حسابه، من أين اكتسبه وفيه أنفقه؟

والسؤال الثاني عن المال: فيم أنفقه؟ في أي شيء أنفقته؟

المفروض في كل ذي مال في الإسلام أن ينفق ماله في الحقّ، يؤتي منه الزّكاة، يؤتي القريب والمسكين وابن السبيل، يوجد على المحتاج، يغيث الملهوف، الحقوق في المال كثيرة، الحد الأدنى فيها هو الزّكاة، وفي المال حقُّ سوى الزّكاة، عليه أن ينفق في الحقّ، عليه أن يمسك ماله عن الباطل، وهذا معنى قوله تعالى: ﴿وَلَا تُبْذِرْ تَبْذِيرًا﴾، ﴿وَءَاتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَلَا تُبْذِرْ تَبْذِيرًا﴾ [الإسراء: ٢٦]، أعط المال في حقّه وأمسكه عن الباطل.

### الفرق بين الإسراف والتبذير:

التبذير إنفاق المال في غير الحقّ، في غير طاعة الله، في غير ما يصلح به الإنسان فرداً، وما تصلح به الأمة جماعة، إنفاق المال في الفساد هذا هو التبذير، التبذير غير الإسراف.

الإسراف أن يتجاوز الإنسان الحد في إنفاق الحلال، وسيأتي حديث عنه.

والتبذير أن تنفق المال فيما لا يحل لك، ولهذا جاء عن ابن مسعود وابن عباس وكثير من مفسّري السلف أن إنساناً لو أنفق

ماله كُلَّه في طاعة الله لم يكن مبذراً، ولو أنفق درهماً واحداً في معصية الله كان مبذراً<sup>(١)</sup>.

المبذر من ينفق ماله فيما لا يرضي الله تبارك وتعالى، فمن أنفق شيئاً من ماله في المسكرات، في المخدرات، فيما يضر نفسه وأهله، فيما يعود عليه بالشر، في الميسر، في الزنى، في الخنا، في الفجور، لو أنفق درهماً واحداً في هذه الأمور كان مبذراً.

لا يجوز للمسلم أن ينفق ماله في الحرام، كيف يستعين بمال الله على معصية الله؟!

الله أعطاك نعمة فمن واجبك أن تشكر صاحب هذه النعمة، أيجوز لك أن تأخذ من إنسان شيئاً ثم تستعمله ضده؟

هذا لا يقبل في منطق الأخلاق، ولا في منطق الفضائل، ولا في منطق الأعراف، فكيف تجيز لنفسك أن تأخذ مال الله ثم تستخدم هذا المال في محاربة الله وجيشه في الخمر والميسر، في الفجور؟!

### صور من التبذير:

لا يجوز أن تنفق مالك ولو كان قليلاً في المعصية، الذي ينفق ماله في أواني الذهب والفضة هذا ينفقه في حرام؛ فقد قال النبي ﷺ: «من شرب في إناءٍ من ذهب أو فضة، فإنما يُجرِّجُ في بطنه ناراً من جهنم»<sup>(٢)</sup>.

(١) انظر: تفسير ابن كثير (٦٩/٥)، تحقيق سامي بن محمد سلامه، نشر دار طيبة للنشر والتوزيع، ط ٢، ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م.

(٢) رواه مسلم في اللباس والزينة (٢٠٦٥)، وأحمد (٢٦٥٦٨)، عن أم سلمة.



حرّم الإسلام على الذكر والأنثى استعمال أواني الذهب والفضة؛  
استخدام أواني الذهب والفضة لون من الترف الذي حرّمه الإسلام، لماذا  
يستعمل الناس هذه الأشياء المُذَهَّبة والمُفَضَّضة؟!

ما أجمل أواني الطين وغيره!

كذلك حرّم الله على الرجال الذهب والحرير، كما جاء في الحديث  
أنّ رسول الله ﷺ أخذ حريراً بـشماله، وذهبًا بيمنيه، ثم رفع بهما يديه  
قال: «إِنَّ هذِينَ حرَامٌ عَلَى ذَكُورٍ أُمَّتِي، حِلٌّ لِإِناثِهِمْ»<sup>(١)</sup>، فلا يجوز  
للMuslim أن يتخلّى بالذهب، كما نرى - للأسف - كثيّراً من الشباب ومن  
الرجال في عصرنا يلبسون قلائد ذهبية في عناقهم!

ما أجر أن تباع هذه القلائد لتنفق في سبيل الله، لتنفق على  
المجاهدين، لتنفق على أبناء الشهداء، لتنفق على الجائعين الذين يموتون  
جوعاً في إفريقيا.

لا يجوز أن يلبس سلسلة أو قلادة في عنقه، يتسبّب بالنساء ويتشبّه  
بالكافر، لو كانت من غير ذهب وكانت حراماً، فكيف إذا كانت ذهباً؟!

حتى ولو كان ذلك مصحفاً، كما يعلق بعض الجهلة قلادة من  
مصحف، لماذا؟

تعويذة يتبرك بها، هذا جمع بين ارتداء الذهب المحرّم على  
الرجال وبين حرام آخر؛ لأنّه علق تميمة، أتى إلى رسول الله ﷺ عشرة

(١) رواه أحمد (٩٣٥)، وقال مخرجوه: صحيح لشواهد. وأبو داود في اللباس (٤٠٥٧)، والنسائي  
في الزينة (٥١٤٤)، وصحح إسناده النووي في رياض الصالحين (٨٠٦)، وصححه الألباني في  
مشكاة المصابيح (٤٣٩٤)، عن علي بن أبي طالب.

رهط ليбاعوه، فبائع تسعه ولم يباع الآخر، فقيل: يا رسول الله ما لك لم تباع هذا؟

فقال: «إِنَّ عَلَيْهِ تَمِيمَةً».

فأدخل يده فقطعها، فباعه رسول الله ﷺ، وقال: «من عَلَقَ تَمِيمَةً فقد أشرك»<sup>(١)</sup>، و«مَنْ تَعَلَّقَ بِتَمِيمَةً فَلَا أَتَمَّ اللَّهُ لَهُ»<sup>(٢)</sup>، «إِنَّ الرُّقْيَى وَالتمائم والتوْلَةِ شِرْكٌ»<sup>(٣)</sup>.

لا يجوز للمسلم أن يلبس الذهب في رقبته، أو يلبس خاتم الذهب في إصبعه؛ رأى النبي صلى الله عليه وسلم رجلاً يلبس خاتماً من ذهب في يده فنزعه وطرحه، وقال: «يَعْمِدُ أَحْدُكُمْ إِلَى جَمْرَةٍ مِنْ نَارٍ فَيَجْعَلُهَا فِي يَدِهِ».

فقيل للرجل بعد ما ذهب رسول الله ﷺ: خذ خاتمك انتفع به.

قال: لا والله، لا آخذه أبداً وقد طرحه رسول الله ﷺ<sup>(٤)</sup>.

كانوا سراعاً إلى الوقوف عند حدود الله، إذا تبيّن لهم الحرام تركوه. لماذا يلبس الناس هذه الخواتيم أو «الدبّل» كما يسمونها، ويبدؤون بها حياتهم الزوجية؟

(١) رواه أحمد (١٧٤٢٢)، وقال مخرجوه: إسناده قوي. وصححه الألباني في الصحيحة (٤٩٢)، عن عقبة بن عامر.

(٢) رواه أحمد (١٧٤٠٤)، وقال مخرجوه: حسن. والحاكم في الطب (٢١٦/٤)، وصححه، ووافقه الذهبي، وجُود إسناده المنذر في الترغيب والترهيب (٥٢٤١)، وضعفه الألباني في الضعيفه (١٢٦٦)، عن عقبة بن عامر.

(٣) رواه أحمد (٣٦١٥)، وقال مخرجوه: صحيح لغيره. وأبو داود (٣٨٨٣)، وابن ماجه (٣٥٣٠)، كلاهما في الطب، وصححه الألباني في صحيح ابن ماجه (٢٨٤٥)، عن ابن مسعود.

(٤) رواه مسلم في اللباس (٢٠٩٠)، عن ابن عباس.



أي: يبدؤون الحياة الزوجية بالحرام، أَوْلَ مَا يرید أن يدخل في الحياة الزوجية يبدأ بحرام، يرتكب الرجل حراماً، لماذا لا يلبس فضة إن كان لا بدّ؟

مع أَنَّ هذه العادة كُلُّها غير إسلامية، لبس الخواتيم أو الدبلي، هذه عادة ليست من الإسلام في شيء، هي عادة كنسية، وما عرف المسلمون في العصور السابقة هذا أبداً، طوال العصور السابقة لم يعرفوا خاتم الفضة هذا إطلاقاً، لماذا يستخدم الناس هذا؟

إنفاق المال في هذا تبذير، ﴿وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا﴾.

### إنفاق المال في التدخين:

إنفاق المال في التدخين - الذي ثبت ضرره بيقين - من التبذير، وأقررت الهيئات العلمية والطبية في أنحاء العالم أن التدخين ضار بالصحة، حتى ألموا الشركات المنتجة للسجائر أن تكتب ذلك على علب السجائر: التدخين ضار بالصحة، لماذا ينفق الإنسان ماله فيما يضر بصحته؟ لماذا يشتري الإنسان ضرره بحرّ ماله؟ لماذا ننفق أموالنا لربح شركات السجائر الاستعمارية العالمية؟

شركات رأسمالية يملكونها غيرنا، لماذا نعطي هؤلاء أموالنا مقابل ما يضرنا؟

هذا لو لم يأت الدين بتحريمه لأُتى العقل بتركه؛ العقل يقول: يا عقلاً ارحموا أنفسكم وأجسامكم، واحفظوا أموالكم، ولا تضعوها في أيدي أعدائكم، كلُّ هذا من التبذير، ﴿وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا﴾ إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيْطَنِ وَكَانَ الشَّيْطَنُ لِرَبِّهِ كَفُورًا﴾ [الإسراء: ٢٦، ٢٧].

المبذرُون لِأموالِهِم الَّذِين يَعْثِرُونَ الْأَمْوَالَ وَيَبْذِرُونَهَا فِي غَيْرِ  
مَوْضِعِهَا يَنْفَقُونَ الْأَمْوَالَ فِيمَا لَا يَرْضِي اللَّهَ.

هؤلاء ذكر القرآن أنَّهم إخوان الشياطين؛ المبذُّر شبيه بالشيطان، صنوا  
للسatan؛ لأنَّ الشيطان كفور بنعمته ربِّه، وهؤلاء - أيضًا - كفروا بنعمة  
ربِّهم، ﴿وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا﴾.

وهؤلاء - أيضًا - كانوا كفروا النعمة، لم يشكروا النعمة، لم يرعوا  
حقَّها، استخدموها فيما لا يرضي ربِّهم، أعطاهم الله الأموال، سخَّر لهم  
الأرزاق، وسَعَ عليهم من فضله، آتاهم رحمة من عنده، ولكنَّهم  
- للأسف - لم يرعوا هذا الفضل، لم يرعوا هذه النعمة، وأنفقوها في  
معصية الله تبارك وتعالى، ﴿وَلَا بُدَّرْ تَبَذِّرًا \* إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ  
الشَّيْطَانِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا﴾.

### الإسلام يحارب الترف:

ادْخُلْ كثِيرًا من بيوت المسلمين الَّذِين آتاهم الله المال، تجد أموالًا  
تنفق في غير موضعها، تجد أواني الذهب والفضة، تجد تماثيل معلقة  
من الفضة أو من النحاس أو من البرنز، والتماثيل في حد ذاتها  
محرَّمة، حتَّى وإن كانت من طين أو من جبس، فكيف إذا كانت من  
موادَّ غالبة الثمن؟!

الإسلام حرم هذا.

تجد كثِيرًا من الأشياء في بيوت المترفين، والإسلام حارب الترف،  
وجعله سببًا من أسباب الهلاك للأفراد وللأمم، ويقول القرآن: ﴿وَإِذَا أَرَدْنَا  
أَن نُهَلِّكَ قَرَيْهَةً أَمْرَنَا مُرَفِّهِهَا فَسَقَوْا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَرْنَاهَا تَدْمِيرًا﴾ [الإسراء: ١٦].

جاء في هذه الآية أكثر من قراءة، هناك القراءة المشهورة: ﴿أَمْرَنَا مُتَرَفِّهَا﴾، أي: أمرناهم بالعدل وبالطاعة ففسقوا عن أمر الله، وخرجوا عن دائرة الشرع، وأفسدوا في الأرض وأنفقوا في الباطل، ﴿فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَرَنَّهَا تَدْمِيرًا﴾.

وهناك تأويل لابن عباس: ﴿أَمْرَنَا مُتَرَفِّهَا﴾، أي: أكثرناهم، من قولهم: مُهرة مأمورة، أي: كثيرة النسل، فإذا كثروا أصيروا خطراً على الأمة.

وهناك قراءة أخرى: ﴿أَمْرَنَا مُتَرَفِّهَا﴾ بالتشديد، أي: جعلناهم أمراء، جعلناهم حكامًا، جعلنا الأمر بأيديهم.

وفي حديث البخاري حينما جاء رجل إلى النبي ﷺ يسأله عن الساعة، فقال النبي ﷺ: «أَيْنَ السَّائِلُ عَنِ السَّاعَةِ؟»

قال: ها أنا يا رسول الله.

قال: «إِذَا ضُيِّعَتِ الْأَمَانَةُ فَانتَظِرِ السَّاعَةَ».

قال: كيف إضاعتُها؟

قال: «إِذَا وُسِّدَ الْأَمْرُ إِلَى غَيْرِ أَهْلِهِ فَانتَظِرِ السَّاعَةَ»<sup>(١)</sup>.

إِذَا أَصْبَحَ هُؤُلَاءِ الَّذِينَ يَنْفَقُونَ الْأَمْوَالَ فِي الْحِرَامِ، فِي الْمَعَاصِيِّ، فِي الشَّهْوَاتِ، فِي الْفَجُورِ، سَادَةُ النَّاسِ يَقْلِدُهُمْ مِنْ دُونِهِمْ، وَيَمْشُونَ فِي رُكَابِهِمْ، فَبَشِّرْهُمْ هَذَا الْمَجَمِعُ بِالْانْهِيَارِ، بِشَرِّهِ بِالْهَلاَكِ، ﴿فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَرَنَّهَا تَدْمِيرًا﴾.

(١) رواه البخاري في العلم (٥٩)، عن أبي هريرة.

## الإنفاق في الباطل ضياع للإنفاق في الحق:

انظروا إلى حكمة القرآن كيف جمع بين الأمرين، ﴿وَءَاتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَلَا تُبَدِّرْ تَبَدِّرًا﴾، إن التبذير إذا وقع يكون على حساب المسكين وابن السبيل والفقير والقريب والمحتاج، كما قال الحكيم: ما رأيت إسرافاً إلا وبجانبه حقٌّ مضيقٌ<sup>(١)</sup>.

الذي ينفق المال في المخدرات والمسكرات وأنواع اللهو والفجور سيضيّع حقوق الأقارب والقراء والمساكين وأبناء السبيل وأهل العوز وال الحاجة والفاقة؛ لأن الإنفاق محدود، فإذا أنفقت في الباطل ضيّعت بقدرها في الإنفاق في الحق، ولهذا نجد القرآن في سورة أخرى يتحدث عن صنف من الناس فيقول: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا \* الَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ وَيَكْتُمُونَ مَا أَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ، وَأَعْتَدُنَا لِكَافِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا \* وَالَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ رِثَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَنْ يَكُنْ الشَّيْطَانُ لَهُ، قَرِينًا فَسَاءَ قَرِينًا \* وَمَاذَا عَلَيْهِمْ لَوْءًا أَمْنُوا بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقَهُمُ اللَّهُ وَكَانَ اللَّهُ بِهِمْ عَلِيمًا﴾ [النساء: ٣٩ - ٣٦].

انظروا كيف جمع بين الأمرين، يخلون بما آتاهم الله من فضله، وفي الوقت نفسه ينفقون أموالهم رباء الناس؛ لأنهم ينفقون في جانب الباطل لكي يظهروا أمام الناس أنهم من أصحاب المال وأصحاب الغنى، وأنهم، ومن ناحية أخرى يمسكون أنفسهم ويقبضون أيديهم عن النفقة في الخير، يخلون بما آتاهم الله من فضله، ولكنهم في المظاهر الفارغة ينفقون رباء الناس؛ ليكون لهم منزلة عند الناس؛

(١) البيان والتبيين للجاحظ (١٧٧/٣).

لیظہر أَنَّهُم مِّنْ أَصْحَابِ الْمَالِ وَالْجَاهِ، يَنْفَقُونَ لِلرِّيَاءِ، سَوَاءً أَكَانَ رِيَاءُ دِينِيًّا أَمْ رِيَاءً اجْتِمَاعِيًّا.

هؤلاء ينفقون أموالهم رباء الناس، لا يدفعهم إلى ذلك إيمان بالله ولا باليوم الآخر، إنما هو اتباع للشيطان، ﴿وَمَنْ يَكُنْ أَشَيْطَانُ لَهُ، قَرِينًا فَسَاءَ قَرِينًا \* وَمَاذَا عَلَيْهِمْ لَوْ أَمْنَوْا بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقَهُمُ اللَّهُ وَكَانَ اللَّهُ بِهِمْ عَلِيمًا﴾ [النساء: ٣٨، ٣٩]، ﴿إِنَّ الْمُبَدِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيْطَانِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَافُورًا﴾ [الإسراء: ٢٧].

عليک - أیها المسلم - أن تعرف نعمة الله عليك في المال، وتسأل نفسك حينما تنفق أهذا في حلال أم في حرام؟

فإن كان حراماً أو فيه شبهة حرام فأمسك عنه، وإن كان في حلال أحله الله فلا ضير عليك أن تستمتع بالطيبات، وإن كان في سبيل الله ومرضاته فسارع إليه فهذا هو الذي يبقى لك، ليس شيئاً ضائعاً، ما أنفقته لله فهو المدخل في رصيدهك، هذا هو الذي يبقى لك يوم القيمة، ستتجده عند الله مذخوراً.

**قول معروف خير من صدقة يتبعها أذى:**

﴿وَءَاتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ، وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّيِّلِ وَلَا بُدْرُ تَبْذِيرًا \* إِنَّ الْمُبَدِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيْطَانِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَافُورًا \* وَإِمَّا تُعْرِضَنَ عَنْهُمْ أَبْتِغَاءَ رَحْمَةٍ مِّنْ رَّبِّكَ تَرْجُوهَا فَقُلْ لَهُمْ قَوْلًا مَّيْسُورًا﴾ [الإسراء: ٢٦ - ٢٨]، إذا جاءك الأقارب، أو جاءك المساكين والمحاجون، أو جاءك أبناء السبيل من ذوي الحاجات وسألوك المعونة والمساعدة ولم يكن عندك شيء تنتظر رحمة الله وترجو رزقه فلا تقطّب جبينك في وجوههم، ولا تقابلهم مقابلة خشنة، بل ألن لهم القول، قل لهم قولًا ميسورًا.

قل لهم: أنتظر فضل الله، أعدكم عن قريب إن شاء الله، ﴿سَيَجْعَلُ اللَّهُ  
بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا﴾ [الطلاق: ٧].

قل لهم قولًا ميسورًا، قولًا ليناً، قولًا كريماً.

كان القدماء يقولون: البر شيء هين؛ وجه بشوش وكلام لين.

القهم بالوجه الباشّ، بالكلمة الطيبة، «تبسّمك في وجه أخيك صدقة»<sup>(١)</sup>. والكلمة الطيبة صدقة، فإذا لم تستطع أن تتصدق بالمال، فقد لا يوجد عندك المال في كل وقت، تستطيع أن تتصدق بشاشة الوجه، بطيب القول.

قل لهم قولًا ميسورًا، الكلمة الطيبة أفضل من صدقة يتبعها المن والأذى، كما قال القرآن: ﴿قُولُ مَعْرُوفٍ وَمَغْفِرَةٍ خَيْرٌ مِنْ صَدَقَةٍ يَتَبَعَهَا أَذَىٰ وَاللهُ  
غَنِيٌّ حَلِيمٌ \* يَتَأْيَاهَا الَّذِينَ ءاْمَنُوا لَا نُبَطِّلُوْا صَدَقَتِكُمْ بِالْمَنِ وَالْأَذَى﴾ [البقرة: ٢٦٤، ٢٦٣]، لا تجرح شعور أحد، خير من هذا ألا تعطيه وتقول له كلمة طيبة، فإذا لم يكن عندك مال وكنت ترجو رحمة ربك، ترجو رزقاً أن يأتي إليك، فعدهم وعداً حسناً، وقل لهم قولًا ميسورًا، ﴿وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنَا﴾ [البقرة: ٨٣].

هذا هو أدب الإسلام، هذا هو خلق الإسلام، وهذا هو شأن المسلم.

نسأل الله تبارك وتعالى أن يجعلنا من المسلمين الصادقين، ﴿الَّذِينَ  
يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَبَعُونَ أَحْسَنَهُ، أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَنُهُمْ اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمُ أُولَوْ  
الْأَلْبَابِ﴾ [الرّوم: ١٨].

أقول قولي هذا، وأستغفر لله تعالى لي ولهم، فاستغفروه؛ إنه هو الغفور الرحيم، وادعوه يستجب لكم.

(١) رواه الترمذى فى البر والصلة (١٩٥٦)، وقال: حديث حسن غريب. والبخارى فى الأدب المفرد (٨٩١)، وابن حبان فى البر والإحسان (٥٢٩)، وقال الأرناؤوط: حديث صحيح. عن أبي ذر الغفارى.

## حق المساكين وأبناء السبيل في المال

### الخطبة الأولى

أمّا بعد، أيها الإخوة المسلمين:

#### عنابة الإسلام بالمساكين:

وقفنا عند قول الله تبارك وتعالى: «وَءَاتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَهُ، وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَلَا بُدِّرَ تَبْذِيرًا» [الإسراء: ٢٦]، بعد أن تحدّثنا عن حق الوالدين وما يتبعه من حق الأبناء، وتحدّثنا عن حق ذوي القربى وصلة الأرحام، وتحدّثنا عن المسكين، عن حق المساكين، «وَءَاتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَهُ، وَالْمِسْكِينَ».

من العجيب أن يؤكّد القرآن ذلك منذ العهد المكي، أن للفقراء حقاً، وأن لابن السبيل حقاً، فهو ليس تفضلاً ولا تطوعاً، ولا إحساناً اختيارياً، إنما هو حق قرره واهب المال الله عَزَّوجلَّ، قرره على المستخلفين في مال الله عَزَّوجلَّ، «وَءَاتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَهُ».

شدّد القرآن أبلغ التشديد على حقوق المساكين من أهل العوز وال الحاجة، الذين لا يجدون ما يكفيهم من الطعام والشراب واللباس والمأوى، حتى تتهيأ لهم حاجاتهم، وتحقق لهم كفايتهم داخل المجتمع

الإسلامي، فالمجتمع المسلم كما صوره القرآن والسنّة مجتمع متكافل، يأخذ القوي فيه بيد الضعيف، ويصب الغني فيه على الفقير.

لا ينبغي للإنسان أن يعيش وحده، ويأكل وحده، ويتمتع بنعم الحياة وحده، وبجواره من لا يجد من القوت ما يمسك رممه أو يطفئ حرقه، ليس من الإسلام ولا من الإيمان ولا من الإحسان أن تأكل ملء بطنك، وأن تصاحك ملء شدقتك، وأن تنام ملء جفنك، وبجوارك من لا يجد ما يمسك عليه رمق الحياة، ليس هذا من الإسلام ولا من الإيمان في شيء.

ومن هنا كان على كل إنسان واجد أن يعطف على المحرم، أن يمد يده إليه، أن يعطيه حقه كما وصفه الله وسماه بقوله: ﴿وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَعْلُومٌ﴾ [السأييل والمحروم] [المعارج: ٢٤، ٢٥]، هو حق، حق له في مالك، دين في عنقك، ينبغي أن تعطيه هذا الحق، وإن النار تنتظرك، إن سقر ترتفبك، ﴿مَا سَلَكَ كُفُّرٌ فِي سَقَرَ قَالُوا لَمَنْكُمْ مِنَ الْمُصَلِّينَ وَلَمَنْكُمْ نُطِعُمُ الْمِسْكِينَ﴾ [المدثر: ٤٢ - ٤٤].

### الإنسان القاسي:

قلت لكم في الجمعة الماضية: إن الإسلام لم يكتف بأن يطعم الإنسان المسكين، ولكن كلفه واجبا آخر، أن يدعوه إليه ويحضر عليه، أن يكون صاحب دعوة لإطعام المساكين، وكفايتهم وإيوائهم، وإن لم يستحق أن يكون في زمرة المؤمنين، بل ينبغي أن يسلك في زمرة المكذبين بالدين وبالجزاء يوم القيمة، ﴿أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالْأَدِينَ﴾ [الماعون: ١]، ينكر الدين، وينكر الجزاء، وينكر يوم الدين، إن أردت أن تعرفه ﴿فَذَلِكَ الَّذِي يَدْعُ الْيَتَمَ وَلَا يَحْضُرُ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ﴾ [الماعون: ٢، ٣].



إِنَّهُ إِلَّا إِنْسَانٌ أَنَانِي الْقَاسِيُّ، صَاحِبُ الْقَلْبِ الْحَجْرِيُّ، لَيْسَ بَيْنَ جَانِبَيْهِ قَلْبٌ مِّنْ لَحْمٍ وَدَمٍ، إِنَّمَا بَيْنَ جَانِبَيْهِ صَخْرَةٌ صَلْدَاءُ، لَا تَنْبَضُ بِالْحَيَاةِ، وَلَا تَشْفُّ عَنِ رَحْمَةِ اللَّهِ، **﴿فَذَلِكَ الَّذِي يَدْعُ الْيَتَيمَ﴾** يَدْفَعُهُ وَيَقْهِرُهُ، **﴿وَلَا يَحْصُّ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ﴾** إِنَّهُ مُشْغُولٌ بِنَفْسِهِ، بِمَصَالِحِهِ، بِلَذَائِذِهِ وَشَهْوَاتِهِ، بِأَهْلِهِ وَوْلَدِهِ، بِأَمْوَالِهِ وَثَرَوَاتِهِ، وَلَا يَهْمِهُ أَكْلُ الْمِسْكِينِ أَمْ جَاعٌ، أَعَاشَ أَمْ مَاتَ، هَذَا هُوَ **﴿الَّذِي يُكَذِّبُ بِالدِّينِ﴾**، **﴿أَرَءَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالدِّينِ** **﴿فَذَلِكَ الَّذِي يَدْعُ الْيَتَيمَ﴾** \* **﴿وَلَا يَحْصُّ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ﴾** [الماعون: ١ - ٣].

وَمِنْ هَنَا وَصَفَ اللَّهُ الْمُجَتَمِعَ الْجَاهِلِيَّ بِأَنَّ الْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ فِيهِ ضَائِعُونَ، حِينَ قَالَ مُخَاطِبًا أَهْلَ الْجَاهِلِيَّةِ: **﴿كَلَّا بَلْ لَا تُكَرِّمُونَ الْيَتَيمَ وَلَا تَحْضُرُونَ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ وَتَأْكُلُونَ الْرُّثَاثَ أَكْلًا لَّمَّا وَتَحْبُّونَ الْمَالَ حُبًّا جَمًّا﴾** [الفجر: ١٧ - ٢٠]، هَذَا هُوَ شَأنُ الْمُجَتَمِعِ الْمُشْرِكِ، الْمُجَتَمِعِ الْجَاهِلِيِّ.

أَمَّا الْمُجَتَمِعُ الْمُسْلِمُ فَإِنَّهُ يَرْعِي الْمُسْكِينَ وَالْيَتَامَى، يَعْتَرِفُ لَهُمْ بِحُقُوقِهِمْ، لَا يَضِيعُ فِيهِ يَتِيمٌ وَلَا مَسْكِينٌ؛ لِأَنَّ اللَّهَ فَرَضَ لَهُمْ حَقَّوْقًا هِيَ أَمْوَالُهُمْ لَا يَنْبغي أَنْ تُضِيَّعَ.

جَاءَ إِلَيْنَا الْإِسْلَامُ فَفَرَضَ الْحَقَّ لِلْمَسَاكِينِ وَلِابْنِ السَّبِيلِ، جَاءَ ذَلِكَ فِي الْقُرْآنِ الْمَكْيَّ، كَالآيَاتُ الَّتِي تَلُونَهَا مِنْ سُورَةِ الْإِسْرَاءِ الْمَكْيَّةِ: **﴿وَءَاتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَلَا تُبَدِّرْ تَبَدِّرًا﴾** [الْإِسْرَاءِ: ٢٦]، وَجَاءَ ذَلِكَ فِي سُورَةِ الرُّؤُومِ: **﴿فَئَاتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ ذَلِكَ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾** [الرُّؤُومِ: ٣٨]، وَجَاءَ ذَلِكَ فِي الْقُرْآنِ الْمَدْنِيِّ، فَجَعَلَ لِلْمَسَاكِينِ حَقًّا فِي الرِّزْكَةِ وَلَا بَنَاءَ السَّبِيلِ، **﴿إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَمِيلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤْلَفَةَ فُلُوْجُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَرِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةٌ مِّنْ رَبِّ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾** [التَّوْبَةِ: ٦٠].

## في المال حق سوى الزَّكَاة:

وجعل الإسلام للمساكين حقاً في المال سوى الزَّكَاة، وبعد الزَّكَاة؛ فالزَّكَاة ليست هي الحقُّ الوحيد في المال، هناك حقوق بعد الزَّكَاة، الزَّكَاة هي الحد الأدنى، هي الحقُّ الدوري الثابت المحدَّد، الذي يجب أن يدفعه المسلم ولو لم يطالبه أحد به، ولو لم يوجد فقير في المجتمع، يجب أن يدفعها لتصرف في سبيل الله ونشر الدعوة ومقاومة أعداء الإسلام، ولكن هناك حقوق أخرى غير الزَّكَاة، ومن هنا نجد القرآن الكريم وهو يحدّثنا عن البر وعناصر البر فيقول: ﴿وَلَا كِنَانَ الْبَرُّ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلِئَكَةَ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّنَ وَءَاتَى الْمَالَ عَلَىٰ حُمْبَهِ ذُوِّي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الْرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَءَاتَى الْزَّكُوَةَ﴾ [البقرة: ١٧٧]، أي: إيتاء المال هنا شيء غير إيتاء الزَّكَاة، فليست الزَّكَاة هي الحقُّ الأوحد في المال.

إذا آتيت الزَّكَاة ثم جدَّت حاجة في المجتمع المسلم، كأن كان لك قريب يحتاج إلى نفقة، أو كان هناك شخص مضطر يحتاج إلى من يسعفه، أو كان بجوارك مسكين جائع، أتدع واحداً من هؤلاء يهلك بحجَّة أنك أخرجت الزَّكَاة؟!

ألم يقل النبي ﷺ: «ما آمن بي من بات شبعاناً<sup>(١)</sup>، وجاره جائع إلى جنبه»<sup>(٢)</sup>، ما آمن بالنبي ﷺ من بات شبعان وهو يعلم أنَّ من هم بجواره يئتون من الجوع أئين المنسوع.

(١) كما الرواية «شبعاناً» مصروفاً، وترجع على أن مؤنته شبعانة.

(٢) رواه البزار (٧٤٢٩)، والطبراني (٢٥٩/١)، وحسَّن إسناده المتذري في الترغيب والترهيب (٣٨٧٤)، والهيثمي في مجمع الزوائد (١٣٥٥٤)، وصحَّحه الألباني في صحيح الجامع (٥٥٠٥)، عن أنس بن مالك.



وفي حديث آخر يقول النبی ﷺ: «لَيْسَ الْمُؤْمِنُ الَّذِي يَشْبَعُ وَجَارُهُ جَائِعٌ»<sup>(١)</sup>، فليست من الإيمان أن تستمتع وغيرك محروم وأنت تعلم، الإيمان أن تحب لأخيك ما تحب لنفسك، هذا هو المجتمع المسلم، وهذا هو المجتمع المؤمن، مجتمع متكافل مترافق، وهكذا كان المسلمون الأولون، كانوا يبحثون عن المساكين وأبناء السبيل ليعطوهم حقوقهم.

### ما تميّزت به زکاة الإسلام:

جعل الإسلام هناك حقاً في المال للمساكين وأبناء السبيل، هو الزكوة المفروضة، التي يدفعها المسلم من تلقاء نفسه، وإن لم يطالبه بها حاكم، فإذا لم يدفعها طوعاً أخذت منه كرهًا.

وهذا ما تميّزت به زکاة الإسلام عن الصدقات التطوعية في الأديان الأخرى؛ كانت تلك الصدقات شيئاً موكولاً إلى أريحية الإنسان وضميره غير محدد بمقدار، ولا محدد بزمن، ولكن الإسلام جاء وحدّد الزكوة، وجعلها حقاً معلوماً، في وقت معلوم، في مال مخصوص، بنسبة مخصوصة، وجعل من واجب الدولة أن تطالب بها، أن تأخذها من الأغنياء وتردها على الفقراء وتوزّعها على المستحقين، ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً﴾ [التوبه: ١٠٣].

إذا لم يدفع الإنسان يجب أن تؤخذ منه بالقوة، وإذا كان هناك جماعة من الناس لهم شوكة ومنعة وامتنعوا عن إيتاء الزكوة فإن الدولة الإسلامية تشن عليهم الحرب، تجييش لهم الجيوش، تقاتلهم بحد السلاح.

(١) رواه البخاري في الأدب المفرد (١١٢)، وأبو يعلى (٢٦٩٩)، والطبراني (١٥٤/١٢)، والحاكم في البر والصلة (١٦٧/٤)، وصحح إسناده، ووافقه الذهبي، وصححه الألباني في الصحيحة (١٤٩)، عن ابن عباس.

وهكذا فعل الخليفة الأول أبو بكر الصديق رضي الله عنه ، قاتل مانعي الزكاة كما قاتل المرتدين والمتربين جنباً إلى جنب، وسواء بسواء؛ الذين زعموا أنهم أنبياء مثل: مسلمة وسجاح وغيرهم قوتلوا، وقوتل معهم الذين قالوا: نصلي ولا نزكي، وقال الخليفة الأول قوله الشهير: والله لا أقاتل من فرق بين الصلاة والزكاة؛ فإن الزكاة حق المال، والله لو منعوني عناقاً - وفي رواية: عقالاً - كانوا يؤدونها إلى رسول الله صلوات الله عليه وآله وسلامه لقاتلتهم على منعها<sup>(١)</sup>.

إنها الدولة المسلمة، إنها الدولة التي تعنى بالطبقات الضعيفة والفنانات المسحوقة، قبل أن تعرف الدنيا الاشتراكية والماركسيّة وغير هذه المذاهب، التي تزعم أنها ترعى الفقراء والكادحين.

الإسلام قرر لهؤلاء حقوقهم، وقاتل من أجلها، قبل أن يعرف هؤلاء، قاتل من أجل حقوق الفقراء، بدون أن يثور الفقراء، ولم يقوموا بمسيرة ولا بمظاهره يطالبون فيها بالحقوق، ولكن الإسلام قرر لهم حقوقهم دون أن يطالبوا، بل ما كان الفقراء يشعرون أن لهم حقوقاً عند الأغنياء، ولكن الإسلام جاء فقرر هذا الحق.

أوجب الإسلام الزكاة في الأموال النامية، كل مال نام يجب أن تكون فيه الزكاة، العشر أو نصف العشر أو ربع العشر، كما جاء في شريعة الإسلام، تؤخذ من الأغنياء لترتدى على الفقراء.

### حق المساكين في الكفارات:

وليس الزكاة - كما قلنا - هي الشيء الوحيد، هناك حقوق بعد الزكاة، وهناك كفارات فرضها الإسلام في مناسبات شتى، هناك من حلف على

(١) متطرق عليه: رواه البخاري في الزكاة (١٤٠٠، ١٣٩٩)، ومسلم في الإيمان (٢٠)، عن أبي هريرة.

يمين وحث فيه، حلف ليفعلن كذا، ولم يفعله، هنالك كفارة لهذا اليمين إذا حلف بالله عَزَّوجَلَّ، كذلك إذا حرم حلاً على نفسه، حرم أن يكلم فلاناً، أو أن يدخل دار فلان، أو حرم على نفسه أن يأكل الطعام الفلاني، في تحريم الحلال كفارة يمين، وكفارة اليمين كما جاء في القرآن الكريم: ﴿فَكَفَرُتُهُ إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَكِينٍ مِّنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتِهِمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ ذَلِكَ كَفَرٌ أَيْمَنَكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ﴾ [المائدة: ٨٩]، إطعام عشرة مساكين أوكسوتهم، فمن لم يجد فصيام ثلاثة أيام، ليست الكفارة كما يظن كثيرون الصيام، الكفارة هي إطعام المساكين، وإنما الصيام لمن لم يجد، فمن لم يجد يصوم ثلاثة أيام.

من ظاهر من امرأته وقال لها: أنت على كظهر أمي أو اختي أو ابنتي فعليه تحرير رقبة، فإن لم يجد فصيام شهرين متتابعين، فإن لم يستطع فإطعام سَتِين مسكيناً، كما قال القرآن: ﴿وَالَّذِينَ يُظْهِرُونَ مِنْ نِسَاءِهِمْ مُّمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَاتُلُوا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِّنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَّا ذَلِكُمْ تُوعِظُونَ بِهِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَيْرٌ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَّا فَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَإِطْعَامُ سَتِينَ مِسَكِينًا﴾ [المجادلة: ٤].

وكذلك من وقع في الخطأ وجامع امرأته في نهار رمضان، جاء النبِيَّ ﷺ رجلٌ فقال: وقعت على امرأتي وأنا صائم.

قال رسول الله ﷺ: «هل تجد رقبةً تُعْتِقُها؟».

قال: لا.

قال: «فهل تستطيع أن تصوم شهرين متتابعين؟».

قال: لا.

قال: «فهل تجد إطعام ستين مسكيناً؟».

قال: لا.

قال: فمكث النبي ﷺ، فبينا نحن على ذلك أتى النبي ﷺ بعرق فيها تمر - والعرق: المكْتَل - قال: «أين السائل؟».

قال: أنا.

قال: «خذها، فتصدق به».

قال الرجل: أَعَلَى أَفْقَرِ مَنِّي يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ فَوَاللَّهِ مَا بَيْنَ لَابَتِيهَا - يَرِيدُ الْحَرَّتَيْنَ - أَهْلَ بَيْتٍ أَفْقَرُ مِنْ أَهْلِ بَيْتٍ.

فضحَكَ النَّبِيُّ ﷺ حَتَّى بَدَتْ أَنِيَابُهُ، ثُمَّ قَالَ: «أَطْعِمْهُ أَهْلَكَ»<sup>(١)</sup>.

وكذلك من عجز عن الصيام لشيخوخة أو مرض مزمن، وفيها جاء تأويل ابن عباس، «وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامٌ مِسْكِينٌ» [البقرة: ١٨٤]<sup>(٢)</sup>.

ومن نذر نذراً للمساكين ففرض عليه أن يُوفّيه، إلى آخر ما شرعه الإسلام في مناسبات شتى لإطعام المساكين وإشراكهم في مناسبات الآخرين.

### العيدان وإطعام المساكين:

ومن هنا فرض الإسلام في عيد الفطر زكاة الفطر من رمضان، هي كما جاء في حديث ابن عباس: فرضها رسول الله ﷺ، فرض رسول الله ﷺ زكاة الفطر طهرة للصائم من اللغو والرفث وطعمة

(١) متفق عليه: رواه البخاري (١٩٣٦)، ومسلم (١١١١) كلاماً في الصيام، عن أبي هريرة.

(٢) رواه أبو داود في الصيام (٢٣١٨).



للمساكين ، من أَدَّاها قَبْل الصَّلَاة فَهِي زَكَاة مُقْبُلَة ، وَمِنْ أَدَّاها بَعْد الصَّلَاة فَهِي صِدْقَة مِن الصِّدَقَات<sup>(١)</sup>.

فيها تطهير وجبر لما يحدث من خلل في الصيام، وفيها إطعام المساكين، وطعمة للمساكين، «أغنوهم عن طوافِ هذا اليوم»<sup>(٢)</sup>، بدل أن يسأل الفقير والمسكين ويطوف على النّاس في هذه المناسبة المسلم هو الّذِي يطوف عليه ويُسأله عنه ويذهب إليه؛ حتّى يعطيه الزّكاة، أغنوهم عن الطواف وعن السؤال في هذا اليوم.

كما شرع الإسلام في عيد الأضحى الأضحية، شرعاً - أيضًا - توسيعة على المساكين؛ ليأكل الإنسان منها شيئاً، ويهدي شيئاً، ويتصدق بشيءٍ، تقسم أثلاً.

وكذلك في النعم الّتي تحدث للإنسان جعل للفقراء والمساكين نصيبياً؛ مثل: العقيقة عند ولادة المولود، أو كما يقال هنا في الخليج: «التميمة»، العقيقة: الذبيحة الّتي تذبح عن المولود، عن الذكر شاتان وعن الأنثى شاة، شكرًا لله على الفرحة بالمولود، توزع كما توزع الأضحية.

مناسبات شتّى ينبغي أن ينال منها المسكين الفقير.

## حقُّ المساكين في موارد الدولة:

الفقير لا يضيع في المجتمع المسلم، هناك الزّكاة، وهناك حقوق بعد الزّكاة، وهناك مناسبات شتّى شرعاً لها الإسلام من أجل الفقراء والمساكين،

(١) رواه أبو داود (١٦٠٩)، وابن ماجه (١٨٢٧)، والحاكم (٥٦٨/١)، وصححه على شرط البخاري، ووافقه الذهبي، ثلاثتهم في الزكاة، والدارقطني في زكاة الفطر (٦١/٣)، وقال: ليس فيهم مجوح. وحسن إسناد النووي في المجموع (١٢٦/٦)، عن ابن عباس.

(٢) رواه الدارقطني في زكاة الفطر (٢١٣٣)، والبيهقي في الزكاة (١٧٥/٤)، عن ابن عمر.

وهناك موارد الدولة الإسلامية المختلفة: خمس الغنية، وهناك الفيء، للمساكين وأبناء السبيل فيهما حق، يقول القرآن الكريم: ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمَتُم مِّنْ شَيْءٍ فَإِنَّ اللَّهَ هُمْ أَحْسَنُهُمْ وَلِرَسُولِهِ وَلِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَأَبْنَى السَّبِيلِ﴾ [الأفال: ٤١]، ويقول في توزيع الفيء: ﴿مَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرْبَى فَلَلَّهِ وَلِرَسُولِهِ وَلِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَأَبْنَى السَّبِيلِ كَمَا لَا يَكُونُ دُولَةٌ بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ﴾ [الحشر: ٧].

ينبغي أن يوزع أول ما يوزع على الفئات الضعيفة المحتاجة؛ حتى لا يكون المال دولة بين الأغنياء، أي: لا يكون المال تداوله مقصور على الفئات الغنية القادرة كما هو شأن المجتمع الرأسمالي.

أخص ما يميز المجتمع الرأسمالي أن المال فيه دولة بين الأغنياء وحدهم، هم الذين يتداولون الثروة، والآخرون لا حظ لهم فيها، إلا الفئات إن بقي لهم الفئات، موارد الدولة الإسلامية فيها حظ للمساكين وأبناء السبيل.

### الصدقات التطوعية:

وهناك بعد ذلك الصدقات التطوعية، الإسلام جعل هناك مجالين ومستويين: مستوى إلزام، ومستوى التطوع.

هناك الحد الأدنى الذي يجب على المسلم أن يفعله، وإذا لم يؤده كان آثما عند الله، ومذموما عند الناس.

وهناك شيء فوق ذلك يفعله المسلم ابتغا وجه الله عَجَلَ ، لا يتقييد بمقدار، ولا يتقييد بوقت، يبذل فيه ما يبذل لله عَجَلَ ، حتى رأينا مثل أبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يوجد بماله كل في مناسبة من المناسبات للنبي ﷺ ، جاء بماله في حجره، فقال له النبي ﷺ : «ماذا أبقيت لأهلك وعيالك يا أبا بكر؟».



قال: أَبْقَيْتُ لَهُمُ اللَّهُ وَرَسُولَهُ<sup>(١)</sup>.

وقد جاء عن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب رضي الله عنهما، وكان من أغنى أغنياء المسلمين، ومن أنسخى أنسخائهم، أنه لم يكن تجب عليه زكوة، رغم ماله الكثير لم تجب عليه الزكوة، لماذا؟

لأنَّ المَالَ كَانَ لَا يَقِنُ فِي يَدِهِ حَتَّى يَحُولَ عَلَيْهِ الْحَوْلُ، مَا جَاءَهُ أَنْفَقَهُ عَلَى الْفَقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ، وَكُلُّ مَنْ سَأَلَهُ حَاجَةً أَعْطَاهُ إِيَاهَا.

حتى إنَّ بَعْضَ النَّاسِ لَامَهُ عَلَى كُثْرَةِ إِنْفَاقِهِ، وَلِكُلِّ إِنْسَانٍ بَطَانَتَانِ: بَطَانَةُ خَيْرٍ وَبَطَانَةُ سُوءٍ، بَطَانَةُ خَيْرٍ تَأْمِرُهُ بِالْخَيْرِ وَتَحْضُّهُ عَلَيْهِ، وَبَطَانَةُ سُوءٍ تُشَبِّهُهُ عَنِ الْخَيْرِ وَتَحْضُّهُ عَلَى الشَّرِّ، وَالْعِيَازُ بِاللَّهِ، فَقَالَ بَعْضُ جَلْسَائِهِ مِنْ بَطَانَةِ السُّوءِ: لَقَدْ أَسْرَفْتَ فِي الْبَذْلِ وَالْعَطَاءِ، أَلَا أَبْقَيْتَ شَيْئًا، أَلَا أَمْسَكْتَ يَدَكَ قَلِيلًا عَنِ الإِنْفَاقِ؟

فَقَالَ لَهُمْ: يَا قَوْمًا، إِنَّ اللَّهَ عَوَّدَنِي عَادَةً، وَعَوَّدْتُ عِبَادَهُ عَادَةً، عَوَّدَنِي أَنْ يُعْطِينِي، وَعَوَّدْتُ عِبَادَهُ أَنْ أُعْطِيهِمْ، فَأَخْشَى أَنْ أَقْطَعَ عَادَتِي عَلَى عِبَادَهُ فَيَقْطَعَ عَادَتِهِ عَنِّي<sup>(٢)</sup>.

### ما لا يعرفه الماديون:

هكذا كان المجتمع المسلم، الصدقات، الإحسان إلى حد الإيثار، هناك مرتبة لا يعرفها الماديون ولا الجاحدون، شيء أعلى من الواجب،

(١) رواه أبو داود في الزكوة (١٦٧٨)، والترمذى في المناقب (٣٦٧٥)، وقال: حسن صحيح. والحاكم في الزكوة (٥٧٤/١)، وصححه على شرط مسلم، وسكت عنه الذهبي، وحسناته الألبانى في صحيح أبي داود (١٤٧٢)، عن عمر بن الخطاب.

(٢) الاستيعاب في معرفة الأصحاب (٨٨٢/٣)، تحقيق علي محمد البحاوى، نشر دار الجيل، ط١، ١٤١٢ هـ - ١٩٩٢ م.

وشيء أعلى من الصدقة الاختيارية، أن يوجد الإنسان بالشيء وهو محتاج إليه، أن يطعم الطعام على حبه، يحب الطعام ويستيقظ إليه ويشتهيه، فإذا جاء محتاج تركه له ورضي وصبر، كما قال الله تعالى في وصف الأبرار: ﴿وَيُطْعِمُونَ أَطْعَامًا عَلَىٰ حُبِّهِ مُسْكِنًا وَيَسِيرًا إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا تُرِيدُنَا جُزَاءً وَلَا شُكُورًا إِنَّا نَخَافُ مِنْ رَبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَنْطَرِيرًا فَوَقَنْتُمُ اللَّهُ شَرَذَلَكَ الْيَوْمَ وَلَقَنْتُمُهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا وَجَرَنَتُمُهُمْ بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرَيرًا﴾ [الإنسان: ٨ - ١٢]، أن تجود بالشيء وأنت تحتاجه وتحبه وتشتهيه.

هكذا وصف الله الأنصار بهذا الإيثار العظيم حينما قال: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَاصَّةً﴾ ولو كان بهم جوع وحاجة ﴿وَمَنْ يُوقَ سُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [الحشر: ٩].

### الوقف الخيري:

فتح الإسلام الباب للصدقات العارضة والصدقات الجارية؛ الصدقة الجارية التي يستمر نفعها ولا ينقطع أثرها بممات صاحبها، الإنسان يستطيع أن يعيش بعد موته، يعيش أعماراً متطاولة، بماذا يعيش؟

بأشياء تبقى بعده، تمتد في الحياة فتمدد أثره ونفعه، هذا ما جاء في الحديث الصحيح: «إذا مات الإنسان انقطع عنه عمله إلا من ثلاثة: إلا من صدقه جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له»<sup>(١)</sup>.

صدقة جارية يبقى نفعها، ومن أجمل هذا عرف المسلمين هذه المؤسسة العظيمة: «مؤسسة الوقف الخيري»، وقفوا أوقافاً للخير، للمساكين، لأبناء السبيل، لطلبة العلم، لليتامى، للأرامل، لغير ذلك من

(١) رواه مسلم في الوصية (١٦٣١)، وأحمد (٨٨٤٤)، عن أبي هريرة.



الحاجات الّتي نقرؤهااليوم في حجج الأوقاف ونعجب من هذه الأنفس الكبيرة، من هذه الضمائر العظيمة، كيف استوّعت حاجات عصرها، وكيف وقفت لكلّ حاجة ما يسدها.

حتى كان هناك وقف يسمى: «وقف سلاطين الزبادي»، السلاطين جمع سلطانية، وهي الصحن أو الطبق، السلطانية أو الطبق الذي ينكسر من الخادم فقد يؤذيه سيده أو سيدته على كسر هذا الصحن أو هذه السلطانية، فراعي بعض المسلمين هذا، فوقف وقفًا لهذه الصحنون المكسورة، من كسر منه صحن ذهب إلى هذا الوقف وأخذ غيره حتى لا يؤذيه مولاه أو مولاته، انظروا إلى هذه المشاعر الرقيقة، إلى هذه الأنفس الحساسة.

هذا هو مجتمعنا، هذه هي الحضارة حقًّا، حضارة الإنسان، الحضارة الراقية، عرفت كلّ الحاجات فحاوت أن تسدّها بالقانون وبالضمير، بالشيء اللازم، وبالشيء المستحب، بالشيء العارض، وبالشيء الباقي، على كلّ المستويات كانت هذه حضارتنا.

### حقُّ ابن السبيل في المال:

المسكين وابن السبيل، من هو ابن السبيل؟

هو الّذي ينسب إلى السبيل إلى الطريق، أي: إنسان انقطع عن ماله ووطنه، كان مسافرًا فانقطع في سفره، وما أكثر ما كان يحدث هذا في الزمن الماضي، وقد يكون ابن السبيل غنيًّا في بلده، ولكنه حين ينقطع به الطريق يصبح فقيراً، ويحتاج إلى إيواء، ويحتاج إلى مساعدة، ومثل ذلك ما نراه في عصرنا من المشرّدين والمهجّرين واللاجئين، ممّن

يكونون في بلدانهم أغنياء وأصحاب أراض وعقارات، فيخرجون من ديارهم وأموالهم بغير حقٍّ إلَّا أن يقولوا: ربنا الله.

المشردون من أبناء أفغانستان، الملايين الأربع وفوق الأربع، التي أخرجت من ديارها، أخرجتها نيران الروس، أخرجتها الطائرات التي تقتل المدنيين بغير حساب، وتحصدتهم حصداً.

هذه أمم الحضارة تقتل الرجال والنساء والأطفال والشيوخ، تقتل البهائم والدواجن، تريد أن يموت الناس جوعاً!

هؤلاء المشردون أبناء سبيل وإن كانوا أغنياء في ديارهم؛ فقد تركوا أموالهم وكلّ شيء.

المشردون من أبناء إريتريا، المشردون من أبناء بورما، المشردون من المسلمين، المسلمون أكثر الناس تهجيراً في هذا العصر، وأكثر الناس تشريداً؛ لأنَّهم وحدهم الَّذين تُصب عليهم سياط العذاب، ولا يجدون من يدافع عنهم.

هؤلاء أبناء سبيل، يجب أن يعانون من الزَّكاة ومما بعد الزَّكاة، الإسلام فرض لهؤلاء حقوقاً، راعى هذه الحاجات الطارئة، وقدر لها حقاً في الزَّكاة وفي غير الزَّكاة؛ كان عمر صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَاٰتَاهُ السَّلَامَ وَسَلَّمَ يوصي ولاته وعماله أن يجعلوا في طرق المسافرين دوراً تملأ بالدقيق والسويق والتمر والزبيب من أجل حاجة من ينقطع من الناس، وكذلك فعل عمر بن عبد العزيز، بنى رَحْمَةً لِلَّهِ خانات ودوراً في الطرق المسلوكة لكل ابن سبيل، تعلف دابته ويأكل ويسرب ويقيى أياماً حتى يتمكن من الرجوع إلى أهله ووطنه<sup>(١)</sup>.

(١) الكامل في التاريخ لا بن الأثير (٤/١١٤).

هذه حضارتنا - أيها الإخوة - هذه شريعتنا، هذه هي أمّتنا، نحن في حاجة إلى أن نعود إلى ما كان عليه السلف الصالح، نرعي هذه الحاجات ونقدرها قدرها؛ حتى لا تجد المبادئ الهدامة مجالاً للانتشار، لا تجد فريسة سهلة من ضحايا الفاقه والحرمان من المشردين والضائعين والمساكين.

هذا هو إسلامنا، إسلام التكافل والتضامن، إسلام الأمة الواحدة، التي لا تعرف الحقد ولا الحسد؛ لأنَّه لا مجال للحقد ولا للحسد إذا كانت الأخوة هي السائدة، إذا كان الكلُّ يدًا واحدة، إذا كان الجميع كما وصفهم رسول الله ﷺ: «المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه ببعضًا»<sup>(١)</sup>.

أسأل الله تبارك وتعالى أن يوفقنا لما يحب ويرضى، وأن يجعلنا من ﴿الذِّينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَبَعُونَ أَحْسَنَهُ، أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمُ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ [الزمر: ١٨]، إنه سميع قريب.

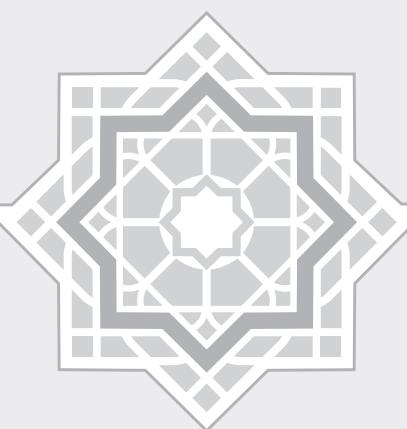
أقول قولي هذا، وأستغفر لله تعالى لي ولكم، فاستغفروه؛ إنه هو الغفور الرحيم، وادعوه يستجب لكم.

\* \* \*

(١) متفق عليه: رواه البخاري في الصلاة (٤٨١)، ومسلم في البر والصلة (٢٥٨٥)، عن أبي موسى الأشعري.



مَوْسُوعَةُ الْأَعْمَالِ الْكَامِلَةِ  
لِسَمَاحَةِ الْإِمَامِ  
بُوسَيْفِ الْقَرَضَابِوِيِّ



## الفهارس العامة

- فهرس الآيات القرآنية الكريمة.
- فهرس الأحاديث النبوية الشريفة.
- فهرس الموضوعات.





## فهرس الآيات القرآنية الكريمة

الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
سورة البقرة		
﴿أَسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغْدًا حَيْثُ شِئْتُمَا﴾	٣٥	١٤٢ ، ٦٢
﴿وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾	٨٣	٣٤٤
﴿فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُقْرِفُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءَ وَزَوْجِهِ﴾	١٠٢	٣٢٠ ، ٢٦٨
﴿فُلْ هَاتُوا بُرْهَنَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾	١١١	٣٤ ، ٢٦
﴿فَالَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾	١١٣	١٧٥
﴿رَبِّ أَجْعَلَ هَذَا بَلَدًا إِيمَانًا وَأَرْزَقَ أَهْلَهُ مِنَ الشَّرَاثِ﴾	١٢٦	٢٧٤
﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أَمَةً وَسَطَا﴾	١٤٣	٣١٧ ، ٩٥
﴿إِذَا تَرَأَ الَّذِينَ أَتَيْعُوا مِنَ الَّذِينَ أَتَبَعُوا أَتَبَعُوا وَرَأَوْا الْعَذَابَ﴾	١٦٦	٢٧
﴿وَقَالَ الَّذِينَ أَتَبَعُوا لَوْ أَتَ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأُ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّؤُ مِنَّا﴾	١٦٧	٢٧
﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ أَتَيْعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَالْوَلَا بَلْ نَتَسْعِي مَا أَفْغَنَا اللَّهُ عَلَيْهِ أَبَاهَنَا﴾	١٧٠	٢٦
﴿وَلِكُنَ الْبَرَّ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةَ وَالْكِتَبِ﴾	١٧٧	٣٤٨
﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَّةٌ يَتَوَلِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾	١٧٩	٣٨
﴿وَعَلَ الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدَيَةٌ طَعَامٌ مِسْكِينٌ﴾	١٨٤	٣٥٢

رقم الصفحة	رقم الآية	الآية
٣٠	١٨٦	﴿وَإِذَا سَأَلَكُ عِبَادِي عَنِ فِي قَرِيبٍ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾
١٨٥ ، ١٦٩ ، ٦٢ ٢٣٢ ، ٢٣١ ، ١٨٦ ٣٢١ ، ٢٨٢	١٨٧	﴿أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَاءِكُمْ﴾
٣٠	١٨٩	﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهْلَةِ﴾
٢٩٤ ، ١٤	١٩٥	﴿وَأَنْفَقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى الْنَّهْلَةِ﴾
٢٢٢ ، ١٤٥	٢٠١	﴿رَبَّنَا إِنَّا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةٌ﴾
٣٠	٢١٥	﴿يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ﴾
٣٨	٢١٦	﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَكُمْ﴾
٣٠	٢١٧	﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ﴾
٣٠	٢١٩	﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ﴾
٣٠٧ ، ٣٠	٢٢٠	﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ الْمُصْلِحِ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَعْنَتُكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾
١٧٠ ، ٣٠	٢٢٢	﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيطِ قُلْ هُوَ أَذَى فَاعْتَرُلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيطِ﴾
٢٣١ ، ١٦٩	٢٢٣	﴿ذِسَاؤُكُمْ حَرَثٌ لَكُمْ فَأَتُوا حَرَثَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ وَقَدِمُوا لِأَنْفُسِكُمْ﴾
١٧١ ، ١٢٥ ، ٨٣ ٢٣٤ ، ٢٣٣ ٢٧٠ ، ٢٤٣ ، ٢٣٨	٢٢٨	﴿وَالْمُطَّلَّقَاتُ يَتَبَصَّرْ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُونٍ﴾
١١٨ ، ٩٩ ، ٨٣ ٢٧٠ ، ٢٤٢ ، ٢٣٨ ٣١٤ ، ٢٨٣ ، ٢٧٣ ٣٢١	٢٢٩	﴿الظَّالِمُ مَرَّ تَانٍ فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَنٍ﴾
٢٨٦ ، ٢٣٨	٢٣١	﴿فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ سَرِحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ﴾
٢٨٢	٢٣٢	﴿فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ أَنْ يَنْكِحُنَّ أَزْوَاجَهُنَّ إِذَا تَرَضُوا بَيْنَهُم بِالْمَعْرُوفِ﴾

رقم الصفحة	رقم الآية	الآیة
، ۱۶۴ ، ۱۰۱ ، ۱۰۰ ۲۴۳ ، ۲۲۸ ، ۲۲۵	۲۳۳	﴿وَعَلَى الْمُؤْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ لَا تُكَلِّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا﴾
۲۸۲	۲۳۴	﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا فَعَلْنَ فِي أَنفُسِهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾
۱۲۶	۲۳۵	﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَضْتُمْ بِهِ مِنْ خَطْبَةِ النِّسَاءِ﴾
، ۱۶۴ ، ۱۰۱ ، ۹۱ ، ۲۳۸ ، ۲۲۵ ۲۷۲ ، ۲۴۶	۲۳۶	﴿وَمِتَعْوِهُنَّ عَلَى الْمُوْسِعِ قَدْرُهُ وَعَلَى الْمُفْتَرِ قَدْرُهُ مَتَعًا بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُحْسِنِينَ﴾
، ۱۶۱ ، ۹۹ ، ۹۸ ۲۸۵ ، ۲۷۳ ، ۲۳۹	۲۳۷	﴿وَإِنْ طَلَقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمْسُوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فِي يَدِهِ فِي ضَفْ مَا فَرَضْتُمْ﴾
، ۲۴۳ ، ۲۳۸ ۲۸۱ ، ۲۷۲	۲۴۱	﴿وَلِمَطْلَقَتِ مَتَعًا بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَقِينَ﴾
۳۲	۲۶۰	﴿رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحِيِ الْمَوْتَىٰ قَالَ أَولَمْ تُؤْمِنْ قَالَ بَلَى﴾
۳۴۴	۲۶۳	﴿قَوْلٌ مَعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِنْ صَدَقَةٍ يَتَبَعُهَا أَذْيٌ وَاللهُ عَنِ حَلِيمٌ﴾
۳۴۴	۲۶۴	﴿يَتَأَيَّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا يُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمِنَ وَالْأَذَى﴾
<b>سورة آل عمران</b>		
۴۲	۱۱۰	﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أَخْرَجْتُ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ﴾
۳۷	۱۳۷	﴿قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ سُنُنٌ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ﴾
۱۸۸	۱۴۰	﴿وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ﴾
، ۸۶ ، ۷۰ ۳۳۱ ، ۲۲۱	۱۴۷	﴿رَبَّنَا أَعْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبَّتْ أَقْدَامَنَا﴾
۵۱	۱۰۹	﴿فِيمَا رَحْمَةٌ مِنَ اللهِ لِنَتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًا غَلِيلًا قَلْبٌ لَا نَفَضُوا مِنْ حَوْلِكَ﴾
۳۳۲	۱۸۰	﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَا ءَاتَاهُمُ اللهُ مِنْ فَضْلِهِ هُوَ خَيْرًا لَهُمْ﴾

رقم الصفحة	رقم الآية	الآية
٣٦	١٩٠	﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَآخِرَلِفِ الْيَوْلِ وَالنَّهَارِ﴾
٣٦	١٩١	﴿الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيمًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ﴾
سورة النساء		
٦٢	١	﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَتَقُولُو رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾
٣٠٠ ، ٢٩٩	٣	﴿فَانْكِحُوهُمَا طَابَ لَكُم مِّنَ النِّسَاءِ مَثْنَى وَثَلَاثَ وَرِبْعٌ إِنْ خَفْتُمْ أَلَا نَعْلَمُو فَوْجَدَهُ﴾
١١٥ ، ٩٨ ، ٩٧ ، ١٥٨ ، ١٦١ ، ٢٢٤ ، ١٣٣ ٣١٨ ، ٢٤٣	٤	﴿وَأَتُوا النِّسَاءَ صَدْقَتِهِنَّ بِخَلَةٍ إِنْ طَبَنَ لَكُمْ عَنْ شَيْءٍ مِّنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ﴾
٣١٥	٧	﴿لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ وَلِلِّسَاءِ نَصِيبٌ﴾
٣١٦ ، ٣١٥	١١	﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلَّذِكَرِ مِثْلُ حَظِ الْأُنْثَيَيْنِ﴾
٣١٦	١٢	﴿وَإِنْ كَانَ رَجُلٌ يُورِثُ كُلَّهُ أَوِ امْرَأً﴾ وَلَهُ أَخٌ أَوْ أُخْتٌ﴾
٣١٧ ، ٣١٦	١٣	﴿تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلُهُ جَنَّتِ﴾
٣١٧	١٤	﴿وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلُهُ نَارًا﴾
١٩١ ، ١٦٤ ، ١٠٨ ، ٢٢٩ ، ٢٢٥ ، ٢٠٨ ، ٢٥٤ ، ٢٥٣ ، ٢٤٣ ٣١٥ ، ٢٨١ ، ٢٦٣	١٩	﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ إِنْ كَرِهُوْهُنَّ فَعَسَيْ أَنْ تَكْرَهُوْ شَيْئًا﴾
٣٢٢ ، ٢٨٥	٢٠	﴿وَإِنْ أَرَدْتُمُ اسْتِبْدَالَ زَوْجَ مَحَكَانَ زَوْجٍ﴾
٢٣٥ ، ١٥٠ ، ٢٨٥ ، ٢٦٣ ٣٢٢ ، ٣١٩	٢١	﴿وَكَيْفَ تَأْخُذُوْنَهُ وَقَدْ أَفْضَى بَعْضُكُمْ إِلَى بَعْضٍ﴾
٣١٥	٢٥	﴿بَعْضُكُمْ مِّنْ بَعْضٍ﴾

رقم الصفحة	رقم الآية	الآیة
١٤	٢٩	﴿وَلَا نَقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا﴾
٢٤٤	٣٢	﴿لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِمَّا أَكَتَسَبُوا وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِمَّا أَكَسَبَنَ﴾
١٤٧ ، ١٠٠ ، ٩٩ ٢٢٥ ، ٢٠١ ، ١٨١ ٢٦٤ ، ٢٣٥	٣٤	﴿أَلِرِجَالُ قَوَّمُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾
٢٦٦ ، ٢٣٦ ٢٨٨ ، ٢٦٧ ٣٢٥ ، ٣٢٤	٣٥	﴿وَإِنْ خَفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنَهُمَا فَابْعَثُوا حَكْمًا مِنْ أَهْلِهِ وَحَكْمًا مِنْ أَهْلِهَا﴾
٣٤٢	٣٦	﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا﴾
٣٤٢	٣٧	﴿الَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ﴾
٣٤٣ ، ٣٤٢	٣٨	﴿وَالَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ رِثَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾
٣٤٣ ، ٣٤٢	٣٩	﴿وَمَاذَا عَلَيْهِمْ لَوْءًا آمَنُوا بِاللَّهِ وَآتَيْمُ الْآخِرِ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقَهُمُ اللَّهُ﴾
٣٧	٨٢	﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْءَانَ وَلَوْكَانَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لَوْجَدُوا فِيهِ أَخْنَافًا كَثِيرًا﴾
٣٠٤	١٢٨	﴿وَإِنْ أَمْرَأً هُوَ خَافَتْ مِنْ بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا﴾
٣٠٤ ، ٣٠٣	١٢٩	﴿وَلَنْ تَسْتَطِعُوا أَنْ تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ﴾
٣٢٨ ، ٢٦٩	١٣٠	﴿وَإِنْ يَنْفَرُّوا يُغْنِ اللَّهُ كُلُّاً مِنْ سَعْيِهِ وَكَانَ اللَّهُ وَاسِعًا حَكِيمًا﴾
٣٥	١٥٧	﴿مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا ابْنَاعُ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا﴾
٣١٧	١٧٦	﴿يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ أَنْ تَضْلُلُوا وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾
سورة المائدة		
١٨٢	٢	﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالنَّقْوَىٰ وَلَا نَعَاوَنُوا عَلَى الْإِلْئَمِ وَالْعُدُونِ﴾
١٥٥	٢٨	﴿لَئِنْ بَسَطَتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتَلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لِأَقْتَلَكَ﴾



رقم الصفحة	رقم الآية	الآية
٢٧٦ ، ١٣٤	٣٢	﴿أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ﴾
٢٨٨	٥٠	﴿وَمَنْ أَحْسَنَ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقَنُونَ﴾
٤٣ ، ٤٢	٧٨	﴿لِعْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاؤِدَ﴾
٤٣	٧٩	﴿كَانُوا لَا يَتَّهَوَّنُ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ﴾
١٤٣	٨٧	﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُحَرِّمُوا طَيْبَاتَ مَا أَحَلَ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا﴾
١٤٣	٨٨	﴿وَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلَالًا طَيْبًا وَأَتَقْوِا اللَّهَ الَّذِي أَنْتُمْ بِهِ مُؤْمِنُونَ﴾
٣٥١	٨٩	﴿فَكَفَرُهُمْ بِإِطْعَامِ عَشَرَةِ مَسْكِينٍ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ﴾

### سورة الأنعام

٢١٦	٤٥	﴿فَقُطِعَ دَابِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾
٣٤	١٤٣	﴿نَسْوَنِي يَعْلَمُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾
٣٤	١٤٨	﴿فَلْ هَلْ عِنْدَكُمْ مِنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا﴾
٣١١	١٦٣ - ١٦٢	﴿فَلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * لَا شَرِيكَ لَهُ﴾

### سورة الأعراف

٢٣٢ ، ٢٣ ، ٢٢	٣١	﴿يَبْنِيَ إِدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾
٢٧	٣٨	﴿فَالِّي لِكُلِّ ضَعْفٍ وَلَكِنْ لَا نَعْلَمُونَ﴾
٣٢	١٤٣	﴿رَبِّ أَرْفِيْ أَنْظُرْ إِنَّكَ قَالَ لَنْ تَرَنِي وَلَكِنْ أَنْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ﴾
٣٠٥	١٥٧	﴿وَيُحِلُّ لَهُمُ الْطَّيْبَاتِ وَيُحِرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَيْثَ﴾
٢١٥	١٨٣	﴿وَأَمْلِ لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ﴾

### سورة الأنفال

٤٤	٢٥	﴿وَأَتَقْوِفُتَنَةً لَا تُصِيبَنَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً﴾
----	----	---



رقم الصفحة	رقم الآية	الآیة
٢٧٧	٣٠	﴿وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكِرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَكِيرِينَ﴾
٣٥٤	٤١	﴿وَاعْلَمُوا أَنَّمَا عَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ اللَّهَ حُسْنَةُهُ وَالرَّسُولُ وَلِذِي الْقُرْبَى﴾
١١٤	٤٩	﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾
٢٦٠ ، ٤	٥٣	﴿ذَلِكَ إِيمَانُ اللَّهِ لَمْ يُكُنْ مُغَيْرًا تَعْمَلَهَا عَلَى قَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾
٢٩١	٦٠	﴿وَأَعْدُوا لَهُمْ مَا أَسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ﴾
٢٢٠	٦١	﴿وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلِيمِ فَاجْنَحْ لَهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾

## سورة التوبة

٣٣٣ ، ١٧٩	٣٤	﴿وَالَّذِينَ يَكْرِزُونَ الْذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يُنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾
٣٣٣	٣٥	﴿يَوْمَ يُحْمَى عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتَكُوَنُ بِهَا جَاهَهُمْ وَجُهُودُهُمْ﴾
٣٤٧	٦٠	﴿إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَمِيلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤْلَفَةُ فِلُوْهُمْ﴾
٤٦ ، ٤٥	٦٧	﴿الْمُنْفِقُونَ وَالْمُنْفَقَاتُ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمُنْكَرِ﴾
٤٦ ، ٤٥	٧١	﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمَنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلَيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾
٣٤٩	١٠٣	﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً﴾
٤٢	١١٢	﴿الْتَّابِعُونَ الْعَكِيدُونَ الْحَمِيدُونَ السَّتِّيحُونَ الرَّكِيعُونَ﴾

## سورة يونس

٢٧٥	٦٢	﴿لَا حَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْرَزُونَ﴾
-----	----	--

## سورة هود

٢٦	١٧	﴿أَفَمَنْ كَانَ عَلَى بَيْنَةٍ مِنْ رَبِّهِ﴾
٢١٥	١٠٢	﴿وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخْذَ الْقَرَى وَهِيَ ظَلِيمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾

رقم الصفحة	رقم الآية	الآية
<b>سورة يوسف</b>		
٥٩	٣٣	﴿قَالَ رَبِّ السِّجْنِ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونِي إِلَيْهِ﴾
٢٧٥	٩٩	﴿أَدْخُلُوا مِصْرًا إِن شَاءَ اللَّهُ أَمِينٌ﴾
٤١ ، ٢٦	١٠٨	﴿فُلْ هَذِهِ سَيِّلِي أَدْعُوكُمْ إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَّا وَمَنِ اتَّبَعَنِي﴾
<b>سورة الرعد</b>		
٢٦٠	١١	﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾
١٤٢	٣٨	﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّنْ قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِّيَّةً﴾
<b>سورة الحجر</b>		
٢٧٥	٤٦	﴿أَدْخُلُوهَا سَلَمًا أَمِينٌ﴾
<b>سورة النحل</b>		
٢٣٢ ، ٥٨	٧٢	﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ أَزْوَاجِكُمْ بَنِينَ﴾
٥٦	٩٠	﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَاتِ﴾
٢٧٤	١١٢	﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرِيَّةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُطْمِئِنَةً يَأْتِيهَا رِزْقًا رَغَدًا﴾
٤٢	١٢٥	﴿أَدْعُ إِلَى سَيِّلِ رَبِّكَ﴾
<b>سورة الإسراء</b>		
٣٤١ ، ٣٤٠	١٦	﴿وَإِذَا أَرَدْنَا أَن نُّهَلِّكَ قَرِيَّةً أَمْرَنَا مُرِّفِهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ﴾
٣٣٥ ، ٣٣٣ ، ٣٣٢ ، ٣٤٢ ، ٣٤٠ ، ٣٣٩ ٣٤٧ ، ٣٤٥ ، ٣٤٣	٢٦	﴿وَءَاتِيَ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّيِّلِ وَلَا تُبَدِّرْ تَبَذِّرًا﴾
٣٣٩ ، ٣٣٢ ٣٤٣ ، ٣٤٠	٢٧	﴿إِنَّ الْمُبَدِّدِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ وَكَانَ الشَّيَاطِينُ لِرَبِّهِ كُفُورًا﴾

رقم الصفحة	رقم الآية	الآیة
۳۴۳ ، ۳۳۲	۲۸	﴿ وَإِمَّا تُعْرِضَنَّ عَنْهُمْ أَبْتِغَاءَ رَحْمَةٍ مِّنْ رَّبِّكَ تَرْجُوهَا فَقُلْ لَهُمْ قَوْلًا مَّيْسُورًا ﴾
۲۴۴	۲۹	﴿ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنْقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ ﴾
<b>سورة الكھف</b>		
۲۷	۱۵	﴿ هَؤُلَاءِ قَوْمًا أَخْنَدُوا مِنْ دُونِهِ إِلَهًا لَوْلَا يَأْتُونَ عَلَيْهِمْ بِسُلْطَنٍ ﴾
۳۴	۵۱	﴿ مَا أَشَهَدُهُمْ خَلْقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَا خَلْقَ أَنفُسِهِمْ ﴾
۱۰۹	۱۰۵	﴿ فَلَا نُقْيِمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَزَنًا ﴾
<b>سورة مریم</b>		
۵۱	۴۵ - ۴۲	﴿ يَأَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبَصِّرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا ﴾
<b>سورة طہ</b>		
۵۲	۴۴ ، ۴۳	﴿ أَذْهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى * فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَنَا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى ﴾
۲۹۵	۸۴	﴿ وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَى ﴾
۱۸۱ ، ۱۶۷ ، ۴۰	۱۳۲	﴿ وَأَمْرَأَهُكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَرِرْ عَلَيْهَا لَا نَسْكُوكَ رِزْقًا تَحْنُنُ تَرْزُقَكَ وَالْعَاقِبَةُ لِلنَّقْوَى ﴾
<b>سورة الأنبياء</b>		
۶۴	۱۰۷	﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ ﴾
<b>سورة الحج</b>		
۲۷۷	۴۰	﴿ وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ * إِنَّ اللَّهَ لَقَوْيٌ عَزِيزٌ ﴾
۲۷۷	۴۱	﴿ الَّذِينَ إِنْ مَكَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَقَوْا الزَّكَوَةَ ﴾
۳۷	۴۶	﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَنَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ إِذَا دَانُ يَسْمَعُونَ بِهَا ﴾
۳۱۷	۶۵	﴿ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾



رقم الصفحة	رقم الآية	الآية
<b>سورة النور</b>		
٣٣٢	٣٣	﴿وَإِنْ شُوْهُمْ مِّنْ مَّا لِلَّهِ الْأَكْبَرِ إِذَا أَتَنَّكُمْ﴾
<b>سورة الفرقان</b>		
٢٤٦ ، ١٠٦ ، ٦٦	٥٤	﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُ رَسَبًا وَصِهْرًا وَكَانَ رَبِّكَ فَقِيرًا﴾
٩٢	٦٧	﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا مِمْنَ أُولَئِكَ أَفْسَرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَاماً﴾
٢٣٩ ، ٩٤	٧٤	﴿وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هُبَّ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّتِنَا قُرَّةً أَعْيُنٍ﴾
<b>سورة النمل</b>		
٣١	٢٢	﴿أَحَاطْتُ بِمَا لَمْ تُحْطِ بِهِ وَجِئْتُكَ مِنْ سَيِّئِاتِ بَنِيَّ يَقِينٍ﴾
<b>سورة القصص</b>		
٣٥	٥٠	﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ أَتَيَّ هَوَنَهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنْ أَنَّ اللَّهَ أَعْلَمُ﴾
<b>سورة الروم</b>		
١٧٥	٥ - ٢	﴿عَلَيْتُ الرُّومُ فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلْبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ﴾
٦٤ ، ٦٣ ، ٦٢ ، ١٠٦ ، ٨٨ ، ٧٦ ١٨٥ ، ١٦٩ ، ١٥٦	٢١	﴿وَمَنْ ءَايَتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا﴾
٣٤٧	٣٨	﴿فَثَاتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ﴾
<b>سورة لقمان</b>		
٥١	١٧	﴿يَبْنِي أَقِيمُ الصَّلَاةَ وَأُمِرُ بِالْمَعْرُوفِ وَأَنْهِ عَنِ الْمُنْكَرِ وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ﴾
<b>سورة الأحزاب</b>		
٣١٩ ، ١٥٠	٧	﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّيَّارِ مِثْقَلَهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ فُوجٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى﴾

رقم الصفحة	رقم الآية	الآیة
۱۶۶	۲۱	﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ﴾
۲۹۹ ، ۱۹۰	۲۸	﴿يَتَأَبَّهَا الَّبَيْهُ قُلْ لَا زَوْجَكَ إِنْ كُنْتَ تُرِدُّنَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا﴾
۲۹۹ ، ۱۹۰	۲۹	﴿وَلَنِ كُنْتُنَّ تُرِدُّنَ اللَّهَ وَرَسُولُهُ وَالدَّارُ الْآخِرَةَ﴾
۱۹۰	۳۱	﴿وَمَنْ يَقُولْ مِنْكُنَ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ وَتَعْمَلْ صَنْلَحًا ثُنُقَهَا أَجْرَهَا مَرَّتَيْنَ﴾
۲۷۲	۴۹	﴿يَتَأَبَّهَا الَّذِينَ ءاْمَنُوا إِذَا نَكْحَثُ الْمُؤْمَنَاتِ ثُمَّ طَلَقْتُمُوهُنَّ﴾
۲۹۹	۵۲	﴿لَا يَحِلُّ لِكَ النِّسَاءُ مِنْ بَعْدِ وَلَا أَنْ تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنْ أَزْوَاجٍ وَلَوْ أَعْجَبَكَ حُسْنُهُنَّ﴾
۲۲۱ ، ۷۰ ، ۵۶	۵۶	﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَكُوكَتُهُ يُصْلُونَ عَلَى الَّبَيْهِ يَتَأَبَّهَا الَّذِينَ ءاْمَنُوا صَلُوْعَهُيَهُ﴾
۲۷	۶۷	﴿رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَنَا وَكُبْرَاءَنَا فَأَضْلَلُونَا السَّبِيلَ﴾
سورة سباء		
۳۶ ، ۳۵	۴۶	﴿قُلْ إِنَّمَا أَعْطَكُمْ بِوَحْيَدَةٍ أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ مَثْنَى وَفُرَدَيْ ثُمَّ تَنْفَكُرُوا﴾
سورة يس		
۱۴۲ ، ۶۱	۳۶	﴿سُبْحَنَ الَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا مِمَّا تَبَيَّنَتِ الْأَرْضُ وَمِنْ أَنْفُسِهِمْ﴾
سورة ص		
۳۵	۲۶	﴿يَدَاؤُدُّ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُمْ بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ﴾
۳۷	۲۹	﴿كِتَبْ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَرَّكٌ لِيَدْبَرُوا أَيْتَهُ وَلَيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَيِ﴾
۱۱۶	۸۶	﴿وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ﴾
سورة الزمر		
۳۵۹ ، ۳۴۴ ، ۱۱۸	۱۸	﴿الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَسْتَعِونَ أَحَسَنَهُ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَنُهُمْ اللَّهُ﴾
۲۶	۲۲	﴿أَفَمَنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدَرُهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِنْ رَبِّهِ﴾



رقم الصفحة	رقم الآية	الآية
<b>سورة غافر</b>		
٥٢	٢٩	﴿يَقُولُ لَكُمْ الْمُلْكُ الْيَوْمَ ظَاهِرٌ فِي الْأَرْضِ﴾
٥٢	٣٠	﴿يَقُولُ إِنِّي أَخَافُ عَيْكُمْ مِثْلَ يَوْمِ الْأَحْزَابِ﴾
٥٢	٣٢	﴿وَيَقُولُ إِنِّي أَخَافُ عَيْكُمْ يَوْمَ النَّبَادِ﴾
٥٢	٣٨	﴿يَقُولُ أَتَيْعُونَ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ الرَّشَادِ﴾
<b>سورة فصلت</b>		
٤١	٣٣	﴿وَمَنْ أَحَسَنُ فَوْلًا مَمَنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَنْلِحًا وَقَالَ إِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾
<b>سورة الشورى</b>		
١٧٤	١٥	﴿فَلِذِلْكَ فَادْعُ وَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَلَا تَنْتَعِ أَهْوَاءَهُمْ﴾
١٢١	٣٨	﴿وَالَّذِينَ أَسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقامُوا الصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ﴾
<b>سورة الزخرف</b>		
٣٤	١٩	﴿وَجَعَلُوا الْمَلِئَكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَدُ الرَّحْمَنِ إِنَّا أَشَهِدُهُمْ خَلْقَهُمْ﴾
٢٦	٢٣	﴿إِنَّا وَجَدْنَا آءَابَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ أَئْرِهِمْ مُفْتَدِرُونَ﴾
<b>سورة الأحقاف</b>		
٣٤	٤	﴿أَئُنُوفِي بِكِتَبٍ مِنْ قَبْلِ هَذَا أَوْ أَنْكَرَهُ مِنْ عِلْمِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِيَّكَ﴾
<b>سورة محمد</b>		
٣٧	٢٤	﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَفْفَالُهَا﴾
<b>سورة الفتح</b>		
٦٥	٢٩	﴿أَشَدَّ أَمْعَالَ الْكُفَّارِ رُحْمَاءَ بَيْنَهُمْ﴾

رقم الصفحة	رقم الآية	الآیة
سورة الحجرات		
٨٥	١٢	﴿وَلَا يَغْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعْضًا أَيْحُبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا﴾
سورة الذاريات		
٣٦	٢١	﴿وَفِي أَنفُسِكُمْ أَفَلَا يُبْصِرُونَ﴾
١٤٢، ٦١	٤٩	﴿وَمَنْ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَا رَوْجَينَ لَعَلَّكُمْ نَذَكَرُونَ﴾
١٠٥	٥٦	﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾
سورة النجم		
٣٥	٢٣	﴿إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنْفُسُ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنْ رَبِّهِمُ الْمُهْدَى﴾
٣٥	٢٨	﴿وَمَا هُمْ بِهِ مِنْ عَلِمٍ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا﴾
٢٨٨	٤٥	﴿خَلَقَ الرَّوْجَينَ الْذَّكَرَ وَالْأُنْثَى﴾
سورة الرحمن		
٢٩٨	٨	﴿أَلَا تَطْغَوْ فِي الْمِيزَانِ وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ﴾
سورة المجادلة		
٣٥١	٣	﴿وَالَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْ نِسَاءِهِمْ مُمَّا يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ﴾
٣٥١	٤	﴿فَمَنْ لَمْ يَحِدْ فَصِيامُ شَهْرَيْنِ مُتَابِعَيْنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَّا﴾
سورة الحشر		
٣٥٤، ٣٧	٧	﴿مَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرْبَى فَلِلَّهِ وَلِرَسُولِهِ وَلِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى﴾
٣٥٦	٩	﴿وَيُؤْشِرُونَ عَلَى أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةً﴾
٨٧، ٧٠، ٥٥	١٠	﴿رَبَّنَا أَغْفِرْ لَنَا وَلَاخُونَنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ﴾

رقم الصفحة	رقم الآية	الآية
<b>سورة الطلاق</b>		
٢٤٢ ، ٢٣٧ ، ٤ ٢٧٢ ، ٢٧١	١	﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِذَا طَلَقْتُمُ الْأَسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ وَاحْصُوا الْعِدَّةَ ﴾
١١٤	٣	﴿وَمَن يَتَوَكَّلُ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسِيبٌ إِنَّ اللَّهَ بَلِغُ أَمْرِهِ﴾
٢٨٦	٦	﴿وَلَا نُضَارُوهُنَّ لِضَيْقَوْا عَلَيْهِنَّ﴾
١٦٤ ، ١٠١ ، ٩١ ٣٤٤ ، ٢٢٤	٧	﴿لِيُنْفِقُ ذُو سَعَةٍ مِّنْ سَعَةِهِ وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلَا يُنْفِقُ مِمَّا أَنْهَا اللَّهُ﴾
<b>سورة التحرير</b>		
٢٣٠	٣	﴿عَرَفَ بَعْضَهُ وَأَغْرَضَ عَنْ بَعْضٍ﴾
١٨١ ، ١٦٧ ، ٤٠	٦	﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا أَنْفَسْكُمْ وَأَهْلِكُمْ نَارًا وَقُودُهَا أَنَاسٌ وَالْحِجَارَةُ﴾
<b>سورة الملك</b>		
٣١٨ ، ٣٠٢	١٤	﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ الْأَطِيفُ الْخَيْرُ﴾
<b>سورة المعارج</b>		
٣٤٦	٢٥ ، ٢٤	﴿وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَعْلُومٌ لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ﴾
<b>سورة المدثر</b>		
٣٤٦	٤٤ - ٤٢	﴿مَا سَلَكَ كُثُرٌ فِي سَقَرَ قَاتُلُوكُمْ مِنَ الْمُصَلَّيْنَ وَلَمْ يَكُنْ نُطْعُمُ الْمِسْكِينَ﴾
<b>سورة الإنسان</b>		
٣٥٦	١٢ - ٨	﴿وَيُطْعِمُونَ الْطَّعَامَ عَلَى حِلَمٍ مِسْكِينًا وَيَنِيمًا وَأَسِيرًا﴾
<b>سورة النبأ</b>		
٦١	٨	﴿وَخَلَقْنَاكُمْ أَزْوَاجًا﴾

رقم الصفحة	رقم الآية	الآیة
سورة النازعات		
۵۳	۱۹ ، ۱۸	﴿هَلْ لَكَ إِلَّا أَنْ تَرَكَ وَأَهْدِيَكَ إِلَى رَبِّكَ فَتَخْشَى﴾
سورة الفجر		
۳۴۷	۲۰ - ۱۷	﴿كَلَّا بَلَ لَا تُكْرِمُونَ أَلْيَتِيمَ وَلَا تَحْكُضُونَ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ﴾
سورة العصر		
۴۸ ، ۷ ، ۴	۳ - ۱	﴿وَالْعَصْرِ إِنَّ الْإِنْسَنَ لَفِي خُسْرٍ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾
۳۳۱ ، ۲۲۱ ، ۸۷	۴۵	﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ﴾
۲۷۴	۶۷	﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا ءَامِنًا وَيَخْطُفُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ﴾
سورة قريش		
۲۷۴	۴ - ۱	﴿لَا يَلِفِ قُرَيْشٌ إِنَّفِهِمْ رِحْلَةَ الْسِّتَّاءِ وَالصَّيفِ﴾
سورة الماعون		
۳۴۷ ، ۳۴۶	۱	﴿أَرَءَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالْدِينِ﴾
۳۴۷ ، ۳۴۶	۲	﴿فَذَلِكَ الَّذِي يَدْعُ الْيَتِيمَ﴾
۳۴۷ ، ۳۴۶	۳	﴿وَلَا يَحُصُّ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ﴾

\* \* \*





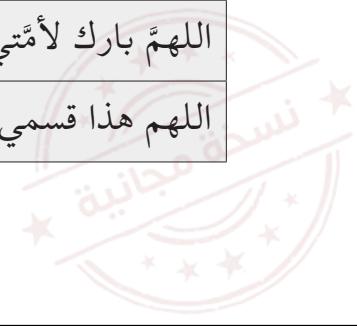
## فهرس الأحاديث النبوية الشريفة



رقم الصفحة	الحديث
أ	
١٢٧ ، ٧٨	أمرُوا النِّسَاءَ فِي بُنَاتِهِنَّ
٢٦٧ ، ٢٣٥ ٣٢٠	أبغضُ الْحَلَالَ إِلَى اللَّهِ الطَّلاق
٢٤٩	أَبِكَرًا أَمْ ثَيَّبًا؟ قَالَ: بَلْ ثَيَّبَ يَا رَسُولَ اللَّهِ. فَقَالَ: هَلَّا بِكَرًا تَلَاعِبُهَا وَتَلَاعِبُكَ
٣٢٢	أَتَرْدِينَ عَلَيْهِ حَدِيقَتَهُ؟ قَالَتْ: نَعَمْ. قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: اقْبِلْ الْحَدِيقَةَ وَطَلَقْهَا تَطْلِيقَةً
٢٥٢	أَتَعْجَبُونَ مِنْ غَيْرِهِ سَعْدٌ، وَاللَّهُ لَأَنَا أَغْيِرُ مِنْهُ، وَاللَّهُ أَغْيِرُ مِنِي
٣٢٨	أَتَقْوَا اللَّهَ فِي النِّسَاءِ؛ فَإِنَّهُنَّ عِنْدَكُمْ عَوَانٍ، لَا يَمْلِكُنَّ لِأَنفُسِهِنَّ شَيْئًا...
١٢٧ ، ١٢٦ ، ٧٧	أَجِيزِيَّ ما صَنَعَ أَبُوكَ. قَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ؛ إِنِّي لَهُ كَارِهَةٌ
٢٩٩	اخْتَرْ مِنْهُنَّ أَرْبَعًا، وَفَارِقَ سَائِرَهُنَّ
١٥٢ ، ١٠٧ ، ٩٦ ٢٢٣ ، ٢٠٧	إِذَا أَتَاكُمْ مَنْ تَرْضَوْنَ خُلْقَهُ وَدِينَهُ فَرَوْجُوهُ، إِلَّا تَفْعِلُوا تَكْنُ فَتْنَةً فِي الْأَرْضِ
١٢٢	إِذَا أَلْقَى اللَّهُ فِي قَلْبِ امْرِئٍ خُطْبَةَ امْرَأَةٍ؛ فَلَا بَأْسَ أَنْ يَنْظُرَ إِلَيْهَا
١٢١ ، ٨٠	إِذَا خَطَبَ أَحَدُكُمُ الْمَرْأَةَ، فَإِنْ أَسْتَطَعَ أَنْ يَنْظُرَ إِلَيْهَا إِلَى مَا يَدْعُوهُ
١٨٠	إِذَا صَلَتِ الْمَرْأَةُ خَمْسَهَا - صَلَوَاتُهَا الْخَمْسُ - وَصَامَتْ شَهْرَهَا -



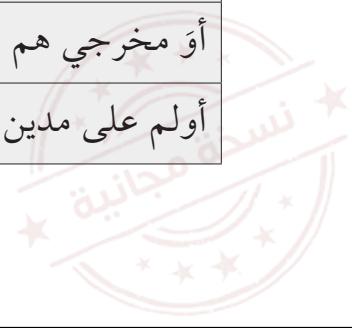
رقم الصفحة	الحديث
٣٥٦	إذا مات الإنسان انقطع عنه عمله إلا من ثلاثة: إلا من صدقة جارية
١٢٢	اذهب فانظر إليها؛ فإنَّه أحرى أن يُؤْدِمَ بِينَكُمَا
١٤٩	اذهب وانظر إليها؛ فإنَّ في أعين الأنصار شيئاً
١٤٦	أربع مَنْ أُوتِيَهُنَّ فقد أُوتِيَ خير الدنيا والآخرة: لسان ذاكر، وقلب شاكر
١٤٦ ، ١٤٥	أربع من السعادة: المرأة الصالحة، والمسكن الواسع، والجار الصالح
١٢٧	أريد ابنتك لجليبيب. فقال له: حتَّى أشاور أمَّها. فقال: نعم
١٠١	استعاد النبي ﷺ من ضلع الدين، وغلبة الرجال
٢٦٣ ، ٢٢٩	استوصوا بالنساء خيراً، فإنَّ المرأة خلقت من ضلع
٩٥	أصدق رسول الله أم سلمة فراشاً وحشوه ليف وقدحاً
٢٠١	اظفر بذات الدين تربت يداك
١٦٢	أعلنوا النكاح واضربوا عليه بالدفوف
٣٥٣	أغنوهم عن طوافٍ هذا اليوم
١٤٥	أفضله لسان ذاكر، وقلب شاكر، وزوجة مؤمنة تعينه على إيمانه
١٨٤	اقرأ. فقال: ما أنا بقارئ. وغطه وضمه ضمة قوية إلى صدره
٢٤٧ ، ٢٢٦	أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خلقاً، وألطفهم بأهله
٢٠٦	التي تُسِرُّه إذا نظر، وتُطِيعه إذا أمر، ولا تخالفه فيما يكره في نفسها وماليه
٩٤	اللهم إني أسألك خيرها، وخير ما جبتها عليه، وأعوذ بك من شرها
١٥٧ ، ١٢٠	اللهم إني أستخِرُكَ بعلْمِكَ، وأسْتَقْدِرُكَ بقدرتكَ، وأسألكَ من فضلك العظيم
١٠١	اللهم إني أعوذ بك من المأثم والمغنم. أي: الاستدامة
١٥	اللهم بارك لأمتِي في بكورها
٣٠٣ ، ١٦٦	اللهم هذا قسمٍ في ما أملك، فلا تؤاخذني فيما تملك ولا أملك



رقم الصفحة	الحديث
٢٣١	ألم أُخْبِرْ أَنَّكَ تصوم النهار وتقوم الليل؟ قال: بلى يا رسول الله
١٣١	أَمَا كَانَ فِيْكُمْ رَجُلٌ رَحِيمٌ
١٥٨	أَمَّا معاویة فَصَعَلُوكَ، لَا مَالَ لَهُ، لَمْ يَكُنْ يَمْلِكَ شَيْئًا، وَكَانَ الْمَالُ لِأَبِيهِ
٥٩	أَمَّا وَاللَّهِ إِنِّي لِأَخْشَاكُمُ اللَّهَ وَأَتَقَاكُمْ لَهُ، لَكُنَّيْ أَصْوَمُ وَأَفْطَرُ، وَأَصْلَى وَأَرْقَدُ
٢٣٢	أَمْرُ الْإِنْسَانِ إِذَا أَكَلَ ثُومًا أَوْ بَصَلًا، أَوْ نَحْوَ ذَلِكَ، أَنْ يَعْتَزِلَ الْمَسْجِدَ
٣٢٠	إِنَّ إِبْلِيسَ يَضْعُ عَرْشَهُ عَلَى الْمَاءِ، ثُمَّ يَبْعَثُ سَرَايَاهُ، فَأَدْنَاهُمْ مِنْهُ مِنْزَلَةً
١١٥	إِنَّ أَعْظَمَ النِّكَاحِ بَرَكَةً أَيْسَرَهُ مَؤْوِنَةً
٢٣٢ ، ٢٢	إِنَّ اللَّهَ جَمِيلٌ يَحِبُّ الْجَمَالَ، الْكَبِيرُ بَطَرَ الْحَقَّ وَغَمْطَ النَّاسَ
١٩٩ ، ١٠٢	إِنَّ اللَّهَ سَائِلٌ كُلَّ رَاعٍ عَمَّا اسْتَرْعَاهُ؛ أَحْفَظْ أَمْ ضَيْعَ
١٢	إِنَّ اللَّهَ طَيِّبٌ يَحِبُّ الطَّيِّبَ، نَظِيفٌ يَحِبُّ النَّظَافَةَ، كَرِيمٌ يَحِبُّ الْكَرَمَ
٢١٥	إِنَّ اللَّهَ لَيُمْلِي لِلظَّالِمِ حَتَّى إِذَا أَخْذَهُ لَمْ يُفْلِتْهُ
٥١	إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الرِّفْقَ فِي الْأَمْرِ كُلَّهُ
٤٣	إِنَّ أَوَّلَ مَا دَخَلَ النَّقْصُ عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّ أَحْدَهُمْ كَانَ يَلْقَى أَخَاهُ
٣٣٨	إِنَّ الرُّقَى وَالْتَّمَائِمُ وَالْتَّوْلَةُ شِرْكٌ
٢٦٨	إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْصُبُ عَرْشَهُ عَلَى الْبَحْرِ، وَيَبْعَثُ جَنَودَهُ، فَأَقْرَبُهُمْ إِلَيْهِ مِنْزَلَةً
٣٣٨	إِنَّ عَلَيْهِ تَمِيمَةً. فَأَدْخِلْ يَدَهُ فَقَطَعُهَا، فَبَايِعَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ
٦٩	إِنَّ فِي الْجُمُعَةِ لِسَاعَةً، لَا يَوْافِقُهَا مُسْلِمٌ، قَائِمٌ يَصْلِي، يَسْأَلُ اللَّهَ خَيْرًا، إِلَّا أَعْطَاهُ إِيَاهُ
٢٧٢	إِنَّ قُلُوبَ بَنِي آدَمَ كُلَّهَا بَيْنِ إِصْبَعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ الرَّحْمَنِ كَلْبٌ وَاحِدٌ
١٨٩	إِنَّ كَانَ لِيَمِرَ الْهَلَالَ ثُمَّ الْهَلَالَ ثُمَّ الْهَلَالَ: ثَلَاثَةُ أَهْلَهُ فِي شَهْرَيْنِ
١٥	إِنَّ لَبَدَنِكَ عَلَيْكَ حَقًا
١٨٥	إِنَّ الْمَرْأَةَ إِذَا بَاتَتْ هَاجِرَةً فَرَاشَ زَوْجَهَا؛ لَعْنَتُهَا الْمَلَائِكَةُ حَتَّى تَرْجِعَ



رقم الصفحة	الحديث
٢٥١ ، ٢٣٣	إِنَّ مِنَ الْغَيْرَةِ مَا يُحِبُّ اللَّهُ، وَمِنْهَا مَا يُبغضُ اللَّهُ، وَمِنَ الْخِيلَاءِ مَا يُحِبُّ اللَّهُ
١٣٣ ، ١١٥	إِنَّ مِنْ يُمْنَنَ الْمَرْأَةِ: تِيسِيرٌ لِخُطْبَتِهَا، وَتِيسِيرٌ لِصَدَاقَهَا، وَتِيسِيرٌ لِرَحْمَهَا
٤٤	إِنَّ النَّاسَ إِذَا رَأَوْا الْمُنْكَرَ فَلَمْ يُغَيِّرُوهُ، أَوْ شَكَ أَنْ يَعْمَمُهُمُ اللَّهُ بِعِقَابِهِ
٢٤٨	إِنَّ النَّبِيَّ ﷺ أَرَانِي الْأَحْبَاسَ وَهُمْ يَلْعَبُونَ
٢٤٨	إِنَّ النَّبِيَّ ﷺ فَعَلَ كَذَا وَكَذَا، وَأَرَانِي الْأَحْبَاسَ وَهُمْ يَلْعَبُونَ
٢٥٥	أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ لَمْ يَكُنْ يُرِخْصُ فِي الْكَذْبِ إِلَّا فِي ثَلَاثَةِ: فِي الْحَرْبِ
١٣	إِنَّ هَذَا الطَّاعُونَ رِجْزٌ سُلْطَانٌ عَلَى مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ - أَوْ: عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ -
٣٣٧	إِنَّ هَذِينَ حَرَامٌ عَلَى ذِكْرِ أُمَّتِي، حِلٌّ لِإِنَاثِهِمْ
١٣	إِنَّا قَدْ بَأَيْعَنَاكَ فَارْجِعْ
١٢٢ ، ٨٠	أَنْظَرْتُ إِلَيْهَا؟ قَالَ: لَا. قَالَ: انْظِرْ إِلَيْهَا فَإِنَّ فِي أَعْيُنِ الْأَنْصَارِ شَيْئًا
٢٥٠	إِنْكَ مَا أَنْفَقْتَ مِنْ نَفْقَةٍ تَبْتَغِي بِهَا وَجْهَ اللَّهِ فَهِيَ لَكَ صَدَقَةٌ
١٠٤	إِنْكُمْ أَخْذَتُمُوهُنَّ بِأَمَانَ اللَّهِ، وَاسْتَحْلَلْتُمْ فِرْوَاجَهُنَّ بِكَلْمَةِ اللَّهِ
٢٥٠	إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالثَّيَّاتِ، وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرَءٍ مَا نَوَى
١٤٥	إِنَّمَا أَنَا أَخْشَاكُمْ لِلَّهِ وَأَتَقَاكُمْ لَهُ، وَلَكُنِّي أَصُومُ وَأَفْطَرُ، وَأَقُومُ وَأَنَامُ
٦٤	إِنَّمَا أَنَا رَحْمَةٌ مُهْدَدَةٌ
٢٤	إِنَّمَا بَعَثْتُ لِأَتَمَّ مِكَارِمَ الْأَخْلَاقِ
٣١٥	إِنَّمَا النِّسَاءُ شَقَائِقُ الرِّجَالِ
١٠٩	إِنَّهُ لَيَأْتِي الرَّجُلُ الْعَظِيمُ السَّمِينُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، لَا يَزِنُ عِنْدَ اللَّهِ جَنَاحُ بَعْوضَةٍ
٢٥٠	إِنِّي لَأَعْلَمُ إِذَا كُنْتَ عَنِي رَاضِيَةً، وَإِذَا كُنْتَ عَلَيَّ غَضِبَيِّ
١٨٤	أَوْ مُخْرَجِي هُمْ
٩١	أَوْلَمْ عَلَى مَدِينَتِي مِنْ طَعَامٍ





رقم الصفحة	الحديث
٩١	أولم النبي ﷺ على بعض نسائه بسوق وتمر
٢٦٥	أولئك ليسوا خياركم، لن يضرب خياركم
٣٢٨ ، ٢٣٥	أيّما امرأة سألت زوجها الطلاق من غير ما بأس فحرام عليها رائحة الجنة
٣٤١	أين السائل عن الساعة؟ ... إذا وسد الأمور إلى غير أهله فانتظر الساعة
٢٧٧	أيها الناس؛ إن الله حرم عليكم دماءكم وأموالكم وأعراضكم

ب

٩٤ ، ٩٣	بارك الله لك، وبارك عليك، وجمع بينكما في خير أو في الخير
٢٠٣	بكراً أم ثبيباً؟ قلت: بل ثبيباً. قال: فهلاً جارية تلابعها وتلاعبك
٣٠	بل هو الرأي والحب والمحبة

ت

١٧٩	تبأا للذهب تبأا للفضة، تبأا للذهب تبأا للفضة، تبأا للذهب تبأا للفضة
٣٤٤	تبسمك في وجه أخيك صدقة
٢٠٢	تخيروا لنطفكم، وانكحوا الأكفاء، وأنكحوا إليهم
١٣٢	تزوج أم حبيبة، زوجها إيه النجاشي ومهرها أربعة آلاف
١٢٦ ، ٧٦	تزوجت امرأة على عهد النبي ﷺ بغير رضاها، وهي خنساء بنت خدام
٢٠٤ ، ٢٠٢	تزوجوا الودود الولود؛ فإنني مكاثر بكم الأمم يوم القيمة
١٠٩ ، ١٠٨	تقولون في هذا؟ ... هذا خير من ملء الأرض مثل هذا
١٥٩ ، ١٣٢	التمس ولو خاتما من حديد. فلم يجد خاتما من حديد
٢٠١ ، ١٤٦ ، ١١٣	تنكح المرأة لأربع: لمالها، ولحسبها، وجمالها، ولدينها

ث

١٠٣	ثلاث مهلكات: شح مطاع، وهوى متبع، وإعجاب المرء برأيه
-----	---



رقم الصفحة	الحديث
١١٤	ثلاثة حق على الله عونهم: المجاهد في سبيل الله
٢١٦	ثلاثة لا تُرد دعوتهم: الصائم حتى يفطر، والإمام العادل
٢٥١	ثلاثة لا يدخلون الجنة أبداً: الديوث، والرجلة من النساء، ومدمن الخمر
١٢٦	الشيب أحق ب نفسها، والبكر تستأذن. قيل: يا رسول الله؛ إنَّ البكر تستحي
ح	
٢٣٤	حتى تمتشط الشعنة، وتستحد المغيبة
٥٠	حُفت الجنة بالمكاره
١١	حق على كل مسلم أن يغسل في كل سبعة أيام يوماً يغسل فيه رأسه وجسده
٩٥	حينما دخل علي بن أبي طالب على سيدة نساء العالمين: فاطمة الزهراء
خ	
٢٤٧	خياراتكم خياراتكم لنسائهم
١٦٠ ، ١٣٣ ، ١١٥	خير الصداق أيسره
٢٢٦ ، ١٦٥ ٢٤٧	خيركم خيركم لأهله، وأنا خيركم لأهلي
د	
٣٠٧	دب إليكم داء الأمم: الحسد، والبغضاء وهي الحالقة
١٤٥ ، ٦٠ ٢٠١ ، ١٧٨	الدنيا متاع، وخير متاعها المرأة الصالحة
١٠٣	دينار أنفقته في سبيل الله، ودينار أنفقته في رقبة، ودينار تصدق به
٤٥	الدين النصيحة، الله ولكتابه ولرسوله ولأنممة المسلمين وعامّتهم
ذ	
٣٣	ذاك صريح الإيمان

رقم الصفحة	الحديث
ر	
٣٢	راجع ربّه ليلة الإسراء، حينما فرض عليه الصلاة خمسين
٣١	رأيُ ما أشار به الحباب، لقد أشرت بالرأي
١٨٣	رحم الله امرأً قام من الليل فصلى ركعتين، ثم وجد زوجته نائمة
١٤٣ ، ٥٩	ردّ رسول الله ﷺ على عثمان بن مطعمون التبتل، ولو أذن له لاختصينا
١٢٦	ردّ النبي ﷺ نكاح امرأة زوجت بغير رضاها، وكانت بكراً
ذ	
٢٢٧	زمليوني زمليوني
١٥٩	زوجناها بما معك من القرآن
س	
١٨٨	سماه النبي ﷺ زوراً
١١	السواك مطهرة للفم، مرضاة للرب
ش	
٩٣	شر الطعام الوليمة؛ يُدعى إليها الأغنياء دون الفقراء
ط	
١٠	الظهور شطر الإيمان
ع	
٢٧٦	عذبت امرأة في هرة، سجنتها حتى ماتت، فدخلت فيها النار
غ	
٢٢٧	غارت أمكم
١١	غسل يوم الجمعة واجب على كل محتل



رقم الصفحة	الحديث
ف	
١٥	إِنَّ لِجَسْدِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، وَإِنَّ لِعَيْنَكَ عَلَيْكَ حَقًّا، وَإِنَّ لِزَوْجِكَ عَلَيْكَ حَقًّا
٢٠٢	فَخُذْ ذَاتَ الدِّينِ وَالخُلُقَ تربت يمينك
١٣	فِرَّ مِنَ الْمَجْدُومِ فَرَارَكَ مِنَ الْأَسْدِ
٩٠	فصل ما بين الحلال والحرام: الدف والصوت في النكاح
٢٠٣	فَهَلَّا بِكُرَّا تَعْضُّهَا وَتَعْضُّكَ
ق	
٢٢٧	قام النبي ﷺ بصلح الحديبية، وأمر الصحابة أن يتحللوا من إحرامهم
ك	
١٧	كان رسول الله ﷺ إذا ركع استوى
١٩٠	كان فراشه ﷺ من أدمٍ حشوه ليف
٢٣٢	كان النبي ﷺ يأمر الناس أن يغسلوا يوم الجمعة
١٨	كان يركب الفرس معروري
٢٤٨	كانت لي صواحب يأتين فيلعبن معي بالبنات - أي بالعرائس الدُّمَى -
٢٣٠	كسرها طلاقها
١٩٩ ، ١٠٢	كفى بالمرء إثماً أن يحبس عمن يملك قوته
١٦٧ ، ١٠٢ ١٨١	كلكم راعٍ، وكلكم مسؤول عن رعيته، والرجل راعٍ في أهل بيته
٢٢٦ ، ١٦٨ ٢٤٨	كنت لك كأبي زرع لأم زرع؛ غير أنني لا أطلقك
٤٥	كيف بكم إذا فسد شبابكم وطغى نساوكم؟. قالوا: يا رسول الله

رقم الصفحة	الحديث
	ل
٦٥	لا تدخلوا الجنة حتى ترحموا. قالوا: يا رسول الله، كلنا رحيم
٢٥٨	لا ترجعوا بعدِي كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض
٣٣٤	لا تزول قدما عبد يوم القيمة حتى يسأل عن عمره فيما أفناه
٣٣	لا تكونوا إمّعة، تقولون: إن أحسن الناس أحسنا، وإن ظلموا ظلمنا
٧٥	لا تنكح الأئم حتى تستأمر
٣٢٦، ٢٨٠، ١٣	لا ضرر ولا ضرار
٢٨٠	لا طلاق في إغلاق
٧٨	لا نكاح إلا بولي
٢٢٣	لا يبلغ عبْدُ أَنْ يَكُونَ مِنَ الْمُتَّقِينَ حَتَّىٰ يَدْعُ مَا لَا يَأْسُ بِهِ حَذْرًا مَمَّا يَأْسَ
٢٦٥	لا يجلد أحدكم امرأته جلد العبد ثم يجامعها في آخر اليوم
١٨٠	لا يحل لامرأة أن تصوم زوجها شاهد - أي حاضر غير مسافر - إلا بإذنه
١٢٥	لا يحل لمسلم أن يبيع على بيع أخيه، ولا أن يخطب على خطبة أخيه
١٠٢، ١٠١	لا يحل لمسلم أن يذل نفسه. قالوا: يا رسول الله، كيف يذل نفسه؟
٣١٨	لا يحل مال امرئ إلا بطيب نفس منه
٢٢	لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر
٢٥٥	لا يدخل الجنة نمام
٥٥	لا يزال العبد في صلاة ما كان في المسجد
٢٢٩، ١٩١ ٢٦٢، ٢٥٣	لا يفرك مؤمنة - لا يبغضها ولا يكرهها - إن كره منها خلقاً رضي منها آخر
٢٧٧، ١٣٤	لزوال الدنيا أهون على الله من قتل امرئ مسلم بغير حق



رقم الصفحة	الحديث
٢١	لعن رسول الله ﷺ المُتَشَبِّهِينَ من الرجال بالنساء
١٨٧	لعن النامضة والمتنمصة، ولعن المتفلجلات للحسن
١٨٧	لعن الواشمة والمستوشمة، ولعن الواصلة والمستوصلة
١٣٠	لم يُرَ لِلمتحابين مثل الزواج
١٦	لما بعثه رسول الله ﷺ عام ذات السلاسل
٩٥	لما زوج علّيَا فاطمة بعث معه بخميلة ووسادة من أدم حشوها ليف
١٨٩	لما كان يوم الخندق نظرت إلى رسول الله ﷺ، فوجده قد وضع حجراً
١٦٤ ، ١٦٣	لو أن أحدهم حينما يأتي أهله يقول: بسم الله، اللهم جنبا الشيطان
١٨٦	لو دعاها وهي على ظهر قتب
١٨٦	لو على التنور ينبغي لها أن تطيعه
٢٦٥	لولا القصاص يوم القيمة لأوجعْتُك بهذا السوال
٢٠٦	ليتَّخذْ أحدكم قلبًا شاكراً، ولسانًا ذاكراً، وزوجة تعينه على أمر الآخرة
٣٤٩	ليس المؤمن الذي يشبع وجاره جائع
م	
٣٤٨	ما آمن بي من بات شيعانًا، وجاره جائع إلى جنبه
٦٠	ما استفاد المؤمن بعد تقوى الله خيراً له من زوجة صالحة
١٢٩ ، ١٢٨	ما تقولون في هذا... هذا خيرٌ من ملء الأرض مثل هذا
٥١	ما دخل الرفق في شيءٍ إلّا زانه، ولا نزع من شيءٍ إلّا شانه
٢٦٥ ، ٢٣٦	ما ضرب رسول الله ﷺ بيده خادماً له قط، ولا امرأة
١٨٠	ما قولك يا صفوان؟ قال: يا رسول الله، إنّها تصلي بالسورتين في ركعة
١٣٥	ما كانت هذه لتقاتل

رقم الصفحة	الحديث
٣٠٤	ما من رجل له امرأتان يميل لإحداهما على الأخرى
١٠٩	ما يُضْحِكُمْ مِنْ دَقَّةٍ ساقِيْهِ؟ وَالَّذِي نُفْسِي بِيَدِهِ إِنَّهُمَا أَثْقَلُ فِي الْمِيزَانِ مِنْ أَحَدٍ
٣٥٤	ماذَا أَبْقَيْتَ لِأَهْلِكَ وَعِيَالِكَ يَا أَبَا بَكْرٍ
٢٨٣	ماذَا أَعْطَاكِ مِنْ صِدَاقٍ؟ قَالَتْ: أَعْطَانِي حَدِيقَةً. قَالَ: أَتُرِدُّنِي عَلَيْهِ حَدِيقَتَهُ؟
١٥٩	ماذَا عَنْدَكَ؟ لَيْسَ عَنْدَهُ مَالٌ، قَالَ: عَنْدِي هَذِهِ الدَّرَعُ الْحَطَمِيَّةُ الَّتِي تَحْطُمُ
١٩٤	مُثْلِ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادِهِمْ وَتَرَاحِمِهِمْ وَتَعَاوُفِهِمْ كَمَثْلِ الْجَسَدِ الْوَاحِدِ
٤٠	مُرْوَا أَبْنَاءَكُمْ بِالصَّلَاةِ لِسَبْعِ سَنِينَ، وَاضْرِبُوهُمْ عَلَيْهَا لِعَشْرِ سَنِينَ
١٩٤	الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ
١٢	الملائكة الملاعن الثلاث
٥٤	مَنْ اغْتَسَلَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ غُسْلَ الْجَنَابَةِ ثُمَّ رَاحَ، فَكَانَّمَا قَرَبَ بِدَنَةٍ
٣٣٨	مَنْ تَعْلَقَ تَمِيمَةً فَلَا أَتَمَّ اللَّهُ لَهُ
٦٠ ، ١٤٥ ، ١٧٨	مَنْ رَزَقَهُ اللَّهُ امْرَأً صَالِحةً، فَقَدْ أَعْانَهُ عَلَى شَطْرِ دِينِهِ، فَلَيَتَقَرَّ اللَّهُ فِي الشَّطَرِ الْبَاقِيِّ
٣٣٦	مَنْ شَرَبَ فِي إِنَاءٍ مِنْ ذَهَبٍ أَوْ فَضَّةٍ، فَإِنَّمَا يُجْرِجِرُ فِي بَطْنِهِ نَارًا مِنْ جَهَنَّمَ
٢١	مَنْ عَلِمَ الرَّمِيَّ ثُمَّ تَرَكَهُ، فَلَيَسْ مَنَّا أَوْ قَدْ عَصَى
٢٠٠	مَنْ غَشَّنَا فَلَيَسْ مَنَّا
٣١	مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ دَخَلَ الْجَنَّةَ
١١	مَنْ كَانَ لَهُ شَعْرٌ فَلِيُكْرِمْهُ
٤٨	مَنْ لَمْ يَهْتَمْ بِأَمْرِ الْمُسْلِمِينَ فَلَيَسْ مِنْهُمْ
٩١	مَهِيمُ أَيْ: مَا الَّذِي حَدَثَ؟ قَالَ: تَزَوَّجْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ
٢٥ ، ٨ ، ٥	الْمُؤْمِنُ الْقَوِيُّ، خَيْرٌ وَأَحَبُّ إِلَى اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِ الْمُضِعِيفِ
٣٥٩ ، ٢٧٥	الْمُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبَنِيَانِ؛ يَشْدُدُ بَعْضُهُ بَعْضًا



رقم الصفحة	الحديث
٤٦	المؤمن من مرآة أخيه، إذا رأى فيها عيباً أصلحه
٥	المؤمن من مرآة المؤمن، والمؤمن أخو المؤمن، يكُفُّ عليه ضيئته
٢٧٥	المؤمنون تتکافأ دمائهم، ويسعى بدمتهم أدناهم، وهم يدُّ على مَنْ سواهم
ن	
١٧٠	ناوليني الخمرة هذه. فقالت: يا رسول الله إني حائض
١٢	النظافة من الإيمان
١٧ ، ١٦	نعم، يا عباد الله تداووا؛ فإنَّ الله لم يضع داءً إلَّا وضع له شفاءً
٢٥٢ ، ٢٣٣	نهى رسول الله ﷺ أن يطُرق الرجل أهله ليلاً يتخرُّنُهم
ـ	
١٥٩	هل تتزوج فلانة؟ قال: نعم يا رسول الله. وقال للمرأة: هل تتزوجين فلاناً؟
٣٥٢ ، ٣٥١	هل تجد رقبةً تُعْتَقُها؟ ... أطعْمِه أهْلَكَ
١٦٢ ، ١٣٣	هل كان معهم لهو؟ فإنَّ الأنصار قوم يعجبهم اللهو
٨٠ ، ٧٩	هل نظرت إليها؟ اذهب فانظر إليها؛ فإنَّ أخرى أن يؤدم بينكم
١٦٢	هلا أتيتم معها بمن تغنى وتقول: أتيناكم أتيناكم فحيونا نحييكم
٩٠	هلا كان معهم لهو؟ فإنَّ الأنصار يعجبهم اللهو
٨٩	هلا كان معهم لهو؟ هلا أتيتم من تغنى وتقول: أتيناكم أتيناكم
١٦	هي من قدرِ الله
و	
٢١٦	واتَّقِ دعوة المظلوم؛ فإنَّه ليس بينه وبين الله حجاب
١٩٤	والله في عون العبد؛ ما دام العبد في عون أخيه
٢٣٠	وإنَّ أعوج شيءٍ في الضلع أعلى



رقم الصفحة	الحديث
١٢	وَتُمِيطُ الْأَذى عَنِ الطَّرِيقِ صَدَقَةٌ
٢٥٥	وَحَدِيثُ الرَّجُلِ مَعَ امْرَأَتِهِ، وَحَدِيثُ الْمَرْأَةِ مَعَ زَوْجِهَا
١٦٣	وَكُلُّ أَمْرٍ ذِي بَالٍ لَا يُبَدِّأُ فِيهِ بِاسْمِ اللَّهِ؛ فَهُوَ أَبْتَرُ
٢٣٦	وَلَنْ يَضْرِبَ خِيَارَكُمْ
١٤٣	وَلَوْ أَذْنَ لَهُ لَا خَتْصِينَا

## ي

٣٠٤	يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنِّي امْرَأَةٌ قَدْ كَبَرْتُ سِنِيْ، وَلَمْ يَعْدْ لِي أَرْبَ فِي الرِّجَالِ
١٧١، ١٧٠ ٢٤٩، ٢٢٦	يَا عَائِشَةَ هَذِهِ بِتُّكَ
١٧٩	يَا عُمَرَ، أَلَا أَخْبُرُكَ بِخَيْرِ مَا يَكْنِزُ الْمَرْءُ؟ الْمَرْأَةُ الصَّالِحةُ
١٩٠	يَا عُمَرَ، مَا لَيْ وَلَلْدُنِيَا، إِنْ مُثْلِي وَمُثْلُ الدُّنْيَا؛ كَمُثْلِ رَاكِبٍ فِي يَوْمٍ صَافِئٍ
١٨	يَا مُحَمَّدَ، أَدْعُوكَ لِلْمُصَارِعَةِ، فَإِنْ غَلَبْتَنِي فَأَنْتَ رَسُولُ اللَّهِ
١٩٨، ١٠٦، ٥٨	يَا مَعْشَرَ الشَّبَابِ، مَنْ أَسْتَطَعَ مِنْكُمُ الْبَاءَةَ فَلِيَتَرْوَجْ؛ فَإِنَّهُ أَغْضُنَ لِلْبَصَرِ
١٣٩	يَحْقِرُ أَحَدُكُمْ صَلَاتِهِ إِلَى صَلَاتِهِمْ، وَقِيَامِهِ إِلَى قِيَامِهِمْ
١٧٠	يَشْرِبُ مِنِ الْإِنَاءِ الَّذِي أَشَرَبَ فِيهِ وَيَضْعُ فَاهُ مَوْضِعَ فِيْ
٣٣٨	يَعْمِدُ أَحَدُكُمْ إِلَى جَمَرَةٍ مِنْ نَارٍ فَيَجْعَلُهَا فِي يَدِهِ

\* \* \*



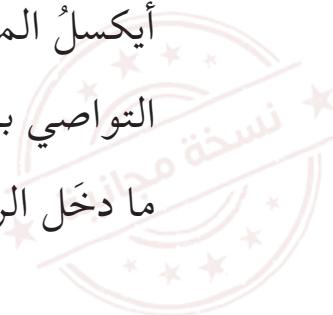


## فهرس الم الموضوعات

٤	◦ من الدستور الإلهي للبشرية	غير مرخصة للطباعة
٥	◦ من مشكاة النبوة الخاتمة	
٧	◦ ١ - التربية الجسمانية للإنسان المسلم	
٧	◦ الإسلام يهدف إلى إيجاد المسلم الصالح المصلح	
٨	◦ الإسلام يهدف إلى تكوين الجسم القوي	
٩	◦ نواحي التربية الجسمانية	
١٠	◦ الناحية الصحية	
١٣	◦ الوقاية خير من العلاج	
١٤	◦ الوقاية من الأمراض	
١٥	◦ صحة الأبدان مقدمة على صحة الأديان	
١٧	◦ الناحية الرياضية	
١٩	◦ موقف الإسلام من كرة القدم	
٢٠	◦ الخشونة وتحمل المشقات	
٢٢	◦ التجميل والتزيين	
٢٤	◦ ٢ - التربية العقلية للإنسان المسلم	
٢٤	◦ مقومات المسلم الصالح	



٢٦	مقوّمات العقيدة الإسلامية
٢٧	إيمان المقلّد لا يُقبل
٢٨	التربية على السؤال والمحاورة
٣٠	النبي يُرّبِّي أصحابه على المعاورة والسؤال
٣٢	الأنبياء يحاورون ربّهم
٣٢	سلٌّ عَمَّا يشغل تفكيرك
٣٤	خصائص العقلية العلمية
٣٦	مجالات التفكير المطلوب
٣٩	٣ - مقوّمات التربية الاجتماعية الدعوة إلى الله
٣٩	ما استحقَّ أن يولد من عاش لنفسه فقط
٤٠	أنذر عشيرتك الأقربين
٤١	كلُّ مسلم مطالب بالدعوة
٤٢	مُرْ بالمعروف وانْه عن المنكر
٤٤	عقوبة المنكر تصيب المجتمع بأسره
٤٤	المجتمع المسلم قائم على التناصح
٤٦	شرُّ ما تصاب به الأمة انقلاب الموازين
٤٦	المؤمن مرأة أخيه
٤٧	التواصي بالحق شرط النّجاة من الخسران
٤٨	أيكسيل المسلمين عن الدعوة وينشط الآخرون؟
٥٠	التواصي بالصبر بعد التواصي بالحق
٥١	ما دخل الرفق في شيء إلّا زانه





٥٢	من أمر بمعرفة: فليكن أمره بمعرفة
٥٤	فضل التبکیر إلى الجمعة
٥٧	<b>٤ - مُقَوّمات التربية الاجتماعية للفرد المسلم (الزواج)</b>
٥٧	الزواج في المجتمع المسلم
٥٧	المبدأ الأول: الزواج خير لا بد منه
٥٨	الزواج أساس بقاء النوع الإنساني
٥٩	الزواج تصريف مباح للغريرة
٦٠	خير متاع الدنيا الزوجة الصالحة
٦١	الكون قائم على الزوجية
٦١	مقوّمات الزواج في الإسلام
٦٦	اغتربوا لا تضنووا
٦٧	أخطاء شنيعة في تطبيق الزواج
٧١	<b>٥ - أخطاء المجتمع في أمر الزواج</b>
٧١	انحرفنا بالزواج عن تعاليم الإسلام
٧٢	جمعنا أسوأ الموروث وأسوأ الوافد
٧٤	التبکیر بالزواج هو المطلوب
٧٤	من الأخطاء في الزواج
٧٦	ليس للأباء من أمر الزواج شيء
٧٩	مراجعة تغيير العصر
٨١	رؤى الخطاب بين الغلوك والتفرير
٨٤	حصار المخيّمات الفلسطينية في لبنان

٨٨.....	٦ - من هدي الإسلام في الزواج
٨٨.....	إعلان الزواج وإشهاره
٨٩.....	اللهو والترويح في الأعراس
٩٠.....	الإسلام يراعي الفطرة ولا يعرف التزمر
٩٠.....	الإسلام لا يريد الإسراف في اللهو
٩١.....	الوليمة عند الزواج
٩٢.....	حرمة الإسراف في الوليمة
٩٢.....	إجابة دعوة الوليمة
٩٣.....	الدعاء للعروسين
٩٤.....	بداية الحياة الزوجية بالطاعة
٩٥.....	عدم الإسراف في تأثيث البيت
٩٥.....	الأثر في العصر الحديث
٩٦.....	مراقبة حقوق الله
٩٧.....	رعاية حق الزوجة
٩٨.....	المهر حق خالص للمرأة
٩٩.....	نفقة الرجل على زوجته بالمعروف
١٠١.....	على الرجل النفقة بالمعروف
١٠١.....	لا تبذير ولا تقثير
١٠٣.....	الإنفاق بالمعروف
١٠٥.....	أهداف الزواج



١٠٥	٧ - من أهداف الزواج
١٠٦	حسن الاختيار في الزواج
١٠٦	ما الذي حدث؟
١٠٨	إذا أتاكم من ترضون خلقه ودينه فزق جوه
١٠٨	مقاييس خاطئة
١١٠	موقف رائع لسيد التابعين
١١٣	صلاح المرأة ينفع زوجها
١١٤	عون الله للناكح يريد العفاف
١١٥	عواقب تأخير الزواج
١١٦	هل يكره الآباء بناتهن؟
١١٦	لا تؤخرزوا زواج بناتكم
١١٧	إنه تأخير الزواج
١١٩	٨ - من أحكام الخطبة في الإسلام
١١٩	الاستخاراة
١٢٠	معنى الاستخاراة
١٢٠	الاستشارة
١٢١	من أحكام الخطبة
١٢١	رؤيه المخطوبه
١٢٢	ماذا ينظر في مخطوبته؟
١٢٣	التشدد في أمر الرؤية
١٢٤	الجلوس إلى المخطوبة والحديث معها

١٢٥	خطبة المرأة على خطبة أخيه
١٢٥	خطبة المرأة في العدة
١٢٦	التعريف بالخطبة
١٢٦	موافقة المرأة ووليها
١٢٧	مشاورة الأم
١٢٨	التكافؤ بين المخطوبين
١٢٩	التَّائِنُ في البحث قبل الموافقة
١٣٠	العواطف الإنسانية
١٣٢	التيسير في المهر
١٣٤	تفجير السفارة المصرية في باكستان
١٣٤	إنكار الإسلام لجرائم العنف
١٣٦	براءة الإسلام من جرائم العنف
١٣٧	العنف ظاهرة عالمية
١٣٨	العلاج المنشود لظاهرة العنف
١٤١	٩ - اختيار الزوجة الصالحة
١٤١	الزوجية سنة كونية وشرعية
١٤٢	الزواج حاجة فطرية
١٤٢	النزعه الرهبانية والزواج
١٤٣	رفض الإسلام الرهبانية
١٤٤	رفض الإسلام الإباحية
١٤٤	الزواج سُنة نبوية



١٤٥	فضل الزوجة الصالحة
١٤٦	الاختیار علی أساس الدين
١٤٧	النظر إلی المخطوبة
١٤٧	بین الإفراط والتفریط
١٤٩	الترغیب فی النظر إلی المخطوبة
١٥٠	أهمية النظر إلی المخطوبة
١٥٠	الزواج علی بصیرة
١٥٠	السؤال عن المخطوبة
١٥١	السؤال عن الخاطب
١٥٦	١٠ - أسس الحياة الزوجية
١٥٦	میثاق غلیظ
١٥٧	صلوة الاستخاراة
١٥٨	استشارة من يثق برأيه
١٥٨	أول الحقوق المهر
١٦٠	الإسلام يرشد للتيسير في المهر
١٦١	المرأة تأخذ المهر ولا تبذل
١٦٢	من حق المرأة إشهار الزواج
١٦٣	زواج يبدأ بالطاعة
١٦٤	حق المعاشرة بالمعروف
١٦٥	العشرة بالمعروف ليست مادية فقط
١٦٦	الأسوة الحسنة

١٦٧	كلكم راعٍ وكلكم مسؤول
١٦٨	اللطف في المعاشرة
١٦٩	الحقوق الجنسية
١٧٠	الملاطفة حق متبادل
١٧٢	اغتيال الشيخ محمد صادق الصدر
١٧٢	الوعي بمكائد الكائدين للإسلام
١٧٣	خلافات في فروع العقائد
١٧٣	التحاور بالحجج والبراهين
١٧٥	طبيعة الاختلاف
١٧٦	دعوة ل التعايش
١٧٨	<b>١١ - الزوجة الصالحة</b>
١٧٩	خير ما يكنز الرجل
١٧٩	تعارض حق الرب مع حق الزوج
١٨٠	وصف المرأة الصالحة
١٨١	قوامة الرجل
١٨١	قُوا أنفسكم وأهليكم نارا
١٨٢	وتعاونوا على البر والتقوى
١٨٣	إعانة المرأة الصالحة لزوجها
١٨٥	التجميل والتطيب
١٨٧	التزيين الذي لا يغير فطرة الله
١٨٨	مراقبة الزوجة حال زوجها



١٨٩	حال النبي وأزواجه
١٩١	التعاون بين الزوجين
١٩٣	أحوال العراق في ظل الحصار
١٩٧	<b>١٢ - صفات الزوجة الصالحة</b>
١٩٧	الترغيب في الزواج
١٩٨	متى يكون الزواج واجباً؟
١٩٨	متى يكون الزواج مُستحباً؟
١٩٩	متى يكون الزواج حراماً؟
٢٠٠	حسن اختيار الزوجة
٢٠٠	وثاني هذه الصفات: الدين
٢٠١	وثالث صفات هذه المرأة: أن تكون ذات خلق
٢٠٢	ثم هناك صفة رابعة: أن تكون من مُنْبَتٍ طيّبٍ
٢٠٢	تخيروا لنطفكم
٢٠٣	وهناك - أيضاً - صفة خامسة: وهي أن تكون بكرًا
٢٠٤	كذلك هناك صفة سادسة، ينبغي أن يبحث عنها: وهي أن تكون ولوّدًا
٢٠٤	الفحص الطبي قبل الزواج
٢٠٥	وهناك صفة سابعة: وهي الجمال
٢٠٥	الناس متفاوتون في نظرتهم للجمال
٢٠٧	اختيار الإنسان الصالح
٢٠٧	أن يكون ذا دين وخلق
٢٠٨	معيار الاختيار عند السلف

٢٠٩	قصة زواج سالم مولى أبي حذيفة
٢١٠	زوج ابنته أحد تلاميذه
٢١١	دعوا التشديد وعودوا إلى التيسير
٢١٢	الزواج الجماعي
٢١٤	نظرات في مقتل «رابين»
٢١٥	لكل ظالم نهاية
٢١٦	هلاك الظالمين نعمة تدل على ربوبية الله للعالم
٢١٧	هلاك «رابين» بأيدي قومه
٢١٧	أحلام إسرائيل
٢١٨	العنف ليس في بلاد المسلمين وحدهم
٢١٨	للعنف في بلاد المسلمين مبرراته
٢١٩	العنف كامن في طبيعة إسرائيل
٢٢٠	الدعاء
٢٢٢	<b>١٣ - الزوج الصالح في الإسلام</b>
٢٢٣	الزوج الصالح
٢٢٤	رعاية الحقوق الزوجية
٢٢٤	١ - إعطاء المهر
٢٢٤	٢ - النفقة بالمعروف
٢٢٥	٣ - المعاشرة بالمعروف
٢٢٦	هدية ﷺ في معاملة أزواجه
٢٢٨	٤ - احتمال الأذى



٢٣٠	٥ - المعاشرة الجنسية
٢٣٢	٦ - التَّجْمُل للزوجة
٢٣٣	٧ - الغيرة على الزوجة
٢٣٤	٨ - عدم الإسراع إلى الطلاق
٢٣٧	٩ - مراعاة أحكام الطلاق
٢٤٠	قارة إفريقيا المسكينة
٢٤٢	١٤ - حقوق العِشرة الزوجية
٢٤٢	أسasan للعِشرة الزوجية
٢٤٣	مهر الزوجة
٢٤٣	النفقة على الزوجة
٢٤٤	الاستيلاء على مال الزوجة
٢٤٤	حق المرأة في التملّك والتَّصرُّف
٢٤٥	منع الزوجة عن أهلها
٢٤٧	اللطف مع الزوجة
٢٤٩	ممازحة الزوجة وملاعتتها
٢٥١	الغيرة على الزوجة
٢٥٢	الإسراف في الغيرة
٢٥٢	الصبر على المكاره
٢٥٣	فَعَسَى أَنْ تَكْرُهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا
٢٥٤	بالدين وبالأخلاق يتعاهش الناس
٢٥٧	تقاتل المجاهدين الأفغان

٢٦١	١٥ - إنتهاء الزواج (١)
٢٦٢	إجراءات وقائية ضد الطلاق
٢٦٧	التهاون في اتخاذ الإجراءات الوقائية
٢٦٧	حرمة الطلاق بغير ضرورة
٢٦٨	واقعية الشريعة الإسلامية
٢٧٠	الطلاق الرجعي
٢٧٠	الطلاق المعلق
٢٧١	الطلاق في الحيض
٢٧١	بقاء المرأة في بيتها في العدة
٢٧٢	النفقة والمتعة
٢٧٢	الوفاء للعشرة
٢٧٤	نعمه الأمان في قطر
٢٧٩	١٦ - إنتهاء الزواج (٢)
٢٧٩	الطلاق عملية جراحية
٢٧٩	تقييد إباحة الطلاق
٢٨١	الطلاق بيد الرجل
٢٨١	حقوق المرأة الكارهة زوجها
٢٨٢	اشترط رضا المرأة
٢٩٠	اتهام المقاومة بالإرهاب
٢٩٠	تهويد العقل العربي
٢٩٣	مستشهادون لا منتحرون
٢٩٤	التهلكة في ترك الجهاد



٢٩٧	١٧ - تعدد الزوجات في الإسلام
٢٩٨	تعدد الزوجات
٢٩٩	تقييد التعدد
٣٠٠	اشتراط العدل
٣٠٠	حكم التعدد وفوائده
٣٠٢	الإسلام دين واقعي
٣٠٣	العدل المستطاع
٣٠٥	أثر الإعلام في تشويه التعدد
٣٠٩	رحيل الشيخ خالد محمد خالد
٣٠٩	رحيل الشيخ محمد الغزالى
٣١١	رحيل الشيخ جاد الحق
٣١٣	١٨ - ظلم الرجال للنساء
٣١٤	أكل ميراث المرأة
٣١٥	النساء شقائق الرجال
٣١٩	معاشرة المرأة لزوجها وهي كارهة
٣٢١	الوسائل التي شرعها الإسلام للمرأة إذا استحالت العشرة
٣٢١	الوسيلة الأولى: الخلع
٣٢٤	الوسيلة الثانية: إرسال الحكمين
٣٢٦	الوسيلة الثالثة: القضاء
٣٣٢	١٩ - المال في الإسلام
٣٣٢	نظرة الإسلام للمال
٣٣٣	إنفاق المال في الحق
٣٣٤	خطوات الشيطان في المال

٣٣٥	الفرق بين الإسراف والتبذير
٣٣٦	صور من التبذير
٣٣٩	إنفاق المال في التدخين
٣٤٠	الإسلام يحارب الترف
٣٤٢	الإنفاق في الباطل ضياع للإنفاق في الحق
٣٤٣	قول معروف خير من صدقة يتبعها أذى
٣٤٥	<b>٢٠ - حق المساكين وأبناء السبيل في المال</b>
٣٤٥	عناية الإسلام بالمساكين
٣٤٦	الإنسان القاسي
٣٤٨	في المال حق سوى الزكاة
٣٤٩	ما تميزت به زكاة الإسلام
٣٥٠	حق المساكين في الكفارات
٣٥٢	العيدان وإطعام المساكين
٣٥٣	حق المساكين في موارد الدولة
٣٥٤	الصدقات التطوعية
٣٥٥	ما لا يعرفه الماديون
٣٥٦	الوقف الخيري
٣٥٧	حق ابن السبيل في المال
٣٦٣	<b>٠ فهرس الآيات القرآنية الكريمة</b>
٣٧٩	<b>٠ فهرس الأحاديث النبوية الشريفة</b>
٣٩٣	<b>٠ فهرس الموضوعات</b>

\* \* \*



